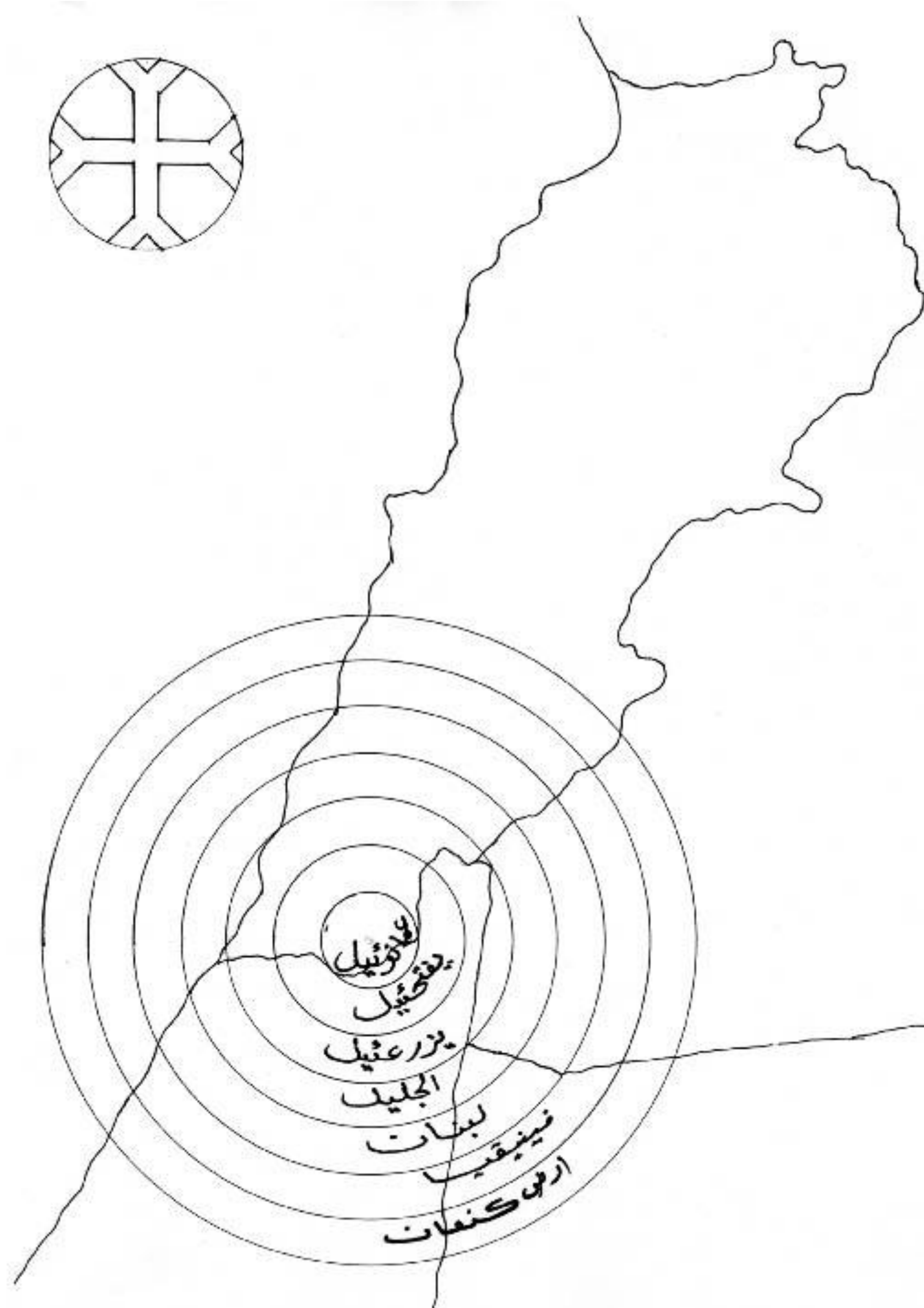
المسيح ولد في لبنان
لا في اليهودية
(طبعة مختصرة)

بحث تاريخي جغرافيّ آثاريّ يحدّد علمياً
المكان الحقيقي لولادة يسوع المسيح

الأب الدكتور يوسف يمّين

منشورات «إيلّبنانيّون» - إهدن، لبنان
2010

الكتاب : المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية
الكاتب : الأب الدكتور يوسف يمين
الغلاف : صورة الغلاف: ألكسي فرنجية
تصميم الغلاف: ألكسي فرنجية
الطبعة الأولى : 1 تشرين الثاني 1999
الطبعة الثانية : 14 كانون الأول 1999
الطبعة الثالثة : طبعة مختصرة آذار 2010
القياس : 16.523.5 X
عدد الصفحات : 456 صفحة
طباعة : مطبعة القارح - زغرتا
تلفون: 06/665786 - فاكس: 06/665115
kareh@karehprintingpress.com


عمانوئيل
يفتحئيل
يزرعئيل
الجليل
لبنان
فينيقيا
ارض كنعان

=

للمؤلف

***في الخواطر:**

-العيد في الداخل - دار البلاد – 1984

-كيمياء الحروف – دار البلاد – 1984

-مواد مشعّة - منشورات إيلبنانيون 2007

***في الشعر الصوفيّ:**

-وميض في معبد اللحظة – تريدينغ بريس – 1988

***في التاريخ:**

-المردة – بحث تاريخي – الطبعة الثانية – المطبعة البولسية – 1977

« -إيلمارونية» – منشورات إيل – 1 – 1993

-قانا الجليل في لبنان – منشورات إيل –2 – 1994

« -قدّيس اهدن» البطريرك اسطفان الدويهي– منشورات إيل –3- 1994

-المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية – منشورات إيلبنانيون (1) 1999

الطبعة الثانية 1999 - الطبعة الثالثة 2010

-اهدن (دليل تاريخي جغرافي آثاري) 1999 - الطبعة الثانية 2004

-زغرتا (دليل تاريخي جغرافي آثاري) 2004

-مخطوطة اهدن الاموريّة - أقدم مخطوطة عن إهدن 2009

***في الفكر الحضاري:**

-لبنان بوتقة وحدة البشر (بالعربية والفرنسية) دار الفكر اللبناني- 1997

***في العلوم:**

-الأسلحة الكيماوية والبيولوجية – دار الخطيب 1990

-الموسوعة الذريّة (15 مجلّد) – دار نوبيليس 1999

الإهداء

الى لبنان. وكفى.

المؤلّف

رسالة غبطة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير
الكلي الطوبى 26 - 11 - 1999

الكردينال
نصرالله بطرس صفير
بطريرك انطاكية وسائر المشرق



مع جزيل شكره واحر ادعيته وافضل تمنياته
لكم ولكتابكم الجديد المسيح ولد في لبنان
ونسأل الله ان يسدد خطاكم الى التوفيق

٢٦/١١/٩٩

الكاردينال نصرالله صفير
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

مع جزيل شكره واحر ادعيته وافضل تمنياته لكم ولكتابكم الجديد "المسيح ولد في لبنان"، ونسأل الله أن يسدد خطاكم الى التوفيق.

البطريرك نصرالله صفير
26 - 11 -1999

مقدّمة المقدّمات
مقدمة انجيل يوحنا

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس، والنور يشرق في الظلمات، ولم تدركه الظلمات. ظهر رجل مُرسَل من لدن الله اسمه يوحنا. جاء شاهداً ليشهد للنور، فيؤمن عن شهادته جميع الناس. لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور. كان النور الحق، الذي ينير كل انسان، آتياً الى العالم. كان في العالم، وبه كان العالم، والعالم لم يعرفه. جاء الى بيته فما قبله أهل بيته. أمّا الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم ان يصيروا ابناء الله: فهم الذين لا من دم، ولا من رغبة لحم، ولا من رغبة رجل، بل من الله ولدوا. والكلمة صار بشراً فسكن بيننا، فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق. شهد له يوحنا فهتف: هذا الذي قلت فيه: إن الآتي بعدي قد تقدّمني لأنه كان من قبلي. فمن ملئه نلنا بأجمعنا، وقد نلنا نعمة على نعمة. لأن الشريعة أعطيت عن يد موسى، واما النعمة والحق فقد أتيا عن يد يسوع المسيح. إن الله ما رآه احد قط، ألابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي اخبر عنه...» (انجيل يوحنا 1: 1-18)

المقدّمة

»ليست الكتب الالهية سوى كتاب واحد
وهو يسوع المسيح.
لأن كل الكتب الالهية
تتكلم على المسيح
وكلها تتمّ بالمسيح«...

هوغ دي سان فيكتور

في بداية الكلام

»إن نسبة أسفار التوراة (الكتب الخمسة الاولى من العهد القديم) الى موسى لا تتضمن حتميّة الاعتقاد بأن موسى كتب بيده أو املى على امناء سرّه نصوص هذه الأسفار...

وإن الكتب الخمسة المذكورة قد تعدّلت نصوصها مع مرور الزمان، بحيث أضيفت مثلاً نصوص كتبها كاتب بعد وفاة موسى، وزيدت تفسيرات، وتحوّلت تعابير قديمة الى تعابير مستحدثة، وان هناك أخطاء اقترفها النسّاخون!!«...

»قرار اللجنة الحبريّة التوراتية«
الصادر عن الفاتيكان
في 1906/6/27

(الكتاب المقدس – بالفرنسية – مدرسة
اورشليم البيبلية – منشورات سَيرف
باريس 1956 – المدخل ص 4)

العهد القديم

قبل ان تتّخذ أسفار العهد القديم صيغتها النهائية كانت تتناقل شفهياً بين الأفراد والجماعات من جيل الى جيل. والكتب التي خطّت فيما بعد، تباعاً، انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء، في شكل تنقيحات وتعليقات... وحتى في شكل اعادة صيغة بعض النصوص الى حدّ هام او قليل الاهمية. لا بل ان أحدث الاسفار ما هي احياناً الاّ تفسير وتحديث لكتب قديمة...

فبعد الجلاء الى بابل الذي حصل في اوائل القرن السادس قبل المسيح تشتّت بنو اسرائيل في انحاء ما بين النهرين او لجأوا الى مصر... ولكن بعض المجموعات حافظت على تماسكها واستمرت في حياتها الدينية.

وليست المجامع الا نتيجة النظام الذي شمل جماعاتهم. وانتهزت هذه المجموعات فرصة الجلاء فتأملت بالعمق في حياة شعبها وقيّمت تاريخ اسرائيل وبالغت في تعظيم احداثه وحياة رجالاته، وأثمر هذا التامل في تأليف بعض اسفار العهد القديم...

وبعد سقوط الامبراطورية البابلية تحت ضربات الفرس، صدر أمر عن الملك قورش في العام 538 ق.م. يأذن باعادة بناء هيكل اورشليم، فتجمّع حوله اليهود العائدون من الجلاء. ولم يكوّنوا اذ ذاك الا جماعة صغيرة نمت شيئاً فشيئاً في ظروف خاصة. وحصلت على تنظيمها النهائي على يد نحميا وعزرا في أواسط القرن الخامس قبل المسيح. وفي اثناء هذه الحقبة بالذات وصل معظم أسفار العهد القديم الى صيغته النهائية...!

أما فيما يخصّ نصوص هذه الأسفار، وزيادة في التبسيط والتوضيح، فيمكن القول أن هناك، بشكل عام، نصّين اثنين: «النص المسّوري» والنص القديم. وتطلق عبارة «النص المسّوري» على صيغة النص الرسمية التي قرّرت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح، حين ازدهر في طبريّا أشهر المسّوريّين وكانوا ينتمون الى عائلة ابن اشير. اما النص القديم فهو الذي كتب قبل هذا التاريخ. مع العلم ان

هذا النص القديم عرف تنقيحات وتصحيحات وتأويلات متعدّدة خلال القرون السابقة. وفي صيغ هذا النص الذي سبق «النص المسّوري»، نجد احياناً نصاً أوضح من «النص المسوري» نفسه. ومن هنا نشأت رغبة عدد كبير من المفسّرين، لا سيما بين الأعوام 1850 و1950، في الاستعانة بها لتنقيح «النص المسّوري» الذي غالباً ما يعدّ مشوّهاً... ولا شك ان هناك عدداً من النصوص المشوّهة التي تفصل «النص المسّوري» الأول عن النص الأصلي. فمن المحتمل ان تقفز عين الناسخ من كلمة الى كلمة تشبهها وترد بعد بضعة أسطر، مهملة كل ما يفصل بينهما. ومن المحتمل ايضاً ان تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها. وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله، لكن في مكان خاطئ، تعليقاً هامشياً يحتوي على قراءة مختلفة او على شرح ما ... والجدير بالذكر ان بعض النسّاخ الاتقياء أقدموا على إدخال تصحيحات لاهوتية، على تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرّضة لتفسير عقائدي خطير.

وأخيراً، من الممكن ان نكتشف ونصحّح بعض النصوص المشوّهة، باللجوء الى صيغ النصوص غير المسّورية، في حال كونها أَمِنَت من التشوّه...

العهد الجديد

في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة. والحياة نور الناس، ... الكلمة هو النور الحق الآتي الى العالم، والمنير كل انسان، كان في العالم، وبه كان العالم، والعالم لم يعرفه... (يوحنا 1: 1-4، 9-10.(

كل ما كان قبل يسوع المسيح، منذ بدء الخليقة الى يوم ميلاده، هو تهيئة له وإعداد وتمهيد. كأن الزمان السابق على ميلاده هو «التساعية الكونيّة الكبرى للميلاد». أما ما كان بعد يسوع المسيح، أو ما سيكون، فهو استمرار له وامتداد حتى نهاية الأزمنة. ومع يسوع المسيح أصبحت الخليقة «خليقة جديدة...«

أمّا ما يسمى بـ »العهد الجديد»، من حيث التأليف والكتابة، فيظهر بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفراً او كتاباً مختلفة الحجم وضعت كلّها باللغة اليونانية. ولم تجرِ العادة ان يطلق على هذه المجموعة عبارة «العهد الجديد»، في المسيحية، الاّ في أواخر القرن الثاني. فقد نالت الكتابات التي تؤلفه رويداً رويداً منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشأن في استعمالها ما لنصوص العهد القديم التي عدّها المسيحيون الأولون زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحد وسمّوها «الشريعة والأنبياء»، وفقاً للاصطلاح اليهودي السائد في تلك الايام. واذا انتهى الأمر الى ان يطلق على جملة تلك الكتابات عبارة «العهد الجديد»، فذلك يعود في جوهره الى ان اللاهوتيين المسيحيين الأولين رأوا ما ذهب اليه بولس (2 قور 3: 14) وهو ان تلك النصوص تحتوي على أحكام عهد جديد تحدد عباراته العلاقات الجديدة بين الله والناس في المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص. وأدّى بالمسيحيين كلامهم على عهد جديد الى اطلاق عبارة «العهد القديم» على المجموعة التي كانت في الماضي تسمّى «الشريعة والأنبياء» فأشاروا بذلك الى أنهم يرون في تلك المجموعة قبل

كل شيء ما فيها من احكام العهد الموسوي القديم الذي كمّله يسوع المسيح وجدّده وتخطّاه...

ولا بدّ لنا من النظر الى العهد الجديد في البيئة التي نشأ فيها والى انتشاره في أول أمره. وذلك بشكل مختصر ومبسّط. فلا غنى عن البحث في الأحوال التي حملت المسيحيين الأولين على إعداد مجموعة جديدة لأسفار مقدسة. ولا غنى بعد ذلك عن البحث كيف ان تلك النصوص، وقد نسخت ثم نسخت مراراً ومن غير انقطاع، أمكنها ان تجتاز نحو اربعة عشر قرناً من التاريخ الحافل بالأحداث التي مضت بين تأليفها من جهة وضبطها على وجه ثابت عند اختراع الطباعة من جهة اخرى. ولا بدّ في الوقت نفسه من شرح كيف أمكن ضبط النص بعدما طرأ عليه من اختلاف في الروايات في اثناء النسخ. كما انه من الضروري الحديث عن البيئة التاريخية والدينية والثقافية التي نشأ فيها العهد الجديد ثم انتشر. وقد جرت العادة ان يقال لهذه المظاهر الثلاثة: مسألة القانون، ومسألة النص، ومسألة البيئة لنشأة «العهد الجديد.«

أسفار العهد الجديد المنحولة

خصّت بكلمة «منحولة» (خفيّة باليونانية) بعض المؤلفات التي كانت، على ما فيها من الشبه بنصوص العهد الجديد القانونية، تنقل آراء غريبة عن افكار الكنيسة، وعلى العموم «سريّة»، تعود الى بيئة «متحزّبة» كانت وحدها تستطيع التصرّف بها للحصول على معرفة حقيقية، أي «عرفان»... وبعد مدّة عُدّت مؤلفات منحولة تلك التي أبت الكنيسة أن تبني عليها ايمانها وعقيدتها الرسمية، ولذلك لم تأذن بقراءتها في اثناء إقامة شعائر العبادة في الكنيسة يوم الأحد. وقد أُمر ان تبقى تلك الكتب «مخفيّة» في اثناء اقامة شعائر العبادة، وإن أوصي في بعض الأحوال بأن يطالعها الناس فرداً فرداً لحسن تأثيرها التقوي في النفوس.!...

ويمكن ان نميّز، ضمن الأدب المنحول، بشكل عام، اربع فئات من المؤلفات تشابه مختلف أصناف الاسفار القانونية. فهناك اناجيل واعمال رسل ورسائل ورؤى منحولة. نحن لا نعرف أناجيل النصارى والعبرانيّين والمصريّين الاّ ممّا استشهد به منها آباء الكنيسة، وهي مؤلفات تمتّ بصلة قريبة الى الاناجيل القانونية. وانجيل بطرس، الذي عثر على جزء منه في مصر في أواخر القرن الماضي، يحتوي على آثار غنوصيّة ظهرت على وجه تام في مؤلفات تحسّنت معرفتنا لها منذ أن عثر بعد ذلك في مصر ايضاً على اسفار كانجيل الحق وانجيل فيلبّس وانجيل توما وانجيل مريم المجدلية، علماً بان انجيل بطرس يحوي أموراً كثيرة مشتركة بينه وبين الاناجيل الازائية. وهذه المؤلفات المنحولة تختلف اختلافاً واضحاً عن الاناجيل القانونية، لأنها تكاد لا تحتوي رواية شيء من الاحداث. والمؤلف المعروف باسم انجيل يعقوب يروي رواية مفصّلة اناجيل الطفولة ويولي اهتماماً خاصاً بما جرى لمريم ويوسف وبأحداث ميلاد يسوع...

وهناك اناجيل الطفولة ويوسف النجار وغيرها، لا مجال لتفصيل ما جاء فيها... اما أعمال الرسل المنحولة (كأعمال يوحنا واندراوس وبولس...) فهي على العموم مؤلفات غايتها القدوة الحسنة للشعب المسيحي، تستوحي عن بعد ما ورد في سفر اعمال الرسل القانوني، تتخيّر التوسّع

في جانب المعجزات من سيرة الرسل، وهدفها ان تعظّم شأنهم... وليس لنا الا القليل نقوله في الرسائل المنحولة: لا يمكن تشبيه هذه المؤلفات بالرسائل القانونية، فهي لا تشبه الرسائل، بل هي اشبه بمقالات روحية صغيرة تغلب عليها البساطة والتقوى السطحية، وتفتقر الرصانة والعمق... واما الرؤى المنحولة («الراعي» لهرماس، رؤيا بطرس، رؤيا بولس...) فهي نوع من التخيلات الروحية للحياة المستقبليّة والنعيم والجحيم...

إن اسفار العهد الجديد المنحولة، وان كانت لا تصلح قاعدة للايمان ولعقائد الكنيسة، لا تزال مؤلفات ثمينة جداً لدرس تطوّر الآراء الدينية في القرنين الثاني والثالث، بالاضافة الى بعض الاحداث التاريخية الخاصة بميلاد المسيح وطفولته ونشأة المسيحية، هذه الاحداث التي لم تدونها الاناجيل الاربعة وسائر اسفار العهد الجديد القانونية. وذلك لأن الاناجيل وسائر الاسفار القانونية ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة كما نفهمه اليوم. هذا من جهة، ومن جهة اخرى لأن «هناك اموراً اخرى كثيرة اتى بها يسوع، لو كتبت واحداً واحداً لحسبت ان الدنيا نفسها لا تسع الاسفار التي تدوّن فيها...» (انجيل يوحنا – الخاتمة – 21: 25.(

نص العهد الجديد

بلغنا نص الاسفار السبعة والعشرين – للعهد الجديد – في عدد كبير من الكتب المخطوطة التي انشئت في كثير من مختلف اللغات، وهي محفوظة الآن في المكتبات في طول العالم وعرضه. وليس في هذه الكتب المخطوطة كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هي كلها نسخ او نسخ النسخ للكتب التي خطتها يد المؤلف نفسه او أملاها إملاءً. وجميع اسفار العهد الجديد، من غير ان يستثنى واحد منها، كتب باليونانية، وهناك اكثر من خمسة آلاف كتاب خط بهذه اللغة، اقدمها كتب على أوراق البردي وكتب سائرها على الرق. وليس لنا على البردي سوى اجزاء من العهد الجديد بعضها صغير. وأقدم الكتب المخطوطة التي تحتوي النص الكامل للعهد الجديد هو «المجلّد الفاتيكاني»، سمّي كذلك لأنه محفوظ في مكتبة الفاتيكان، وهو مجهول المصدر. والعهد الجديد كامل ايضاً في الكتاب المخطوط الذي يقال له « المجلد السينائي»، لأنه عثر عليه في دير القديسة كاترينا في شبه جزيرة سيناء، وهو محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن. هذان المجلدان كتبا بخط جميل يقال له «الخط الكبير الكتابي .«وهما الاشهران بين نحو 250 كتبت على الرق بالخط نفسه، وتعود الى عهد يمتد من القرن الثالث الى القرن الحادي عشر، ومعظمها لا يحفظ الاّ جزءًا صغيراً من العهد الجديد...

إن نسَخ العهد الجديد التي وصلت الينا ليست كلّها واحدة، بل يمكن المرء ان يرى فيها فوارق مختلفة الاهمية، ولكن عددها كثير جداً على كل حال. هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الالفاظ او ترتيب الكلام. ولكن هناك فوارق اخرى، بين الكتب الخطوطة، تتناول معنى فقرات برمّتها... واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير. فان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون طويلة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الاخطاء التي تحول دون ان تتّصف اية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي اخذت عنه. من النسّاخ من تأثر

بمزاجه او بيئته او مذهبه فحذف وغيّر، بدّل وصحّح وزاد بعض الالفاظ والعبارات والاسماء كما يحلو له... يضاف الى ذلك ان بعض النسّاخ، ومنذ البداية، حاولوا احياناً، عن حسن نية، ان يصوّبوا ما جاء في مصادرهم وبدا لهم انه يحتوي اخطاء واضحة او قلة دقة في التعبير اللاهوتي، فأدخلوا هكذا الى النصّ الاصلي قراءات جديدة تكاد ان تكون كلها خطأً. ثم يمكن ان يضاف الى ذلك كله ان الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في اثناء إقامة شعائر العبادة ادّى احياناً كثيرة الى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس او الى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوت عالٍ...

ومن الواضح أن ما أدخله النسّاخ من التبديل على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات...

والمثال الأعلى الذي يهدف اليه علم نقد النصوص هو ان يمحّص هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصاً يكون اقرب ما يمكن من الأصل الأول. ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه. وأول عمل في علم نقد النصوص هو النظر في جميع نسخ النص. فيجب بعبارة أخرى ان تحصى وترتّب جميع الوثائق التي يرد فيها نص العهد الجديد كلّه او بعضه، ولا يقتصر الأمر على مراجعة الكتب المخطوطة باليونانية، بل تراجع جميع الكتب التي تحتوي ترجمة العهد الجديد التي استعملها المسيحيّون في القرون الأولى (وهي السريانية والقبطية واللاتينية). فقد اعتمد الناقلون في بعض الترجمات أصولاً يونانية أقدم من المجلّد الفاتيكاني او السينائي، فهي تشهد على حالة للنص أقدم مما يمكن الوصول اليه بمراجعة أقدم الأصول اليونانية. فالترجمات القديمة، على قدر ما يمكن استنباط أصلها اليوناني استنباطاً دقيقاً، تساعد مساعدة مهمة على ضبط نص العهد الجديد.

يضاف الى مراجعة الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة ان علماء نقد النصوص يحاولون الاستفادة ممّا في مؤلفات آباء الكنيسة من شواهد كثيرة جداً اخذت من العهد الجديد. والفائدة الاكيدة التي تجنى من هذه الشواهد هي على الخصوص انها تمكّن العلماء في أحيان كثيرة

من الرجوع الى النص كما كان قبل اقدم الترجمات. ثم إن تحديد تاريخ هذه الشواهد وأصلها الجغرافي سهل المنال الى حدّ ما. وهكذا يحصل العلماء على وسيلة للاطّلاع على نص العهد الجديد، كما كان يستعمل في وقت من الاوقات في هذا الجانب او ذاك من الكنيسة. غير أن لهذه الشواهد محذورين. فالأمر لا يقتصر على ان كلاّ منها لا يورد الاّ شيئاً يسيراً من النص، بل كان الآباء، لسوء طالعنا، يستشهدون به في أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ومن غير ان يراعوا الدقّة مراعاة كبيرة، وخاصة في مجالات التاريخ والجغرافية...

فلا يمكننا، والحالة هذه، الوثوق التام في ما ينقلون الينا. واذا فرغ علماء نقد النصوص من احصاء وتمحيص ذلك العدد الضخم من الوثائق التي تتألف منها الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة وشواهد آباء الكنيسة، بذل هؤلاء العلماء جهدهم في ترتيبها ليتيسّر لهم استعمالها على احسن وجه، فيرجعوا الى ابعد ما يمكنهم في طلبهم للأصل الأول. وقد أدّى البحث الدقيق، والحالة هذه، بأهل الاختصاص الى اكتشاف هذا الأمر، وهو أن ذلك العدد الكبير من الوثائق المعروفة تنقسم الى عدد محدود من الفئات الكبرى. وهكذا استطاعوا ان يقيموا ثلاث فصائل كبرى من الأصول يبدو جميع ممثليها نسخاً لمثال واحد. ولا يقتصر الأمر على هذه الفصائل الكبرى للكتب المخطوطة فهناك صيغ وسط بين هذه الأمثلة المذكورة.

ولا مجال هنا لتفصيل كل ذلك. حسبنا ان نشير الى الفائدة المتوقعة من تحديد هذه الأمثلة للنص ومعرفة زمانها ومكانها، بالاستناد الى ما نعرفه من التاريخ والجغرافية لدى مراجعة الترجمات والشواهد وعلم الكتابات والخطوط القديمة عندما يقتضي الامر ذلك. وهكذا يمكن، لدى البحث في كل قراءة او سفر او العهد الجديد كلّه، معرفة الصيغ الاكثر قدماً والاكثر وروداً والتي يقدّر ان تكون الاقرب الى الأصل الأول...

وهذا النقد الأول الذي يقال له «النقد الخارجي» غير كافٍ. فكثيراً ما يؤول هذا النقد الى الوقوف على فقرة لها في القرن الثاني او الثالث روايتان انتشرتا قليلاً او كثيراً، ومن العسير اختيار احداهما. فلا بدّ من اللجوء الى النقد الباطني. فهو ينظر الى القراءات نظره الى انها تبرز امثلة

مختلفة لنص العهد الجديد، بل ينظر الى كل رواية وحدها ويفحصها في حدّ ذاتها، لأنها تَدَخّل لا داعية له قام به الناسخ عن قصد او غير قصد... وهدف اصحاب النقد الباطني ان يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ والاسباب التي دعته الى ذلك التدخل. فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى القراءة القديمة التي تفرّعت منها سائر الروايات المحرّفة. ولا يحسن استعمال النقد الباطني وحده، لأنه مرهون برأي الناقد. ولذلك جرت العادة الاّ يستعمل النقد الباطني الاّ وسيلة متمّمة للنقد الخارجي. ومهما يكن من امر، فإن النتائج التي حصل عليها علماء نقد النصوص منذ 150 سنة تقريباً جديرة بالإعجاب. وبوسعنا اليوم ان نعدّ نص العهد الجديد نصاً مثبتاً اثباتاً حسناً، وما من داعٍ الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة...

إن هذه النتائج مكّنت من التقدم الكبير الذي يراه المرء إذا قارن بين الطبعات الحديثة للعهد الجديد من جهة والطبعات التي ظهرت منذ 1520 الى نحو 1850، قبل العمل المحكّم بقواعد علم نقد النصوص...

والطبعة الأكثر انتشاراً في أيامنا هي طبعة «نستلي-ألاند»، وقد اعتمدت النص العائد للطبعات العلمية العصرية الثلاث، قام بها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر تيشندورف، وسكوت-هورت، ووايس. إن العهد الجديد اليوناني الذي نشرته جمعيات الكتاب المقدس وحققه ك. الاند وم. بلاك وب.م. ميتزجر وا. ويكرين بذل الجهد الكبير فيه لإدخال زيادة من التحسين على ذلك النص...

الإنجيل والأناجيل

ان الانجيل هو قبل كل شيء، وفقاً لمعنى الكلمة في اليونانية (إوَنْجِلْيُون)، «بشرى» الخلاص واعلان هذه البشرى. وهو عبارة عن التبشير بالخلاص البشري في شخص يسوع المسيح ابن الله الوحيد. لم يكن الانجيل في الاصل كتاباً او مؤلفاً ادبياً او تاريخياً. واذا أطلق عنوان الانجيل على الكتب الاربعة المنسوبة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا، فالأمر يعود الى ان كلاً من هؤلاء المؤلفين يعلن تلك البشرى في روايته لأقوال يسوع واعماله ولموته وقيامته.

ان الحقيقة التي نحاول ان نركّز عليها، ونقولها ونكرّرها مرّة ومرتين ومرّات... هي ان الاناجيل ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة، وبمفهومنا العلمي الدقيق اليوم، ولو حوت أحداثاً وحقائق تاريخية لا شك فيها ولا لبس. فالمسيح «صلب عنا على عهد بيلاطس البنطي...»، كما يقول قانون الايمان...

فالذين حرّروا الاناجيل ليسوا بكتّاب انكبوا في مكاتبهم على وثائق تاريخية مبوّبة تبويباً محكماً فأقدموا على وضع تاريخ دقيق ليسوع الناصري، من ميلاده الى موته، كما يفعل المؤرخ اليوم. فطريقة تأليف الاناجيل التي يجب النظر اليها تختلف كل الاختلاف عن هذه الطريقة. لقد ولد يسوع وتكلم وأعلن بشرى ملكوت السماوات وجمع التلاميذ وشفى المرضى واقام الموتى...، وبعد موته، وفي جوّ من الايمان الفصحي، بشر التلاميذ بقيامته، فردّدوا أقواله ورَوَوا اعماله بحسب حاجات حياة الكنيسة. فتكوّنت تقاليد شفهية مدّة تقرب من خمسين سنة، وحفظت، ونقلت جميع المواد التي نجدها في الاناجيل، بفضل الوعظ والليترجية والتعليم الديني. ومن المرجّح ان بعض هذه المواد كانت قد اتخذت، في هذه المدة، صيغة مكتوبة، امثال العبارات الطقسيّة كشهادات الايمان، او مجموعات من اقوال يسوع، او رواية الآلام التي كونت في وقت مبكّر حلقة محكمة البنية من الروايات.

فالانجيليّون قد انصرفوا الى العمل مبتدئين بتلك الأمور التقليدية التي كانت قد اتخذت صيغاً مختلفة في الحياة المتقلّبة التي عاشتها الجماعات المسيحية الأولى، بقدر ما كانت البشرى، قبل ان تصبح نصاً ثابتاً، كلاماً حياً يغذّي ايمان المسيحيين ويعلّم المؤمنين ويتكيّف مع مختلف البيئات ويلبّي حاجات الكنائس المحلية ويعبّر عن التفكير في الكتاب المقدس ويصوّب الاخطاء ويردّ عند الحاجة على حجج الخصوم...

لقد جمع الانجيليون ودوّنوا، وفقاً لنظراتهم الخاصة...، ما أتاهم من التقاليد الشفهية. لكنهم لم يكتفوا بذلك، فقد كانوا يشعرون هم ايضاً انهم يعلنون البشرى لأهل جيلهم ويرغبون في التعليم وفي الجواب على مشاكل الجماعات التي كانوا يكتبون لأجلها... ولا بدّ من لفت النظر الى امر جوهري، لم يبق موضوع نزاع منذ بحوث الاجيال الأخيرة في تاريخ التقليد وتكوين الاناجيل، وهو ان الاناجيل بمافيها من تفاصيل مميزة كثيرة، تعود بنا الى ايمان الجماعات المسيحية الاولى وحياتها...

والمرور في مرحلة التقليد الشفهي يبيّن لنا ايضاً لماذا يبدو الكثير من الفقرات وحدات ادبية صغيرة مركّزة على قول من اقوال يسوع او عمل من اعماله، بلا اطار زمني او جغرافي دقيق... تدلّ على ذلك الامر العبارات المدخلية غير الواضحة في حدّ ذاتها: «في تلك الايام»، «وفي ذلك الزمان» «وبعد ذلك» الخ... فكل من هذه الروايات كان لها اولاً وجود مستقل عن الاخرى، وغالباً ما كان تنسيقها من صنع الانجيليين أنفسهم. وبحكم استعمال تلك التقاليد عند الاجيال الاولى، انصهرت الذكريات المرويّة في صيغ أدبية ثابتة الى حدّ ما: هذا شأن الروايات والاحداث التي تحيط بقول من أقوال يسوع وتحدّد ظروفه، وهذا شأن مشاهد الجدال والشفاء والمعجزات وغيرها...

فكيف يجب النظر الى تلك التقاليد، اذا كانت تأثرت مثل هذا التأثر، وهي تستعمل قبل ان تتّخذ صورة ثابتة في الاناجيل؟ وأية ثقة نوليها؟ وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع؟ عن هذه الاسئلة يمكننا ان نجيب ان وثائقنا هي شهادات للايمان بيسوع المسيح، وانما يقصد منها ان نلتقي بذلك المسيح الذي نعرفه بالايمان. ومع ذلك، فقولنا ان الاناجيل هي وعظ وان مؤلّفيها – حتى لوقا الحريص على التاريخ – أرادوا ان يكونوا قبل كل

شيء شهوداً للبشرى لا يعني انهم لا يبالون بحقيقة (تاريخية) الاحداث التي يروونها، لكنهم اكثر اهتماماً بابراز معناها منهم بالتعبير الدقيق عن المضمون الحرفي لأقوال يسوع (راجع الصيغ المختلفة للتطويبات والابانا وكلام التقديس...) وظروف أعماله وتفاصيلها... وهكذا القول في بعض الاحداث التاريخية والمواقع الجغرافية... إنهم يعرضون تقليداً قد أصبح تفسيراً. ومن النظر الدقيق في النصوص تبدو بعض الاحداث او بعض الاقوال مراجع متينة الى تاريخ رسالة يسوع، وهناك طرق كثيرة في متناول علماء التاريخ والجغرافية يحاولون بها اثبات تلك المراجع...

ومع ان مضمون الاناجيل لا يمكن ان يُحقّق كلّه تحقيقاً تاريخياً دقيقاً، فمن المؤكّد ان هناك أدلة كثيرة تلقي هي ايضاً اضواءً على سائر النصوص، تمكّننا من ان نعرف من خلال التقليد ان الايمان بالمسيح الذي قام من بين الاموات انما هو متأصل تماماً في حياة يسوع المسيح واعماله، في موته وقيامته وخلاصه. ونحن لا نصل الى أقوال وأعمال يسوع الاّ من خلال «الترجمات» التي تأتينا بها التقاليد القديمة ومؤلفات الانجيليين والنسّاخ والمترجمين... فالتعابير باليونانية مثلاً عما كان اصله في الآرامية ليست ابرز مظهر من مظاهر النقل والترجمة هذه. فلا شك انه من الممكن ان نحاول استعادة ما قاله يسوع في لغة مولده، كما انه من الممكن ايضاً ان نحاول استعادة الظروف الدقيقة التي ضرب فيها هذا المثل او جرى فيها هذا الشفاء الخ... غير ان هذه المحاولات تتأثر عند التفصيل بكثير او قليل من الرجوح. وهذه الحدود المفروضة على التحقيق التاريخي الدقيق تنتج عن طبيعة الاناجيل نفسها. فالايمان بالمسيح الحي كان ينير الذكريات عن يسوع ولم يكن من الممكن ان يعبّر عنه الا بالشهادة الحية بما تتضمنه من روايات جزئية وتكرار وتدخّل الشاهد او الراوي، ومن ثم الناسخ والمترجم...

إن البحث الموضوعي في نصوص الاناجيل- من النواحي التاريخية والجغرافية وما اليها...- يمكّن من تخطّي القراءة الساذجة والدخول في عمق وحقيقة العهد الجديد بكل غناه وابعاده. ومهما ابتعدنا في الرجوع الى الماضي في اثناء البحث والتدقيق فلا يزال هناك مزيد من الدقة – تاريخياً وجغرافياً...- في البيئة التي ولد وعاش فيها يسوع، وفي حقيقة

اعماله واقواله. فالقارئ الذي يرضى بأن يطالع الاناجيل وهو ينظر اليها هذه النظرة، ولا سيّما اذا قام بالبحث المقارن للنصوص، لا يكون حائراً متردداً، بل يجد دائماً اكثر مما كان يتوقع قبل ذلك. لأن كلاً من الانجيليين، بفضل عناصر جوابه الكثيرة وطريقة فهمه لما أتاه من التقليد، يوفّر للقارئ سبل التثبّت من معرفته ليسوع واغنائها، وذلك باشراكه في الحركة التي لا تزال تنتقل من ماضي يسوع الى ايمان الجماعة المسيحية الحاضر، ومن يقين الشهود الى ذلك الذي هو مصدره – بالاضافة الى ما استجدّ ويستجدّ من الاكتشافات الآركيولوجية والتاريخية والجغرافية المستمرّة...

تقسم الدراسة الى قسمين: الأول وموضوعه بيت لحم في العهد القديم، في أسفار التكوين، يشوع، القضاة، راعوت، صموئيل، الاخبار، نحميا، عزرا، ميخا، المزامير وإرميا، بالاضافة الى المواضيع التي لها علاقة ببيت لحم في العهد القديم كأفراتة وقبر راحيل وأرض كنعان والجليل وغيرها. والثاني يتحدث بالتفصيل عن بيت لحم في العهد الجديد، في الاناجيل المقدسة وخاصة متى ولوقا، عن بيت لحم في التاريخ المدني القديم والحديث، عن يسوع المسيح: عن أصله وبيئته وموطنه وأقاربه ومولده، وعن كافة الأوضاع والظروف المتعلّقة بمولده.

وتخلص الدراسة الى القول بأن هناك مدينتين باسم «بيت لحم»: الاولى في شمال فلسطين، في الجليل، بين الناصرة والكرمل، وهي مدينة كنعانية قديمة جداً، والثانية في جنوبي فلسطين، في اليهودية، قرب اورشليم، وهي مدينة يهودية حديثة العهد: انها بيت لحم المعروفة اليوم. والدراسة تؤكد ان المسيح ولد في بيت لحم الأولى الجليلية الشمالية، وليس في بيت لحم اليهودية الجنوبية كما يظن اليوم جميع الناس. والمغارة التي ولد فيه المسيح كانت في أرض فينيقيا – لبنان، في لحف جبل الكرمل الشمالي الشرقي. وبشارة مريم حصلت في جبل الكرمل، وجبل الكرمل كان في لبنان. وتؤكد الدراسة اخيراً ان المسيح ومريم ويوسف وأهلهم واقاربهم جميعاً اصلهم من لبنان، ومن قانا، الجليل اللبنانية بالذات. اجل! أصل المسيح من لبنان، والتجسد الالهي حصل في لبنان، وميلاد المسيح حصل في لبنان! إنه «عمّانوئيل» – و»إيل» هو إله لبنان...!

هذه الدراسة هي في الواقع بمثابة «مهمّة مستحيلة»... وذلك في كل مرحلة من مراحلها: فكرة ومحاولة وانجازاً. أليست مهمّة مستحيلة اذا كانت تحاول ان تصحّح اعتقاداً راسخاً طوال قرون عند الجميع، وخاصة عند المسيحيين، بأن السيّد المسيح ولد في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع على بعد حوالي 10 كلم الى الجنوب من اورشليم؟ وهي تحاول ان تثبت ان هذا الاعتقاد – من الناحيتين التاريخية والجغرافية فقط – هو خاطئ لأنه بني على أسس غير ثابتة وغير موضوعية. بل هو ولد في بيت لحم أخرى تقع في الجليل، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، وكانت مدينة كنعانية طوال قرون طويلة ، وقد ذكرتها جميع تواريخ وجغرافيات العالم، وهي ظاهرة للعيان في يومنا هذا. وبالتحديد ولد بالقرب من بيت لحم هذه، وعلى طريقها، في مغارة في سفح الكرمل كانت تقع داخل أرض فينيقية-لبنان. أجل! المسيح ولد في لبنان. اوليست اذاً هذه الدراسة «مهمة مستحيلة» إذا كانت تحاول ان تثبت ان المسيح ولد في لبنان؟! واكثر من ذلك، تحاول هذه الدراسة ان تثبت ان التجسّد نفسه – تجسّد الاله الابن – حصل في لبنان، لأن العذراء مريم كانت في جبل الكرمل عندما بشرها الملاك جبرائيل، ومعروف تماماً من جهة بأن التجسد قد حصل فعلاً في نهاية البشارة (فليكن لي حسب قولك...) ومن جهة ثانية، فان جبل الكرمل كان في الواقع ضمن اراضي فينيقية – لبنان، منذ فجر التاريخ، مروراً بأيام المسيح وحتى السنة 70 بعد الميلاد. وهذا ما تجمع عليه جميع جغرافيات وخرائط العالم. اجل! التجسد حصل في لبنان. أوليست اذاً هذه الدراسة «مهمة مستحيلة» إذا كانت تحاول ان تثبت ان التجسد قد حصل في لبنان؟ واكثر من ذلك، تحاول هذه الدراسة ان تثبت ايضاً ان يسوع المسيح وأمه العذراء مريم ووالده يوسف النجار وأهله وأقاربه جميعاً لم يكونوا أبداً من اليهود، ولا بالتالي من ذرية داود...، بل كانوا لبنانيين من قانا الجليل اللبنانية. نعم من قانا الجليل اللبنانية! ورفات وقبور جده يواكيم (عمران عند المسلمين) وجدته حنّة وسائر آبائهم وأجدادهم موجودة الى اليوم في لبنان، في ضواحي قانا الجليل، في «مقام النبي عمران» القريب من قرية «القْلَيْلة». ونحن ندعو الناس أجمعين الى المجيء الى «مقام النبي عمران»، والتأكد شخصياً

من صحة ما نقول، وذلك باستعمالهم جميع الوسائل للتثبت من ذلك، وخاصة الوسائل الموضوعية العلمية الآركيولوجية... أوليست هذه الدراسة «مهمة مستحيلة» اذا كانت تحاول ان تثبت ان اصل يسوع ومريم ويوسف والاهل والاقارب هو من لبنان، ومن قانا الجليل اللبنانية بالذات؟ من قانا، نفسها التي حصلت فيها مجزرة نهاية القرن العشرين؟...!

إن العالم المسيحي سيحتفل عما قريب بيوبيل السنة الالفين لولادة المسيح في بيت لحم. وسوف يحجّون، كما كانوا يفعلون منذ الفي سنة، الى بيت لحم اليهودية، في جنوبي فلسطين، قرب اورشليم. وسوف يكون الاحتفال فيها يوبيلياً مميزاً وعلى المستوى العالمي. الا تكون هذه الدراسة «مهمة مستحيلة» اذا هي حاولت ان تقول للجميع: كلا! لم يولد السيد المسيح حيث تحتفلون، في بيت لحم اليهودية، بل هو ولد في لبنان في مغارة بالقرب من بيت لحم الاخرى، في الشمال، في الجليل، في سفوح جبل الكرمل؟

في الحقيقة، هذه الدراسة هي «مهمة مستحيلة». وسوف تصدم الكثيرين... وسوف تلقى استهجاناً لا بل معارضة ومقاومة ومناقضة. ونحن، مسبقاً، نعي ذلك تماماً... غير ان الارض لم تعد مسطحة... كما كان يظن جميع الناس طوال قرون عديدة، وهي ليست ثابتة في مكانها والكون كله يدور حولها، بل هي تدور حول الشمس... كما اثبت غاليليو. وكان جميع الناس يظنّون عكس ما كان يظن هو... وبعد ان اثبت ذلك أصبح جميع الناس يظنون مثلما يظن هو. هي الحقيقة. ولا يعلو الحقيقة شيء ابداً...

إن هذه الدراسة هي دراسة محض تاريخية – جغرافية، تنحصر ضمن إطار التوبونوميا والتوبولوجيا، ولا تتطرّق، لا من قريب ولا من بعيد، لا بشكل مباشر ولا بشكل غير مباشر، للعقائد المسيحية...

مثال على ذلك: في أي سنة بالضبط ولد السيد المسيح؟ ظلّ المسيحيون، ومعهم العالم أجمع، اكثر من ألف وأربع مائة سنة (منذ القرن السادس ميلادي) يؤرخون انطلاقاً من السنة صفر: سنة ولادة السيد المسيح: ومن هذه السنة – صفر – بدأ التأريخ الميلادي. ولقد أصبح من الثابت والمؤكد اليوم، تاريخياً وعلمياً وحسابياً، ان ذلك كان خطأً

–خطأً حسابياً- اقترفه راهب مسيحي مترجم للكتاب المقدس، يدعى «دنيس الصغير»، وان الحقيقة التأريخية هي ان السيد المسيح قد ولد فعلاً قبل السنة «صفر» بست او سبع سنوات! والكنيسة المقدسة نفسها قد صحّحت مؤخراً هذا الخطأ الحسابي – الانساني – الذي ليس له علاقة على الاطلاق بالعقائد المسيحية.

وهكذا فإن هذه الدراسة هي محاولة تصحيح جغرافي محض لمكان ولادة السيد المسيح: في بيت لحم الجليل، وليس في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم!...

مراجع المقدمة

العهد القديم

-الكتاب المقدس: النسخة الكاثوليكية – اليسوعية – (أنا الالف والياء) – دار المشرق، بيروت، لبنان، 1989 – العهد القديم.

*مدخل الى العهد القديم ص. 39 – 63

*مدخل الى سفر التكوين ص. 64 – 67

*مدخل الى سفر القضاة ص. 463 – 466

*مدخل الى سفر راعوت ص. 510 – 511

*مدخل الى سفري صموئيل ص. 518 – 523

*مدخل الى سفري الملوك ص. 620 – 627

*مدخل الى سفري الاخبار ص. 727 - 733

العهد الجديد

-الكتاب المقدس: النسخة الكاثوليكية – اليسوعية – منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، 1982، الطبعة الثامنة (أعيد النظر فيها بناء على أحدث الدراسات الكتابية) – العهد الجديد.

*مدخل الى العهد الجديد ص. 1 – 17

*مدخل الى الاناجيل الازائية – الانجيل والاناجيل ص. 21 – 25، 17 – 31، 221 – 227.

الفصل الأول

بيت لحم «اللبنانية»
في العهد القديم

»كل ما قبل المسيح هو توطئة وتمهيد
له... وكل ما بعده هو امتداد له...
انه وحده محور البشرية والكون.
وسيبقى المسيح منازعاً حتى نهاية
العالم!«...

بلسكال

سفر التكوين (35: 16-20، 48: 7)

جاء في سفر التكوين (35: 16-20) ما يلي:

»ثم رحلوا (يعقوب وقومه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من أفراتة، ولدت راحيل وعسَرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته «بن أوني». وأمّا أبوه فسمّاه «بنيامين». وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته – وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم.«

هذا النص الكتابي هو، دون أدنى شك، النص الاول الذي يذكر، في اسفار العهد القديم، مدينة بيت لحم. كما انه النص الكتابي الاول الذي يذكر «افراته»، ويذكرها كمرادف لبيت لحم. وبالاضافة الى ما سبق، انه النص الاول الذي يتحدث عن قبر راحيل (امرأة يعقوب) ويحدّد جغرافياً موقعه بالضبط بالقرب من بيت لحم – «في طريق افراتة، وهي بيت لحم». وهكذا، فجميع النصوص اللاحقة، في العهدين القديم والجديد، والتي تتحدث عن بيت لحم وافراته وقبر راحيل، ترجع دوماً وابداً، بشكل مباشر أو غير مباشر، الى هذا النص الأقدم والأول في سفر التكوين (35: 19)، وهي تستند اصلاً الى هذا النص الاساسي والواضح والمحدّد. فعلى سبيل المثال، ان النص الشهير جداً في سفر ميخا (5: 1) الذي يقول: «وأنتِ يا بيت لحم افراته إنك أصغر عشائر يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل...». هذا النص عند ميخا – الذي استند اليه متى الانجيلي (2: 6) وتصرّف به... يعود مباشرة الى ذلك النص الاول في سفر التكوين (35: 19). هذا ما تجمع عليه كل النسخ الكتابية التي بين ايدينا: «النسخة الكاثوليكية الجديدة»، هامش الآية 20 في الفصل 35 من سفر التكوين، ص 122؛ «توراة اورشليم (باللغة الفرنسية)، سفر التكوين 35، هامش الآية 19، ص 43؛ وغيرها... وهكذا، فجميع النصوص الكتابية تتوافق، في الأصل، حول علاقة بيت لحم وافراته

وقبر راحيل، هذه الثلاثة التي تقع، جغرافياً وبشكل واضح ومحدّد، في نفس الموقع.

غير ان هناك نصاً آخر في سفر التكوين (48: 7) يكرر النص الاول (سفر التكوين 35: 16-20)، يؤكده ويلقي عليه أضواء جديدة وهامّة. هذا النص الثاني يقول، وعلى لسان يعقوب نفسه هذه المرّة: «وأمّا أنا ففي عودتي من فدّان (أرام) ماتت بقربي راحيل (زوجته) في أرض كنعان، في الطريق، على مسافة من أفراته، فدفنتها هناك في طريق أفراته، وهي بيت لحم!«

يظهر بوضوح من هذا النص ان يعقوب ترك فدّان (أرام)، ودخل ارض كنعان. أجل! الارض هي ارض كنعان منذ آلاف السنين، قبل ابراهيم، الآتي من اور الكلدانيّين، وقبل اسحق، وقبل يعقوب. الارض هي أرض كنعان – فينيقية – لبنان، منذ كنعان بن حام ابن نوح. منذ البدء هي ارض كنعان. وكنعان لفظة كنعانية مكونة من عبارتين: «كن» وتعني: المكان، المسكن، المقام، ومن «أون» الاول، والاقدم والاسمى. وحرف «ع» في نصف الكلمة «كنعان» هي لتسهيل اللفظ في التصحيف الشعبي. فيكون معنى كلمة «كنعان» في الاصل: مَسكن الأول، أي مسكن الانسان الأول!... هذه هي لغوياً وتاريخياً حقيقة كلمة واسم كنعان، بعيداً عن التفسيرات التقليدية المتسرعة وغير العلمية والمتناقضة معاً... الارض هذه كانت اذاً ارض كنعان قبل دخول الغرباء الغازين والمغتصبين اليها، أي قبل دخول الغزاة الفلسطينيّين الآتين كمرتزقة مع «جيوش بحر الشمال»، وقبل دخول الغزاة اليهود مع موسى ويشوع ابن نون. هذه هي الحقيقة التاريخية المجردة والموضوعية. نقولها نحن هنا، على الملأ، وبكل قوة وجرأة!

وماتت راحيل زوجة يعقوب في أرض كنعان، وبالتحديد في «الطريق على مسافة من أفراته، فدفنها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم». إذاً قبر راحيل، بحسب سفر التكوين نفسه (35: 16-20 و48: 7)، هو بالقرب من افراته التي هي بيت لحم. مرة أخرى، أفراته = بيت لحم.

تجدر الاشارة الى أن النسخة الجديدة، في تعليقها على الفصل 35 من سفر التكوين، هذا الفصل الذي يحوي لأول مرة اسم أفراته بيت لحم

(16-20)، تقول بالحرف الواحد: «يجمع هذا الفصل، في رحلة يعقوب بين شكيم وحبرون، بعض التقاليد ذات المصادر المختلفة...» (النسخة الجديدة، الحاشية رقم 1، ص 121). وفي الواقع، ودون الدخول في تاريخ وتقنية التقاليد الكتابية الاربع (التقليد اليهوي، التقليد الايلوهي، التقليد الكهنوتيّ، والتقليد الخاص بتثنية الاشتراع...) نكتفي هنا بأن نشير الى أن الفصول 25-35 من سفر التكوين والتي تسرد سيرة حياة اسحق ويعقوب، هي مزيجٌ متداخل من التقاليد اليهوية والايلوهية والكهنوتية! وللباحث المدقّق يتبين أن التقليد الأصليّ الأول الذي يتحدث عن رحلة يعقوب ومروره بأفراته بيت لحم هو الوارد في الفصل 28: 10-20، والمعروف بـ «حلم يعقوب»، والذي جاء فيه: «وخرج يعقوب من بئر سبع ومضى الى حاران. واتفق أنه وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت. فأخذ بعض حجارة المكان فوضعه تحت رأسه ونام في ذلك المكان. وحلم حلماً، فإذا سلّم منتصب على الارض ورأسه يلامس السماء، واذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه... وعندما استيقظ يعقوب من نومه قال: إن الرب في هذا المكان، وأنا لم أعلم. فخاف وقال : ما أرهب هذا المكان! ما هذا الاّ بيت الله! هذا باب السماء! ثم بكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه نصباً وصب على رأس الحجر زيتاً. وسمّى ذلك المكان «بيت إيل»، وكان اسم المدينة اولاً لوز ...». ثم يبدأ الفصل 29 بهذا الكلام: «ثم قام يعقوب ومضى الى أرض بني المشرق الخ...». يظهر لنا بوضوح من هذا النص أمور هامة عدّة، نعرضها باختصار في ما يلي:

-اولاً وجهة السفر هي من الجنوب الى الشمال فالشمال الشرقي. فان نقطة انطلاق السفر هي بئر سَبع. وبئر سبع كما هو معروف وظاهر في جميع الخرائط هي مدينة قديمة جداً تقع في أقصى جنوب فلسطين. «خرج يعقوب من بئر سبع ومضى الى حاران...» وحاران، كما هو معروف، مدينة بين النهرين، على نهر بليخ وهو فرع للفرات، وتقع على مسافة 280 ميلاً الى الشمال الشرقي من دمشق. وكانت المدينة مركزاً تجارياً لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط. ولقد تغرّب فيها مدة من الزمن تارح وابراهيم، وسكنت فيها اسرة ناحور ولابان اخو رفقة ، ويعقوب نفسه (سفر التكوين 11 – 12 ، 27 – 29.(

-ثانياً إن يعقوب في رحلته من بئر سَبع الى حاران، أي من جنوب فلسطين الى الشمال الشرقي، كان من المفروض ان يمرّ أولاً في بيت لحم اليهودية جنوبي أورشليم (يبّوس عهد ذاك) ثم يواصل سيره الى مدينة لوز التي سماها «بيت إيل» والتي تبعد حوالي 15 كلم شمالي أورشليم. هذا إذا كانت مدينة بيت لحم اليهودية موجودة أيام يعقوب. والبرهان القاطع على أنها لم تكن فعلاً موجودة بعد، هو أن النص نفسه يقول حرفياً:» ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل (دائماً باتجاه الشمال).وبينما هم على مسافة من أفراته التي هي بيت لحم ولدت راحيل الخ... (تكوين 35: 16-20). وهذا يتطابق تماماً مع الحقائق والوقائع الجغرافية على الارض. أجل ! إن افراته بيت لحم هي في الواقع في الشمال من بيت ايل وليس في الجنوب! كما يتطابق مع جغرافية يشوع (19 : 10 – 16) وسائر الاسفار القديمة التي حددت أفراته بيت لحم في الشمال وليس في الجنوب، في الجليل وليس في اليهودية، في الشمال البعيد من اورشليم وليس في الجنوب القريب منها. (راجع ايضاً الخرائط القديمة لفلسطين والجليل.(

-ثالثاً في ايام يعقوب، وبالتالي خلال رحلته هذه، كانت الارض كلها كنعانية للكنعانيّين، من بئر سبع الى الجليل، وذلك بشهادة الكتاب نفسه مرّات عديدة. لم يكن هناك بعد في جنوب كنعان الذي سمّي فيما بعد فلسطين، لا يهود ولا فلسطينيّون. هذه هي الحقيقة التاريخية المجرّدة، بشهادة الكتاب المقدس نفسه وجميع كتب التاريخ. لم يكن هناك يهود بعد في هذه الارض – ويعقوب هو أب الاسباط اليهودية – وبين يعقوب (1800-1700 ق.م.) ودخول اليهود الى ارض كنعان عن يد يشوع (حوالي 1230 – 1220 ق.م.) هناك مئات من السنين! ولم يكن هناك فلسطينيّون ايضاً في جنوب ارض كنعان، لأن هؤلاء أقاموا أولاً على الشاطئ الجنوبي من كنعان حوالي 1200ق.م. الارض كانت كنعانية اذاً ايام يعقوب. لم تكن يهوديّة. فمن اين جاءت، يا ترى، بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية؟ هذه لم تكن قد أنشئت بعد! لقد أنشئت بعد مئات من السنين. كان هناك بيت لحم واحدة هي افراتة بيت لحم، المدينة الكنعانية المعروفة، التي تحدثت عنها رسائل «تل العمارنة»، وجغرافية يشوع واسفار الكتاب

القديمة، والموجودة في جميع الخرائط القديمة. والغريب حقاً كيف طمست بيت لحم الحقيقية الاصلية الاولى هذه؟ من طمسها؟ ولماذا؟

-رابعاً- عملية الطمس المقصود هذه بدأت على يد اليهود انفسهم، بعد عودتهم من الجلاء في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد اعادوا كتابة الاسفار القديمة بعد قرون من وقوع الاحداث الاصلية! ثم توالت عملية الطمس هذه، بشكل سافر ومفضوح، في الترجمة اليونانية –السبعينية- التي حصلت في الاسكندرية على عهد بطليمس الثاني وبأمره (285-246ق.م.). وتقول الرواية ان هذه الترجمة حصلت عن يد اثنين وسبعين شيخاً يهودياً كبيراً، وانهم كانوا كلّهم متّفقين اتفاقاً عجائبياً. وتتناول هذه الترجمة كل اسفار العهد القديم باللّغة اليونانية القديمة. أما النسخة الجديدة، التي بين ايدينا، فتقول في هذه الرواية ما يلي: «...وبالرغم من كون هذه الاسطورة المرويّة خالية من القيمة التاريخية... فإن اليهود الناطقين باليونانية لم يترددوا في أن ينسبوا الى المترجمين إلهاماً إلهيّاً حقيقياً! كما يشهد على الأمر بوضوح فيلون الاسكندري في مطلع القرن الاول من عصرنا... وقد أضيفت الى هذه الترجمات توسّعات جعلت منها تفسيراً حقيقياً للنصوص مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتغيير الاطار الثقافي الذي سبّبه الانتقال من اللغة العبرية واللغة الآرامية الى اللغة اليونانية، إلخ!«...)النسخة الجديدة، مدخل الى العهد القديم، ً3: قانون العهد القديم – تكوين قانون الكتب المقدسة في الدين اليهودي، صفحة 49.(

وهكذا، حصل التركيز شيئاً فشيئاً على بيت لحم اليهودية المبنية حديثاً، وذلك تمجيداً وتفخيماً للمثلّث اليهودي المعروف: «داود – أورشليم – سبط يهوذا»، وبيت لحم يهوذا بالتالي... وأخذ التاريخ، المتأثر باليهود، ينسى شيئاً فشيئاً بيت لحم الحقيقية في الجليل!

وقد أصبح اليوم من الثابت والمؤكد، بعد الدراسات التاريخية النقدية، أن «فكرة المسيح – المخلّص» قد نشأت عند اليهود خلال السبي الى بابل (القرن السادس قبل المسيح)، لا قبل ذلك...!

وخلاصة القول هنا، في سفر التكوين، في النصّين المتشابهين تماماً، ان مدينة بيت لحم هي مدينة كنعانية قديمة كانت موجودة قبل دخول يعقوب اليها. والمعروف ان يعقوب عاش في حوالي القرن الثامن عشر

قبل الميلاد. أما بيت لحم اليهودية، في ارض يهوذا في جنوبي فلسطين، والتي يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها، فلم تكن موجودة بعد، وهي قد أنشئت بعد مئات من السنين، كما سنبيّن ذلك بالتفصيل فيما بعد. ونذكّر، مرّة أخرى، بأن لقب «أفراته» كان يطلق دوماً وأبداً – وبشكل ملازم – على بيت لحم الشمال، المدينة الكنعانية العريقة.

وموقع بيت لحم التي هي أفراته هو في ارض كنعان، قرب قبر راحيل، في الشمال، في الجليل، حيث سيثبت الكتاب المقدس نفسه ذلك على لسان يشوع (19: 10-16) في المقطع التالي.

سفر يشوع 15: 59؛ 19: 10-16

جاء في النسخة الجديدة – «مدخل» الى سفر يشوع، ص 418-419، ما يلي: «...ليس سفر يشوع محضراً يروي بتسلسل مراحل الفتح واقامة الشعب في كنعان. أجل، إن نقاد عصرنا يعترفون اعترافاً مطّرداً بقيمة التقاليد التي يستند اليها الكتاب. لكن بين الاحداث التي يرويها وتاريخ التحرير النهائي للكتاب بضعة قرون! ومن جهة اخرى، فإن الصورة التي تعرضها هذه الوثيقة من أن الفتح التام لأرض كنعان قد جرى على يد مجمل الاسباط متحالفة لا تثبت للنقد التاريخي... فإن أرض كنعان لم تفتح حقاً الاّ في ايام داود (في القرن العاشر). أما فيما قبل، فإن الكنعانيين لم يبادوا كلّهم، بل ما زالوا في السهول، وهذا أمر يشير اليه الكتاب نفسه. وكثيراً ما ساكنوا بني اسرائيل (راجع يشوع 15: 63، 16: 10، 17: 12 و18 الخ...). ونكتشف عند موت يشوع ان هناك أرضاً واسعة لم يُستولَ عليها، مع انه تم توزيعها بين الاسباط؟! (راجع يشوع من الفصل الثالث عشر الى الفصل الثالث والعشرين...)... وعلى هذا الاساس جدّدت قراءة الكتاب على يد محرّر ينتمي الى المدرسة التي أنتجت سفر تثنية الاشتراع وتستند اليه ليتأمّل في تاريخ اسرائيل الماضي في ضوء الاختبارات الحديثة (القرنان السابع والسادس ق.م.) نرى هذا التأمل خاصة في الخطب الطويلة الواردة في الفصلين الاول والثالث والعشرين، بغضّ النظر عن التنقيحات التي لا تحصى بالنسبة الى الكتاب السابق... وقد يصدمنا هذا التدبير عندما نطالع هذه الروايات، ولكنه تدبير نظري اكثر منه واقعي. فلقد ابتدع فيما بعد، حين اتّضح خطر الوثنية الذي تعرّض له اسرائيل...

يتضمّن الكتاب في قسمه الثاني (من الفصل الثالث عشر الى التاسع عشر) رسم حدود ولوائح مدن لكل من اسباط اسرائيل الاثني عشر. فنحن امام وثائق ثمينة عن تقسيم الارض التقليدي بين اعضاء الشعب. قد يرتقي بعضها الى الزمن السابق لملك داود، ولكن لا يمكننا ان ننفي وجود تكملات لاحقة بالنسبة الى تطوّر الاوضاع في كل من يهوذا واسرائيل في ايام الملكيّة... فإن أخذنا بعين الاعتبار ذلك العمل التحريري

الطويل، أدركنا على وجه أفضل ما يجب ان نتوقّعه على الصعيد التاريخي من سفر يشوع...»؟! (النسخة الكاثوليكية الجديدة، مدخل الى سفر يشوع – ص 418-419).

بعد دخول يشوع جنوب أرض كنعان مع العشائر اليهودية، وبعد الحروب التي حصلت بينهم وبين الكنعانيّين، أخذ يشوع يوزّع – بالقرعة! – تلك الاراضي الكنعانية على أسباط اسرائيل الاثني عشر. مع انه ثبت انه عند موت يشوع بقيت هناك أراضٍ كنعانية واسعة لم يستولَ عليها، مع انه تم توزيعها بين الاسباط! (راجع سفر يشوع من الفصل الثالث عشر الى الفصل الثالث والعشرين). وعندما وصل الدور الى سبط زبولون، الذي يقع مباشرة عند السفوح الشرقية لجبل الكرمل في جليل الامم (راجع خرائط الاسباط)، يقول الكتاب: «وخرجت القرعة الثالثة لبني زبولون بحسب عشائرهم، فكانت حدود ميراثهم الى ساريد. وتصعد حدودهم غرباً الى مرعلة، وتتّصل الى دبّاشت، وتبلغ الى الوادي الذي قبالة يقنعام. ثم تنعطف من ساريد شرقاً نحو مشرق الشمس على حدود كسلوت تابور، وتبعد الى الدبرت وتصعد الى يافيع. ومن هناك تمرّ شرقاً الى شرقيّ جتّ حافر وعتّ قاهين، وتنفذ الى رقون، وتنعطف الى نيعة. وتميل الحدود حولها شمالاً الى حنّاتون، وتنتهي الى وادي يفتحئيل وقطّة ونهلال وشمعون ويرألة وبيت لحم: فهناك اثنتا عشرة مدينة بقراها. هذا ميراث بني زبولون بحسب عشائرهم: تلك المدن بقراها...» (سفر يشوع 19: 10-16).

إن أول ما يلفت النظر حقاً في هذا النص هو ورود اسم مدينة «بيت لحم بقراها»، وذلك في ارض زبولون، في شمال فلسطين أي في جليل الامم! وهي مدينة كنعانية كنعانية كانت موجودة قبل دخول يشوع والاسباط الى أرض كنعان... وقد أقرّ يشوع هو نفسه بوجودها في جليل الامم، ولكنه جعلها – في جغرافيته – من نصيب سبط زبولون – والنص واضح تماماً ولا يقبل أي نوع من الشك والريب، ولا بالاحرى أي نوع من التغيير والتأويل والتبديل. هناك مدينة كنعانية في جليل الأمم تدعى بيت لحم. هذه حقيقة تاريخية وجغرافية واضحة وملموسة! (راجع الخرائط القديمة في هذا الكتاب). فلماذا أهملها اليهود؟ لماذا تناسوها أو بالأحرى

لماذا طمسوها عن قصد وتصميم؟ لماذا لم تذكرها اسفارهم الحديثة – بعد يشوع؟ واذا أهملها وتناساها اليهود «لغاية في نفس يعقوب»، فلماذا أهملها وتناساها أوطمسها، من بعدهم، المسيحيّون أنفسهم؟ لماذا؟ أإلى هذا الحدّ الفظيع بلغ تأثير «غسل دماغ» المسيحيين من قبل اليهود، حتى انهم أنكروا أبسط وأوضح الحقائق التاريخية والجغرافية؟ وهكذا نحن نفهم لماذا أهمل التاريخ حتى اليوم مدينة بيت لحم هذه، الكنعانية الجليلية. أهملها التاريخ لأن اليهود اهملوها، ومن بعدهم المسيحيّون. ثم أهملها الجميع... وها نحن اليوم من هنا، من لبنان بالذات...، نقيم بيت لحم الحقيقية من سباتها الطويل، من نومها العميق، لا بل من قبرها!(كما قامت من قبرها مؤخراً شقيقتها «قانا الجليل – اللبنانية»، مسقط رأس يوسف ومريم، وذلك بعد أن تحوّلت قانا، الى محرقة بشرية بريئة و»هولوكوسَت» حقيقية عل أيدي اليهود أنفسهم...!). نقيم بيت لحم الكنعانية اللبنانية من قبرها لأنه فيها ولد السيد المسيح مخلص البشرية والكون، لا في غيرها: أي في بيت لحم اليهودية، في جنوب فلسطين، كما يظن جميع الناس الى اليوم...! أجل! ومن له أذنان سامعتان فليسمع»: ان يسوع المسيح هو كنعاني لبناني ولد في بيت لحم الكنعانية اللبنانية، أصله من قانا الجليل اللبنانية مسقط رأس والديه يوسف ومريم. ومن لا يصدق فليذهب ويرَ ويلمس ويقبّل ضريح جدّه لأمّه يواكيم – عمران عند المسلمين – وذلك في «مقام النبي عمران»، في قرية «القليلة» في جوار قانا الجليل – اللبنانية، على بعد حوالي 13 كيلومتر جنوبي شرقي صور العظيمة (وهذا ما سوف نفصّله لاحقاً في هذا الكتاب.!(

واذا عدنا الى نصّ يشوع الذي نحن الآن بصدده، والى الآية 15 التي تذكر بيت لحم، نرى النسخة الجديدة تسارع الى التعليق على هذه الآية بالذات، وعلى اسم بيت لحم الوارد فيها، فتقول بالحرف الواحد: «غير بيت لحم التي في يهوذا (أي المعروفة اليوم)، وكانت في الجليل الاسفل...» (النسخة الجديدة، سفر يشوع 5 :19، والحاشية رقم 2، ص 452). وهكذا اذاً تعترف النسخة الكاثوليكية الجديدة بأن هناك مدينة اسمها بيت لحم في شمال فلسطين، في ارض زبولون أي في الجليل. وتعترف ضمناً انها

مدينة كنعانية «بقراها» اذ انها تذكرها في عداد المدن التي سيسكن فيها سبط زبولون وتقول عنها «انها غير بيت لحم التي في يهوذا» أي المعروفة اليوم. اما بقية النسخ والترجمات – على ما نعلم – من قديمة وحديثة، فقد مرّت عليها مرور الكرام، دون أي تعليق وشرح، ودون ان تميّز بينها وبين بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم! لماذا هذا الاغفال والتناسي والطمس المقصود؟ حتى ان «توراة اورشليم» – النسخة الفرنسية – التي تعتبر من أهم الترجمات الحديثة، فقد مرّت هي ايضاً مرور الكرام على بيت لحم الكنعانية، ولم تكلّف نفسها عناء أبسط شرح وتعليق، مع انها أحياناً تستفيض في التعليق على أمور تافهة لا طائل تحتها. إن أبناء وأحفاد المسيحيين المتهوّدين لا يزالون أحياء يرزقون!...

وهكذا يكرّر ويثبت نص يشوع هذا، النصوص الواردة قبله في سفر التكوين (35: 16-20، 48: 7) في الحديث عن بيت لحم أفراته، كما رأينا سابقاً. التكوين يقول: ماتت راحيل زوجة يعقوب وقبرت في ارض كنعان بالقرب من بيت لحم التي هي افراته. غير ان يشوع، في حديثه عن بيت لحم هذه، كان أكثر دقة وتوضيحاً من الناحية الجغرافية بالذات. فحدّد موقعها في مساحة أرض صغيرة نسبياً هي أرض زبولون في السفوح الجنوبيّة الشرقية القريبة من جبل الكرمل (راجع خرائط الجليل والاسباط). ترسم جغرافية يشوع حدود الاسباط وتعدّد المدن الكنعانية التي سيسكنها هؤلاء الاسباط.. ومن البديهي ان تكون هذه المدن الكنعانية، التي يعدّدها يشوع في جغرافيته، مبنية قبل دخول هؤلاء الاسباط الى ارض كنعان. ان الارض كانت كنعانية، بشهادة الكتاب المقدس نفسه، بالاضافة الى التاريخ والجغرافية المدنية. إن «رسائل تلّ العمارنة» نفسها (القرن الرابع عشر ق.م.) تتحدث عن بيت لحم الكنعانية هذه، وتحدد موقعها في شمال مدينة مجّدو الشهيرة، اذاً في الجليل. ولا تذكر اطلاقاً بيت لحم يهوذا لأنها لم تكن موجودة بعد! وهكذا يثبت بشكل قاطع – تاريخياً وجغرافياً – ان بيت لحم الحقيقية، في سفر يشوع، هي المدينة الكنعانية في الجليل.

والذي يضفي على هذه الحقيقة أضواء إضافية هو النص الآخر في سفر يشوع بالذات (15: 59). فقد جاء في الفصل الخامس عشر، في «جدول مدن يهوذا»، ما يلي:

...»ومعرات وبيت عنون وألتقون: ستّ مدن بقراها. وتقوع وأفراته وهي بيت لحم، وفاغور وعيطم وقولون وتتام وساريس والكرم وجلّيم وبطير ومناح: إحدى عشرة مدينة بقراها...» (الآية 59). ففي تعليقها على «جدول مدن يهوذا»، في نفس الفصل 15، تقول النسخة الجديدة: «لم تحفظ نصوص هذا الجدول حفظاً جيداً، فكثير من أسماء المدن الواردة فيه تصوّب بالرجوع الى النص اليوناني أو الى نصوص كتابية اخرى...»؟! (يشوع 15: 21، والحاشية رقم 5، ص 447). وفي تعليقها على الآية 59 بالذات – في نفس الجدول والتي يرد فيها «أفراته وهي بيت لحم» – تقول: «من تقوع – التي ترد تماماً قبل «أفراته وهي بيت لحم» – الى آخر الآية 59: مأخوذ من النص اليوناني (الحديث)، لأن النص العبري الاصلي لا يذكره...»؟! وهكذا، وللمرّة الالف، يظهر بوضوح التعديل والتغيير والحذف والتحوير في كثير من نصوص الاسفار القديمة، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، وذلك بين قديم وحديث، بين نسخة ونسخة، وبين ترجمة وترجمة الخ... ونذكّر، مرة اخرى، ما جاء في مدخل الكتاب: «لكن بين الاحداث التي يرويها وتاريخ التحرير النهائي للكتاب بضعة قرون!«...

يكرّر يشوع في نصه الاول ويؤكّد على ما جاء في نصّي التكوين على ان بيت لحم الاولى والحقيقية هي في الجليل. ثم يزيد في الدقة الجغرافية ويجعلها في سفوح الكرمل الشرقية. وفي نصّه الثاني يبقي كونها هي أفراته فيقول: «وأفراته التي هي بيت لحم...». وهكذا، مرّة أخرى، تظهر العبارتان «أفراته» و»بيت لحم» متلاصقتين مترادفتين: «أفراته التي هي بيت لحم». والعجيب حقاً، ان يشوع في نصه الثاني هذا (15: 59) يطلق على مدينة بيت لحم أفراته عبارة «مدينة بقراها»، كما جاء في نصّه الأول (19: 10-16)، غير انه يذكرها في عداد مدن يهوذا في الجنوب؟! فكيف يكون ذلك، من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟ في الحقيقة، انه تناقض فاضح! كيف يعقل ان تكون بيت لحم يهوذا في ايام يشوع، حوالي 1230، «مدينة بقراها»، مع انها لم تكن قد وجدت بعد؟

وهي الى اليوم، وبعد اكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة، ليست اكبر من بلدة؟ إن بيت لحم «المدينة بقراها» هي التي ذكرها هو نفسه في النص الاول، كما رأينا (19: 10-16). فكيف ولماذا ومتى انتقلت من الشمال، من الجليل، الى الجنوب الى ارض يهوذا؟ الجواب هو في تعليق النسخة الجديدة التي تقول: «إن ذلك إضافة متأخرة»، أي بعبارة اوضح، ان الآية 59 من الفصل 15، التي تذكر بيت لحم «المدينة بقراها» في عداد مدن يهوذا في الجنوب، هي آية مأخوذة من النصّ اليوناني الحديث، الترجمة السبعينية – 285 – 246 ق.م.، لأن النص العبري الاول الأصليّ لا يذكرها (لا يذكر هذه الآية)...!! والذي يضاعف من العجب ويزيد من الغرابة حقاً، هو ان هذه الآية بالذات (59)، التي تجعل افراته بيت لحم في أرض يهوذا، هي وحدها – نعم وحدها – مضافة الى النصّ الأصليّ العبري القديم (راجع، مرّة أخرى، النسخة الجديدة، الحاشية رقم 8، ص 447)! ولماذا، يا ترى، أضيفت هذه الآية وحدها الى النص الأصلي؟ الواضح انها أضيفت، على يد المحرّرين والنسّاخ المتأخرين، ليجعلوا من بيت لحم يهوذا، في الجنوب، بيت لحم أفراته الحقيقية! غير أن التاريخ والنصوص الكتابية الاصلية نفسها تقول بوضوح ان بيت لحم أفراته الحقيقية هي في الشمال، في الجليل، في ارض زبولون – في ارض كنعان. مرة اخرى، حاول محرّرو ونسّاخ ما بعد الجلاء الى بابل، الذين كتبوا بعد وقوع الاحداث الاصلية ببضعة قرون، حاولوا ان يجمعوا ويختصروا تاريخهم القديم – حتى تاريخ الاسباط الاسرائيلية في الشمال – في اورشليم وجوارها، وذلك، كما رأينا سابقاً، تفخيماً وتعظيماً لمثلثهم المعروف: سبط يهوذا، أورشليم، والملك داود وسلالته... وبما ان فكرة المسيح المخلّص، لم تتوضح عندهم الاّ اثناء الجلاء – إذ إنهم قبل الجلاء كانوا يعتبرون كل قائد وقاض وملك ولو كان أجنبيّاً مسيحاً مخلّصاً – فقد حاولوا، من خلال تحويرهم اقوال الانبياء عن المسيح المنتظر، ان يجعلوه يأتي، تاريخياً وجغرافياً، من هذا المثلث القومي بالذات. وهكذا نقلوا بيت لحم افراته الحقيقية من الجليل في الشمال الى ارض يهوذا في الجنوب، وجعلوا من بيت لحم اليهودية، المبنية بعد الاولى بأجيال، بيت لحم افراته الحقيقية التي تحدثت عنها الاسفار القديمة ونبوءات الانبياء... وعنهم أخذ الانجيليون

(عن ميخا خاصة) ثم التاريخ المسيحي الى يومنا هذا...! أجل! كان اليهود يعتبرون قضاتهم مخلّصين (مع ان البعض من هؤلاء القضاة كانوا من الكنعانيين! راجع سفر القضاة نفسه 3: 31، النسخة الجديدة، الحاشية رقم 6، ص 474). فعلى سبيل المثال، يقول سفر القضاة: «...فصرخ بنو اسرائيل الى الرب، فأقام الربّ لبني اسرائيل مخلّصاً فخلّصهم، وهو عتنيئيل بن قناز، أخو كالب الاصغر. وكان روح الرب عليه... فتولّى القضاء لاسرائيل، وخرج للحرب...» (3: 9-10). وفي مكان آخر: «...فصرخ بنو اسرائيل الى الرب، فأقام الرب لهم مخلّصاً، أهود بن جيرا البنياميني...» (3: 15). اما سفر صموئيل الاول فيسمّي الملك – وهنا شاول – «مسيح الرب» بالحرف الواحد. فقد جاء فيه: «...وقام داود وقطع طرف رداء الملك شاول خفية. وبعد ذلك، خفق قلب داود لقطعه طرف رداء شاول. وقال لرجاله: حاش لي بالرب أن أصنع هذا الامر بسيدي «مسيح الربّ». وردع رجاله بهذا الكلام، ولم يدعهم يهجمون على شاول...» (24: 6-8). حتى ان قورش ملك فارس (551-529)، كان اليهود يعتبرونه ايضاً «مسيحاً»، «مسيح الرب»! فقد جاء في سفر اشعيا: «هكذا قال الرب فاديك وجابلك من البطن: أنا القائل لقورش: انت راعيّ، متمّم كل ما اشاء. والقائل لأورشليم: ستبنَين. وللهيكل ستؤسّس. هكذا قال الرب لمسيحه: لقورش الذي أخذت بيمينه لأخضع الامم بين يديه، وأحلّ احقاء الملوك، لأفتح امامه المصاريع، ولا تغلق الابواب. إني أسير قدامك، (الكلام موجّه دوماً لقورش) فأقوّم المعوّج وأحطم مصاريع النحاس، وأكسر مغاليف الحديد. وأعطيك كنوز الظلمة ودفائن المخابئ، لتعلم اني أنا الربّ الذي دعاك باسمك، إله اسرائيل(!؟). لأجل عبدي يعقوب واسرائيل مختاري، دعوتك باسمك ولقّبتك (بالمسيح) وانت لم تعرفني. أنا الربّ وليس من رب آخر، ليس من دوني إله. شددتك بزنّار، وانت لم تعرفني، لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها، انه ليس غيري. انا الرب وليس من ربّ آخر. انا مبدع النور وخالق الظلام وصانع الهناء وخالق الشقاء. انا الرب صانع هذه كلها...» (سفر اشعيا 44: 28؛ 45: 1-7)! والنسخة الجديدة تستغرب هي ايضاً هذا الامر فتقول: «هذا قول نبويّ ملكي لتنصيب الملك، كالأقوال الواردة في مزمور 2 و 110: يسمى قورش «باسمه»

(الآيات 3-4، وراجع 41: 25 +)، ويحصل على لقب «مشيح الربّ»، الذي كان مقصوراً على ملوك اسرائيل فاصبح لقب الملك المخلّص المنتظر. والغريب ان هذا اللقب يطلق هنا على ملك غير يهودي لا يعرف الرب (الآيات 4-5)...» (النسخة الجديدة، سفر اشعيا 45: 1-7، والحاشية رقم 1، ص 1600!(

وجاء في سفر يشوع (12: 7-24)، في ملخّص يعرض فيه الكاتب اسماء الملوك المهزومين غربيّ الاردن، ما يلي:

»وهذا من ضربه يشوع وبنو اسرائيل من ملوك الارض في عبر الاردن غرباً، من بعل جاد في بقعة لبنان، الى الجبل الاقرع الممتدّ الى سعير، وأعطى أرضه لأسباط إسرائيل إرثاً، على حسب أقسامها: في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبريّة والنقب، أراضي الحثّيّ والأمّوريّ والكنعانيّ والفرزيّ والحويّ واليبوسيّ: ملك أريحا واحد. ملك العيّ التي بجانب بيت إيل واحد (الى الشمال الشرقي من اورشليم) ملك اورشليم واحد. ملك حبرون واحد (الى الجنوب من اورشليم). ملك يرموث واحد. ملك لاكيش واحد. ملك عجلون واحد. ملك جازر واحد. ملك دبير واحد. (بالقرب من اورشليم على طريق أريحا). ملك جادر واحد. ملك حرمة واحد. ملك عراد واحد. ملك لبنة واحد. ملك عدلاّم واحد (بالقرب من بيت لحم يهوذا اليوم). ملك مقيدة واحد. ملك بيت إيل واحد. ملك تفّوح واحد. ملك حافر واحد. ملك أفيق واحد. ملك لشّارون واحد. ملك مادون واحد. ملك حاصور واحد. ملك شمرون مراؤون واحد. ملك اكشاف واحد. ملك تعناك واحد. ملك مجّدو واحد. ملك قادش واحد. ملك يقنعام في الكرمل واحد. ملك دور في سفح دور واحد. ملك جوئيم في الجليل واحد. ملك ترصة واحد. مجموع الملوك واحد وثلاثون.«

تعلّق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: «إن الفصل الثاني عشر كلّه (أي الفصل الذي نحن بصدده هنا) من عمل محرّر سفر تثنية الاشتراع. ففي الآيات 1-6، يستعمل الكاتب المعلومات الواردة في تثنية الاشتراع 2-3، وفي الآيات 7-24 (التي نركّز عليها نحن هنا)، يجمع الكاتب لوائح من الملوك المهزومين، بحسب روايات فتوحات يشوع 1-10، لكنه يضيف بعض أسماء المدن المأخوذة من جداول إدارية قد تكون من عهد

الملك سليمان (972-933). (النسخة الجديدة، سفر يشوع 12، ص 441، الحاشية رقم 1.(

يعدّد الكاتب إذاً أسماء الملوك والمدن التي ضربها يشوع في غربي الاردن، من اقصى فلسطين الى الجليل في الشمال. وتغطّي لوائح الممالك والمدن – غربي الاردنّ – المسافة الزمنية الممتدة من بداية عهد يشوع حوالي 1250 الى نهاية ملك سليمان 933، أي زهاء 300 سنة. والملفت حقاً انه في كل هذه اللوائح، وبالتحديد في لوائح مدن غربي الاردن، لم يرد اسم بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية، أو شيئاً من هذا القبيل! مع انه يذكر بالاسم مدينة عدلاّم، التي هي بجوار بيت لحم المعروفة اليوم، كما انه يذكر ايضاً بعض المدن القريبة والمحيطة باورشليم، ولا يذكر بيت لحم المعروفة اليوم، مع انها قريبة جداً من اوشليم! لماذا؟ لماذا لم يذكر الكاتب بيت لحم اليهودية؟ وما هي الأسباب؟ وكيف حصل ذلك؟ ولماذا؟ أليست غربي الاردن؟ حتى يشوع نفسه، خليفة موسى وموزّع أراضي الاسباط، لم يذكر بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم بالقرب من اورشليم؟

أليست مدينة يسّى وداود؟ كما جاء في سفر صموئيل؟ اليست مدينة كبيرة لها أبواب وشيوخ وشعب، كما جاء في سفر راعوت؟ أليست تلك التي سوف يأتي منها المخلّص، كما جاء في سفر ميخا؟ الخ... الخ... أين بيت لحم المعروفة اليوم، في هذا النص؟

الجواب على كل تلك الأسئلة «المحرجة» واحد، وذو شقين. الشق الأول من الجواب هو، وبكل بساطة، ان مدينة بيت لحم يهوذا، أو بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، لم تكن قد بنيت بعد. انها بنيت في أواخر القرن الرابع أو في أوائل القرن الثالث قبل المسيح. والشق الثاني من الجواب هو ان عبارة «يهوذا» او «اليهودية» المضافة الى لفظة «بيت لحم»، كما ورد في اسفار العهد القديم، هي دون ادنى شك زيادة اضيفت الى النصّ الاصليّ، كما رأينا سابقاً، وذلك في «الترجمة السبعينية» اليونانية، التي تمّت في الاسكندرية على عهد بطليموس الثاني وبأمره (285-246). في هذه الاثناء، أي بين اواخر القرن الرابع واوائل القرن الثالث قبل الميلاد، كانت قد بُنيت «مدينة بيت لحم يهوذا». فأصبحت تذكر هكذا «بيت لحم

يهوذا أو بيت لحم اليهودية»، ابتداء من «السبعينية» وفي الترجمات اللاحقة حتى اليوم. ولكن في الاصل، في النص العبري الاصلي، لا توجد عبارة «يهوذا او اليهودية» بعد كلمة «بيت لحم»، بل كانت تذكر فقط «بيت لحم». وبخصوص إهمال النص العبري الأصلي لتلك العبارة وإضافتها في الترجمات اللاحقة، راجع «النسخة الجديدة»، سفر يشوع 15: 59-60، ص 447، والحاشية رقم 8. من هنا أساس اللّغَط والالتباس بين بيت لحم الحقيقية الاصلية أي المدينة الكنعانية القديمة في الجليل، وبين بيت لحم الحديثة في الجنوب قرب أورشليم في أرض اليهودية، أي بيت لحم «اليهودية» المعروفة اليوم. ذلك لأن الناس، وهذا أمر طبيعيّ جداً، أخذوا يستعملون الترجمات اللاحقة الحديثة التي تتضمن تلك الاضافات والزيادات. وهكذا، رويداً رويداً، نسي الجميع بيت لحم الاصلية الحقيقية، ولم يعودوا يقرأون ويسمعون الاّ ببيت لحم الحديثة، بيت لحم «اليهودية» المعروفة اليوم. وحتى هذه الساعة، إذا قلت لأحد، وخاصة من المسيحيين، بأن هناك بيت لحم أخرى في فلسطين أو في الجليل، لَفَغَرَ فَاهُ كثيراً وارتبك واخذت الدهشة منه كل مأخذ. واذا قرأت له نصوص «الترجمة الجديدة» في «النسخة الحالية»، الخاصة ببيت لحم «الاخرى»، تعطّل عنده الكلام وصمت...! ولقد اختبرنا شخصياً هذه التجربة، مئات المرات، طوال سنين عديدة، خلال إعداد هذه الدراسة...

في الحقيقة، انه لأمر في غاية الغرابة! كيف نسي المسيحيون، والتاريخ والعالم من بعدهم، كيف نسوا تماماً بيت لحم الاخرى، الكنعانية والاولى والاصلية، طوال ألفَي سنة، مع انها مذكورة اكثر من مرّة، بالحرف الواحد، في نصوص أسفار الكتاب المقدس نفسه، وبشكل واضح وجليّ ومحدّد جغرافياً على الارض؟ كيف حصل ذلك؟ ولماذا؟ الجواب في هذه الدراسة بالذات!

وخلاصة القول في سفر يشوع الهامّ جداً بالنسبة الى هذه الدراسة، حول بيت لحم وموقعها الجغرافي، هو ان بيت لحم مدينة كنعانية قديمة، تقع بشكل واضح محدّد ودقيق في الشمال، في الجليل، وفي القسم المحدد من الجليل الذي اصبح أرض زبولون فيما بعد. وهي مدينة كنعانية كبيرة «بقراها»، من المدن الكنعانية الاثنَتي عشرة التي وقعت داخل

حدود سبط زبولون، عند توزيع الاراضي على الاسباط. فنص يشوع يقول في ذلك: «هناك اثنتا عشرة مدينة بقراها. هذا ميراث بني زبولون بحسب عشائرهم : تلك المدن بقراها» (يشوع 19: 15). بيت لحم في سفر يشوع هي هي نفسها بيت لحم في سفر التكوين: التي هي «أفراته» والتي بقربها دفن يعقوب زوجته راحيل. يعقوب كان أول من تكلم على بيت لحم في الكتاب المقدس وحدد موقعها: انها أفراته، وان قبر زوجته راحيل بني بالقرب منها. وجاء يشوع وأثبت أقوال يعقوب في بيت لحم، ولكنه كان أكثر تدقيقاً في تحديد موقعها الجغرافي... على الارض. ثم جاء الكتبة والنسّاخ، بعد العودة من جلاء بابل، وكتبوا بعد الاحداث التاريخية الاصلية، بمئات من السنين، فغيّروا وبدّلوا وحذفوا وأضافوا... فَقَرَأنا نحن وصدّقنا!

سفر القضاة (12: 8 و10؛ 17: 7-9؛ 19: 1-2 و 18)

جاء في «مدخل» سفر القضاة، في النسخة الجديدة، ص 463 – 465، ما يلي:

»يلي سفر القضاة سفر يشوع وهو ايضاً مجموعة «الانبياء الاولين». إنه يعطينا لمحة عن حياة الاسباط في مرحلة من أشدّ مراحل تاريخ الشعب الاسرائيلي غموضاً، وهي المرحلة التي تلي الفتح وتسبق ظهور النظام الملكي (1200 – 1030 تقريباً)... لا يمكننا ان نبتّ بتّاً أكيداً في تأليف السفر، ومع ذلك فبإمكاننا أن نكشف عن تقاليد أو حلقات روايات كان لها وجود سابق مستقل. ومجمل اخبار السفر تستند الى تقاليد قديمةوسّعت وأُكملت ودُمجت... أما القسم الأخير من الكتاب: الفصول 17-21، فهو ايضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة أضيفت الى الكتاب اثناء الجلاء أو بعده ...لكن ذلك كله متقطّع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمنيّ !«...) النسخة الجديدة «سفر القضاة» – مدخل ، ص 463 –465).

ان أحداث سفر القضاة قد حدثت في غالبيتها في شمال فلسطين، وذلك قبل الملكية وتوحيد اسباط الشمال (اسرائيل) وأسباط الجنوب (يهوذا). وكان الكنعانيّون، سكّان الارض الاصليّون، يشكّلون الاكثريّة الساحقة في تلك المنطقة آنذاك، رغم دخول الاسباط وانتشارهم واستقرارهم في الارض. ويعترف سفر القضاة بذلك فيقول : «...ولم يطرد منسّى أهل بيت شان وتوابعها وتعناك وتوابعها ومجدّو وتوابعها. فأصر الكنعانيون على الاقامة في تلك الارض ... ولم يطرد أفرائيم الكنعانيّين المقيمين بجازر، فبقي الكنعانيون في وسطهم بجازر. ولم يطرد زبولون سكان قطرون ونهلول، فبقي الكنعانيّون في وسطهم... ولم يطرد أشير أهل عكاء وصيدون وأحلب واكزيب وحلبة وأفيق ورحوب . فأقام الاشيريون في وسط الكنعانيين، سكان الارض الاصليين، لانهم لم يطردوهم. ولم يطرد نفتالي سكان بيت شمس وبيت عنات، ولكن أقاموا في وسط الكنعانيين،سكان الارض الاصليين) «...سفر القضاة 1 : 27 – 33 مع

الحواشي والشروحات). ونشير هنا ايضاً الى ان عدداً من القضاة – قضاة بني اسرائيل كانوا من الكنعانيّين أو من أصل كنعاني... !

ويتحدث سفر القضاة عن القاضي التاسع فيقول : « وتولّى القضاء بعده (أي بعد يفتاح الجلعادي)، على اسرائيل ، إبصان من بيت لحم. وكان له ثلاثون ابناً وثلاثون ابنة، فزوّج بناته الثلاثين الى غرباء وادخل ثلاثين كنة زوجات لبنيه. وكانت مدة قضائه في اسرائيل سبع سنوات ومات ابصان ودفن في بيت لحم .» (سفر القضاة 12 : 8 –10 والحاشية رقم: 4 ، ص 493.)

هذا أول ذكر لبيت لحم بعد يشوع : في سفر القضاة . والنص يقول : « بيت لحم « فقط لا غير . لا يقول : بين لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية. وتقول توراة أورشليم الفرنسية « – التي تستند اليها الترجمة الجديدة التي بين أيدينا - في تعليقها على هذا النص بالذات ما يلي : « ان بيت لحم التي يتحدث عنها سفر القضاة هنا هي بيت لحم زبولون (في الشمال ، في جليل الامم) كما جاء في سفر يشوع 19 : 15 ، وهي بالقرب من الناصرة « (توراة اورشليم الفرنسية ، سفر القضاة 12 : 8 ، والحاشية رقم 5 الخاصة بالآية 8! (

والذي يؤكّد، بالاضافة الى ما في سبق ، كون بيت لحم هذه هي في زبولون ، في الجليل ، أن القاضي العاشر هو ايضا من زبولون نفسها ، على حسب ما جاء في سفر (القضاة 12 : 11 –12 ، ص 493) : « فتولّى قضاء اسرائيل بعده (أي بعد ابصان الذي هو من بيت لحم) أيلون الزبولونيّ وكانت مدة قضائه في اسرائيل عشر سنين . ومات أيلون الزبولونيّ ودفن في أيّالون ، في أرض زبولون«.

غير اننا في ملاحق الكتاب نقرأ عبارة : «بيت لحم يهوذا « اكثر من مرة ؟! نقرأ أولا في 17 : 7 –9 ما يلي : « وكان فتىّ من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا، وهو لاويّ، وكان نزيلاً هناك فذهب الرجل من المدينة ، من بيت لحم يهوذا ، ليسكن حيث يجد منزلاً . فانتهى الى جبل افرائيم ، الى بيت ميخا ، وهو سائر في طريقه فقال له ميخا : من اين أقبلت ؟ فقال له : انا لاويّ من بيت لحم يهوذا ، ذهبت لاسكن حيث أجد منزلا» ...

ثم نقرأ في 19 : 1 –2 و 18 ما يلي : وفي تلك الايام ، لم يكن في اسرائيل ملك . وكان رجل لاوي مقيما في اقصى جبل أفرائيم، فاتخذ امرأة سريّة ... من بيت لحم يهوذا . فغضبت عليه سريّته وخرجت من عنده الى بيت أبيها ، الى بيت لحم يهوذا ، ومكثت هناك مدة أربعة أشهر ... ثم التقى اللاوي شيخاً في الطريق ، فقال الشيخ: الى اين ذاهب ومن اين أتيت؟ فقال له: نحن عابرو طريق من بيت لحم يهوذا الى اقصى جبل افرائيم، لأني من هناك، ولكني كنت قد ذهبت الى بيت لحم يهوذا، وانا خادم في بيت الرب، وليس من يستقبلني في منزله.«...

فلكي نشرح ونفسّر كلمة «يهوذا» المضافة الى بيت لحم هنا في سفر القضاة – وفي كل نصوص العهد القديم – ولكي نعلّل هذه الاضافة اللاحقة، نعود الى شروحات النسخة الجديدة التي بين أيدينا. تقول النسخة في مدخل سفر القضاة ما يلي:

»اما ملحقا الكتاب (17-21)، وهما ايضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة، فقد أضيفا في أثناء الجلاء أو بعده... أمّا أخبار القضاة، فإنها تستند الى تقاليد قديمة وسّعت وأكملت ودُمجت... فنحن امام قصص جماعات بشرية تظهر فيها صلات قرابة او عداوة بين بعض الاسباط، وامام اخبار معارك للمحافظة على الاراضي التي تم الحصول عليها، لكن ذلك كلّه متقطّع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمني) «...سفر القضاة، مدخل، ص 464-465.(

وهكذا يظهر بوضوح تام، وبشكل دقيق ومحدّد، ان النص العبري الاصليّ (12: 8و10) الذي يتحدث عن بيت لحم، يذكرها هكذا: «بيت لحم»، دون اضافة «يهوذا» او «اليهودية» اليها. أما النصوص التي تقول: «بيت لحم يهوذا» (17: 7-9؛ 19: 1-2 و18)، فإنها تقع ضمن الملحقين المضافين الى سفر القضاة، والتي تقول عنهما النسخة الجديدة (المدخل ص 464-465): «وهما أيضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة، قد أضيفا في أثناء الجلاء او بعده... وهي تقاليد قديمة وسّعت وأكملت ودمجت... ولكن ذلك كلّه متقطع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمني.«...

وبالاضافة الى ذلك، وزيادة في التأكيد، فان النسخة الجديدة، في سياق النصّ، تعلّق من جديد على الملحقين المضافين الى سفر القضاة،

فتقول: «إن الروايتين في سفر القضاة (17-18 و19-21)ن ولهما أصل مختلف، قد أضيفتا في هذا المكان لأنهما ترويان أحداثاً سبقت الملكية. ولربما ضمّت هذه القصص القديمة الى سفر القضاة بعد الجلاء..» (النسخة الجديدة: عناوين الفصل السابع عشر: ملحقان، والحاشية رقم 1، ص 500.)

وفي التفاصيل، عندما يتحدث الفصل السابع عشر (المضاف) عن «بيت لحم يهوذا»ـ، ويقول في الآية 7: «وكان فتىً من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا، وهو لاويّ، وكان نزيلاً هناك»، تعلّق النسخة الجديدة مباشرة على الآية 7 فتقول: «لا يجوز للفتى ان يكون لاوياً وعضواً من عشيرة يهوذا في آن واحد، ما لم نسلّم بأن كلمة «لاويّ» تدل هنا على وظيفة، لا على أعضاء سَبط لاوي الكهنوتي، وهذا ما يخالف 18: 30 (التي تقول: «ونصب بنو دان التمثال المنحوت، وكان يوناتان بن جرشوم بن موسى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيّين الى يوم الجلاء عن الارض»). ولكن كان للفتى ان يعيش في بيت لحم وهو «غريب نزيل»...؟! (النسخة الجديدة، 17: 7، الحاشية رقم 6،ص 501.)

وتعليقاً على الملحق الثاني لسفر القضاة، تقول النسخة الجديدة: «قام بعض المحرّرين بالتوفيق بين تقليدين يظهر ازدواجهما ظهوراً واضحاً في الفصلين 20-21. أحدهما يرتبط بمعبد المصفاة والآخر بمعبد بيت إيل. وهذا الامر يفسّر وجود روايتين لهزيمة بنيامين وسقوط جبع، والطريقتين لضمان بقاء سبط بنيامين (21: 1-12 و15-23) (النسخة الجديدة، عناوين الفصل التاسع عشر، 19: 1-2، الحاشية رقم 1، ص 503.(

خلاصة القول في سفر القضاة حول تحديد موقع بيت لحم، انها المدينة الكنعانية التي ذكرها يشوع في جغرافيته، والتي تقع في سبط زبولون، أي في الشمال، في الجليل – جليل الأمم. انها هي هي بيت لحم سفر يشوع وبيت لحم سفر التكوين، وانها الى الآن، المدينة الوحيدة بهذا الاسم: بيت لحم. اما بيت لحم يهوذا، او بيت لحم اليهودية، في جنوب فلسطين، التي يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها، فقد بنيت بعد ذلك بمئات من السنين...

سفر راعوت (1: 1-2، 19 و22؛ 2: 4؛ 4: 11)

جاء في «مدخل» سفر راعوت، في النسخة الجديدة (ص 510-511) ما يلي: «يبدو أن ارتقاء الكتاب الى ما بعد الجلاء هو الارجح... فالكاتب ينظر الى زمن القضاة نظره الى زمن بعيد جداً. وهو مضطرّ الى تفسير عادة قديمة سقط العمل بها، كما أن هناك ميزات لغوية توحي بزمن متأخّر. يضاف الى ذلك ان تفكير الكتاب اللاهوتي (الشمولية والنظرة الى المكافأة ومعنى الألم) يكون أقرب الى الفهم إن وضع في زمن الجلاء او بعده، أيام عزرا ونحميا... واذا استثنينا النسب (اجداد داود واجداد المسيح – 4: 18-22، والذي ورد ذكره في سفر الاخبار الاول 2: 5-15)، والذي يبدو انه قد أضيف (!)، تبقى لسفر راعوت وحدته الادبية... ولا شك أن تغيير اسم نعمي الى مرّة في 1: 20 يدلّ صراحة على ان الكاتب يضفي على أسماء العلم هذه قيمة رمزيّة!«...

يبدأ سفر راعوت هكذا: «كان في ايام حكم القضاة مجاعة في الارض. فمضى رجل من بيت لحم يهوذا، لينزل في حقول موآب، هو وزوجته وابناه. وكان اسم الرجل أليملك، واسم زوجته نعمي، واسما ابنيهما محلون وكليون، وهم افراتيون من بيت لحم يهوذا. فأتوا حقول موآب وأقاموا هناك...» (سفر راعوت 1: 1-2.(

يجدر بنا ان نذكّر اولاً بأن راعوت – واحداث سفر راعوت – «كانت في ايام حكم القضاة»، التي امتدت من سنة 1200 الى سنة 1030 تقريباً. اما كتابة النص الحالي الذي بين ايدينا فتعود الى ما بعد الجلاء... الى ايام عزرا ونحميا في القرن الرابع قبل الميلاد. فيكون الفرق الزمني بين وقوع الاحداث وتحرير الكتاب اكثر من 700 سنة! وهكذا قلْ في اكثر كتب العهد القديم بنصوصها الحالية التي هي بين أيدينا اليوم. نكرّر: الفرق الزمني بين وقوع أحداث هذه الكتب وبين تحريرها يمتد الى اكثر من 700 سنة! بالاضافة الى زيادات وتحويرات وإضافات وتغييرات حصلت فيما بعد ايضاً – وعلى فترات لاحقة ومتتالية – من الترجمة الى اليونانية – «السبعينية» – من أواسط القرن الثالث قبل الميلاد الى أوائل القرن الرابع بعد المسيح...!؟

فكان من الطبيعي، والحالة هذه، ان تحصل مغالطات تاريخية وجغرافية وما الى ذلك، في النصوص الكتابية الاخيرة التي بين أيدينا. أضف الى ذلك – وهذا ما نكرّره نظراً لأهميته – ان يهود ما بعد الجلاء تصرفوا كثيراً بالنصوص القديمة والاصلية، فزادوا واضافوا وحوّروا وغيّروا عن قصد كثيراً من النصوص، كل ذلك لتفخيم وتعظيم تاريخهم القديم وبنوع خاص تاريخ سبط يهوذا والملك داود ومدينة اورشليم في الفترة التي كانوا فيها. لقد سخّروا كل شيء – من النواحي التاريخية والجغرافية وما اليها – في سبيل إبراز هذا المثلث اليهودي المترابط: سبط يهوذا، الملك داود، ومدينة أورشليم...

من هذه الكتب التي تصرّف بنصوصها فيما بعد المحرّرون والنسّاخ،كتاب راعوت الذي نحن بصدده. فقد رأينا أن أحداثه حصلت في ايام حكم القضاة، أما تحريره الاخير فقد حصل بعد مئات من السنين: بعد الجلاء الى بابل. الكاتب يضفي على اسماء العلم قيماً رمزية. كما ان هناك اضافات الى النصوص الاصلية كتبت فيما بعد. اما الذي يعنينا مباشرة من سفر راعوت أمران اثنان: قضية بيت لحم ونسب داود والمسيح...

يبدأ سفر راعوت بالحديث عن رجل من «بيت لحم يهوذا». يسمّيها هكذا: «بيت لحم يهوذا»! وكان اسم الرجل أليملك، واسم زوجته نعمي، واسما ابنيهما محلون وكليون، وهم أفراتيون من «بيت لحم يهوذا». فأتوا حقول موآب واقاموا هناك...

تسارع النسخة الجديدة الى التعليق على هذا المقطع بالذات فتقول: «قد تكون جميع هذه الاسماء مختلقة وانها استعملت نظراً الى معانيها...» (سفر راعوت 1: 1-2 الحاشية رقم 1، ص 512 – راجع ايضاً: مدخل الكتاب، ص 511، المقطع الثاني)! فاذا كانت جميع هذه الاسماء مختلقة، فعلى أي اساس تاريخي، يا ترى، نبني كتاب راعوت، وما جاء في هذا الكتاب؟ وعندما نقول: «اساس تاريخي» نقصد المفهوم الحصري العلمي للتاريخ كما نفهمه نحن اليوم.

أما «بيت لحم يهوذا»، في سفر راعوت، فيظهر بوضوح انها مدينة، إذ ان النصوص تقول: «وكان عند وصولهما الى بيت لحم ان المدينة كلها تحركت بسببهما...» (1: 19)، «ولم تسعَ راعوت وراء الشبان فقراء كانوا او أغنياء»

(3: 10)، «وصعد بوعز الى باب المدينة وجلس هناك... ثم أتى بعشرة رجال من شيوخ المدينة وقال لهم... ثم قال بوعز للشيوخ ولكل الشعب... أجاب كلّ الشعب الذي في باب المدينة والشيوخ: نحن شهود... الخ» (4: 1-2، 9، 11.(

يتبيّن هكذا من نصوص الكتاب أن بيت لحم هذه كانت مدينة لها بابها وشعبها وشيوخها... وأحداث الكتاب حصلت ايام حكم القضاة. ففي هذه الايام – اذا عدنا الى التاريخ والجغرافية – نجد، وبما لا يقبل الشك إطلاقاً، ان مدينة بيت لحم يهوذا، أي بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين لم تكن قد أنشئت بعد، فهي قد انشئت بعد مئات من السنين. اما بيت لحم التي كانت موجودة، ايام راعوت وايام حكم القضاة فهي بيت لحم الشمال في جليل الامم، وهي التي ذكرها يعقوب في سفر التكوين، ويشوع في جغرافيته في ارض زبولون، وسفر القضاة كمسقط رأس القاضي إبصان، كما ذكرنا كل ذلك سابقاً.

فإذا كانت بيت لحم المقصودة هنا، في سفر راعوت، «أيام حكم القضاة» هي بيت لحم يهوذا أي بيت لحم اليهودية، فكيف يكون ذلك صحيحاً؟ هي حتى اليوم بلدة كبيرة لا أكثر. فكيف تكون يا ترى، منذ أكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة، «مدينة»، لها بابها وشبابها وشعبها وشيوخها...؟! المقصود في سفر راعوت هي طبعاً بيت لحم المدينة الكنعانية «بقراها»، المدينة الكبيرة التي ذكرها يشوع في جغرافيته والتي تقع في ارض زبولون أي في الشمال: في جليل الامم. اما عبارة «يهوذا» او «اليهودية» التي ألحقت ببيت لحم، هنا، وفي العديد العديد من نصوص كتب العهد القديم، فهي زيادة على النص الاصلي أضافها اليهود بعد الجلاء، في القرن الرابع ق.ب.، او محرّروا «السبعينية» – الترجمة اليونانية –في القرن الثالث ق.م. والاضافات حصلت كلها لغاية في «نفس يعقوب»...! (راجع تكوين 35 حاشية رقم 1، ص 121؛ يشوع 15: 59 حاشية رقم 5 و8 ص 447؛ قضاة 17: 1، حاشية رقم 1، ص 500؛ راعوت «المدخل» – ص 510-511؛ صموئيل الاول 17: 12-15 حاشية رقم 2و3، ص 553؛ الخ... الخ... – راجع ايضاً جميع «مداخل» اسفار العهد القديم في النسخة الكاثوليكية الجديدة.(...

خلاصة القول، ان بيت لحم راعوت هي في الحقيقة بيت لحم الشمال، بيت لحم المدينة الكنعانية، المدينة الكبيرة «بقراها»...، وليسَت بالطبع، بيت لحم اليهودية التي لم تكن موجودة بعد!...

من جهة ثانية، نجد في ختام سفر راعوت (4: 18-21)، مقطعاً يتحدث عن نسب داود. ويستنتج من هذا النسب ان راعوت الغريبة قد اصبحت جدة داود...؟ وهذا النسب، في راعوت، هو الذي ورد ذكره في سفر اخبار الايام الاول (2: 5-15). وعن هذين النصّين، المتعلقين بانساب داود، أخذ متى في جدول نسب يسوع (1: 3-6)، ولوقا (3: 31-33). غير ان النسخة الجديدة تقول في «مدخل» سفر راعوت (ص 511) ان هذا «النسب»، الذي يشكل خاتمة لسفر راعوت، هو مقطع زائد أضيف الى النص الاصلي في وقت لاحق، وذلك اثناء الجلاء او بعده!...

أما فيما يخص نسب داود في سفر أخبار الايام الاول (2: 5-15)، والذي يكرّر نص راعوت (4: 18-21)، فإن النسخة الجديدة تعلق عليه قائلة: «يبتدئ محرّر سفر الاخبار بيهوذا، سبط داود... (الآيات 3-17). واما بقية الفصل فانه مجموعة انساب مختلفة! (نسبان اثنان لبني كالب؟) عن المجموعات التي دمجت في يهوذا... ومن الراجح ان ذلك كلّه إضافات...» (ص 736 والحاشية رقم 1)!؟ وهكذا، فالاضافات كثيرة: هناك اضافات... ثم اضافات زائدة، ثم اضافات لاحقة، ثم... اضافات. فأي تاريخ هذا، يا ترى، يبنى ويرتكز ويقوم ويستمر على هكذا اضافات واضافات...؟!

وإذا اخذنا برواية راعوت وبنسب داود – المضاف – في آخر الرواية، من جهة، واذا كانت بيت لحم راعوت هي في الشمال، كما بيّنّا آنفاً، من جهة ثانية، لظهر ان آباء داود وأجداده هم من بيت لحم الشمال، وليس من بيت لحم الجنوب التي أنشئت فيما بعد. وذلك للأسباب التالية، وانطلاقاً من نصوص رواية راعوت نفسها: اولاً إن اليملك هو من مدينة بيت لحم (1: 1-2)، ولم يكن في ذلك العهد- «أيام حكم القضاة» – الا مدينة بيت لحم في الشمال. ثانياً: ان بوعز زوج راعوت وجدّ يسّى والد داود هو من عشيرة أليملك (2: 1 لنعمي قريب لزوجها، ثري جداً، من عشيرة أليملك، اسمه بوعز...). فبوعز هو اذاً من بيت لحم الشمال ايضاً. وفيما يخص بوعز تقول الرواية: «فاتّخذ بوعز راعوت وصارت زوجة له، ودخل عليها، فرزقها

الرب حبلاً وولدت ابناً... وسمّته الجارات باسم قائلات: قد ولد لنعمي ابن، ودعونه عوبيد، وهو ابو يسّى، ابي داود» (4: 13، 17.(

أما «نسب داود» – المضاف – في آخر رواية راعوت فهو التالي: «وهذه مواليد فارص: فارص ولد حصرون، وحصرون ولد راماً، ورام ولد عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد داود» (4: 18-21). فداود واجداده وآباؤه هم من مدينة بيت لحم الشمالية في الجليل!

من هذا النص في راعوت، ومن سفر أخبار الايام الاول (2: 5-15)، أخذ متى في جدول «نسب يسوع» (1: 3-6)، كما اخذ لوقا ايضاً (3: 31-33)!؟...

وبالاضافة الى كل ذلك، وزيادة في التأكيد على ان بيت لحم راعوت هي المدينة الكنعانية في جليل الامم، وليست بيت لحم اليهودية في الجنوب، فإن سفر راعوت نفسه يعترف – ويا للغرابة! – ان بيت لحم هي افراته، وبالتالي ان افراته هي بيت لحم، كما يؤكّد الكتاب المقدس نفسه في سفر التكوين (35: 19، و 48: 7). فيقول سفر راعوت: «فقال كل الشعب الذي في باب المدينة (بيت لحم) والشيوخ: نحن شهود. ليجعل الرب المرأة الداخلة بيتك كراحيل وليئة اللّتين بنتا كلتاهما بيت اسرائيل. فكن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم...» (سفر راعوت 4: 11). وهكذا اذاً، وبحسب سفر راعوت نفسه، ان بيت لحم هي افراته وافراته هي في الشمال. واذا كانت بيت لحم هي افراته، فان بيت لحم هي في الشمال، في الجليل، في زبولون (وليس في اليهودية، في الجنوب)، وقرب قبر راحيل، كما يقول الكتاب المقدس نفسه في سفر التكوين 35: 19، و48: 7، وسفر يشوع 19: 15-16، وسفر القضاة 12: 8-10، وسفر راعوت نفسه 4: 11، الخ...

وهكذا، عندما يقول سفر راعوت: «كن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم»، فانه يعود الى سفر التكوين (35: 19-20) الذي جاء فيه «وماتت راحيل ودفنت في طريق افراته التي هي بيت لحم». وهكذا فإن افراته هي بيت لحم، وبالتالي بيت لحم هي افراته. وبعودة سفر راعوت الى سفر التكوين يؤكد ان بيت لحم افراته هي في الشمال – كما

جاء ايضاً في سفري يشوع والقضاة. غير ان مدخل سفر راعوت (1: 1-2) يقول عن بيت لحم: إنها «بيت لحم يهوذا»، أي في جنوب فلسطين. وهذا تناقض فاضح من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فإذا ادركنا ان عبارة «يهوذا» قد أضيفت بعد الجلاء، زال التناقض وظهرت الحقيقة واضحة بسيطة. والنسخة الجديدة نفسها، التي بين أيدينا، في تعليقها على الآية 11 نفسها من سفر راعوت: «كن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم»، تربطها مباشرة في نص سفر التكوين (35: 19-20) حيث بيت لحم هي افراته، التي بقربها قبر راحيل زوجة يعقوب، أي في الشمال، وحيث يؤكد على ذلك يشوع ويقول انها في زبولون – الشمال... (النسخة الجديدة – سفر راعوت 4: 11 آية سفر التكوين الموازية في الهامش، الى الشمال، ص 516.(

وهكذا يتبين من نصوص الكتاب المقدس نفسه، وبعد التكوين ويشوع والقضاة، ان بيت لحم الحقيقية في سفر راعوت ايضاً هي بيت لحم المدينة الكنعانية «بقراها»، والتي تقع في شمال فلسطين، في الجليل، جليل الامم، وليس في الجنوب أي بيت لحم اليهودية التي لم تكن موجودة بعد...

سفر صموئيل الاول (10: 1-2؛ 16 و17)
والثاني (2: 32، 23: 14 – 16 و24)

جاء في «مدخل سفر صموئيل، في النسخة الجديدة، ما يلي: «تكشف المقارنة بين النصّ العبري والترجمة اليونانية (السبعينية) اختلافات هامة. ومن المستبعد كثيراً ان يكون المترجمون السبعون قد قاموا من تلقاء أنفسهم بما نلاحظه في النص اليوناني من إضافة وحذف !...ليس سفرا صموئيل بسلسلة إخبارية تتّبع الاحداث خطوة خطوة. هما عمل ادبي يجمع موادّ غير متجانسة بعضها قديم جداً، ويضمّ تقاليد شفهية، وصفحات يرجح انها حرّرت على عهد سليمان، واضافات زيدت بعد خراب الدولة في السنة 587... لقد جمعت في هذا الكتاب عناصر من مصادر مختلفة... وسفرا صموئيل هما تعليم اكثر من تاريخ لاسرائيل القديم... ومن الاهداف الاساسية للكتاب إسباغ الكمال المثالي على الملك داود... إن سفري صموئيل هما اذاً دفاع عن سلالة يهوذا...»! (النسخة الجديدة – المدخل الى سفري صموئيل، ص 518-523)! اليس هذا الكلام الواضح جداً غنياً عن أي شرح وتفسير؟

من المعروف أن أيام صموئيل تشكّل الحقبة الاخيرة من ايام حكم القضاة (1225-1030 تقريباً ق.م.). وكان صموئيل النبي قاضياً اخيراً في اسباط الشمال (حوالي 1040 ق.م.). وكان من الرامة في سبط أفرائيم، وقضى اكثر ايامه في اسباط الشمال. وفي أواخر ايامه بدأ عهد الملكية في اسرائيل. فصموئيل هو الذي مسح شاول ملكاً (حوالي 1030 ق.م.) ثم مسح داود ملكاً (حوالي 1010 ق.م.(.

وفي سفر صموئيل الاول (10: 1-2) نقرأ ما يلي: «فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبّ على رأس شاول وقبّله وقال: أما أن الرب قد مسحك قائداً على ميراثه؟ فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصلح...». ففي تعليقها على هذا النص، تقول النسخة الجديدة: «لا يعرف معنى هذه الكلمة (صلصح). واما «الحدود»، فهي الحدود بين بنيامين وأفرائيم، من حيث أتى شاول. كما ورد في إرميا 31: 15، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت

لحم حيث يرى الى هذا اليوم... (راجع تعليق تكوين 35: 19)» (النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول 10: 1-2، الحاشية رقم 1، ص 538.(

إن نص صموئيل هنا لا يذكر بيت لحم بالاسم ولا يحدد بالتالي موقعها الجغرافي. ولكنه يذكر قبر راحيل ويحدّد موقعه: في حدود بنيامين، في صلصح... فكلمة صلصح لا يُعرف معناها ولا يحدّد بالتالي موقعها؟ غير ان قبر راحيل زوجة يعقوب، فمن الواضح والثابت والمحقق انه يوجد تحديداً وبكل دقة قرب بيت لحم – أفراته، في الشمال، في الجليل، في زبولون. (راجع تكوين 35: 19، 48: 7؛ يشوع 19: 15-16؛ قضاة 12: 8-10؛ راعوت 1: 1-2؛ صموئيل الاول 16: 1، 4، 18، 58، وغيرها...). فلماذا يضع الكاتب قبر راحيل اذاً في حدود بنيامين؟ وهو يقصد حدود سبط بنيامين؟ انه قرأ جيداً الاسفار التي سبقت زمانه، فكلها تحدّد بشكل واضح ودقيق موقع قبر راحيل: بالقرب من بيت لحم أفراته، في الشمال، في الجليل، في زبولون؟ ومن المعروف أن حدود سبط بنيامين تبعد بضع كيلومترات الى الشمال من اورشليم، فهي بالتالي بعيدة جداً عن بيت لحم أفراته الحقيقية التي تحدثت عنها جميع الاسفار القديمة. من هنا الغموض والالتباس – لا بل التناقض الظاهر – في نص صموئيل هذا، من النواحي الجغرافية والتاريخية وما اليها. أما التناقض الذي أوقع محرّر صموئيل الاخير ذاته وغيره فيه، فيعود بنظرنا وبنظر الحقائق التاريخية والجغرافية الموضوعية الى الاسباب التالية: أولاً إن الفارق الزمني بين تاريخ كتابة النص الاخير لصموئيل وتاريخ وقوع الاحداث في الاسفار القديمة، هذا الفارق التاريخي هو كبير جداً ويتعدى الالف ومائتي سنة على الاقل! المحرّر كتب النسخة الاخيرة التي بين ايدينا بعد الجلاء في القرن الخامس ق.م.، وأحداث الاسفار القديمة تعود الى القرن الثامن عشر ق.م. ثانياً: ان جميع محرّري الاسفار – وليس فقط محرّر كتاب صموئيل – حاولوا تضخيم وتفخيم تاريخهم، وخاصة تاريخ مثلثهم: «سبط يهوذا، الملك داود، وعاصمتهم اورشليم»، فجعلوا أهم الاحداث التاريخية تدور حول هذا المثلث ونقلوا أهم الأماكن التاريخية فجعلوها بالقرب من عاصمتهم اورشليم – التي كانت عاصمتهم لفترة قصيرة من الزمن فقط، لأنه من الثابت تاريخياً ان اورشليم كانت منذ آلاف من السنين مدينة

كنعانية ثم يبوسيّة (واليبوسيون كما هو معروف هم قبيلة من الكنعانيين). وداود أخذها من اليبوسيين كما يشهد الكتاب المقدس نفسه: «وزحف الملك داود ورجاله على اورشليم، على اليبوسيين سكّان تلك الارض...» (سفر صموئيل الثاني 5: 6+). ثالثاً: يضع محرّر صموئيل قبر راحيل في حدود بنيامين ويقصد حدود سبط بنيامين المتاخم لأورشليم شمالاً. فيقع في التناقض حين يجعل قبر راحيل بالقرب من اورشليم في حين ان قبر راحيال هو بالقرب من بيت لحم افراته في الشمال، في الجليل، في زبولون كما تقول الاسفار القديمة، وكما قلنا سابقاً. غير ان هناك مدينة باسم بنيامين تقع بالقرب من بيت لحم افراته في الجليل (راجع خرائط الجليل القديمة). وهذه المدينة القديمة بنيت على اسم بنيامين ابن يعقوب وراحيل. وقد ماتت راحيل عند ولادة ابنها هذا بنيامين. والظاهر ان محرّر صموئيل الذي كان يعرف الاسفار القديمة جيداً، خلط عن قصد بين «حدود» مدينة بنيامين هذه وبين «حدود» سبط بنيامين شمال اورشليم.. رابعاً اذا كان قبر راحيل هو دوماً بالقرب من بيت لحم افراته في الشمال، في الجليل، في زبولون، بشهادة جميع الاسفار القديمة، كما رأينا، فكيف يمكن وكيف يعقل ان يكون قبر راحيل هذا بالقرب من اورشليم الى الشمال حيث لا وجود لبيت لحم على الاطلاق: هناك موقعان اثنان فقط باسم بيت لحم، الاولى مدينة بيت لحم الكنعانية في شمال فلسطين، والثانية وهي قرية صغيرة بنيت بعد الاولى بمئات من السنين وتقع في الجنوب، في جنوب اورشليم على بعد 10 كيلومتر تقريباً. فكيف وضع المحرر قبر راحيل في الشمال القريب لأورشليم حيث لا وجود لبيت لحم على الاطلاق؟ فاذا عرفنا هذه الاسباب الاربع زال الغموض والالتباس وبطل التناقض في نص صموئيل الذي نحن في صدده. الحقيقة الناصعة هي أن محرّر صموئيل الذي كتب بعد مرور الاحداث القديمة بحوالي الف ومائتي سنة، نقل بشكل اعتباطي قبر راحيل من الشمال الى الجنوب. وقد فعل ذلك عن قصد ولغاية في نفس «يعقوب»، وكل ذلك بغية تضخيم وتفخيم مثلّثه اليهودي المعروف جداً: سبط يهوذا وداود الملك «وعاصمته» اورشليم!...

وجاء في سفر صموئيل الثاني ما يلي: «ونزل ثلاثة من الثلاثين (من ابطال داود)، وأتوا الى داود أوان الحصاد في مغارة عدلاّم. وكانت قوة فلسطينية معسكرة في وادي رفائيم. وكان داود حينئذ في الحصن ومفرزة عسكرية للفلسطينيين في «بيت لحم»...» (23: 13-14). يتبين لنا من النص أمور هامة تلقي الضوء على ما سمّي بيت لحم في جنوب فلسطين. أولاً ان هذا النص يتحدث عن حروب داود مع الفلسطينيين، وتحديداً عن مطلع عهد داود، قبل ان يصبح ملكاً على اسرائيل ثم على اسرائيل ويهوذا معاً. ثانياً كيف يعقل ان يكون داود من بيت لحم في الجنوب – بيت لحم اليهودية – ولم يكن قد وصل اليها بعد، فهي الى الآن بايدي الفلسطينيين، «وكانت مفرزة عسكرية للفلسطينيين في «بيت لحم»؟ ونذكّر تكراراً ان الآية التي تقول ان داود هو من بيت لحم: «واما داود، فكان يذهب ويرجع من عند شاول (وشاول في الشمال وليس في الجنوب!!؟) ليرعى غنم ابيه يسّى في «بيت لحم»...» هذه الآية هي اضافة وتعليق من المحرر..! (راجع النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول، 17: 15، الحاشية رقم 3، ص 553). ثالثاً: يظهر بوضوح تام من النص ان «بيت لحم» هذه في الجنوب كانت بأيدي الفلسطينيين، «وكانت مفرزة عسكرية للفلسطينيين في «بيت لحم». رابعاً: ان بيت لحم هذه، لم تكن مدينة بل كانت حصناً او قلعة عسكرية رمّمها الملك رحبعام (933-916) حفيد داود، مع سائر القلاع في مدن يهوذا، كما جاء في سفر الاخبار الثاني (11: 5-12)، وكما سنبيّن ذلك بالتفصيل لاحقاً... خامساً: ان هذا الحصن كان يسمى دوماً «بيت لحم»، ولم يكن يسمى لا مدينة بيت لحم ولا حتى قرية بيت لحم. مع ان النصوص القديمة التي تتحدث عن بيت لحم في التكوين ويشوع والقضاة وراعوت الخ... كانت تقول «مدينة بيت لحم وقراها»، وان لها ابواباً وشيوخاً. سادساً: ان هذا الحصن، كما يستدل من النصّ عينه، كان حصناً كنعانياً قديماً. والدليل على ذلك ان التسمية او العبارة نفسها «بيت لحم» هي عبارة كنعانية خالصة وتعني: «بيت الخبز والغذاء» او «إله الخبز والغذاء». بالاضافة الى ان هذا الحصن كان قائماً قبل داود وقبل الفلسطينيّين ولا نَنْسَ ان الارض هي ارض كنعان – وبالتحديد جنوب – كنعان، قبل أن يلجأ اليها طارئون كاليهود

والفلسطينين، بآلاف من السنين. ومن جهة ثانية، هل يعقل ان يطلق اليهود او الفلسطينيون اسماءً كنعانية خالصة على امكنة في ارض لجأوا اليها او اغتصبوها؟ المعقول والواقع هو انهم أطلقوا على الامكنة التي حلّوا فيها اسماءً بلغتهم وانطلاقاً من تاريخهم وتراثهم الخاص. مع ان العديد من اسماء المدن والقرى والمواقع والاماكن الكنعانية القديمة بقيت تحمل اسماءها الاصلية الى يومنا هذا.

وهكذا، فان بيت لحم في الجنوب كانت في الاصل قلعة كنعانية عسكرية – بالنسبة الى موقعها الاستراتيجي كخطٍ اول للدفاع عن يبّوس التي سميت أورشليم بعد احتلالها. ثم استخدمها الفلسطينيون كقلعة عسكرية في حروبهم مع داود، ثم ضمها داود الى مملكته بعد انتصاره على الفلسطينيين واصبح ملكاً على اسرائيل ويهوذا. ومن ذلك الوقت دعيت «بيت لحم يهوذا» – كقلعة لا كمدينة الى ان رمّمها رحبعام حوالي 925 ق.م. كما رأينا سابقاً...

وهناك نصوص عديدة أخرى في سفري صموئيل تذكر بيت لحم ذكراً عابراً دون ان تحدّد موقعها الجغرافي، وذلك في الحديث عن الملك داود وابيه يسّى... (راجع صموئيل الاول 16: 1، 4، 18، 17: 12، 15، 58 وصموئيل الثاني 2: 32، 23: 14-16 و24.(

جميع هذه النصوص تذكر بيت لحم بالاسم هكذا: بيت لحم، دون ان تضيف الى الاسم اية عبارة، مثل بيت لحم يهوذا، او بيت لحم اليهودية او أفراته أو أية عبارة أخرى... ما عدا نصاً واحداً فقط يقول: «وكان داود ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسّى...» (17: 12). الاّ ان هذا النص بالذات – ويا للغرابة مرة اخرى – هو نص حديث جداً ومضاف الى النص العبري الاصلي ولا يوجد حتى في الترجمات اليونانية القديمة! والنسخة الجديدة التي بين ايدينا تعلق على هذا النص بالذات (17: 12) والذي يقول «بيت لحم يهوذا»، بما يلي: «أهملت الترجمة اليونانية القديمة الآيات 12-31 (المقطع الذي يحوي هذا النص) العائدة الى التقليد الوارد فيه ان داود لم يكن يعرفه شاول الى ذلك اليوم (راجع 16: 14+)! (النسخة الجديدة، صموئيل الاول 17: 12-31، الحاشية رقم 2، ص 553). وبالمناسبة هناك تقليدان متناقضان تماماً حول معرفة شاول

بداود. التقليد الاول يقول ان داود كان عازفاً في بلاط شاول ثم أصبح حامل سلاحه، وبهذه الصفة رافقه في حروبه. اما التقليد الثاني فيقول ان داود كان راعي غنم لا يعرفه شاول، وقد حارب الفلسطينيين طويلاً قبل ان يستدعيه شاول الى بلاطه. واثباتاً لذلك ننقل هنا بالحرف الواحد ما تقوله النسخة الجديدة حول هذا الموضوع: «كان هناك تقليدان في بدء داود بالعمل لدى شاول. دُعي داود، بحسب التقليد الاول، ليكون عازفاً في بلاط شاول وأصبح حامل سلاحه (صموئيل الاول 16: 14-23)، وبهذه الصفة رافق الملك في حربه على الفلسطينيين (17: 1-11)، واشتهر في مبارزة جليات (17: 32-53). وكان داود، بحسب التقليد الثاني، راعي غنم لا يعرفه شاول. جاء ليفتقد إخوته في المعسكر، ساعة أخذ البطل الفلسطينيّ يتحدّى بني اسرائيل (17: 12-30) (الآية 31 هي آية وصل، ثم تتابع الرواية الاولى 17: 32-53! فاستدعى شاول البطل الشاب وألحقه بخدمته (17: 55-18: 5)! (النسخة الجديدة، صموئيل الاول 16: 14، الحاشية رقم 4، ص 551.(

وبالاضافة الى ما تقدّم، هناك روايتان مختلفتان تحولتا مع الزمن الى اسطورتين حُفظتا في ذاكرة الشعوب كافة، اكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكأنهما من الاحداث التاريخية التي حصلت فعلاً: الاولى كون دواد كان راعي غنم في بيت لحم، والثانية كون داود هو الذي قتل جليات الجبّار. فلا داود كان راعي غنم في بيت لحم، ولا هو الذي قتل جليات الجبار! واليكم البراهين من الكتاب المقدّس نفسه: فيما يخصّ داود ورعاية الغنم في بيت لحم، هناك آية واحدة فقط وردت من سفر صموئيل الاول (17: 15). وهذه الآية تقول: «واما داود، فكان يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم ابيه في بيت لحم .«...<u>غير ان هذه الآية، هي في الحقيقة، حاشية مضافة الىالنص الاصلي وتعليق من قبل المحرّر</u> !هذا ما تقوله النسخة الجديدة في تعليقها على هذه الآية بالذات: «هذه الآية هي تعليق من المحرّر للتوفيق بين التقليدين» (حول بدء عمل داود مع شاول كما سبق آنفاً) (راجع النسخة الجديدة، صموئيل الاول، 17: 15، الحاشية رقم 3، ص 553)! وهذه الآية نفسها، التي تقول ان داود كان راعي غنم في بيت لحم، هي والمقطع الذي يتضمنها (17: 12-31) نص

حديث جداً ومضاف الى النص العبري الاصلي ولا يوجد حتى في الترجمات اليونانية القديمة. يوجد فقط في النص اليوناني الحديث. هذا ما تقوله ايضاً النسخة الجديدة، صموئيل الاول، 17: 12-31، الحاشية رقم 2، ص 553). والعجيب حقاً، ان جميع الناس قد صدقوا فعلاً ان داود كان راعي غنم في بيت لحم طوال ألفين وخمسمائة سنة، وذلك انطلاقاً من حاشية اضافية زائدة وتعليق شخصي من محرّر الكتاب!

اما بخصوص مصرع جليات الجبّار الفلسطيني على يد داود فهي ايضاً اسطورة مختلقة ورواية مضافة الى النصوص القديمة الاصلية للكتاب، ولا علاقة لها بالتاريخ. فلا داود صرع جليات ولا جليات صارع داود. واليكم البرهان على ذلك من النسخة الجديدة التي بين أيدينا، فهي تقول بالحرف الواحد: «إن 2 صموئيل 21: 19 ينسب الانتصار على جليات الى أحد المحاربين الاسرائيليين، ويبدو أن هذا التقليد هو الأقدم. وأن التقليد القديم الذي نجده في صموئيل الاول، الفصل 17، لم يكن يذكر أصلاً الاّ انتصاراً لداود على خصم مجهول، على «الفلسطيني». وقد أضيف اسم جليات الى الآيتين 4 و23 من الفصل 17»! (النسخة الجديدة، صموئيل الأول، 17: 4 والحاشية رقم 1، ص 552). والحقيقة ان الذي صرع جليات الجبّار هو الحانان بن يا عريّ، كما يقول الكتاب المقدس نفسه! فقد جاء في سفر صموئيل الثاني ما يلي: «ثم كانت ايضاً حرب في جوب مع الفلسطينيّين، فقتل الحانان بن يا عريّ من بيت لحم جليات الجتّيّ الذي كانت عصا رمحه كنول النسّاج»! (صموئيل الثاني 21: 19، ص 613). وتزيد النسخة الجديدة على هذا فتقول معلّقة: «هذه الاحداث من الحروب الفلسطينية قد يكون مكانها الاصلح لها بعد 5: 17-25 من نفس السفر، في مطلع عهد داود»! (النسخة الجديدة، صموئيل الثاني 21: 15-22، الحاشية رقم 9، ص 613.!(

وإذا عدنا الى تحديد موقع بيت لحم الحقيقية في سفري صموئيل الأول والثاني، نجد أن جميع النصوص التي تذكر بيت لحم، تذكرها هكذا: «بيت لحم» دون ان تضيف اليها عبارة «يهوذا» او «اليهودية». ما عدا نصاً واحداً فقط يقول: «بيت لحم يهوذا». فقد تبيّن لنا ان هذا النص بالذات هو نص مضاف وحديث جداً وجد لأول مرة في النسخة اليونانية الحديثة، وذلك

بشهادة الكتاب المقدس نفسه (النسخة الجديدة). وإذا عرفنا ان زمن صموئيل، زمن الاحداث الاصلية، كان في ايام حكم القضاة (1225-1025)، تبيّن لنا بشكل واضح، ومن خلال النصوص الكتابية نفسها، ان بيت لحم المذكورة في سفري صموئيل، بيت لحم الحقيقية، هي بيت لحم المدينة الكنعانية، بيت لحم التي تحدثتْ عنها وحدّدَتْ موقعها في الشمال أي في الجليل وزبولون جميع الاسفار السابقة: التكوين ويشوع والقضاة وراعوت. وذلك لأن مدينة بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية- في جنوب اورشليم – لم تكن قد وجدت بعد!... كان هناك في جنوب اورشليم حصن عسكري قديم فقط، وكان يدعى «بيت لحم» منذ عهد الكنعانيين. اما متى بُنِيَ هذا الحصن، فليس هناك، على ما نعلم، في التاريخ المدني، أي ذكر لتأسيس هذا الحصن. غير انه يمكننا انطلاقاً من نصوص اسفار الكتاب المقدس نفسه – والكتاب المقدس ليس كتاباً تاريخياً بحصر المعنى – يمكننا القول بكل تأكيد انه لم يرد اسم بيت لحم الجنوبية في جغرافية يشوع، التي وضعت حوالي 1225 ق.م.ن والتي يذكر فيها بالتفصيل المدن والقرى التي سكنها ابناء الاسباط اليهودية الاثني عشر في الشمال والجنوب معاً. (راجع جغرافية يشوع في سفر يشوع، الفصول 14-21!)

اما المرة الاولى التي ورد فيها اسم بيت لحم، القلعة العسكرية الصغيرة في جنوب اورشليم، فكانت في اول عهد داود، حوالي السنة 1000 ق.م. (راجع سفر صموئيل الثاني (23: 13-14). وحتى هذا التاريخ لم يرد ذكر «لمدينة» تدعى بيت لحم في ارض يهوذا كلها!...

سفر أخبار الأيام الاول: الفصل الرابع 21-22 وسفر أخبار الايام الثاني: الفصل الحادي عشر 5-12

جاء في «مدخل» سفري أخبار الأيام ما يلي: «... وفي الواقع فإن أخبار سفري أخبار الأيام تكرّر كثيراً من أخبار أسفار صموئيل والملوك، وأضيف اليها عناصر أخرى، من وجهة نظر تاريخية ولاهوتية مختلفة... وقد أعيد الترتيب المنطقي في الترجمات القديمة وأحياناً كثيرة من الترجمات الحديثة أيضاً... والأحرى أن يحدّد زمن التحرير بين 330 و250 ق.م....! لم يحرّر الكاتب في الواقع رواية استوحاها من معرفته لتاريخ شعبه القديم، بل نقل عدداً من الوثائق التي بين يديه، وصنّفها أحياناً في ترتيب يوافق ما يهدف اليه مؤلّفه، ونقّحها استناداً الى وثائق أخرى اطّلع عليها او بحسب نظرته الى التاريخ ومعناه... وقد دخلت على السفر بعد اكتماله بعض الاضافات اللاحقة ...وقد اخذ المحرّر بطريقة الحذف، وهذا ما يفسّر لنا بعض الشيء ما نجده من النواقص في هذا العمل التاريخي... وكثيراً ما يعسر علينا تفسير التغييرات في الترتيب الزمني، اذ إنها تخضع، على ما يبدو، لأسباب لاهوتية أكثر منها تاريخية ...وهناك بعض الفقرات في النصّ تعبّر عن أفكار المحرّر الشخصية وتصوّره للأشياء... فهو يوجه مجمل الرواية بمهارته في الحذف...! فكان تاريخ مُلك داود وسلالته في نظرِهِ التاريخ الصحيح لشعب الله ومصيره. ولذلك، فقد أهمل كل ما يتعلّق بتاريخ مملكة اسرائيل بعد الانشقاق واكتفى برواية تاريخ مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم... فكل شيء يساهم في اظهاره داود ملكاً بحسب مشيئة الله، موسوماً بالكمال المثالي... الخ... (النسخة الجديدة، مدخل الى سفري الاخبار، ص 727-733(

ورد اسم بيت لحم-هكذا: بيت لحم، دون اضافة يهوذا او اليهودية اليها- مرّة واحدة فقط في سفر أخبار الايام الاول (4: 21-22) على الشكل التالي:»وبنو شيلة بن يهوذا: عير، أبو ليكة، ولعدة، أبو مريشة، وعشائر بيت عاملي الكتّان الناعم من بيت اشبيع، ويوقيم وأهل كزيبا ويوآش

وساراف، وهم سادة موآب، وعادوا الى بيت لحم (وهذه أحداث قديمة)...» يلاحظ اولاً أن المحرّر قال: بيت لحم، ولم يقل بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية...، مع انه حرّر كتابه بين سنة 330 و250 ق.م. وفي هذه الفترة من الزمن كانت بيت لحم يهوذا –في الجنوب_ قد بنيت! فلماذا اذاً قال: بيت لحم فقط، ولم يقل بيت لحم يهوذا، وهو الذي يركّز اهتمامه ويبالغ في تفخيم يهوذا وداود واورشليم؟ لماذا لم يربط بيت لحم، تاريخياً وجغرافياً، بهذا المثلث اليهودي المعروف: يهوذا، داود واورشليم؟ الجواب هو أن المحرّر نفسه يقول شارحاً ومفسّراً: «وهذه أحداث قديمة...» هذا يعني أن الاحداث التي يذكرها، وفيها ذكر بيت لحم، هي أحداث قديمة جداً تسبق بكثير زمن تحريره الكتاب. ففي هذه الايام القديمة التي يذكرها لم يكن هناك سوى بيت لحم واحدة، بيت لحم الحقيقيّة في الشمال، في الجليل، في زبولون، كما تجمع الاسفار القديمة التي سبقت سفري أخبار الايام...

والنسخة الجديدة، هي ايضاً، تعلق على نصّ بيت لحم الذي نحن بصدده وعلى الفصل الذي يتضمن هذا النص، أي الفصل الرابع، فتقول: «ان النبذ عن يهوذا وحور وكالب موازية لنبذ الفصل الثاني، ولكن معظم أسمائها مختلف عن أسماء ذلك الفصل .أضيف اليها نبذ جديدة تتعلّق بأشحور وشيلة (نبذة شيلة هي التي تتضمن ذكر بيت لحم). من المحتمل أن يكون هذا القسم إضافة هو ايضاً، وقد استعمل فيه ذكريات قديمة... وأن يكون الكتاب الأصلي قد انتقل مباشرة من النبذة عن يهوذا (2:1-17) الى النبذة عن شمعون (4-24ت)». (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الاول، الفصل الرابع، عنوان الفصل، الحاشية رقم1،ص 739). ثم تضيف النسخة الجديدة، في تعليقها على نبذة شيلة بن يهوذا، هذه النبذة التي تذكر بيت لحم، فتقول: «تختلف هذه النبذة عن الانساب السابقة. في صموئيل الاول 22: 3 وفي سفر راعوت ايضاً، تشديد على العلاقات القائمة بين بيت لحم وموآب...» (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الاول، الفصل الرابع، العنوان: شيلة، الحاشية رقم 4، صفحة 740.)

وهكذا يتضح لنا، في سفر الاخبار الاول ايضاً، أن بيت لحم المذكورة هي بيت لحم المدينة الكنعانية اياها التي ذكرها التكوين ويشوع والقضاة

وراعوت وصموئيل، المدينة المعروفة الموجودة في الجليل، في الشمال وفي زبولون... ولا يمكن ان تكون قرية بيت لحم يهوذا او اليهودية في الجنوب،لسبب بسيط جداً وهو انها لم تكن موجودة بعد. مع ان كتاب اخبار الايام وضع في الفترة التي تمتد من سنة 330 الى سنة 250 ق.م. فإذا كانت موجودة في هذه الفترة، الم يكن من البديهي ان يذكرها ويركّز عليها، وهو الذي كان همّه الوحيد ان يعظّم المثلث اليهودي اياه: سبط يهوذا والملك داود وأورشليم عاصمته...؟!

أما في سفر أخبار الايام الثاني، فإننا تقرأ أول نصّ، في أسفار الكتاب المقدس، يتحدّث عن «بناء» بيت لحم الجنوبية، في سبط يهوذا: في اليهودية. أي بيت لحم الحالية التي تبعد حوالي 10 كيلومتر الى الجنوب من اورشليم، والتي يظن الناس جميعاً الى اليوم ان المسيح ولد فيها... مع ان المقصود في النص هو بناء «بيت لحم» هذه كحصن عسكريّ وليس كمدينة! اليكم النصّ أولاً:

...»وأقام رحبعام (ابن سليمان وحفيد داود) في أورشليم، وبنى مدناً حصينة في يهوذا. وبنى بيت لحم وعيطم وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلاّم وجتّ ومريشة وزيف وأدورائيم ولاكيش وعزيقة وصرعة وأيّالون وحبرون التي في يهوذا وبنامين، مدناً محصّنة. حصّنها تحصيناً وجعل فيها قواداً وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانب ورماحاً في كل مدينة، وحصّنها جداً، وكان معه يهوذا وبنيامين»... (سفر أخبار الايام الثاني 11: 5-12(

تعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ قائلة: «ليس لهذه القائمة باسماء مدن رحبعام المحصّنة ما يوازيها في سفر الملوك الأول، لكن مصدرها التاريخي ثقة ...وقد يكون أن عمل رحبعام هذا قد أتى في أعقاب حملة شيشاق (12: 9) التي أظهرت الى أيّ حدّ كانت الارض معرّضة للهجوم .لم تكن القلاع المذكورة هنا منتشرة في جميع حدود المملكة، بل كانت قائمة في أماكن استراتيجية...». (النسخة الجديدة، سفر أخبار الايام الثاني، 11: 5-12، الحاشية رقم 1، ص 792.(

يتبيّن لنا من النص والتعليق كليهما عدة أمور هامة تتعلّق بموضوع بيت لحم، موضوع دراستنا هذه. أولاً أن مصدر هذا النص وبالتالي مصدر قائمة اسماء المدن الذي يحويها هو مصدر تاريخي ثقة، بعكس العديد من لوائح

وقوائم الانساب والمدن الواردة في الاسفار القديمة. ثانياً إن بيت لحم المذكورة هنا في النص هي دون ادنى ريب بيت لحم يهوذا أي بيت لحم اليهودية في جنوب اورشليم، بيت لحم المعروفة اليوم من الجميع.لأن النص يتحدث صراحة وبشكل واضح ومحدّد عن أرض سبط يهوذا في الجنوب: «وبنى رحبعام المقيم في اورشليم مدناً حصينة في يهوذا...». ثالثاً إن هذا النص بالذات هو أول نصّ في الأسفار القديمة كلّها الذي يرد فيه، ولأول مرّة، ذكر «بناء» بيت لحم يهوذا، بشكل واضح وصريح ومحدّد. اذ إن بيت لحم الشمال في الجليل أي بيت لحم المدينة الكنعانية كانت مبنية منذ آلاف السنين...! وبيت لحم هذه، المدينة الكنعانية في جليل الأمم، هي اذاً التي ذكرتها وتحدثت عنها وركّزت عليها جميع الاسفار القديمة في الكتاب المقدس من التكوين الى يشوع الى القضاة الى راعوت الى صموئيل الاول والثاني الى سفر الاخبار، وهي بالتالي، في الحقيقة، التي تحدث عنها الانبياء – وخاصة ميخا الذي عنه اخذ متى – وقالوا ان منها سوف يأتي المسيح... وهل من الممكن والمعقول ان تتحدث جميع الاسفار والانبياء عن بيت لحم يهوذا ويقولون ويتنبأون – مخاطبين إيّاها – أن المسيح سوف يأتي منها وهي لم تكن موجودة بعد؟؟! وهكذا يظهر جلياً، ودون أي شك ولبس، ان بيت لحم المذكورة في الاسفار والانبياء والتي منها سوف يأتي المسيح هي بيت لحم المدينة الكنعانية في شمال فلسطين وليس في جنوبها، أي بيت لحم جليل الامم، بيت لحم زبولون، وليس بيت لحم في جنوب فلسطين، جنوبي اورشليم أي بيت لحم يهوذا او اليهودية. وهذه الحقيقة التاريخية والجغرافية تظهر هكذا جلياً انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس نفسه، بالاضافة ايضاً الى نصوص التاريخ المدني – كرسائل تل العمارنة وغيرها – التي سوف نتحدث عنها في مكان آخر، أي في باب تحديد موقع بيت لحم الحقيقية في التاريخ المدني!...

رابعاً: إن بيت لحم المذكورة هنا في النصّ، وزيادة في التوضيح والدقة، لم تكن مدينة بالمفهوم العادي لكلمة «مدينة» كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة. بل كانت، في الحقيقة، قلعة عسكريّة وليس مدينة. فالنص نفسه يقول: «وبنى رحبعام مدناً محصّنة... حصّنها تحصيناً وجعل فيها

قواداً وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانب ورماحاً في كل مدينة، وحصّنها جداً...». والنسخة الجديدة تقول ايضاً، من جهتها، معلّقة على هذا النص وشارحة: «ليس لهذه القائمة باسماء مدن رحبعام المحصّنة ما يوازيها في سفر الملوك الاول، لكن مصدرها التاريخي ثقة. وقد يكون ان عمل رحبعام هذا قد أتى في اعقاب حملة شيشاق (12: 9) التي أظهرت الى أيّ حدّ كانت الارض معرّضة للهجوم. لم تكن القلاع المذكورة هنا منتشرة في جميع حدود المملكة، بل كانت قائمة في اماكن استراتيجية...» (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الثاني، 11: 5-12، الحاشية رقم 1، ص 792). والمعروف أن شيشاق أو شيشانق هو الفرعون المصري الاول للسلالة 22. وقد قام بحملة عسكرية على فلسطين، حوالي عام 925ق.م.، ولم يحارب اليهودية ربما بسبب الجزيةالتي دفعها الملك رحبعام المقيم في اورشليم... إذاً عندما نقرأ في النص «ان رحبعام قد بنى مدناً حصينة في يهوذا...»، ومنها بيت لحم، هذا يعني انه بنى حصوناً او قلاعاً حربية وليس مدناً بالمفهوم العادي لكلمة «مدينة»، كما سنرى بالتفصيل في المقطع التالي.

خامساً: ان الذي يثبت بما لا يقبل الشك والأخذ والردّ، كون رحبعام بنى قلاعاً وليس مدناً، هو ان جميع هذه المدن – باستثناء بيت لحم – كانت مبنية وقائمة قبل مجيء رحبعام نفسه بفترات طويلة متفاوتة! قسم من هذه المدن كانت مدناً كنعانية قديمة العهد جداً، والقسم الآخر كانت مدناً قائمة قبل عهد رحبعام (933-916). فعيطم كانت قائمة قبل داود (1010-970) بفترة طويلة (راجع قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، الطبعة الثانية، 1971، ص 650). وتقوع كانت قائمة في ايام حكم القضاة (1225-1030)، (القاموس ص 221). وسوكو في ايام حكم القضاة ايضاً (القاموس ص 495). أمّا عدلاّم فكانت مدينة كنعانية قديمة سبقت ايام يعقوب ابي الاسباط (القرن الثامن عشر ق.م.) (القاموس ص 613) وجتّ كانت قائمة ايام صموئيل أي أواخر ايام القضاة (القرن الحادي عشر ق.م.)، (القاموس ص 248). مريشة كانت قائمة في ايام يشوع (القرن الثالث ق.م.)، (القاموس ص 856). وزيف من ايام يشوع ايضاً (القاموس 442). أما ادورائيم فكانت مدينة كنعانية قديمة

العهد بنيت في زمن حبرون، أي قبل سنة 1850، وقبل ابراهيم (القاموس ص 39). لاكيش في ايام يشوع (القرن الثالث عشر ق.م.)، (القاموس ص 813). عزيقة وصرعة وايّالون من ايام يشوع ايضاً (القاموس ص 627، 542، واطلس الكتاب المقدس، هـ.هـ. رولي، 1983، ص 12). أما مدينة حبرون الشهيرة فقد كانت قائمة قبل ابراهيم، قبل 1850 ق.م. (القاموس ص 286)! فكل هذه المدن كانت قائمة اذاً قبل عهد الملك رحبعام (933-916 ق.م.) وعندما نقرأ ان رحبعام «بنى مدناً حصينة في يهوذا...»، فهذا يعني، مرة اخرى، انه بنى قلاعاً عسكرية وليس مدناً بالمفهوم العادي لكلمة «مدينة». ومن جهة ثانية، هل يعقل أن يبني رحبعام 13 مدينة في يهوذا، دفعة واحدة، في فترة ملكه القصيرة (17 عاماً)، وهو الذي كان يدفع الجزية لشيشاق فرعون مصر،والذي في اول عهده «زحف شيشاق ملك مصر على اورشليم وانتهب ما في خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك (رحبعام نفسه) وأخذ الجميع وأخذ مجانّ الذهب التي عملها سليمان (والد رحبعام). فصنع الملك رحبعام مكانها مجانّ من نحاس وجعلها في أيدي رؤساء السعاة الحافظين باب دار الملك. وكان اذا دخل الملك بيت الرب يجيء السعاة ويحملونها ثم يردّونها الى غرفة السعاة...» (سفر الاخبار الثاني، 12: 9-11)؟!

أما «توراة اورشليم» – النسخة الفرنسية – فجاءت اكثر وضوحاً ودقة. فهي لا تقول ان رحبعام «بنى مدناً حصينة في يهوذا...»، بل تقول بالاحرى: «رمّم وحصّن مدناً في يهوذا...» ثم تضيف موضحة: «وكانت هذه المدن فيما مضى مدناً حصينة في يهوذا وبنيامين... ثم حصّنها تحصيناً...» (توراة اورشليم، النسخة الفرنسية، سفر أخبار الايام الثاني، 11: 5-12، ص 441). وهكذا يتضح جلياً ان رحبعام قد بنى او رمّم حصوناً وقلاعاً عسكرية في مدن كانت قائمة قبله...

أما بيت لحم المذكورة في النصّ الذي نحن بصدده، فقد كانت في الأصل حصناً عسكرياً. وفيما بعد بنى داود الملك خاناً بقرب هذا الحصن وأهداه الى كمهام (او كمهان) ابن برزلاّي أحد كبار معاونيه في حروبه.(راجع صموئيل الثاني، 17: 27-29؛ و19: 31-39). وفي عهد رحبعام كان حصن بيت لحم هذا قد اندثر بسبب الحروب، فرمّمه رحبعام

مع حصون المدن الاثنتي عشرة المذكورة في النص. وهكذا، وحتى ايام رحبعام نفسه، لم يكن هناك مدينة او بلدة او حتى قرية تدعى بيت لحم في اليهودية، في جنوب فلسطين. بل كان هناك فقط حصن عسكري. أمّا بيت لحم الجليل فهي وحدها التي كانت تسمى بيت لحم افراته. وبيت لحم افراته هذه – الحقيقية – هي ذاتها التي قال فيها النبي ميخا:

«وأنت يا بيت لحم أفراته، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل، وأصوله منذ القديم منذ ايام الازل...»(النبي ميخا 1:5).وسيرى الانجيليّون في بيت لحم «أفراته»اشارة الى مكان ميلاد السيد المسيح. غير ان نسّاخ متّى المتأخرين، وهم من المسيحيّين المتهوّدين، تلاعبوا بنص ميخا الواضح تماماً. واقترفوا ثلاثة أخطاء تاريخية وجغرافية كبيرة، فحوّروا النص الواضح اكراماً لليهود، لكي يبرهنوا ان المسيح هو المخلص الذي كان ينتظره اليهود – وكما يفهمه اليهود... فجاء النص على الشكل التالي: «وأنتِ يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل...» (متى 2: 6). وفي المقابلة بين النصّين يظهر جلياً ما يلي:

النبي ميخا يقول: وانت يا بيت لحم افراته، ومتى يقول: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا. حذف متى «أفراته» ووضع مكانها أرض يهوذا. النبي ميخا يقول: إنك أصغر، ومتى يقول: لست أصغر. النبي ميخا يقول: انك أصغر عشائر يهوذا، ومتى يقول: لست أصغر ولايات يهوذا...!!؟ وبالاضافة الى كل ذلك، يكمل النبي ميخا النص فيقول: وأصوله (أي المسيح المنتظر) منذ القديم، منذ ايام الازل. أما متّى فيغفل خاتمة النص هذه، لئلا تصدم، برأيه، اصول المسيح اليهودية الداودية المزعومة...

هذا ما يجمع عليه كل مفسّري وشارحي الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد، دون استثناء. ونحن نكتفي هنا بهذا القدر من القول على ان نعرض كل التفاصيل لاحقاً (وخاصة في الحديث عن النبي ميخا.(

سفر عزرا (2: 21)

جاء في «المدخل الى سفري عزرا ونحميا»، في النسخة الجديدة، ما يلي: «..أما تاريخ تحرير السفرين، فتحديده من الامور العسيرة، إذ لا بدّ ان يؤخذ بعين الاعتبار مجمل أسفار الأخبار وعزرا ونحميا. وإن استندنا الى مضمونها التاريخي والى الأفكار الدينية المعبّر عنها والى البيئة التي يبدو ان الكاتب ينتمي اليها، أمكننا على الأرجح أن نحدّد زمن انجاز هذا المؤلّف التاريخي الواسع في مدة تتراوح بين أواخر القرن الرابع وأواسط القرن الثالث ق.م. إن مثل هذه المدة لا يوافق الاّ تحرير الاسفار في صيغتها الاخيرة، في حين ان المراجع الادبية المستعملة تعود بلا شك الى أوقات أقدم كثيراً...»! (النسخة الجديدة، ص 834.(

هناك نصّ واحد فقط في سفر عزرا يذكر عرضاً كلمة بيت لحم، وذلك في مجال تعداد لائحة المجلوّين العائدين من سبي بابل. وقد جاء في النص: «وهؤلاء بنو الاقليم الذين صعدوا من الجلاء، ممن جلاهم نبوكد نصّر، ملك بابل الى بابل...عدد رجال شعب اسرائيل: بنو فرعوش: الفان ومئة واثنان وسبعون، وبنو.. وبنو... وبنو بيت لحم: مئة وثلاثة وعشرون، وبنو... الخ (راجع الفصل الثاني من سفر عزرا.(

معروف أن السبي الى بابل شمل المملكتين المنشقّتين: مملكة يهوذا في الجنوب ومملكة اسرائيل في الشمال. اما المجلوّون العائدون من سبي بابل، ولو كانوا أصلاً من المملكتين المذكورتين، فقد عادوا جميعهم الى أورشليم وأرض يهوذا في الجنوب. (راجع سفر عزرا، الفصل الاول: 3-5، والحاشيتين رقم 4 ورقم 5، ص 838، 839). من هم «بنو بيت لحم» هؤلاء المذكورين في النص؟ هل هم من بيت لحم في الشمال، المدينة الجليلية؟؛ أم هم من الجنوب، من سكان بيت لحم الحصن القريب من اورشليم. هناك افتراضان لا ثالث لهما: إمّا ان يكونوا من بيت لحم الشمال او من بيت لحم الجنوب، لأنه ليس هناك ثلاثة بيت لحم. غير ان الكتاب المقدس نفسه يقول عن المجلوّين العائدين الى اقاليم ارض يهوذا (أي خارج اورشليم) انهم عادوا الى مدنهم، ويعددها بالاسماء. وهذه المدن هي: قرية اربع وتوابعها وديبون وتوابعها ويقبصئيل وقراها ويشوع ومولادة

وبيت فالط وحصر شوعال وبئر سبع وتوابعها وصقلاج ومكونة وتوابعها وعين رمّون وصرعة ويرموت وزانوح وعدلاّم وقراها ولاكيش وحقولها وعزيقة وتوابعها، فسكنوا من بئر سبع الى وادي هنّوم... (راجع سفر نحميا، الفصل الحادي عشر – السكّان اليهود في الاقاليم –25-36، النسخة الجديدة، ص 870). والعجيب حقاً انه ليس هناك من ذكر لبيت لحم، لا من قريب ولا من بعيد. لا مدينة ولا بلدة ولا حتى قرية او مزرعة! اين هي بيت لحم اذاً؟ ولماذا لم يسكن «بنو بيت لحم» المذكورين في النص مدينتهم بيت لحم كسائر العائدين الى ارض يهوذا؟ اين بيت لحم مسقط رأس أليملك ومحلون وكليون وفارص وحصرون ورام وعميناداب ونحشون وسلمون وبوعز وعوبيد ويسّى وداود نفسه وأبنائه واحفاده...؟ (راعوت 1: 1-2؛ 4: 18-21، وأخبار الايام الاول 2: 5-15). وماذا عن الدقة التاريخية والجغرافية في لوائح نسب يسوع وأجداده في متّى (1: 1-17) ولوقا (3: 23-38). وماذا عن بيت لحم مدينة داود الذي أتى يسوع من ذريته؟ وماذا عن يوسف الذي صعد الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو مريم خطيبته وكانت حاملاً...؟ وماذا عن مريم العذراء ام يسوع التي يقولون انها من الناصرة من ذرية داود ايضاً؟ (ونحن نؤكد، وسوف نثبت ذلك لاحقاً، تاريخياً وجغرافياً، ان العذراء مريم، وخطيبها يوسف وابنها يسوع المسيح هم من قانا الجليل، من لبنان. نعم من لبنان. «ومن له أذنان سامعتان فليسمع!...(«

وإذا عدنا الى «بنو بيت لحم» المذكورين في النصّ الذي نحن في صدده، نجد انهم لم يعودوا الى مدينتهم بيت لحم كسائر العائدين الذين سكنوا في مدنهم. ومرّة أخرى نذكّر بأن جميع المجلوّين العائدين من السبي عادوا الى ارض يهوذا في الجنوب. وقد عدّد سفر عزرا في الفصل الثاني بكامله، وسفر نحميا من بعده في الفصل السابع بكامله، جميع عشائر يهوذا وجميع المدن التي عادوا اليها. ولم يأت لا عزرا ولا نحميا على ذكر مدينة بيت لحم في ارض يهوذا. فإذا كان بنو بيت لحم هؤلاء العائدين، من بيت لحم اليهودية، لكانوا سكنوا هذه المدينة – مدينتهم – كما فعل سائر العائدين. فهم لم يسكنوا في بيت لحم يهوذا، لأمر بسيط

جداً هو انها لم تكن موجودة. اما اذا كانوا من بيت لحم الجليل في الشمال فهم لم يعودوا الى الشمال، بل قد عادوا – مع سائر العائدين – الى ارض يهوذا في الجنوب كما تقول النسخة الجديدة نفسها (راجع سفر عزرا 1: 3 والحاشية رقم 4، ص 838!(

واذا عرفنا ان سفري عزرا ونحميا قد وضعا حوالي سنة 350 ق.م. لظهر لنا بكل وضوح انه، حتى هذا التاريخ، لم تكن مدينة بيت لحم يهوذا قد وجدت بعد!... وهي اليوم، وبعد حوالي 2350 سنة، ليست أكثر من بلدة! اما مدينة بيت لحم الشمال، في جليل الامم، فعمرها آلاف السنين، وعلى الأقل – وبكل تأكيد – أكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة! (راجع سفر يشوع 19: 10-16، النسخة الجديدة، ص 452، وخاصة الحاشية رقم 2!...(

سفر نحميا (7: 26؛ 11: 25-36)

جاء في سفر نحميا في باب لائحة سكّان أورشليم ويهوذا العائدين من الجلاء ما يلي:

»هؤلاء بنو البلاد الذين صعدوا من الجلاء، ممّن جلاهم نبوكد نصّر، ملك بابل، ورجعوا الى اورشليم ويهوذا، كل واحد الى مدينته... عدد رجال شعب اسرائيل: بنو فرعوش: الفان ومئة واثنان وسبعون، بنو شقطيا... بنو... بنو... ورجال بيت لحم ونطوفة: مئة وثمانية وثمانون، ورجال... الخ» (سفر نحميا 7: 6-72).

تقول النسخة الجديدة عن لائحتي المجلوّين العائدين في عزرا ونحميا ما يلي: «وردت هذه اللائحة في عزرا 2 وفي نحميا 7 وفي 3 عزرا ايضاً، و3 عزرا هو كتاب منحول موازٍ في بعض اجزائه للسفر القانوني...، ونصه اليوناني المترجم عن نصّ ساميّ أصلي يساعد احياناً على تصحيح النصّ المسّوري، مع بعض الفروق في الاسماء والارقام وتناوب «الابناء» و»الرجال». هذه ثلاث حالات لنصّ واحد يبدو، في بعض الاحوال، انه حفظ في 3 عزرا على وجه أحسن منه في مكان آخر... فهذه اللائحة الخليط تحتوي على تصنيفات بحسب الأسر والأماكن. وهي تدلّ على احصاء لسكان اليهودية جرى بعد عودة اول من عادوا من الجلاء. وقد استعملها محرّر الاخبار، واستعملت هنا (في عزرا ونحميا) لتوضيح قصة العودة، ثم في نحميا 7 في شان تعمير اورشليم...» (النسخة الجديدة، سفر عزرا، 2: 1 والحاشية رقم 1، ص 839).

وبما ان سفري عزرا ونحميا متشابهان كثيراً، ولئلا نقع في التكرار، نركّز هنا فقط على «بنو بيت لحم» المجلوّين العائدين الى ارض يهوذا. بعد ان يعرض بالتفصيل سفرا عزرا ونحميا أسماء العائدين وأعدادهم واسماء المدن والقرى التي سكنوها، يصير التركيز على اورشليم وبناء هيكلها. وينفرد نحميا بتعداد قرى يهوذا ومزارعها، فيقول، في باب لائحة السكان اليهود في اقاليم يهوذا، ما يلي:

»وفي القرى مع حقولها، سكن بعض بني يهوذا: في قرية اربع وتوابعها (وقرية اربع هي حبرون) وديبون وتوابعها ويقبصئيل وقراها ويشوع ومولادة وبيت فالط وحصرشوعال وبئر سبع وتوابعها وصقلاج ومكونة وتوابعها وعين

رمّون وصرعة ويرموت وزانوح وعدلاّم وقراها ولاكيش وحقولها وعزيقة وتوابعها، فسكنوا من بئر سبع الى وادي هنّوم...» (سفر نحميا 11: 25-30، والحاشية رقم 7، النسخة الجديدة ص 870.(

يلاحظ ان الحاشية رقم 7 تقول: «هذه اللائحة التي تشهد على توسّع يهودي في النقب هي من زمن لاحق، الا اذا وجبت إعادتها الى ما قبل الجلاء (في عهد يوشيا 640-609)»!؟

أما الغريب والملفت حقاً – وكلامنا على بيت لحم وتحديد موقعها الحقيقي – هو ان سفر نحميا الذي يعدد قرى أرض يهوذا وتوابعها لا يأتي على ذكر مدينة او قرية بيت لحم في ارض يهوذا، مع انه ذكر «بنو بيت لحم» في لائحة العائدين الى ارض يهوذا!؟ واكثر من ذلك، فان العديد من القرى التي يذكرها هي قريبة من بيت لحم المعروفة اليوم، وتحيط بها من كل الجهات، حتى ان قريتيّ عدلاّم ونطوفة تقعان في جوار بيت لحم المعروفة اليوم! (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 613، 971). لماذا لم يذكر الكاتب مدينة بيت لحم يهوذا، من جملة المدن التي ذكرها؟ وقد ذكر المدن والقرى القريبة منها وحتى المجاورة لها. أين هي بيت لحم يهوذا اذاً؟ واين سكن «بنو بيت لحم» هؤلاء المجلوّون العائدون الى ارض يهوذا؟ نحن نعلم ان كتبة اليهود الذين حرّروا الاسفار بعد الجلاء – وعزرا ونحميا منهم – قد بالغوا في تعظيم وتفخيم داود واورشليم وسبط يهوذا، المثلث اليهودي العنصري المعروف، واعتبروا ان بيت لحم يهوذا هي مدينة داود، فلماذا لم يأتِ سفر نحميا على ذكرها في سياق تعداد مدن العائدين من الجلاء، مع انه قد ذكر حتى القرى الصغيرة التي تحيط بها وتجاورها؟ لماذا؟ الجواب بسيط للغاية، وهو ان مدينة بيت لحم يهوذا لم تكن موجودة بعد! فلو كانت موجودة لسكنها «بنو بيت لحم»، كما سكن سائر المجلوّين العائدين الى ارض يهوذا مدنهم الخاصة. كان هناك فقط حصن قديم يسمّى «بيت لحم»، وكان، دون ادنى شك، خراباً بسبب اكتساح الجيوش الاشورية والبابلية لكل تلك الربوع، كما هو معروف... «فبنو بيت لحم» إذاً، العائدون من السبي الى اليهودية، هم دون ادنى ريب من بيت لحم الشمالية في الجليل.

وهكذا، فحتى هذا التاريخ، تاريخ كتابة سفري عزرا ونحميا، وحوالي سنة 350 ق.م.، لم يكن هناك في أرض يهوذا، في الجنوب، مدينة تسمّى مدينة بيت لحم، وذلك انطلاقاً من نصوص اسفار الكتاب المقدس نفسه! اما متى تأسست قرية بيت لحم المعروفة اليوم والمدعوّة بيت لحم يهوذا، فليس هناك في التاريخ المدني، على ما نعلم، أي ذكر لتأسيسها. والكتاب المقدس نفسه لم يأتِ على ذكر تأسيسها، مع انه لا يتوانى عن تفخيمها وتعظيمها مع سبط يهوذا وداود واورشليم، ويعتبرها – خطأً – «مدينة داود»...؟! مع ان اكثرية النصوص تسمّي اورشليم – صهيون – مدينة داود. وقد ثبت أن قبر داود وجد في اورشليم، على عكس ما كان يظنه البعض في بيت لحم. حتى ان البعض من نسّاخ كتب العهد الجديد – وهم من المسيحيين المتهوّدين – كانوا يظنون ان بيت لحم يهوذا هي مدينة داود «وصعد يوسف ايضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم...». مع ان النسخة الجديدة التي بين ايدينا تقول صراحة وبالحرف الواحد ما يلي: «في العهد القديم تدل مدينة داود دائماً على اورشليم (2 صموئيل 5: 7 و9؛ 6: 10-12؛ اشعيا 22: 9 الخ...)». (راجع انجيل لوقا 2: 4، والحاشية رقم 6، ص 194)!... وهكذا اذاً، فان اورشليم هي «مدينة داود»، وليس «بيت لحم يهوذا»، وذلك انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس نفسه...!

منطقة بيت لحم الجليلية في سفر أشعيا

جاء في سفر اشعيا (8: 23) ما يلي:

»في الزمان الأوّل
أذلّ ارض زبولون وارض نفتالي
وأمّا في الزمان الأخير
فسيمجّد طريق البحر
عبر الأردن، جليل الأمم«...

في هذه الآية مقارنة، فيما يختص بنواحي شمال فلسطين، بين مستقبل مجيد وماضٍ ذليل. وهي تشير في مقاربة أولى مباشرة، على ما يبدو، الى حملات تغلات فلآسر في الجليل والى جلاء السنة 732...؛

وفي مقاربة ثانية، نبويّة وغير منظورة، الى ظهور المسيح وتعاليمه الخلاصيّة في الجليل، وفي جليل الأمم بالذات...

اما في ما يخص المقاربة الأولى، فقد جاء في سفر الملوك الثاني (15: 29) ما يلي: «...وفي ايام فاقح، ملك اسرائيل، جاء تغلات فلآسر، ملك أشّور، وأخذ عيّون وآبل وبيت معكة ويانوح وقاديش وحاصور وجلعاد والجليل وكلّ ارض نَفْتالي، وجلاهم الى أشّور.«...

فتح تغلات فلآسر المدن المذكورة أي «كل ارض نفتالي» في حملته على فلسطين في السنة 734. ويضم ذكر جلعاد والجليل الى هذه الفتوحات فتوحات حملة السنتين 733-732 التي استهدفت دمشق على الخصوص...

والجلاء الى أشّور، المذكور في النص اعلاه، يعني جلاء الاسرائيليّين الأول.

اما في ما يخص المقاربة الثانية، النبويّة وغير المنظورة، فيتابعها اشعيا في الفصل التالي (9: 1-6) حيث يقول:

»الشعب السائر في الظلمة
ابصر نوراً عظيماً
والمقيمون في بقعة الظلام
أشرق عليهم النور...

...لأنه قد ولد لنا ولد
واعطي لنا ابن
فصارت الرئاسة على كتفه
ودعي اسمه عجيباً مشيراً
إلهاً جبّاراً، أبا الأبد، رئيس السلام
لنموّ الرئاسة
ولسلام لا انقضاء له...
...غيرة ربّ القوات تصنع هذا.«...

يبشّر اشعيا هنا «بيوم الرب»، بعهد سلام روحي كامل أبدي يحققه ولد يولد من عذراء هو «عمانوئيل» الوارد ذكره في 7: 15 (ها ان العذراء تحمل فتلد ابناً وتدعو اسمه «عمانوئيل». يأكل لبناً حليباً وعسلاً الى ان يعرف ان يرذل الشرّ ويختار الخير.(«...

وسوف تتحقّق هذه النبوّة بظهور المسيح في الجليل، جليل الأمم. فقد جاء في انجيل متّى (4: 13-17:(

...»ثم ترك (يسوع) الناصرة وجاء كفرناحوم على شاطئ البحر، في بلاد زبولون ونفتالي فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان النبي أشعيا:

أرض زبولون وأرض نفتالي
طريق البحر، عبر الاردن
جليل الأمم
الشعب المقيم في الظلمة
أبصر نوراً عظيماً
والمقيمون في بقعة الموت وظلاله
أشرق عليهم النور...

وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: «توبوا، قد اقترب ملكوت السماوت.«...

وفي قوله:
»أرض زبولون وأرض نفتالي
طريق البحر، عبر الاردن
جليل الأمم«...

يريد متّى هنا ان يحدّد، لا مكان خدمة يسوع الرسوليّة فقط، بل معناها النبويّ منذ بدئها ايضاً، فينفرد بالاستشهاد بسفراشعيا 8: 23؛ 9: 1، الانف الذكر، مع بعض التعديلات في النص. ومن هذه النبؤة يستخرج متّى مواضيعه الاساسيّة: ففي الجليل، يوجّه يسوع تعليمه الى اكثر الاسباط تعرّضاً لظلمة الوثنيين... كما كان اسرائيل معرّضاً لخطر الاشوريّين. وبذلك تفتح رسالته على جميع الأمم (متّى 28: 19 «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...») وبينما آخرون ينصرفون الى البرية، كاهل قمران او يوحنا المعمدان مثلاً، أو يحصرون نشاطهم في اورشليم، نرى يسوع «عمانوئيل» الذي بشّر به النبيّ اشعيا (7: 14 و8: 8-10) يختار الجليل، وجليل الأمم بالذات، الذي يشير اليه متى من أول انجيله الى آخره... (راجع، على سبيل المثال، متّى 2: 22؛ 3: 13؛ 4: 23 و25؛ 28: 16 الخ.(...

ففي أوّل انجيله يقول متّى (2: 21-23:(

...»فقام يوسف واخذ الطفل وأمّه ودخل ارض اسرائيل. لكنه سمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس علىاليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان الانبياء: انه يدعى «ناصريّاً...«

وفي بدء حياة يسوع العلنية التبشيريّة يقول متّى (3: 13): «...في ذلك الوقت ظهر يسوع وقد اتى من الجليل الى الاردنّ، قاصداً يوحنا ليعتمد عن يده...». وبعد ذلك يقول متّى (4: 23 و25): «وكان يسوع يسير في الجليل كلّه، يعلم في مجامعهم، ويعلن بشارة الملكوت، ويشفي الشعب من كل مرض وعلّة... فشاع ذكره في سورية كلها... وتبعته جموع كثيرة من الجليل.«...

وحتى بعد قيامته ظهر المسيح لتلاميذه في الجليل، ومن الجليل ايضاً صعد الى السماء وجلس عن يمين الله أبيه... في الجليل هذا، تقع بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها يسوع المسيح، كما سنبيّن ذلك في فصول لاحقة.

سفر ميخا 5: 1-5

جاء في «مدخل» سفر ميخا، في النسخة الجديدة ما يلي: «...من الواضح ان ترتيب الكتاب هو من عمل محرّرين عاشوا بعد تأليف الأقوال النبوية... فالسؤال مطروح في امر صحة العناصر التي تحتويها هذه الأقوال! هناك شبه إجماع على نسبة الفصول 1-3 و6/: 1-7: 6 الى ميخا المورشتيّ الذي عاش في القرن الثامن ق.م. والآيات 2: 12-13 والرتبة الطقسية الواردة في 7: 8-20 يحدّد زمانها عادة في حقبة العودة من الجلاء، بعد السنة 536 .واما الفصلان 4 و5 فهما لا يزالان موضع جدال شديد. (والنص الذي نحن في صدده هنا هو الآية الاولى من الفصل الخامس). يرى أناس في هذين الفصلين مجموعة أقوال نبوية تعود الى ما بعد الجلاء، ويرى فيها اناس آخرون كتابات قديمة لميخا أعيد النظر فيها أثناء قراءات محدّدة متعاقبة... وتبقى المسألة مطروحة على بساط البحث. ومهما يكن من امر، فأن نصوص الكتاب قد وصلتنا مشوّهة جداً . ولذلك يبقى القارئ متردداً في المعنى الصحيح لعدد من الآيات...! (النسخة الجديدة، سفر ميخا – المدخل، ص 1959.(

يمهّد ميخا للنص الشهير الذي نحن بصدده الآن (5: 1)، بنص صغير – في باب شدائد وأمجاد سلالة داود – يقول ما يلي: «خدّشي الآن نفسَكِ يا بنت العصابة، لقد ألقى علينا الحصار، فهم يضربون بالقضيب على خدّ قاضي اسرائيل...» (ميخا 4: 14). وفي هذا التمهيد تقول النسخة الجديدة: «هناك تعارض بين الملك «قاضي اسرائيل» المذلّل الآن (الذي يضرب بالقضيب على خدّه!) عن يد سنحاريب (704-681) – راجع 2 ملوك 18: 13-16 – وبين الملك المشيح الذي يكون مولده مطلع عصر جديد من المجد والسلام (كما في اشعيا 9: 5). ان ميخا يتصوّر هذا المشيح على طريقة انبياء يهوذا التقليدية، أي كملك منتصر في صهيون... (هكذا في سفر التكوين 49: 10-12 وسفر العدد 24: 15-19 وسفر المزامير 110 وسفر اشعيا 9: 1-6، 11: 1-9، 32: 1) – ويقابل النبي ميخا هنا بين كبرياء العاصمة اورشليم المحصّنة وحالة افراتة الوضيعة، مع ان منها

سوف ياتي الخلاص...» (النسخة الجديدة، سفر ميخا 4: 14، والحاشيتان رقم 8 و9، ص 1967.(

اما نص ميخا الشهير الذي نحن بصدده هنا، فيقول: «وأنتِ يا بيت لحم أفراتة انك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل، وأصوله منذ القديم، منذ ايام الازل...» (سفر ميخا 5: 1!(

اما بقية المقطع التي تلي هذا النصّ (5: 1)، فقد جاء فيها: «لذلك يتركهم (الرب) الى حين تلد الوالدة، فترجع بقية إخوته الى بني اسرائيل، ويقف ويرعى بعزّة الربّ وبعظمة اسم الرب الهه، فيكونون ساكنين لأنه حينئذٍ يتعاظم الى أقاصي الأرض». ويتابع النصّ تحت عنوان: «الظافر بأشّور في المستقبل»، فيقول: «ويكون هذا سلاماً، واذا أتى أشّور أرضنا ووطئ قصورنا، نقيم عليه سبعة رعاة وثمانية أمراء بشر. فيرعون ارض أشّور بالحسام وأرض نمرود بالسيف المشهور، وينقذ من اشّور إذا أتى أرضنا ووطئ حدودنا. وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين الخ...» (5: 2-7.(

وتعلّق النسخة الجديدة على بقية المقطع هذه فتقول» :في هذا المقطع تبشير بانتصار في المستقبل على أشور ، ينسب الى ابن داود والى رؤساء يهوذا (الحاشية رقم:4 ، ص 1967)! وعن خاتمة المقطع : « وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين الخ...» توضح النسخة الجديدة فتقول» : هذا امر لم يحصل الا بعد الجلاء ، بتاريخ لاحق لميخا) ! «...الحاشية رقم 5 ص 1968.(

ونحن نركّز هنا على هذا النّص الشهير في ميخا (5 : 1 – 7) ، نظراً لاهميته في موضوع تحديد موقع بيت لحم الحقيقية حيث ولد السيد المسيح. بهذا النص تأثرت جميع النصوص اللاحقة في أسفار العهد القديم والتي تتحدث عن مكان ولادة المخلّص . وفي العهد الجديد نفسه ، سوف يرى الانجيليون في « بيت لحم أفراتة « اشارة الى مكان ميلاد المسيح ...

يبدأ النص بهذه الآية الواضحة والمحدّدة : « وأنت يا بيت لحم افراته « ما هي بيت لحم هذه في الحقيقة ،من الناحية التاريخية الصرف ؟ واين تقع يا ترى، وبالتحديد من الناحية الجغرافية ؟ الجواب على هذين

السؤالين في غاية البساطة والوضوح والدقة . هذا اذا اعتمدنا على علوم المنطق والتاريخ والجغرافيا ، بعيداً عن الافكار المسبقة والنزعة القديمة التعصبية ، والتحويرات والزيادات والاضافات المتاخرة والمتعددة ، وبعيداً ايضاً عن التفسيرات التقوية السطحية والجهل المتوارث...

ان بيت لحم افراته هذه هي في الحقيقة ، تاريخياً وجغرافياً ، بيت لحم المدينة الكنعانية ، في الشمال ، في الجليل ، في « جليل الامم « ، وليس بيت لحم الجنوب ، بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية ، حيث يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها ... ! واليكم بالتفصيل الادلة الثابتة والبراهين القاطعة على ذلك، وهي تعلن للجميع وعلى الملأ لأول مرّة! ...

»بيت لحم « : في اللفظة والمعنى

»بيت لحم « كلمة كنعانية ، في الاصل ، دون أدنى شك . وهي مكونة من عبارتين . الاولى : بيت أو بِت (من الجزع السامي المشترك ب ي ت) ، وهي تعني : بيت مسكن ، موضع ، محلّ ، او مقام وهيكل ... والثانية لحم ، وهي تعني : خبز ، طعام ، أكل وقد تعني ايضاً زرع ، غلة، مؤونة ... وهكذا كانت بيت لحم تعني في الديانة الكنعانية – الفينيقيّة : بيت او مقام اله (أو الاهة ؟) الخبز والزرع والخصب والغلّة. ثم اصبحت تعني فيما بعد بيت أو موضع أو محلّ الخبز . وعلى هذا الشكل انتقلت الى الارامية والسريانية والعبرية والعربية وسائر لغات العالم الحديث.

يقول المؤرخ والمستشرق الكبير شارل فيرولّلو في كتابه «أساطير بابل وكنعان» (في ص 102 والحاشية رقم 1): كان هناك في جنوبي ارض كنعان (وهو ما سُمّي فيما بعد فلسطين) عدة مدن وبلدات باسم آلهة كنعان: إيل وبعل وأشيراي وعناة وأدونيس وعشتروت وغيرهم . وكانت هذه المدن تسمّى على الشكل التالي : بيت ايل ، بيت عناة ، الخ... واهمها كانت في ارض اسباط اشير وزبولون ونفتالي بين صور وجبل الكرمل ووادي الاردن«..

البعض من هذه المدن باق الى اليوم باسمه الكنعاني الاصلي كبيت ايل «وبيت عناة» وغيرهما ، والبعض الآخر استبدلت اسماؤها باسماء أخرى حديثة تبعا لتوالي الغزوات والشعوب واللغات ، غير ان اسماءها الاصلية باقية الى اليوم في الخرائط القديمة (راجع فيما يخص كل هذه الاسماء خرائط جنوبي كنعان وفلسطين والجليل، القديمة والحديثة.(...

اما العالم واللاهوتي وشارح الكتاب المقدس «شارل بيرّو» فيؤكد أن «لحم» اسم مؤنث، وهي إلآهة كنعانية؛ «وبيت لحم» تعني/ برأيه، بيت الإلآهة الكنعانية «لحم». (راجع كتابه: «أحداث طفولة يسوع»، ص 51.(

والمؤرخ اللبناني كمال الصليبي يعرض بعض التفاصيل حول مدينة بيت لحم لفظاً ومعنىً. فيقول في كتابه: «التوراة جاءت من جزيرة العرب» (صفحة 171-172 مع الحاشيتين رقم 4 و5) ما يلي: «بيت لحم»: بيت

لحم او معبد لحم، ولحم تعني حرفياً: خبز او طعام أو تموين. وهي في الظاهر اسم لإله المؤن: أم لحم (ءم لحم) وتعني أم أي إلاهة الخبز والطعام والتموين...». وفي الصفحة 232 من نفس الكتاب، يفصّل أكثر فيقول: «من الآلهة القديمة التي رفضها بنو اسرائيل ما كان يلقب بـ «بعل» بدلاً من إِل (إيل). وربما لفظة «بعل» منحوتة من «ءب عل» أي «ابو الغلّة»، مما يعني أن الآلهة المعروفة بهذا اللقب كانت آلهة خصوبة ومحاصيل زراعية... «والبعل» بالعربية «هو كل نخل او زرع لا يسقى»، وهو ما سقته السماء»، أي ما يعتمد ليس على ريّ المزارع، بل على الريّ الطبيعي، وهو مجازاً الذي يوفّره «بعل»(0الإله بعل) إله الخصوبة... والزرع والمزروعات والغلاّت والمؤونة...». وفي كتابه: «حروب داود» (ص 138، 161) يقول الصليبي: «بيت لحم»: وهي ام لحم في الأصل... وفي التوراة بيت لحم او «بيت هـ – لحم» هي، برأيه، من قرى وادي أضم في جنوب الطائف، ومنها جاء داود... ويتابع: «ولحم» (وفي بعض اللغات السامية «لخم») هو اسم إله مشهود.«...

وخلاصة القول، ان بيت لحم هو اسم مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية، وكانت دوماً مرتبطة، من حيث المبنى والمعنى، بالاله «لحم» «وبعل»، و»أدونيس» – والثلاثة صيغ متفاوتة الزمن لإله كنعاني – فينيقي واحد – هو إله الزرع والخصوبة، إله الخبز والطعام والمؤونة...

ونحن نذكّر هنا، مرّة اخرى، بأن الاسماء، جميع الاسماء، كانت تطلق في الأصل – وخاصة في الديانات والحضارات القديمة – ليس جزافاً، ولكن بشكل يرتكز دوماً ومباشرة على قرائن طبيعية خارجية او داخلية محدّدة...

يقول حزقيال: «...ثم أتى بي الربّ الى مدخل باب بيت الرب (الهيكل) الذي هو جهة الشمال، فاذا هناك بنساء جالسات يبكين على تمّوز (ادونيس). فقال لي أرأيت يا ابن الانسان؟ عُد ترَ قبائح اعظم من هذه...» (سفر حزقيال 18: 14-15). ذلك أن الملك منسّى كان قد وضع تمثال عشتروت في داخل هيكل اورشليم، قرب المدخل المتجه نحو الشمال. نحو الشمال: أي نحو مقام ديانة عشتروت الذي هو في الشمال (فينيقية – لبنان). ومعروف ايضاً ان عبادة أدونيس وعشتروت قد انتقلت من

فينيقية الى الجليل حيث كان لهما هياكل ومعابد ومزارات، وكهنة يُعدّون بالمئات (سفر الملوك الاول، الفصل الثامن عشر). وكان جبل الكرمل في الجليل، كما يقول الكتاب المقدس نفسه، المركز الاول والاساسي لعبادة البعل وأدونيس. وفي سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية كان هناك مغاور عديدة، منها مغارة مكرّسة لعبادة البعل وادونيس الذي كان يلقّب بالإله الابن...! وفي هذه المغارة بالذات ولد، فيما بعد، بالجسد، الإله الابن، يسوع المسيح. ويروي القديس جراسيموس «انه كان في بيت لحم غاب قدّس على اسم أدونيس. وكان المصلّون قديماً يقيمون المناحات عليه يوم ذكرى موته في المغارة نفسها التي ولد فيها، فيما بعد، السيّد الناصري...»!! (الدكتور حبيب تابت «عشتروت وادونيس»، 1948، ص 19.(

كان دوماً موطن البعل وأدونيس، بحسب التوراة، يقع فوق جبل «صافون» الذي معناه «الشمال». لذلك كانت نساء حزقيال يجتمعن عند المدخل الشمالي للهيكل، ويتجهن الى ناحية الشمال باتجاه موطن البعل وأدونيس أي باتجاه فينيقية – لبنان. والجدير بالذكر ان حزقيال كتب كتابه في اوائل القرن السادس قبل المسيح (بين 590 و580 ق.م.)، أي قبل بناء بيت لحم يهوذا بوقت طويل: قبل حوالي 300 سنة! (فيما يخصّ عبادة البعل وادونيس وعشتروت في لبنان والجليل راجع: «ملاحم بابل وكنعان»، بالفرنسية، للبحّاثة الكبير «شارل فيرولّلو»، ص 113 وما يتبع.(...

امّا فيما يخصّ العلاقة والربط بين ادونيس وعشتروت من جهة، ولبنان والمسيح من جهة ثانية، فإن المؤرّخ الشهير سير جيمس جورج فريزر يقول: «إن رواية القديس إيرونيومس التي تقول بأن المناحة على أدونيس كانت تحصل في بيت لحم التقليدية في اليهودية هي في الحقيقة رواية خاطئة، لأنها كانت تحصل في لبنان لا في اليهودية، وهي قديمة العهد جداً ...إن العلاقة بين عشتروت العشيقة الالهية لأدونيس ونجمة الصبح (بيت لحم) قد استمرت الى يومنا هذا. وقد عرفت عشتروت فيما بعد بنجمة الصبح (فينوس)، وتحوّلها من نجمة الصبح الى نجمة المساء كان مدوناً بكل دقة من قبل علماء الفلك البابليين، الذين ركّزوا على تناوب

ظهورها وغيابها... وهكذا يمكننا القول بأن الاحتفال بأدونيس كان دائماً وبشكل منتظم يتزامن مع ظهور نجمة الصبح فينوس كنجمة الصبح والمساء. وفي أفقا في لبنان كان هناك هيكل شهير لعبادة عشتروت (هدم نهائياً في أوائل القرن الرابع للمسيح). وكانت بداية الاحتفال بطقوس عشتروت تتزامن دوماً، في لبنان، مع بريق النيزك الذي يسقط من قمة جبل لبنان الى داخل نهر أدونيس... وكان اللبنانيّون القدماء يعتقدون بان هذا النيزك هو عشتروت بذاتها. وسقوطها من الفضاء كان يعتبر طبيعياً كهبوط الإلآهة العاشقة في ذراع عشيقها ادونيس! وظهور نجمة الصبح هذه في الاحتفال كان يعتبر بمثابة قدوم إلآهة الحب كي توقظ عشيقها الميت من قبره الأرضيّ... ونحن نظن بان نجمة الصبح هذه هي التي ظهرت للمجوس في الشرق وقادتهم الى بيت لحم حيث ولد الطفل يسوع...» (سير جيمس جورج فريزر «الغصن الذهبي»، نيويورك، 1951، ص 402-403.)

-أفراتة

أفراته لفظة كنعانية صرف. وهي تعني المخصبة والمثمرة. من الجذر السامي المشترك القديم: فري ف.ر.ي. ومنه الآرامي – السرياني الحالي «فيرا» (وبيرا)، ثم العبراني الحالي «فيره» (بيره). والصيغة نفسها «أفراته» تعني بالتحديد الكثيرة الخصب، الكثيرة الثمار. وهناك الى اليوم في اللهجة اللبنانية فعل فَرَتَ أو فَرَطَ ويعني أنزل الثمار من اشجارها كالزيتون والجوز وغيره، بواسطة قضيب كبير يسمى ايضاً «الفاروت». والفْرَاتَه – من فعل فَرَتَ – هي كناية عن عملية فرت الزيتون وغيره، أي انزال ثمار الزيتون عن اشجارها بواسطة الفاروت. وهناك أيضاً، من باب توسيع المعنى، عبارة فراته أو فراطة وتعني النقود الصغيرة والكثيرة وكأنها «ثمار» صغيرة وكثيرة.

واسم أفراته الكنعاني هذا، أطلق في الأصل، وفي الحقيقة التاريخية والجغرافية، على منطقة ومدينة كنعانية، وذلك قبل دخول ابراهيم واسحق ويعقوب ثم الاسباط اليهودية الاثنا عشر الى ارض كنعان بفترة طويلة جداً. وهذه المنطقة الكنعانية هي بالتحديد جبل الكرمل وجواره، «وبيت لحم وقراها» المدينة الكنعانية في الجليل كانت في الواقع عاصمة تلك المنطقة. وقد دعيت هي ايضاً افراته. والكتاب المقدس نفسه يطلق اسم افراته على منطقة (المزمور 132: 6، والحاشية رقم 3 في النسخة الجديدة، ص 1294 – راجع ايضاً: قاموس الكتاب المقدس ص 777). كما يطلق اسم أفراته على مدينة بيت لحم (التكوين 35: 16-20؛ 48: 7 يشوع 15: 59 راعوت 1: 1-2؛ 4: 11 ميخا 5: 1 الخ...) والكتاب يقول دوماً: «أفراته التي هي بيت لحم». وجبل الكرمل نفسه كان يسمى الجبل المخصب والمثمر وبستان فواكه. فلفظة «كرمل» تعني لغوياً المثمر والمخصب (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 777). فعبارة كرمل – كرم «إيل» – تعني في الأصل كَرْم «إيل»، ثمار «إيل»، خصوبة «إيل»! وفي الواقع، كان جبل الكرمل بالذات، في العهود الكنعانية القديمة – وهذا ما سجّله التاريخ المدنيّ ايضاً - منارة روحية مُشِعّة ومميّزة. فكان العديد من حكماء المشرق وبلاد اليونان يأتون اليه ويقيمون في ديره الكبير فترات من

الزمن في شبه رياضات روحية طويلة. وكان يلقّب عهد ذاك «بجبل الخصب الالهي» «وجبل التركيز الروحاني». وفي هذا المجال يقول الفيلسوف جامبليك اللبناني – من عنجر البقاع – تلميذ فيتاغوراس الكبير، وواضع سيرة حياته: «وكان فيتاغوراس ابن برتنيس الفينيقية تعمّد بحسب الطقس الكنعاني في مياه النهر المقدس، نهر أدونيس (نهر ابراهيم) المتدفّق من مغارة أفقا المقدّسة. وقد تلقّن الاسرار الكونية والطقوس السرّية من كهنة فينيقية في جبيل وصور. وتعلّم مبادئ الفيزياء «وفكرة» «الواحد» ورمزية الاعداد في كنعان على يد مخّوص الصيدوني (ومخوص هو أب النظرية الذرية في التاريخ كما يجمع اليوم كل مؤرخي العلوم). ثم ذهب فيتاغوراس، يتابع جامبليك، الى جبل الكرمل في جنوبي كنعان حيث امضى عدة سنوات معتزلاً في ديره الكبير، منصرفاً الى التأمل الروحي والغوص في اسرار الوجود. وكان جبل الكرمل جبلاً مقدساً مهيأً، اكثر من غيره، للتأمل النفسي والتركيز الروحاني .وكان الدخول اليه محرماً على عامة الناس. فلا يسكنه الاّ «المسارّون» أي الذين تلقنوا الأسرار الكونية والحقائق الروحية .وكان المعتزلون في معبد الكرمل الكبير يلتزمون بالسريّة التامة ويلزمون تلاميذهم بنفس السريّة. وكان نظام الكرمل صارماً جداً... (راجع «حياة فيتاغوراس» للفيلسوف جامبليك ص 297-298 وايضاً: «العقيدة السرية» هـ – ب. بلافاتسكي، المجلّد الخامس، ص 309، والحاشية رقم 2، «والماسونية – خلاصة الحضارة الكنعانية» لفؤاد فضول ص 99 وغيرهم كثيرين(...

وعندما دخلت قبائل العبران مغتصبة جنوب ارض كنعان، حوالي سنة 1230، على يد يشوع بن نون معاون موسى، كانت هذه الارض في حالة متقدمة من العمران والحضارة في جميع المجالات الانسانية من دينية وثقافية وعمرانية. في حين كانت قبائل العبران بدائية لم تتعرّف بعد على أي مظهر من مظاهر الحضارة. وكان جنوب كنعان بالتحديد – أي المنطقة التي سمّيت فيما بعد فلسطين – مليئاً بالهياكل والمعابد والمدارس الكنعانية، منذ قرون عديدة. وكان كهنة كنعان يعدّون بالآلاف! وكانت «مدارس الانبياء»، «وعائلات الانبياء والنبيات»، منتشرة من صور العظيمة الى «بيت عناة»، الى بيت عشتروت»، الى «بيت إيل»ن الى أريئيل أو

إيلياء أو يبّوس التي سميت فيما بعد اورشليم على عهد ملكها وكاهنها الكبير ملكيصادق كاهن إيل العليّ، الذي قدّم له ابراهيم العشور... وكان جبل الكرمل، مع ديره الكبير، المركز الاساسي للاشعاع الديني والروحي في تلك المنطقة التي كانت تسمّى «الجليل»، وكان يحوي اهم تجمع لعائلات ومدارس الانبياء والنبيّات... كل هذا، يذكره الكتاب المقدس نفسه – العهد القديم – وذلك بوضوح وبشيء من التفصيل احياناً. فيؤكد على وجود كهنة كنعان الكثيرين وعلى مدارسهم «وعائلات الانبياء والنبيّات» عندهم: كانوا في الرامة في الجليل (1 صموئيل 19: 20)، وفي بيت إيل (2 ملوك 2: 3)، وفي أريحا (2 ملوك 2: 5)، وفي الجلجال (2 ملوك 4: 38)، وفي السامرة (1 ملوك 18: 21، 28-69؛ 22: 10؛ أشعيا 5: 11-13 +؛ 28: 7-13). وعلى سبيل المثال لا الحصر، نقرأ في سفر الملوك الاول 18: 19 ما يلي: «وقال النبي ايليّا للملك آحاب: والآن أرسل واجمع اليّ اسرائيل كله الى جبل الكرمل، وانبياء البعل الاربع مئة والخمسين، وانبياء عشتروت الاربع مئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل (الملكة ايزابل الفينيقية زوجة الملك آحاب)...»! ومن جهتها، تعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: «كان عند الشعوب المجاورة لاسرائيل جماعات من الناس الذين ينخطفون بالروح (راجع ارميا 97: 9ت). وكانوا يؤلّفون جماعات كثيرة مثل أنبياء الرب (1 ملوك 18: 4). والمقصود هنا هم المتعبدون لبعل صور، الذين استدعتهم الملكة إيزابل الى اسرائيل وكانت تنفق عليهم...» (ص 666، الحاشية رقم 3). هذا مع العلم ان المراكز الروحيّة ومدارس الانبياء والنبيّات الكنعانية بقيت حيّة مزدهرة طوال مئات من السنين بعد اغتصاب عشائر اليهود جنوب أرض كنعان حوالي سنة 1220 ق.م...وكان من الطبيعي جداً ان تتأثر هذه العشائر اليهودية- وهي بعد عشائر بدائية – بهذا الجو الكنعاني العابق بالروحانية والنبوّة. وفي الواقع، ظهر الانبياء اليهود الاولون في الاسباط الشمالية، في اسرائيل، في الاراضي المتاخمة لكنعان، لا في ارض اليهودية في الجنوب. وقد نشأت النبوّة اليهودية في منطقة جبل الكرمل بالذات: صموئيل وايليا واليشاع ومدارسهم وتلامذتهم... حتى ان مدارس الانبياء الكنعانيين بقيت مزدهرة حتى موت النبي اليشاع حوالي سنة 800 ق.م.! في هذه الاثناء

حصل ضعف وانحسار وتشتت في الظاهرة النبوية الكنعانية، وبدأت الظاهرة النبوية العبرانية بالنمو والتصاعد، فكان الانبياء اليهود ومنهم ميخا الذي نحن الآن في صدده. ومعروف ان اليهود قتلوا انبياء هم، كما قال السيّد المسيح نفسه: «يا اورشليم، يا اورشليم! يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها، كم مرّة أردت ان أجمع أبناءك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا. لذلك يترك لكم بيتكم خراباً...» (متى 23: 37-38).

وبالاضافة الى الخصوبة الدينية والروحية والنبوية التي امتازت بها منطقة «أفراتة» – أي منطقة الكرمل وبيت لحم في الجليل – كما رأينا في الفقرات السابقة، فان هذه المنطقة نفسها كانت تمتاز ايضاً بالخصوبة الارضية والنباتية، بالاشجار الكثيفة ومنها المثمرة. ولذلك سميت «أفراتة» أي المخصبة والكثيرة الثمار، وذلك منذ العصور الكنعانية القديمة حتى العصور اليهودية الحديثة. فجبل الكرمل نفسه – ومعنى اللفظة كما رأينا، كرْم إيل، والمثمر – كان مركز هذه المنطقة المخصبة والمثمرة. وبيت لحم التي هي في سفوحه الشرقية الشمالية، تعني هي ايضاً بيت (أو إله) الخبز والغذاء والثمار... والكتاب المقدس نفسه يتغنّى بخصوبة واشجار وثمار هذه المنطقة – أفراتة – وجبل الكرمل بنوع خاص. فسفر نشيد الاناشيد يقول في الكرمل ما يلي: «رَأسُكِ عليك مثل الكرمل، وشعر رَأسِكِ كأرجوان: ملك مقيد بالخصائل، ما أجملكِ وما أشهاكِ...»(نشيد الاناشيد 7: 6-7) فانه كان يقصد ولا شك ان الشعر كان كان يغطّي رأس حبيبته وينسدل عليها كما كانت الاشجار المثمرة تغطّي رأس الكرمل ومنحدراته وسفوحه، من سهل عكا في الشمال، الى سهل الشارون في الجنوب، ومن بيت لحم في الشرق الى شاطئ البحر في الغرب. وهنا ايضاً تصح تسمية أفراتة: بيت لحم، وبيت لحم: أفراتة، كما يقول الكتاب. وأشعيا يقول: «ناحت الارض وذبلت، وخجل لبنان وذوى...، وصار الشارون كالقفر، وارتعد باشان والكرمل... الآن أقوم يقول الرب، الآن ارتفع، الآن أتعالى. تحبلون بالحشيش وتلدون القشّ، ونفسكم نار تأكلكم...» (اشعيا 33: 9-11). ويقول اشعيا أيضاً: «لتفرح البريّة والقفر، ولتبتهج البادية وتزهر كالنرجس، لتزهر ازهاراً وتبتهج ابتهاجاً مع هتاف. قد أوتيت

مجد لبنان وبهاء الكرمل والشارون... فهم يرون مجد الرب وبهاء إلهنا...» (أشعيا 35: 1-2)، اما النبي ارميا فيقول في الكرمل: «...وأرجع اسرائيل الى مرعاه الخصب فيرعى في الكرمل وباشان وتشبع نفسه...» (إرميا 50: 19). وعاموس يقول: «الرب يزأر من صهيون، ويجهر بصوته من اورشليم، فتنتحب مراعي الرعاة ويجفّ رأس الكرمل...» (عاموس 1: 2). اما ميخا، الذي نحن بصدده، فيقول: «إرعَ شعبك بعصاك، غنم ميراثك السَاكنين وحدهم في «الغاب» في وسط الجنّة...»! (ميخا 7: 14). «والغاب» يقع، كبيت لحم الجليل، في منطقة «أفراتة»، في اعالي جبل الكرمل (النسخة الجديدة في تعليقها على المزمور 132: 6 الذي يقول: «ها قد سمعنا أنه في أفراتة، قد وجدناه في «حقول الغاب»، ص 1294، الحاشية رقم 3!(

أمّا أين ورد اسم «أفراتة» في اسفار العهد القديم، وكيف كانت عبارة «أفراتة» ملاصقة ومرادفة دوماً «لبيت لحم»، فهذا ما سنعرضه في الفقرات التالية:

أول ما ورد اسم «أفراتة»، في العهد القديم، كان في سفر التكوين (35: 16-20) حيث نقرأ: «... ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من «أفراتة»، ولدت راحيل وعسرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته بن اوني. واما أبوه فسمّاه بنيامين. وماتت راحيل ودفنت في طريق «أفراتة» وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم.«...

والنص الثاني الذي يرد فيه اسم «أفراتة» ملاصقاً ومرادفاً لاسم بيت لحم، جاء في سفر التكوين ايضاً، على لسان يعقوب، وهو يذكّر بالنص الاول ويؤكّد عليه: «واما انا (يقول يعقوب) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في ارض كنعان، في الطريق، على مسافة من «أفراتة»، فدفنتها هناك في طريق «أفراتة» وهي بيت لحم...» (سفر التكوين 48: 7.(

وهكذا يظهر لنا بوضوح تام، من هذين النصّين في سفر التكوين، الحقائق الثلاث التالية:

-أولاً ماتت راحيل زوجة يعقوب ابي الاسباط الاسرائيلية الاثني عشر، في ارض كنعان. انها الارض الاصلية، قبل ان يغتصبها ابناؤه واحفاده فيما بعد بقيادة يشوع ابن نون معاون موسى، في حوالي سنة 1225... ويقول سفر التكوين نفسه في مكان آخر (37: 1): «وسكن يعقوب في الارض التي نزل فيها ابوه اسحق في ارض كنعان...». وابراهيم نفسه، والد اسحق وجدّ يعقوب، ألم يكن هو ايضاً غريباً اتى من أور الكلدانيين ونزل في ارض كنعان، كما يقول سفر التكوين نفسه (23: 1-7)؟ يقول النص: «وكانت سنو عمر سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة، وماتت سارة في قرية اربع، وهي حبرون، في ارض كنعان. فأقبل ابراهيم يندب سارة ويبكيها. وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حثٍ (قبيلة كنعانية اذ إن حث هو ثاني ابناء كنعان) قائلاً: انا نزيل ومقيم عندكم أعطوني ملك قبر عندكم فأدفن ميتي من أمام وجهي. فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له: ...في اسفل قبورنا ادفن ميتك فليس احد منا يرفض لك قبره لتدفن فيه ميتك، فقام ابراهيم وسجد لأهل البلد...»! (راجع ايضاً سفر الخروج 12: 48 والحاشية رقم 13 في النسخة الجديدة، ص 173، حيث جاء: «فالآباء كانوا غرباء نزلوا في ارض كنعان... وكذلك بنو اسرائيل في مصر...». وسفر تثنية الاشتراع 7: 1 والحاشية رقم 1 حيث نقرأ: فالكنعانيون هم اساس سكان فلسطين...») الخ...

-ثانياً: ان قبر راحيل زوجة يعقوب يقع بالتحديد بالقرب من افراتة بيت لحم. «ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...». وليس في موقع آخر مزعوم في جنوب فلسطين كما قال محرّرو الكتاب بعد العودة من الجلاء. فقد جعله هؤلاء في مكان يبعد حوالي 10 كيلومتر الى الشمال من أورشليم! مع انه لا يوجد هناك شيء اسمه بيت لحم، ونص التكوين يقول: «ودفنت راحيل بالقرب من افراتة التي هي بيت لحم». ثم جاء نسّاخ متأخرون وجعلوا قبر راحيل في جنوب أورشليم، قرب بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم، على بعد حوالي 12 كيلومتر من اورشليم!! لقد حصل كل ذلك بغية تفخيم وتعظيم يهوذا واورشليم، بعيداً عن ابسط الحقائق التاريخية والجغرافية (وهذا ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد، في باب «بيت لحم وقبر راحيل.(«

-ثالثاً: ان أفراتة هي هي بيت لحم. وهذا واضح جـداً في النصّين اللذين نحن بصددهما في سفر التكوين. والنص الثاني يكرّر النص الاول ويؤكد عليه. فلا مجال والحالة هذه الى أي نوع من الشكّ والالتباس والريب، ولا بالأحرى الى التأويل والتحوير والتزوير... أفراتة هي هي بيت لحم. هذه هي النصوص الكتابية الاولية الاصلية، قبل ان تعمل بها – وبغيرها – ايدي المحرّرين والنسّاخ المتأخرين، تبديلاً وتحويراً وتشويهاً، وذلك من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فبعد أن قال البعض ان أفراتة تقع في الشمال القريب من أورشليم – مع انه لا يوجد هناك بيت لحم – جاء البعض الآخر فيما بعد وقالوا لا، بل ان افراتة تقع في الجنوب القريب من اورشليم قرب بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم، وكانت هذه قد بنيت في هذه الاثناء، أي بين اواخر القرن الرابع واوائل الثالث ق.م. اما بيت لحم الحقيقية، «بيت لحم أفراتة» المدينة الكنعانية في شمال فلسطين والتي ورد ذكرها بوضوح، كما رأينا في سفر التكوين (وفي غيره من الاسفار القديمة) فقد كانت مبنية منذ آلاف من السنين. لقد تناسى محرّرو الكتاب بعد الجلاء والنسّاخ المتأخرون من اليهود، تناسَوا افراتة بيت لحم الكنعانية في الشمال – وكانت قد خربت في هذه الاثناء بسبب الاحداث والغزوات – وطمسوها عن تصميم وقصد، واستبدلوها ببيت لحم يهوذا التي بنيت فيما بعد بزمن طويل. لقد تناسَوها وطمسوها واستبدلوها ببيت لحم الحديثة لأنها (أي الاصلية) كنعانية كنعانية! مع ان اسفارهم القديمة لم تطلق ولا مرّة، على الاطلاق، اسم «بيت لحم أفراتة» على بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم!! بل وردت في النصوص القديمة هكذا فقط: بيت لحم، بيت لحم يهوذا وبيت لحم اليهودية، لا غير. ولا مرة بيت لحم افراتة! ... وهذا أمر بالغ الاهمية في هذه الدراسة.

إن من أهمّ الاسباب التي قادت الى الالتباس الذي حصل بين بيت لحم الحقيقية في الجليل وبيت لحم الحديثة المعروفة اليوم والذي أفضى في نهاية الأمر الى نسيان الاولى والاصلية وابراز الثانية، هو الخلط الذي حصل بين «أفراتة» التي تعني لغةً: «الكثيرة الثمار»، والتي هي اصلاً مرادف لبيت لحم الجليل، وبين افرائيم (السبط) التي تعني لغةً: الكثيرة الثمار ايضاً، والتي هي الى الشمال القريب من أورشليم. في الأصل

وفي نصوص «التكوين»، كما رأينا، بيت لحم هي «أفراتة»، وافراتة هي بيت لحم. الواحدة مرادف للثانية. هذا كان ايام يعقوب اب الاسباط، إذاً قبل الاسباط. وفيما بعد، وبعد العودة من مصر والاقامة في ارض كنعان، اقام سبط افرائيم في الارض القريبة من اورشليم الى الشمال. وبما ان افرائيم، مثل أفراتة، يعني «الكثيرة الثمار»، فقد حصل التركيز على افرائيم القريبة من اورشليم فسميت «أفراتة» ودخلت افراتة الشمال طي النسيان مع مرور الايام، لأنها في ارض «الامم» في «جليل الامم». وبما ان قبر راحيل هو دوماً، في نصوص الكتاب نفسها، قرب افراتة، كما راينا آنفاً، فقد نقلوا قبر راحيل من قرب افراتة (أي بيت لحم) في الجليل وجعلوه قرب أفراتة (أي قرب افرائيم) في جوار اورشليم...! ولكن الغرابة في الأمر والتي قادت حتماً الى تناقض تاريخي وجغرافي فاضح جداً هو أنه ليس هناك – لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل – شيء اسمه بيت لحم على مقربة من اورشليم الى الشمال، لا قبل سبط إفرائيم، ولا في أيام سبط إفرائيم ولا بعد زوال سبط إفرائيم! انها، في الواقع، فضيحة تاريخية صارخة! (راجع جميع الخرائط عن فلسطين والجليل واليهودية وإفرائيم واورشليم، المخطوطة والمطبوعة وبجميع لغات العالم، القديمة والحديثة.(...

ونحن لا نعلم، حتى اليوم، كيف ظل هذا التناقض الصارخ تناقضاً صارخاً طوال قرون عديدة؟ وكيف ولماذا لم تظهر الحقيقة ساطعة، مع انها مرتكزة على اسس وقواعد تاريخية وجغرافية ثابتة ومؤكدة، واكاد اقول ملموسة وحسيّة على الأرض؟ أمر واحد فقط، لا غير، قد يفسّر هذا التناقض ويجيب على هذه الأسئلة. انه التلهّف الأعمى الذي تقوده الأفكار المسبقة، الذي دفع ويدفع المسيحيين المُتَهَوّدِين الى ربط المسيح وكل ما له علاقة بالمسيح من بعيد او قريب، الى ربطه باليهود، بتاريخ اليهود، بأرض اليهود... حتى يكاد المسيح يصبح يهودياً اكثر من اليهود أنفسهم بكثير... لقد حان الوقت لنهاية هذه الخديعة التاريخية الكبرى! لأنها لا تستند الى أي اساس تاريخي جغرافي علمي موضوعي مجرّد. إنها الأفكار المسبقة... ولا مجال، في هذا العصر، للأفكار المسبقة. انه عصر الحقائق الساطعة الصارخة والصاعقة.!

واذا عدنا الى «أفراتة» يتبين لنا بوضوح تام ان اليهود عندما نقلوا قبر راحيل من قرب بيت لحم الشمال ووضعوه قرب «أفراتة» أي سبط افرائيم، شمال اورشليم، لم تكن بيت لحم اليهودية، جنوبي اورشليم، المعروفة اليوم، لم تكن قد انشئت بعد، والاّ لكانوا نقلوا اليها قبر راحيل، لأنها هي أي بيت لحم التي تدعى «أفراتة»، كما ينص الكتاب المقدس نفسه. والبرهان على ذلك انه عندما انشئت بيت لحم اليهودية، بعد مئات من السنين، نقلوا قبر راحيل، مرة ثانية، من شمال اورشليم وجعلوه بقرب بيت لحم الجديدة، كما هو ظاهر للعيان في يومنا هذا!!

واكثر من ذلك، وزيادة في التوضيح، توضيح الحقائق التاريخية والجغرافية والعلميّة المجرّدة، نقول بأن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، لم تسَمَّ ابداً «بيت لحم أفراتة»، منذ تأسيسها، ولا في أيام المسيح، ولا حتى كتابة الانجيل بحسب متى. ذلك لأن متى، والأصحّ نسّاخ متى، هم الذين حذفوا عبارة «أفراتة» من نبوءة ميخا 5: 1 القائلة: «وانت يا بيت لحم أفراتة، انك أصغر عشائر يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل...». حذفوها واستبدلوها بعبارة «أرض يهوذا»، وهذه العبارة غير موجودة في النص الأصلي. فلو كانت بيت لحم اليهودية، في ايام متى ونسّاخه، تسمّى بيت لحم «أفراتة»، لما اضطروا الى حذف عبارة «أفراتة»، ولما كانوا وقعوا وأوقعونا معهم طيلة الفي سنة في هذا التناقض التاريخي والجغرافي الغريب. وهم اضطروا، كما قلنا، الى حذف عبارة «أفراتة» الملاصقة دوماً لعبارة بيت لحم، لأنهم لو لم يحذفوها، لكان من الواضح تماماً ان المسيح ولد في بيت لحم الشمالية بين «الأمم»... «بين الوثنيين».. لأن عبارة «بيت لحم أفراتة» تعني بشكل محدّد وقاطع: بيت لحم «الأمم» في الشمال. وفي الحقيقة، إن المسيح ولد في بيت لحم «أفراتة». (راجع شارل بيرّو «أحداث طفولة يسوع»، ص 31، وايضاً: يشوع 19: 15، ميخا 5: 1، متى 2: 65.)

وفي دراسة حديثة جداً، يوضح العالم جاك بريانو، مدير فرع العلوم الدينية في المعهد الكاثوليكي في باريس، يوضح قضية «أفراتة» هذه، في مقالة منشورة في: مجلّة «عالم البيبليا» بالفرنسية، المجلّة المختصة بالكتاب المقدس، عدد ممتاز عن بيت لحم: «بيت لحم مدينة

مشيحانية»، عدد اوكتوبر، 1983. وخلاصة المقالة يتطابق مع كلامنا هذا عن أفراتة.

تحديد موقع بيت لحم الحقيقية
بيت لحم أفراتة – بالنسبة الى موقع قبر راحيل

جاء في سفر التكوين (35: 16-20) ما يلي: «ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من افراتة، ولدت راحيل وعسرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته «بن أوني». وأما ابوه فسمّاه بنيامين. وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراتة وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...». (نحن نكرّر بعض النصوص الكتابية، عن قصد، زيادة في التوضيح، بالنسبة الى خطورة الموضوع.(

يظهر بوضوح في هذا النصّ القديم في سفر التكوين، الترابط التام بين مواقع جغرافية ثلاثة: بيت لحم، أفراتة وقبر راحيل. بيت لحم هي هي أفراتة. وقبر راحيل يقع بالقرب من أفراتة بيت لحم، «في طريق أفراتة وهي بيت لحم». وهناك نص آخر في سفر التكوين نفسه (48: 7) يكرّر النص الأول ويؤكد عليه وقد جاء فيه: «أما أنا (يقول يعقوب) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في أرض كنعان، في الطريق، على مسافة من افراتة، فدفنتها هناك في طريق أفراتة وهي بيت لحم...». وهنا ايضاً يظهر بوضوح الترابط التام بين المواقع الجغرافية الثلاثة إيّاها: افراتة، بيت لحم، وقبر راحيل. ومرّة أخرى، أفراتة هي هي بيت لحم، وقبر راحيل يقع تحديداً، وبكل دقة، بالقرب من أفراتة بيت لحم.

لقد تحدثنا آنفاً عن أفراتة بيت لحم: عن كل لفظة بمفردها، عن العلاقة بين اللفظتين من النواحي التاريخية والجغرافية. ورأينا ان هذين الاسمين يطلقان دوماً على مسمّىً واحد. أما هنا فنركّز على العلاقة التي تربط افراتة بيت لحم بقبر راحيل بالذات، من حيث تحديد الموقع جغرافياً. إن النصوص الاصلية الاولى، كما هو واضح، تجعل قبر راحيل، من حيث دقة الموقع جغرافياً، بالقرب من افراتة بيت لحم.

وجاء يشوع فيما بعد، وحدّد موقع بيت لحم افراتة في الشمال، في الجليل – جليل الأمم – داخل سبط زبولون (يشوع 19: 15) بشكل دقيق، كما رأينا سابقاً. ومن الثابت والمؤكد، أنه لم يكن هناك على الاطلاق غير بيت لحم الجليل هذه، في سائر اراضي الاسباط. والدليل على ذلك هو ان الآية التي تذكر بيت لحم الأخرى في الجنوب – في اليهودية – وهي الآية 59 من الفصل الخامس عشر من يشوع، هي وحدها آية زائدة مضافة في النص اليوناني (285-246 ق.م.)، ولا وجود لها في النص العبري الاصلي الأول! أجل! عجيب غريب أمر هذه الآية، هي وحدها مضافة الى النص الأصلي، لأنها تحوي اسم بيت لحم يهوذا؟ والحقيقة أنها أي بيت لحم يهوذا لم تكن موجودة عندما وضع النصّ الأصليّ لكتاب يشوع. (راجع فيما يخص هذه الآية المضافة وحدها الى النص: النسخة الجديدة، سفر يشوع 15: 59، والحاشيتين 5 و8، ص 447). وكما في سفر التكوين هكذا في سفر يشوع: هناك في الجليل مدينة تدعى بيت لحم افراتة، بقربها اقام يعقوب قبراً لامرأته راحيل. وهذه المدينة «بيت لحم افراتة» هي الوحيدة بهذا الاسم في كل اراضي الاسباط. وكان هذا المثلث: «أفراتة، بيت لحم وقبر راحيل» متلازماً دوماً من حيث تحديد الموقع الجغرافي، بكل دقّة ووضوح: قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم. وظل الأمر هكذا في سفر القضاة (12: 8-10)، وسفر راعوت (4: 11.(

اما في سفر صموئيل الأول (10: 1-2)، فنقرأ ما يلي: «فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبّ على رأسه (رأس شاول) وقبّله وقال له: اما أنّ الربّ قد مسحك قائداً على ميراثه؟ فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح...»؟ تعلّق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: «لا يُعرف معنى هذه الكلمة («صلصح»). وأما «الحدود»، فهي الحدود بين بنيامين وافرائيم، من حيث اتى شاول. كما ورد في إرميا (31: 15)، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت لحم حيث يُرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19)...» (راجع النسخة الجديدةن سفر صموئيل الأول 10: 1-2، والحاشية رقم 1، ص 538.(

إن تحديد موقع قبر راحيل «في حدود بنيامين»، كما جاء في النص، يواجه احتمالين اثنين. فإما ان يكون في حدود سبط بنيامين وسبط افرائيم، كما يقول التقليد اليهودي، واما ان يكون في حدود «مدينة» بنيامين القريبة من افراتة بيت لحم (والمندثرة اليوم). والحقيقة، برأينا، هي في الاحتمال الثاني. والبراهين التاريخية والجغرافية في ما يلي. لقد رأينا ان النصوص الأصلية الأولى تحدد موقع قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم، وذلك اكثر من مرة، وبشكل واضح ودقيق: «وماتت راحيل ودفنت في طريق افراتة وهي بيت لحم» (سفر التكوين 35: 19). وفي مكان آخر نقرا ايضاً: «وأمّا أنا (يقول يعقوب اب الاسباط) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في ارض كنعان، في الطريق، على مسافة من افراتة، فدفنتها هناك في طريق افراتة وهي بيت لحم...» (التكوين 48: 7). ويشوع بدوره يحدّد موقع بيت لحم في أرض زبولون أي في الجليل عند سفوح الكرمل الجنوبيّة الشرقية، ولا يذكر أي بيت لحم اخرى. فإذا كان قبر راحيل ملازماً دوماً لأفراتة بيت لحم (بالقرب من افراتة، في طريق افراتة)، واذا كانت افراتة بيت لحم في زبولون، في الجليل، فكيف يمكن ان يكون قبر راحيل في حدود سبط بنيامين، هذه الحدود البعيدة حوالي 10 كلم شمالي اورشليم؟ ولنفرض – على سبيل الافتراض المحض – أن قبر راحيل هو عند حدود سبط بنيامين، على بعد حوالي 10 كلم شمالي اورشليم، فهل يوجد هناك بيت لحم، يا ترى؟ كلا، وهذه حقيقة جغرافية حسيّة. لم يوجد على الاطلاق أي شيء باسم بيت لحم في الشمال القريب من أورشليم. هناك في تاريخ فلسطين محلّتان باسم بيت لحم: الاولى أفراتة بيت لحم المدينة الكنعانية القديمة في الجليل، والثانية قرية بيت لحم يهوذا وهي قرية حديثة العهد جداً بالنسبة الى السابقة، أنشئت في اواخر القرن الرابع او اوائل الثالث ق.م. وهي تبعد حوالي 12 كلم الى الجنوب من اورشليم، الى الجنوب وليس الى الشمال! والغريب حقاً، ان كتبة ما بعد الجلاء، في سعيهم الى تفخيم وتعظيم المثلث اليهودي القومي المعروف: داود، اورشليم، سبط يهوذا، قد أوقعوا انفسهم وأوقعوا الكثيرين من بعدهم في مغالطات تاريخية وجغرافية فاضحة... كان قبر راحيل، كما هو واضح في نصوص التكوين، قرب افراتة بيت لحم.

فجعلوه اولاً في حدود بنيامين على بعد 10 كلم الى الشمال من اورشليم. والعجيب حقاً، انهم عادوا وجعلوه من جديد، في فترة لاحقة، الى الجنوب من اورشليم، قرب قرية بيت لحم يهوذا، الحديثة العهد، والتي تبعد حوالي 12 كيلومتر الى الجنوب من اورشليم. وهكذا الى اليوم هناك تقليدان وقبران اثنان لراحيل! الاول شمالي أورشليم والثاني جنوب اورشليم!؟ (راجع النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول 10: 1-2 والحاشية رقم 1، ص 538، وسفر إرميا 31: 15 والحاشية رقم 4، ص 1698). مع أن قبرها الحقيقي هو في الجليل، بالقرب من افراتة بيت لحم كما جاء في نصوص سفر التكوين، وكما كرّرنا ذلك اكثر من مرة، فاذا كان قبرها في الشمال القريب من اورشليم، فأين بيت لحم هناك؟ واذا كان في الجنوب القريب من اورشليم، فكيف يكون ذلك ممكناً ومعقولاً وراحيل ماتت قبل بناء بيت لحم يهوذا باكثر من الف سنة، على الأقل...؟! ان وجود قبر راحيل، كما يُرى اليوم، على بعد حوالي الميل الى الشمال من بيت لحم يهوذا، يناقض تماماً كل النصوص الكتابية وأبسط الحقائق التاريخية والجغرافيّة. مع ان البعض يظن ان هذا القبر هو قبر أرخيلاوس ابن هيرودس الكبير الخ... (راجع كتاب «بيت لحم» (اليهودية) للمؤرخة وعالمة الآثار الايطالية ماريّا تيريزا بتروتزّي – النسخة المصحّحة والمنقّحة 1985، ص 147-150، في باب: قبر راحيل). أما ترجمة «توراة اورشليم»، النسخة الفرنسية، فقد جاءت اكثر وضوحاً من غيرها، فيما يتعلّق بقبر راحيل بالذات. فهي في تعليقها على نص صموئيل الذي نحن في صدده: «فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح...»، تقول معلّقة، بالحرف الواحد:

“Ici un mot inexplicable en hébreu – La “frontière” est celle entre Benjamin et Ephraïm, d’où vient Saul. C’est, comme Jérémie 31: 15, la tradition ancienne sur le tombeau de Rachel, qui a été ensuite placé près de Bethléem, où on le montre encore, cf. La glose de Genèse 35: 19”. (Bible de jérusalem, 1 Samuel 10:2, Note k,p. 287).

والمترجم هكذا: «هنا كلمة (صلصح) بالعبرية لا يعرف معناها. «الحدود» هي بين بنيامين وأفرائيم، من حيث جاء شاول. إنه، كما في إرميا 31: 15، التقليد القديم عن قبر راحيل، الذى حدّد موقعه فيما بعد قرب بيت لحم (اليهودية) حيث يظهر الى اليوم – راجع تكوين 35: 19 «توراة اورشليم»، صموئيل الاول 10: 2، الحاشية ك، ص 287!(

إن الذي أوقع البعض في الالتباس، حول تحديد موقع قبر راحيل – وبالتالي موقع بيت لحم الحقيقية – والذي قادهم حتى الى التناقض، هو ذلك الربط، غير المبني على الوقائع التاريخية والجغرافية، بين قبر راحيل من جهة، ومدينة الرامة، شمالي اورشليم، من جهة ثانية. بدأ الالتباس في تفسير كلام النبي إرميا: «صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها لأنهم زالوا عن الوجود» (سفر إرميا 31: 15 – راجع ايضاً 40: 1). قال إرميا هذا الكلام عند جلاء سكان اورشليم ويهوذا الى بابل... ويقول الكتاب في هذا الموضوع: الكلمة التي كانت الى إرميا من لدن الربّ، بعد ان اطلقه نبوزرادان، رئيس الحرس من الرامة (شمال اورشليم)، حين كان قد أخذه مكبّلاً بالقيود بين جميع مجلوّي اورشليم ويهوذا الذين جلوا الى بابل... (سفر إرميا 40: 1). فالنسخة الجديدة تعلّق على هذا النص فتقول: «لا شك ان مجموعة الروايات عن مصير إرميا لا تخلو من الغموض... فبعد ان نجا في أورشليم (39: 14)، يقال هنا إنه كان في صفوف الاسرى في الرامة...»؟! (النسخة الجديدة، سفر إرميا 40: 1، الحاشية رقم 1، ص 1712-1713). لقد تحدث إرميا عن حزن راحيل أم بني اسرائيل الشمال، وكيف أنها صارت تبكي على أولادها المجلوّين الى بابل... وهكذا فان سبب بكاء ونحيب راحيل هو ذهاب اولادها في الشمال الى الجلاء. غير أنه لا إرميا ولا غيره، ولا نص في الكتاب على الاطلاق يلمح ولو تلميحاً الى ان قبر راحيل هو في الرامة، ولا في أي «رامة» كانت، لأن هناك 5 مدن او قرى بهذا الاسم كما سنرى لاحقاً. بل على العكس، كل النصوص الكتابية القديمة، كما رأينا، تجعل قبر راحيل بالقرب من أفراتة بيت لحم، ولا تلمح الى أي علاقة بين قبر راحيل والرامة. كل ما في الأمر ان هناك مدينة باسم الرامة في شمال اورشليم، وبأن إرميا كان فيها عندما تحدث عن بكاء راحيل، وبأن

هذه هي أم بني اسرائيل الشمال الذين جلوا الى بابل. وهكذا ربط التقليد الشعبي اليهودي بين الرامة القريبة من أورشليم – ولأنها قريبة من أورشليم بالذات – وبين قبر راحيل، مع انه ليس هناك على الاطلاق أي علاقة موضوعية، تاريخية وجغرافية، بين قبر راحيل والرامة. ثم ربط بين بيت لحم اليهودية وبين قبر راحيل، وهذا تناقض فاضح، كما هي الحال في يومنا هذا. ومعروف ان هناك 5 مدن أو قرى باسم الرامة في الجليل وفلسطين، واثنتان منها قريبتان من أفراتة بيت لحم، وبالتالي من قبر راحيل الحقيقي الأصلي الأول... (راجع الخرائط القديمة للجليل وفلسطين!(

-الرامة. لفظة كنعانية أصلاً من جذر «روم» وتعني العالية والمرتفعة. وهكذا في الآرامية والعبريّة. وكان هناك في العهد القديم خمس مدن او قرى في فلسطين والجليل بهذا الاسم:

-1-قرية مبنية على هضبة عالية (من هنا الاسم) في سبط بنيامين على بعد خمسة أميال شمال اورشليم على طريق بيت إيل. كانت مدينة محصّنة على عهد الملكيّة. يقول التقليد – وهذا غير مؤكد – إن اليهود اجتمعوا فيها، ومنها رحلوا الى السبي البابلي. ويقول التقليد ايضاً ان قبر راحيل كان بقربها. ويتحدث إرميا عن «صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها، لأنهم زالوا عن الوجود...» (إرميا 31: 15). ومكانها اليوم «الرام.«

-2-مدينة ولد فيها صموئيل وأقام بها (سفر صموئيل الاول 7: 17). وفيها مسح شاول ملكاً. تقع بين يافا واللّد. مدينة يوسف الرامي الذي أخذ جسد المسيح ودفنه في قبره. وربما كانت هي رام الله الحالية.

-3-مدينة على حدود سبط أشير (يشوع 19: 29) ويظن ان مكانها اليوم الرامة على مسافة ثلاثة عشر ميلاً جنوب مدينة صور، وهي قريبة بالتالي من أفراتة بيت لحم وقبر راحيل، الى الشمال.

-4-مدينة مسَوّرة في سبط نفتالي (يشوع 19: 36) وهي اليوم الرامة على مسافة خمسة أميال جنوبي غربي صفد. وهي ايضاً قريبة من افراتة بيت لحم وقبر راحيل، الى الشمال الشرقي.

-5-قرية في سبط شمعون في جنوبي فلسطين (يشوع 19: 8). وتسمّى ايضاً راموت الجنوب وبعلة بئر. مع العلم ايضاً ان راموت جلعاد، في عبر الاردن، كانت تسمّى الرامة (2ملوك 8: 28.(

خلاصة القول، وضع التقليد اليهودي الحديث قبر راحيل أولاً في الشمال القريب من أورشليم في حدود بنيامين وذلك اثناء الجلاء الى بابل، رابطاً مدينة الرامة في شمالي اورشليم مكان تجمع المنفيين المسَوّقين الى الجلاء، براحيل (وقبرها) لأنها ام بني اسرائيل الشمال هؤلاء المنفيين الى بابل. من هنا جاء قول إرميا: «صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها لأنهم زالوا عن الوجود...» (إرميا 31: 15). بقي هذا التقليد اليهودي حول قبر راحيل حتى بناء بيت لحم اليهودية في اواخر القرن الرابع او أوائل القرن الثالث ق.م. وبعد بنائها، استقر التقليد اليهودي من جديد على كون بيت لحم هي الموقع التقليدي الاصيل لقبر راحيل، بناء على النصوص الكتابية القديمة والصريحة. فبعد ان كان قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم المدينة الكنعانية في الجليل طوال اكثر من الف سنة، جعله اليهود بالقرب من بيت لحم يهوذا الحديثة العهد. ثم طمسوا كل ذكر لبيت لحم الحقيقية الاصلية الاولى. وعنهم أخذ المسيحيون وغيرهم فنسي العالم بيت لحم الحقيقية الاولى، التي نحاول نحن هنا ان نقيمها من نومها الطويل!...

وفي بداية المسيحيّة، تأثر كتبة العهد الجديد، ومن بعدهم التقليد المسيحي بالتقليد اليهودي الذي كان سائداً عند الميلاد، والذي يربط بيت لحم يهوذا بقبر راحيل... فقد جاء في انجيل متى، في موضوع استشهاد اطفال بيت لحم ما يلي: «فلما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع اراضيها، من ابن سنتين فما دون ذلك، بحسب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتم ما قال الرب على لسان النبي إرميا: صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى لأنهم زالوا عن الوجود...» (متى 2: 16-18). وتعلّق النسخة الجديدة على نصّ متى هذا فتقول: «ترجمة بتصرّف لنصّ إرميا العبري (31: 15)، مع بعض الاقتباسات من النص اليوناني (الحديث: 285-246 ق.م.). راحيل، أم

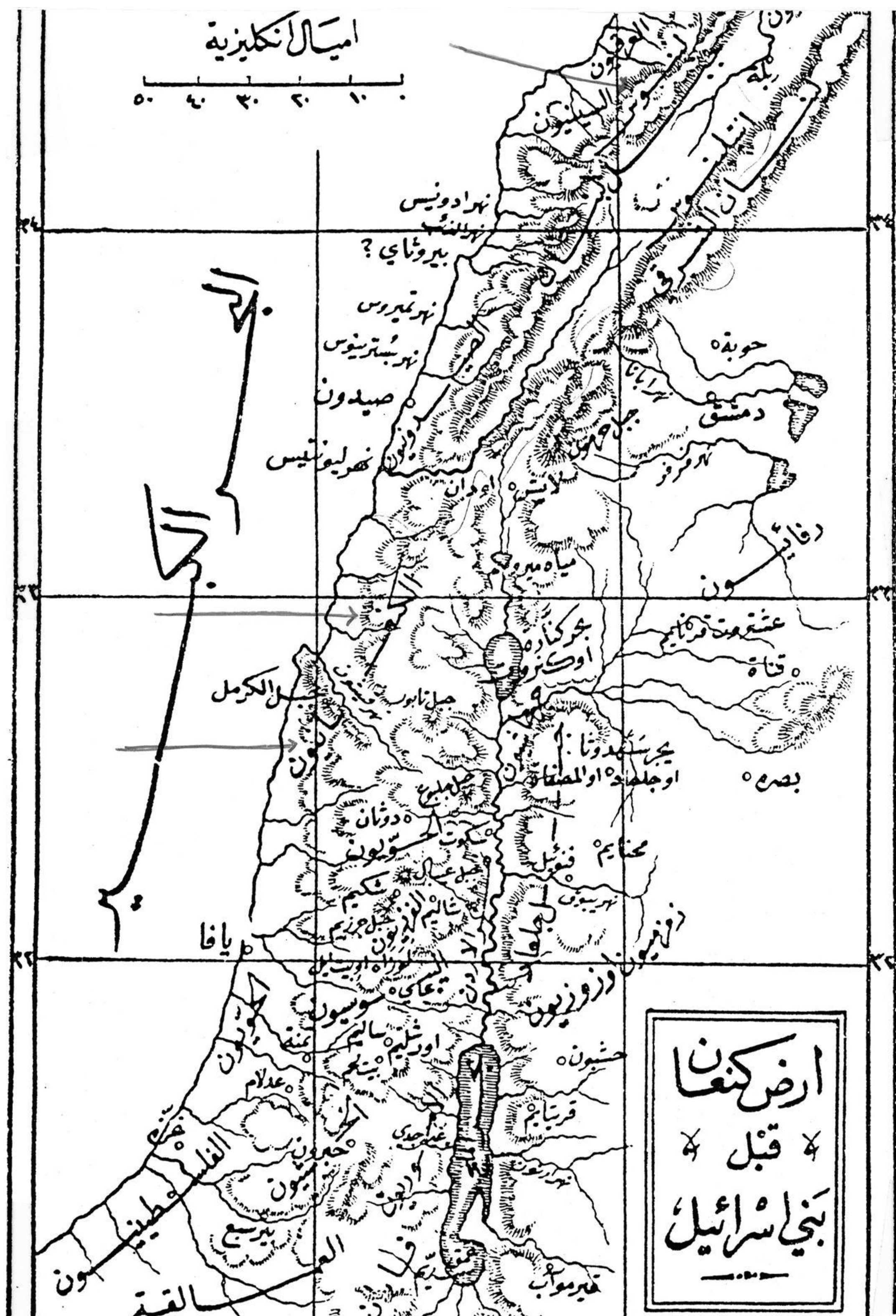
بني اسرائيل الشمال، تبكي على بنيها المجلوّين .وبيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل .والرامة هي مكان تجمّع المنفيّين المسوّقين الى الجلاء (إرميا 40: 1)». هناك امور محدّدة في تعليق النسخة الجديدة يهمنا ان نركّز عليها لأنها تدعم بشكل مباشر ما نذهب نحن اليه في الموضوع الذي نحن في صدده. اولاً تعترف النسخة بوجود تصرّف ظاهر في ترجمة نصّ إرميا العبري...

ثانياً هناك ايضاً بعض الاقتباسات من النص اليوناني الحديث الذي يحوي هو بدوره تغييرات وإضافات لاحقة...

ثالثاً راحيل هي فعلاً ام بني اسرائيل الشمال – وليس بني اسرائيل الجنوب كي يجعلوا قبرها فيما بعد في الجنوب في بيت لحم اليهودية جنوب اورشليم! وبالتالي فان جعل قبر راحيل قرب بيت لحم الجنوب هو تزوير فاضح جداً من النواحي التاريخية والجغرافية... إن قبر راحيل، مرّة اخرى، هو قرب أفراتة بيت لحم، كما تقول نصوص التكوين، وقد حددت جغرافية يشوع موقعها بالضبط: في أرض كنعان، في الجليل، والتي اصبحت فيما بعد تابعة لسبط زبولون. وزبولون كما هو معروف كان في الجليل، في السفوح الشرقية لجبل الكرمل...

رابعاً بيت لحم، وليس الرامة، هي الموقع التقليدي لقبر راحيل، وهذا ما يتطابق فعلاً مع النصوص الكتابية الاصلية، بعيداً عن التحويرات والتغييرات والاضافات اللاحقة. غير أن بيت لحم، الموقع التقليدي لقبر راحيل، هي بيت لحم افراتة التي كانت قائمة في الشمال أيام راحيل، وليس بيت لحم الجنوب التي قامت بعد موت راحيل باكثر من الف سنة! وهنا ايضاً التزوير فاضح من النواحي التاريخيّة والجغرافية. ومن الصعب جداً تغطية التزوير الى الابد، مهما كانت الاسباب...

خامساً الرامة هي اذاً مكان تجمع المنفيين، وليس الموقع الحقيقي لقبر راحيل. والرامة هذه هي المدينة القريبة من أورشليم، الى الشمال. ومن المتعذر تماماً ان تحوي قبر راحيل، لأن قبر راحيل ملازم دوماً لبيت لحم أفراتة، وليس هناك بيت لحم افراتة في شمال اورشليم. انها لحقيقة جغرافية ظاهرة حسيّة وملموسة (راجع جميع خرائط فلسطين القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، وبكل اللغات!(...



لاحظ موقع «لبنوس»= لبنان القديم (السهم الاعلى). لاحظ ايضاً وجود الكنعانيّين في منطقة الكرمل كلها، شمالاً، جنوباً وشرقاً (السهمان الاوسط والأسفل) («قاموس الكتاب المقدس» – مجمع الكنائس في الشرق الادنى، بيروت لبنان 1971.(

عن كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتّي 1982.

لاحظ حدود «أرض كنعان»: من أوغاريت شمالاً الى غزّة جنوباً. يذكر ان أوغاريت (أو رأس شمرا اليوم) الحاضرة الكنعانية العظيمة، هي أرض الملاحم الكنعانية الشهيرة: «ملاحم البعل وعناة»، «ملحمة دانيل وإقهات»، «ملحمة الرفائيم» او الاشباح، الخ...



أول خريطة علمية للأراضي المقدسة وضعها بطليموس عام 150 للميلاد. طبعت في البندقية عام 1590. السهم الأعلى يدل على الفردوس محل اهدن. والسهم الاسفل يدل على بيت لحم الشمالية في الجليل.

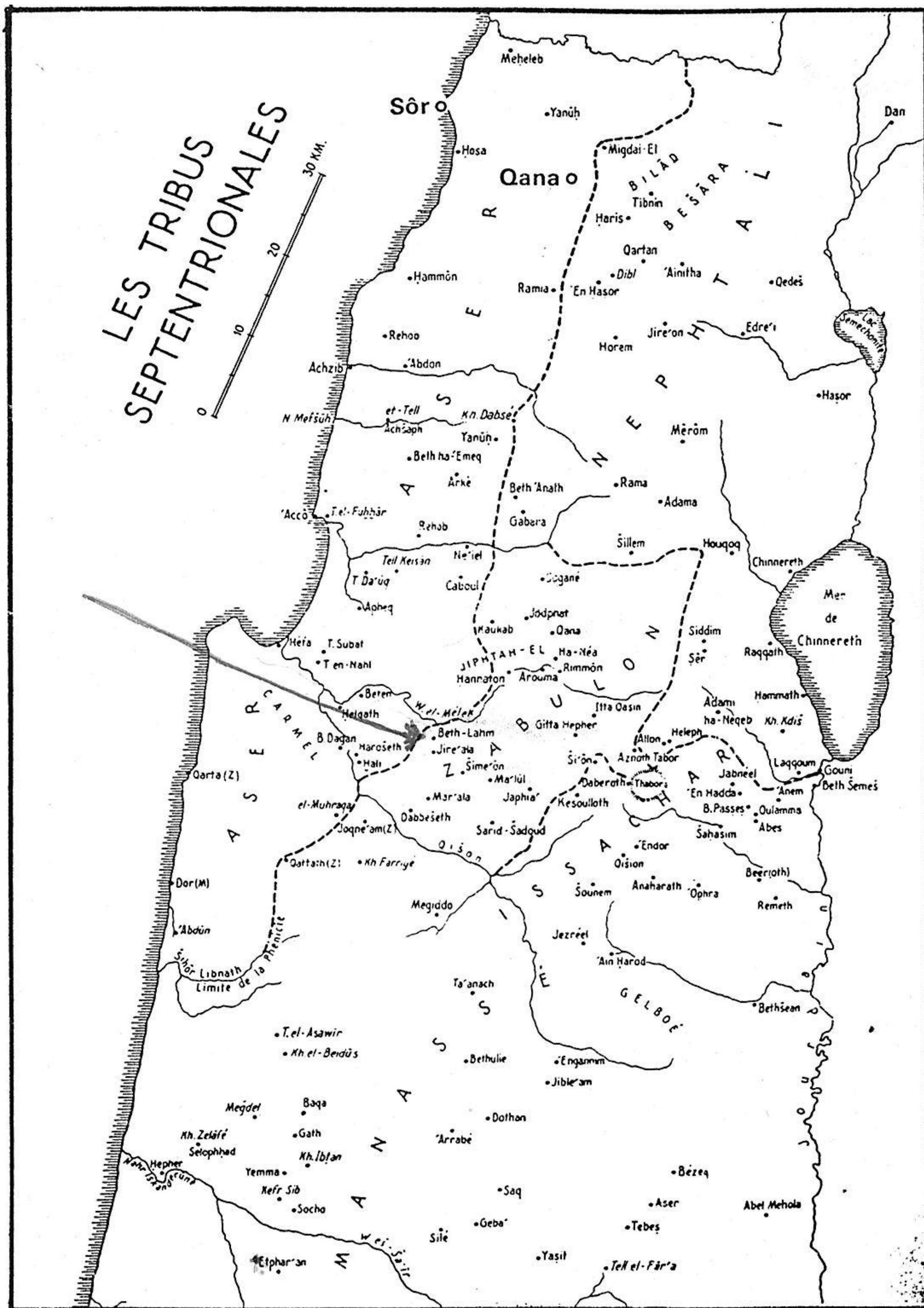


في وسط الخريطة، عند رأس السهم الأعلى، تظهر بوضوح تام بيت لحم الشمالية في الجليل. في اسفل الخريطة، عند رأس السهم الاسفل، تظهر بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم. لاحظ المسافة الشاسعة التي تفصل بين المدينتين... خاصة مشياً على الاقدام. (نشرها غريمس في»أطلس العالم»، أنديكسد، إنكلترا، سنة 1899.(



خريطة مفصّلة تظهر القرى حتى الصغيرة والمنسيّة منها، وبالاسماء الاصلية، في قسم من الجليل – «جليل الأمم»، وذلك من شمالي مدينة صور حتى مدينة الناصرة. وعند راس السهم، تظهر بوضوح كلي، وبالقرب من الناصرة، «بيت لحم» الاولى والاصلية، الشمالية الجليلية، حيث، في الحقيقة، ولد السيد المسيح في مغارة بالقرب منها، الى الغرب.

)نشرها المستشرق م.ب. رونكاليا في كتابه «قانا – جنوب لبنان – دليل تاريخي» بيروت لبنان 1995.(



أسباط اسرائيل الشمالية. وتظهر بوضوح تام، عند رأس السهم، بيت لحم الشمال في جليل الأمم، في أرض سبط زبولون. وهي قريبة من السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. لاحظ ايضاً عدم وجود الناصرة.)نشرها م.ب. رونكاليا في كتابه «قانا – دليل تاريخي»، بيروت لبنان 1995(.

خريطة اسباط الشمال: منسّى، عسّاكر، زبولون، نفتالي وأشير.

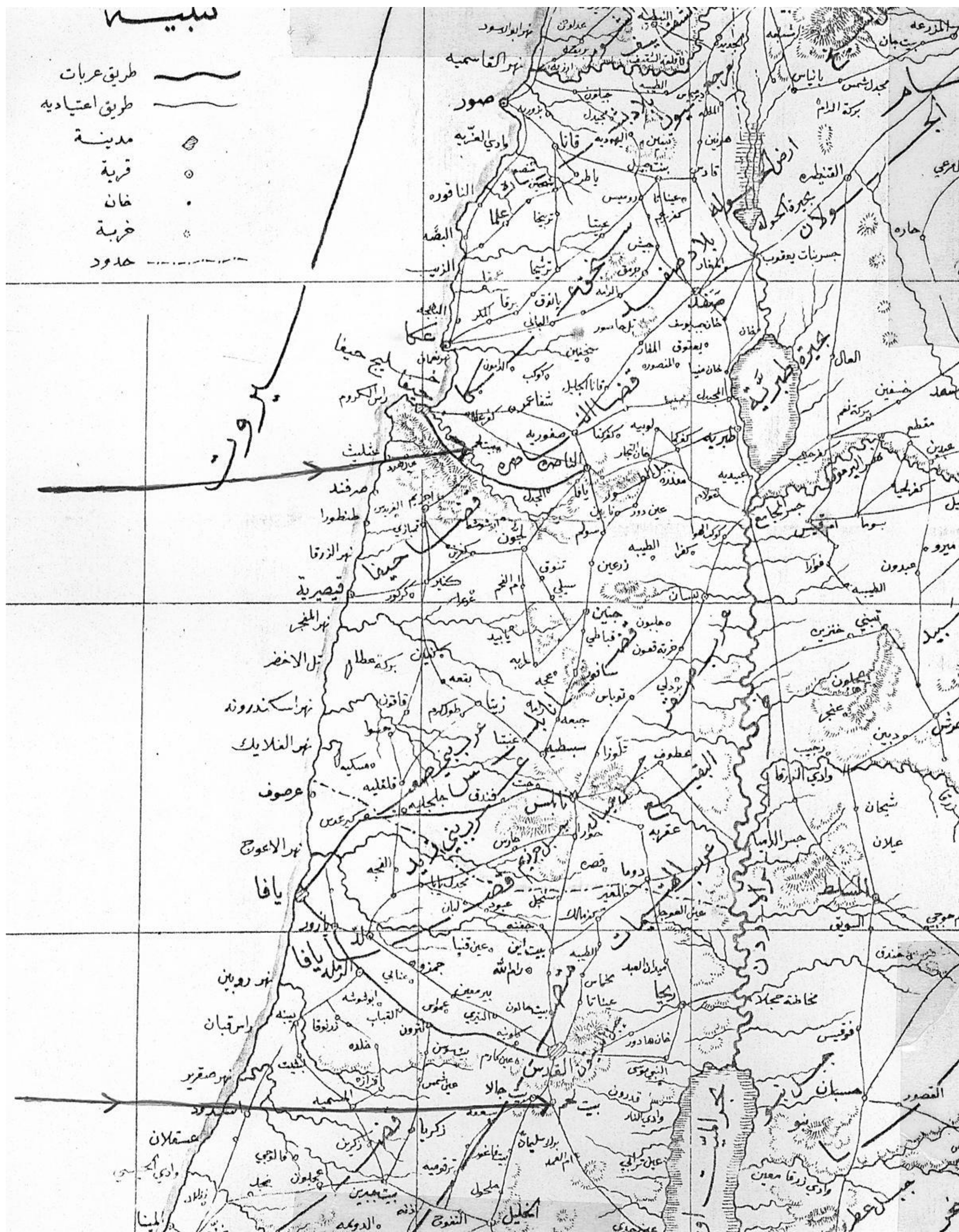
لاحظ أولاً قانا الجليل اللبنانية، وهي تظهر بوضوح تام الى الجنوب الشرقي من مدينة صور (السهم الأعلى). لاحظ ثانياً منطقة وادي «يفتحئيل» التي في امتدادها الجنوبي تقع مدينة بيت لحم اللبنانية (السهم الوسط). لاحظ ثالثاً وخاصة مدينة بيت لحم اللبنانية بالذات، وهي تقع، كما اثبتنا في هذه الدراسَة، في سبط زبولون، قريباً من حدود سبط أشير. وهي، كما يظهر بوضوح في الخريطة، غير بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي تقع في جنوب فلسطين قرب مدينة اورشليم. (بيت لحم اللبنانية: عند راس السهم الاسفل). لاحظ ايضاً عدم وجود الناصرة...

(نشرها المستشرق م.ب. رونكاليا في كتابه «قانا جنوب لبنان – دليل تاريخي»، بيروت لبنان، 1995.)

أرض كنعان عند توزيعها الى أسباط اسرائيل الاثني عشر، حوالي سنة 1200 ق.م.
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه، في كتابه أطلس الاراضي المقدسة، نيويورك 1962)
لاحظ موقع سبط زبولون (حيث بيت لحم الشمال) وهو يقع بين سبط عسّاكر وسبط أشير



خريطة الاراضي التي كان يحكمها الملك هيرودوس الكبير (37-4ق.م.) يلاحظ بوضوح تام ان جبل الكرمل وجميع سفوحه كانت تقع، في هذه الفترة، داخل أراضي فينيقيا!
)نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه «أطلس الاراضي المقدسة»، نيويورك 1962.(



خريطة «سوريّا أو برّ الشام» نشرها المطران يوسف الدبس 1895 في كتابه «تاريخ سوريا». لاحظ «بيت لحم اللبنانية» عند رأس السهم الأعلى، وبيت لحم اليهودية عند رأس السهم الأسفل، والمسافة الشاسعة بينهما. كما يظهر الى أي مناطق كانت تمتد ولاية بيروت في العهد العثماني كانت تضم، بالاضافة الى جنوب لبنان: بلاد صفد، سنجق عكا، قضاء الناصرة وقضاء حيفا (في شمال فلسطين.(



صورة لمدينة اورشليم في ايامنا هذه. كانت في الأصل وطوال آلاف من السنين مدينة كنعانية، وذلك باجماع المؤرخين، وفي جميع الخرائط القديمة، وفي نصوص الكتاب المقدس نفسه مرات عديدة). كانت تدعى اولاً: آريئيل أي تلة ايل الإله الكنعاني الشهير (وهي لفظة كنعانية صرف). ثم دعيت بيت شاليم او أورشاليم أي مدينة شاليم وشاليم هو ابن ايل، وذلك ايام ملكيصادق كاهنها الأكبر وملكها، وايام ابراهيم. ثم دعيت يبّوس باسم اليبورسيّين وهي قبيلة كنعانية، وذلك منذ دخول العبران ارض كنعان حتى ايام الملك داود الذي احتلها، فسمّيت عندئذ صهيون ومدينة الملك داود.. ثم سمّيت إيلياء، مدينة ايل، في العهد الرواني. ومنذ الفتح العربي سمّيت القدس...

الفصل الثاني

أقارب يسوع

»فقال أناس من أورشليم: أليسَ هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى هل تبيّن للرؤسَاء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو!«...

(إنجيل يوحنا 7: 25-27)

أقارب يسوع

قبل الحديث عن ميلاد يسوع والموقع الحقيقيّ لولادته، لا بدّ من الكلام عن أهله وأقاربه وأنسبائه. فهؤلاء جميعاً عاشوا وماتوا في الجليل: في «جليل الأمم». ويسوع المسيح هو، مثلهم، «جليليّ»، بكل ما في الكلمة من معنى ومدلول وأبعاد. هذه حقائق تاريخية واضحة كالشمس ولكنها قاطعة كحدّ السيف. ويترتّب عليها نتائج بالغة الاهمية والخطورة، اللّهم إذا وضعت في إطارها الجغرافيّ الحقيقيّ الدقيق، ودُرست بموضوعية تاريخية مجرّدة بعيداً عن السطحية والاستنتاجات الظاهرية السريعة... أو عن الأفكار المسبقة!

التقاليد وكتب التاريخ والأناجيل نفسها، تجمع كلها، وبشكل قاطع، على أن يسوع المسيح عاش وأقام وتجوّل وبشّر في الجليل: «جليل الأمم»، حتى انه لقّب «بالجليليّ»... (راجع مثلاً: متى 4: 12-17 نقلاً عن اشعيا 8: 23، 9: 1؛ مرقس 1: 14-15؛ لوقا: 4: 14-15؛ وغيرها كثير...). غير أن القارئ العادي للأناجيل، ولو ظهر ذلك غريباً للغاية، لا يتوقّف كثيراً عند هذه العبارة: الجليل أو جليل «الأمم»!؟ فاذا قيل عن يسوع المسيح انه «جليليّ»، ومن جليل «الأمم»، فهذا يعني بالتالي، حتماً، أن يسوع المسيح كان يعتبر غريباً من قبل اليهود وبلاد اليهودية!... والانجيل نفسه يقول: «... واما المسيح فلا يعرف حين يأتي من أين هو...» (يوحنا 7: 27 -والملفت حقاً أن النسخة الكاثوليكية الجديدة-اليسوعية- للانجيل، توضح فتقول بالحرف الواحد، صفحة 311، الحاشية رقم 7، ما يلي: نجد هنا، في موضوع أصل يسوع ومكان ولادته، صدى مجادلات استمرت بين اليهود والمسيحيين طوال القرون الثلاثة الاولى...)!!! فمن البديهي والضروري في آن، أن نجيب على السؤال التالي، بموضوعية مجرّدة، ومن النواحي التاريخية والجغرافية: لماذا الجليليّون هم «أمميّون»، ولماذا سكن الامميّون منطقة الجليل؟

للاجابة على هذا السؤال، ننطلق من الكتاب المقدّس عينه -العهد القديم. جاء في سَفر المكابيّين الاول 5: 14-23، ما يلي:

...»وبينما هم يقرأون الكتاب، إذا برسل آخرين قد وفدوا من الجليل وثيابهم ممزّقة، وأخبروا بمثل ذلك قائلين: قد اجتمعوا علينا من بطلمايس (عكا) وصور وصيدا وكل «جليل الأمم» ليبيدونا... فلما سمع يهوذا المكابي والشعب هذا الكلام، عقدوا مجمعاً كبيراً وتشاوروا فيما يصنعون لاخوتهم الذين يعانون الشدّة وهجمات الأعداء («الأمم»). فقال يهوذا لسمعان أخيه: إخترلك رجالاً وامضِ وأنقذ إخوتك الذين في الجليل... ومضى سمعان الى الجليل وشنَّ على «الأمم» حروباً كثيرة، فانسحقت «الأمم» أمام وجهه، فتتبّعها الى باب بطلمايس. فسقط من «الأمم» نحو ثلاثة الآف رجل وسلب غنائمهم. وأخذ الذين في الجليل وعربات من حديد، مع النساء والاولاد، وكل ما كان لهم، وجاء بهم الى اليهودية بسرور عظيم«...

في هذه الاحداث يظهر بوضوح الجو الذي كان سائداً في شمال فلسطين، وكيف كان اليهود في أورشليم وأرض اليهودية ينظرون الى الجليليّين: هؤلاء لم يكونوا بنظرهم «أمميّين» وحسب، اي شعوباً تنتمي الى عرق غريب وتعتنق ديانة غريبة، بل ايضاً كانوا أعداء لهم بكل معنى الكلمة. فخروج اليهود من الجليل الذي يشار اليه هنا، حصل في السَنة 164 قبل الميلاد. وفي نفس الفترة ايضاً، هبّ يهوذا المكابي الى نصرة اخوته اليهود الذين كانوا بين «الوثنيين» في شمالي فلسطين وفي شرقي الاردن، وعاد بهم الى أورشليم... ورغم ذلك، بقي في الجليل بعض الجاليات اليهودية الصغيرة التي كان يتزايد عدد افرادها يوماً بعد يوم، كما يظهر من سَفر المكابيين نفسَه ومن أقوال يوسيفوس المؤرخ وغيره من المؤرخين. غير أن الجليل بقي منطقة تسكنها «الأمم» -الوثنيون»- حتى السنة 103 قبل الميلاد. في هذه الاثناء بدأت سلالة الحَشمونيين (عائلة المكابيّين) مع يوحنا هرقانس (134-104) ابن سمعان المكابي. ثم خلفه ابنه ارسطوبولس (104-103) الذي لقّب نفسه ملكاً. وهكذا ترسّخ حكم الحشمونيّين وامتد الى شمال فلسطين، الى منطقة «جليل الأمم»، بعد حملات عسكرية. في هذا الوقت، وفي السنة 103 قبل الميلاد بالتحديد، حصل أمر بالغ الأهمية وذو نتائج خطيرة، مع انه ظل مكتوماً لأسباب مجهولة، رغم أنه يلقي أضواء قوية على احوال سكان الجليل، «جليل الأمم» في تلك الايام- وبالتالي على حقيقة أجداد

المسيح وأهله وأقاربه وأنسبائه...! وهذا الأمر البالغ الاهمية والخطورة بنظرنا، هو التالي: في السنة 103 قبل الميلاد، فرض الملك الحشموني ارسطوبولس، حفيد سمعان المكابي، فرض بالقوة الختان وشريعة موسى، على جميع سكان الجليل! أجل على جميع سكان الجليل... أي على «الأمم» ايضاً. ومن هؤلاء أجداد يسوع وأقاربه. إنها حقيقة تاريخية ثابتة لا تقبل الشك واللبس! (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرية»، ص 47(

ينتج عن كل ذلك، أن «الامم» الذين كانوا يسكنون في الجليل، والذي تسمّى الجليل باسمهم: «جليل الأمم»، والذين كان أجداد يسوع وأقاربه منهم، لم يكونوا يهوداً حقاً، حتى بعد إجبارهم بالقوة على الختان وعلى اتباع شريعة موسى... وبعبارة اخرى، فمنذ السَنة 103 قبل الميلاد، كان على «أمم الجليل» وأبنائهم وأحفادهم... أن يخضعوا للختان ويتّبعوا شريعة موسى. وزيادة في الإيضاح، نقول ان «أمم الجليل» هم في الحقيقة مزيج من شعوب وأمم شرقية تمازجت مع مرّ الايام وتوالي الفتوحات والغزوات والاسفار، وانصهرت أخيراً في بوتقة جنوبي ارض كنعان-فينيقية. ذلك لان ارض كنعان كانت منذ القديم أرض الانفتاح والتسامح والسلام، ارض التفاعل الحضاري والديني، حيث تتلاقى الشعوب والحضارات والديانات، فتتفاعل وتتناضج وتتكامل. «وأمم الجليل» التي نحن بصددها هي خلاصة وتجسيد لهذه التفاعلات الحضارية والدينية. وكان العنصر الكنعاني هو الغالب في هذه الخلاصة الانسانية، لانه الاقدم والاعمق والافعل. ولان الروح الكنعانية هي التي سعت دوماً الى إبراز «عالمية الإنسان...«

إن أجداد المسيح وأهله وأقاربه وأنسباءَهُ، هم جميعاً، دون استثناء، من «أمم الجليل» هذه. وكان عليهم وعلى ابنائهم وأحفادهم ان يرضخوا لقبول الختان اليهودي واتباع شريعة موسى؛ وعند بلوغهم السنّ الثانية عشرة، كانوا يقدمون عادة نوعاً من الامتحان الديني، امام «علماء المجمع»... حتى يقبلوا رسمياً كاتباع لشريعة موسى... وهذا ما فعله يسوع، برفقة والديه، يوسف ومريم، جرياً على العادة...! (راجع انجيل لوقا 2: 41-50.(

هناك نقوش كتابية مسمارية خاصة بِتِغْلاتْ- فلاسار الثالث (747-728) تروي فتح بلاد الجليل، وتسميِّها أرض «حماة». وقد ورد هذا الاسم ايضاً في العهد القديم. وهناك خطأ شائع حول تفسير هذه العبارة وتحديد موقع «حماة»،ويعتبرها على أنها المدينة المعروفة في سوريا اليوم. غير أنها في الواقع كانت العاصمة القديمة لبلاد الجليل. وفي الأصل عبارة «حماة» ترمز الى نبع ماء ساخن معروف يبعد بضع كيلومترات جنوبي مدينة طبريّا على الضفة الغربية لبحر الجليل (بحيرة طبريّا). وفي أسفار العهد القديم، وردت اكثر من مرّة عبارة «مدخل حماة» وتدلّ على منطقة في شمالي فلسطين تقع في وادي الهمّان قرب مدينة مجدلا حيث ولدت مريم المجدلية. وجاء في بعض النصوص ان ملك «حماة» الذي ارسل ابنه لزيارة الملك داود كان جليليّاً. كما أن المخازن والمستودعات العسكرية التي بناها الملك سليمان كانت تقع بجانب بحر الجليل. واللفظة الاصلية لكلمة «حماة» هي: «حمّاة» او «حمّوة»، من الاشورية: «حمّاتي» وتعني النبع «الساخن». وهناك إشارات تاريخية أخرى تقول إن «حماة» تقع في بلاد الجليل، وان جاليات آريّة واشورية وغيرها من الشرق أتت تباعاً وسكنت في الجليل، وخاصة بعد رجوع اليهود من الجلاء الى بابل. ووثائق سرجون الثاني تؤكد انه أجلى الى «حماة» في الجليل، زعيم الماديين مع قبيلته... (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرية»، الفصل الثالث، ص 74-79!(

من هذه الجاليات الشرقية التي استوطنت «جليل الأمم» كان هناك بعض الفروع من الجماعات الاسينية القديمة...، التي ما عتمت أن بدأت باتصالات متواترة مع مثيلاتها في أرض مصر. وكانت الجماعات الاسينية المصرية في أوج تطوّرها العلميّ والروحيّ، ممّا جعلها ترسل بعض المعلّمين والمرشدين والعناصر لتدعيم وتطوير الجماعات الاسينية في جبل الكرمل وضواحي بحر الجليل ومنطقة أَنْغادِي (قمران فيما بعد...). فالعديد من المحفوظات والوثائق التاريخية المصرية، وخاصة الاسينية منها، تشهد على هذه العلاقات المستمرة التي كانت قائمة بين الاسينيّين في مصر واخوتهم في «جليل الأمم»...، وخاصة في جبل الكرمل! (المرجع السابق، ص 49.(

ومن الثابت تاريخياً ان لهجة أهل الجليل، عند مجيء المسيح، كانت تختلف كثيراً عن لهجة أهل اليهودية. وكان سكان تلك المناطق يتكلّمون باكثر من لغة، وذلك نظراً الى تنوّع الأعراق والجاليات الاجنبية. كان هناك العبراني والكنعاني والآرامي والروماني واليوناني... وبشكل عام كانت العبرية لغة الاحبار والكهنة اليهود في طقوسهم الدينية، والآرامية لغة الشعب، واليونانية لغة المثقفين. وكان المسيح، على الارجح، يتقن أهم تلك اللغات. كان يتحدث بالعبرية في مجامع اليهود شارحاً أسفار العهد القديم، وباليونانية مع المثقفين، وبالرومانية مع الحكام الرومان وجاليتهم وجنودهم، وبالآرامية-السريانية القديمة- مع سائر فئات الشعب. ويستنتج ذلك بسهولة من نصوص عديدة في الأناجيل، وفي كتابات آباء الكنيسة الاولين، وفي الأناجيل المنحولة... (راجع خاصة انجيل مرقس 5: 41؛ 7: 34؛ 14: 36؛ الخ...). وبطرس، رئيس الرسل، الذي كان هو ايضاً من «جليل الأمم»، عرفه اليهود من لهجته أنه «جليلي» (متى 26: 69 و 73؛ راجع ايضاً مرقس 14: 70؛ لوقا 22: 59). ويظهر ان اليهود كانوا يعرفون بسهولة اللهجة الجليلية، لكون الجليليّ لا يميّز تماماً، في مخارج صوته، بين الاحرف الحلقية السامية...

كل ما سبق، وغيره كثير، يثبت بشكل قاطع، أن أقارب يسوع كانوا «أمميّين» من «جليل الأمم»، وأن لغتهم تختلف عن لغة اليهود في أورشليم وفي أرض اليهودية كلها، وأنهم كانوا من «الامم» الذين اقتبل اجدادهم بالقوة الديانة اليهودية... وشريعة موسى والختان. وانهم كانوا يعيشون ضمن الجماعات الروحية المختلفة المنتشرة في جليل الأمم- وأهم تلك الجماعات «الجماعة الاسينية»... في هذه البيئة التاريخية والجغرافية والمتفاعلة انسانياً وحضارياً ودينياً ولد ونشأ وكبر وعاش يسوع المسيح مخلّص العالم...

ومنذ بداية القرن السابع عشر كان هناك كتابات مسيحية تشير الى ان يسوع المسيح قد ولد في الجليل وليس في اليهودية .ففي رسالة بعثها البابا أوربانوس الثامن الى بطريرك الموارنة يوحنا مخلوف الإهدني (1608-1633) جاء ما يلي:

»الى نور الكنيسة الشرقية،

الى الاخ المحترم بطرس بطريرك إنطاكية على الموارنة،

...»إن محبّة السيد المسيح تدفعنا دائماً الى إظهار عنايتنا الخاصة ببلاد الجليل حيث ولد السيد المسيح القادر في تلك الارجاء التي اراد ان تدعى: وطن الربّ، الخ...» (راجع طوبيا أَلعْنَيْسِي العاقوري «البراءات البابويّة، رومة 1911، ص 139). وجاء مثل هذه الاقوال عن الجليل كمكان مولد السيد المسيح، عند العديد من البابوات والمؤرخين والكتبة المسيحيين وغيرهم...

وفي تعليقه على عرس قانا الجليل، يقول المؤرخ بيار-أنطوان برنهايم في دراسة تاريخية نقدية حديثة: «وبالاستناد الى مخطوطة انجيلية قديمة جداً تدعى «رسالة الرسل»، يظهر ان يسوع قد دعي وحده الى عرس قانا الجليل، لانه كان قد بدأ للتوّ رسالته التبشيرية في انحاء الجليل. ولم يدع تلاميذه الى العرس كما جاء في بعض المخطوطات الاخرى... وكانت أمه واخوته موجودين في قانا الجليل، وبالتالي فإنهم لم يدعوا الى العرس...»! («يعقوب أخو الرب»، ص 114). ويورد المؤلف أقوال يوحنا فم الذهب والقديس ابيفانيوس في تعليقهما على يوحنا 2: 1-2، واللذين يقولان نفس القول تقريباً. كما يورد أقوالاً قريبة من هذه على لسان المفسّر المعاصر روبير ت. فورتنا وغيره (راجع:

Robert T. Fortna "The Fourth Gospel and its Predecessors, Edim bourg, T et T Clark, 1989, pp. 49-61).

وفي موضع آخر من كتابه «يعقوب أخو الربّ»، يقول المؤلف: «وانطلاقاً من إنجيلي مرقص ويوحنا، وخاصة يوحنا الذي يوحي بأن المسيح ولد في الجليل وليس في بيت لحم اليهودية، يظهر أن نسّاخ متى قد حوّروا بعض الشيء نصوص العهد القديم الخاصة بمجيء المسيح، واختلقوا نبؤات قديمة غير موجودة (مثل: انه يدعى ناصرياً «كما جاء على لسان الانبياء...»؟) ليبرهنوا أن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية... كما انه من المتعذر تماماً ان تقوم مريم باسفار عديدة بين الناصرة في الجليل وأرشليم او بيت لحم يهوذا، بسبب المسافات الطويلة جداً...» (يعقوب أخو الرب»، ص 48-49). والملفت ان هذه النصوص جاءَت في دراسة تاريخية نقدية حديثة جداً (1996!(

أقارب يسوع وأنسباؤه في الأناجيل المقدّسة

يظهر جلياً في الأناجيل، وبشكل قاطع، أن أبوي يسوع، يوسف ومريم، وجميع اقاربه وانسبائه كانوا من الجليل. ولم يكونوا من أرض يهوذا. كانوا من الجليل حيث «بيت لحم جليل الأمم»، ولم يكونوا من اليهودية حيث «بيت لحم يهوذا»! المعروفة اليوم.

-أولاً - في إنجيل متى:

وضع متى في بداية إنجيله «نسب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم...»، ذاكراً اجداده وآباءه حتى «يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح...». (راجع متى 1: 1-17.)

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث متى عن اسرة يسوع الحقيقية (البشرية) فيقول:

»وبينما هو يكلّم الجموع، اذا أمّه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمك واخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلّموك. فقال للذي أخبره بذلك: من أمّي؟ ومن أخوتي؟ ثم اشار بيده الى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمّي واخوتي. لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمّي...»! (متى 12: 46-50؛ 13: 1-2.)

الثابت هنا أن يسوع عندما قال هذه الاقوال كان في الجليل، على ضفاف بحر الجليل (بحيرة طبريا) وفي كفرناحوم، كما تجمع التفسيرات والشروحات. والدليل ان النص نفسه يكمل هكذا: «وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت، وجلس بجانب البحر (بحيرة طبريا أو بحر الجليل). فازدحمت عليه جموع كثيرة، حتى إنه صعد الى سفينة وجلس فيها، والجمع كلّه قائم على الشاطئ» (متى 13: 1-2).اذاً ان ام يسوع واخوته (اي أقاربه الادنين) كانوا من الجليل، مثلما كان هو جليلياً. وفي الجليل توجد الناصرة، وبقرب الناصرة توجد «بيت لحم جليل الأمم...!«

وجاء ايضاً في إنجيل متى ما يلي:

»ولمّا أتمّ يسوع هذه الامثال ذهب من هناك (من كفرناحوم) وجاء الى وطنه (الناصرة)، وأخذ يعلم الناس في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من

اين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ أما هو ابن النجّار؟ اليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أوليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كل هذا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وبيته .ولم يكثر من المعجزات هناك لعدم ايمانهم...» (متى 13: 53-58.(

وهنا يتبيّن ايضاً، ولكن بشكل اكثر وضوحاً وتفصيلاً، ان أهل يسوع وجميع أقاربه وأنسبائه كانوا، مثله، من الجليل، حيث توجد «بيت لحم جليل الامم». ولم يكونوا، ولم يكن واحد منهم على الأقل، من أرض يهوذا، من جنوب فلسطين، حيث توجد «بيت لحم يهوذا». إنها لحقيقة ساطعة كالشمس، قاطعة كحدّ السيف! إن مريم أم يسوع (وأباه يوسف طبعاً) واخواته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا، وجميع اخواته هم من الجليل وليسوا من أرض يهوذا. وفي الجليل وبالقرب من الناصرة تقع «بيت لحم الحقيقية»، حيث ولد يسوع، وفي الجليل تربّى وعاش وبشّر. وبين الناصرة وبيت لحم الجليل القريبة منها جداً، من جهة، وبين بيت لحم يهوذا في أقاصي الجنوب، من جهة ثانية، مسافات طويلة، وجبال واودية وهضاب وسهول ومقاطعات وبلدان!...

-ثانياً - في إنجيل مرقس

وجاء في إنجيل مرقس ما يلي: «... وجاءَت أمّه وإخوته فوقفوا في خارج الدار، وأرسلوا إليه من يدعوه. وكان الجمع جالساً حوله، فقالوا له :إن أمك وإخوتك في خارج الدار يطلبونك .فأجابهم: من أمّي ومن إخوتي؟ ثم أجال طرفه في الجالسين حوله وقال: هؤلاء أمّي وإخوتي، لان من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمي. وعاد الى التعليم بجانب البحر (بحر الجليل أو بحيرة طبريّا)، فازدحم عليه جمع كثير جداً، حتى إنه صعد الى سفينة في البحر وجلس فيها، والجمع كلّه قائم في البرّ على ساحل البحر...» (مرقس 3: 31-35؛ 4: 1.(

وهنا في مرقس يتبيّن كما في متى، وبشكل واضح، ان يسوع كان يعلّم في الجليل، على ضفاف بحيرة طبريا، وان أمّه واخوته الذين جاؤوا يطلبونه كانوا مثله من الجليل حيث الناصرة وبيت لحم القريبة جداً منها،

ولم يكونوا بالتالي من أرض اليهودية حيث أورشليم وبيت لحم يهوذا في الجنوب... اي بيت لحم المعروفة اليوم.

وجاء ايضاً في إنجيل مرقس:

»وانصرف من هناك وجاء الى وطنه يتبعه تلاميذه. ولمّا أتى السبت أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، وقالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أما هو النجّار ابن مريم؟ أخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته .ولم يستطع أن يجري هناك شيئاً من المعجزات، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم. وكان يتعجّب من عدم إيمانهم. ثم سار في القرى المجاورة يعلّم...» (مرقس 6: 1-6).

مرّة أخرى، وبحسب إنجيل مرقس بالذات، يتضّح أن وطن يسوع هو ناصرة الجليل، وأن أهالي الناصرة يعتبرون يسوع وإخوته وأخواته مواطنين لهم من الجليل. وهناك دقة وتحديد في التفاصيل: «أليس هو النجّار ابن مريم؟ اليس إخوته يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟» انهم يعرفونه تمام المعرفة، وهو واحد منهم. ويعرفون أهله وأقاربه وأنسباءَهُ تمام المعرفة، وهم بينهم ومنهم. انهم جليليّون، وليسوا من أرض اليهودية...! إنهم من شمال فلسطين وليس من جنوبها حيث بيت لحم يهوذا...

-ثالثا ً- في إنجيل لوقا

يضع لوقا جدول نسب يسوع في بداية حياته العلنية. وكان متى قد وضعها في بداية انجيله. ويقول لوقا: «وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره. وكان الناس يحسبونه (لاحظ هنا جيداً عبارة «يحسبونه»...؟!) ابن يوسف بن عالي، بن... بن... بن... بن آدم، ابن الله» (راجع لوقا 3: 23-38)

يشار هنا الى أن لوقا يذكر آباء المسيح وأجداده بدءاً بيوسف وصولاً الى آدم. وذلك تأكيداً على طبيعة المسيح البشرية، على ارتباطه الحقيقي

بذرّية آدم الانسانية، وعلى أن خلاص المسيح يشمل جميع الناس، لا بل الكون كله. بينما متى يركز على الناحية الايمانية في الخلاص، فيبدأ بابراهيم أب المؤمنين، وصولاً الى «يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح.«...

وفي الفصل الثامن يقول لوقا الانجيليّ» «وجاءت اليه أمه واخوته، فلم يستطيعوا الوصول اليه لكثرة الزحام. فقيل له: إن أمك واخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يروك. فأجابهم: إن أمّي وإخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون به...» (لوقا 8: 19-21.(

واذا عرفنا ان هذه الاحداث التي يرويها لوقا هنا، حصلت حينما كان يسوع يعلم على ضفاف بحر الجليل، ظهر لنا بوضوح مرة أخرى، كما في متى ومرقس، أن أقارب يسوع وانسباءه هم جميعهم، مثله، من الجليل، حيث الناصرة «وبيت لحم جليل الامم»، وليسوا من جنوب فلسطين، من أرض اليهودية، حيث أورشليم «وبيت لحم يهوذا»... (راجع ايضاً: لوقا 4: 16-30.(

-رابعاً - في إنجيل يوحنا

وأخيراً، جاء في إنجيل يوحنا ما يلي:

...»فتذمّر اليهود عليه لانه قال: انا الخبز الذي نزل من السماء. وقالوا: اليس هذا يسوع ابن يوسف، ونحن نعرف أباه وأمّه؟ فكيف يقول الآن: إني نزلت من السماء؟...» (يوحنا 6: 41-42.(

هذه الاقوال قيلت والمسيح يبشّر على ضفاف بحر الجليل. ومرة اخرى، يتبين بوضوح تام، ان يسوع وأقاربه وأنسباءَهُ هم جميعاً من الجليل، كما جاء في أناجيل متى ومرقس ولوقا.

والملفت حقاً، أن جميع الاناجيل تؤكد بشكل قاطع، وهنا تتطابق مع جميع التواريخ الزمنية، ان يسوع وأهله (ابواه: يوسف ومريم) وأقاربه وأنسباءه جميعاً هم من الجليل وليسوا من اليهوديّة. هم من «جليل الأمم» وليسوا من أرض يهوذا. هم من «جليل الأمم» حيث «بيت لحم اللبنانية» منذ آلاف السنين اي بيت لحم الكنعانية كما جاء في سَفر يشوع (19: 14-16) والتي سميت، زمن الاسباط، بيت لحم زبولون، لانها

وقعت في أرض زبولون أو سبط زبولون بحسَب جغرافية يشوع في توزيع أراضي جنوب كنعان على أسباط إسرائيل الاثني عشر...

والملفت اكثر من ذلك، هو أنه لا ذكر على الاطلاق، لا من قريب، ولا من بعيد، ولا حتى اشارة ولو غامضة، عن وجود أحد من أقرباء يسوع أو أنسبائه في أرض اليهودية في الجنوب، حيث «بيت لحم يهوذا»...!؟ لا في حياته، ولا عند صلبه ودفنه، ولا بعد قيامته... والملفت أيضاً أنه عند دفن يسوع لم يوجد من أقربائه أحد يسعى لدفنه لا في بيت لحم اليهودية ولا في بلاد اليهودية كلها...؟ بل الذي دفنه في قبر جديد له هو يوسف الذي من الرامة (على بعد 35 كيلومتراً من أورشليم، الى الشمال الغربي منها). (راجع لوقا 23: 50-56)؟! وفي الواقع، وقبل ولادته، كان والدا يسوع، يوسف ومريم، وجميع اهله وأقربائه وأنسبائه في «جليل الأمم». وهنا يفرض السؤال نفسه فرضاً: ماذا كانوا يفعلون جميعهم في الجليل؟ الجواب في منتهى البساطة: لأنهم جميعاً من الجليل! اما القول بأن يوسف صعد من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، فقد كان من بيت داود وذريته... فهو قول يفتقر الى ابسط قواعد وحقائق التاريخ والجغرافية. إنها رواية شعبية تحاول، عبثاً، ربط يسوع، من خلال والديه، بذرية داود وهذا باطل كما شرحنا سابقاً. عدا عن كون السَفر بحد ذاته كما ترويه الاخبار الشعبية أمر متعذّر يناقض الواقع والمنطق الخ... وفي حال كون يوسف من بيت لحم الجنوبية في أرض يهوذا، لماذا لم يكن هناك وقت ولادة يسوع احد من الأهل والأقرباء والأنسباء؟ اين الاهل في بيت لحم نفسها لينزل عندهم؟ اين ضيافة الانسباء والاقرباء؟ الغريب حقاً هو أنه لا ذكر لاحد الاقارب او الانسباء وقت ولادة يسوع...!؟ ولا حتى بعد ولادته... كانوا جميعهم في جليل الامم. وقد تأكد اليوم، تاريخياً وجغرافياً وآركيولوجياً، أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام المسيح، فكيف «صعد يوسف من مدينة الناصرة الى اليهودية، الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، فقد كان من بيت داود وذريته»؟! (وسوف نتحدث عن الناصرة بالتفصيل... في فصل لاحق: الفصل السادس من هذا القسم.(

وفي حياة يسوع الخفية والعلنية وخلال تنقلاته ورحلاته وفي كل مراحل حياته، لا يرد أي ذكر لاحد اقربائه او انسبائه في بيت لحم اليهودية (ولا في اليهودية كلّها). ولم يكن له اي علاقة مع هذه القرية! وعند محاكمته وصلبه وموته ودفنه لا يرد أي ذكر لهذه القرية اليهودية، أو لأحد انسبائه فيها. والملفت حقاً هو أنه بعد موت يسوع لم يطلب أحد جسده ليدفنه، لا من بيت لحم اليهودية ولا من تلك المنطقة كلها! اين أهله هناك؟ وأين أقاربه وأنسباؤه؟ واين اصدقاؤه ومعارفه؟ بل «جاء عند المساء رجل غنيّ من الرامة اسمه يوسف، وكان هو ايضاً تتلمذ ليسوع. فذهب الى بيلاطس وطلب جثمان يسوع. فأمر بيلاطس بأن يسلّم اليه. فأخذ يوسف الجثمان ولفّه في كتّان خالص، ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر، ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف. وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر...» (متى 27: 57-61). فمريم المجدليّة ومريم الاخرى كانتا من الجليل كما هو معروف. وجميع الذين كانوا قربه وقت صلبه وموته ودفنه كانوا من الجليل. وخاصة النساء والمريمات: «وكان هناك (وقت الصلب) كثير من النساء ينظرن عن بعد، وهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل ليخدمنه، منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسف، وأم ابني زبدى...» (متى 27: 55-56). وبعد قيامته على الفور طلب يسوع نفسه من المريمات أن يبلغن تلاميذه أن يمضوا الى الجليل، فهناك يرونه: «فقال لهما يسوع: لا تخافا! إذهبا فبلّغا إخوتي أن يمضوا الى الجليل، فهناك يرونني...» (متى 28: 10؛ راجع ايضاً متى 28: 7؛ مرقس 16: 7). لم يطلب يسوع ان يبقى تلاميذه في اليهودية، حيث صلب ومات وقبر، بل طلب اليهم ان يذهبوا فوراً من اليهودية حيث كانوا وقت محاكمته وصلبه، الى الجليل حيث يرونه هناك. فلا علاقة له أو لهم ببيت لحم يهوذا او بأرض اليهودية. إنهم جليليّون، فليعودوا الى الجليل. وفي الفترة الممتدّة من قيامته الى صعوده، ليس هناك من ذكر لاي أحد من انسبائه أو أقاربه في بيت لحم يهوذا او في اليهودية كلها... ورغم ان الاناجيل القانونية لا تذكر عن هذه الفترة سوى بعض الظهورات، فان الاناجيل المنحولة وغيرها تتحدث بالتفصيل عن لقاءات المسيح وتلاميذه في الجليل، عن تعليماته ووصاياه الاخيرة. وقد

أكد ذلك اكثر من مرة شهود من اليهود من بينهم كهنة ولاويّون، شاهدوا بأم عينهم يسوع المسيح، بعد قيامته، يعطي تلاميذه تعليماته الاخيرة على جبل في الجليل يسمّى «جبل ملكوم»، وهو جبل مقدس في الجليل منذ العهود الكنعانية. وقد أكّد الشهود على ذلك اكثر من مرّة، أمام رؤسائهم والشعب بشكل علني ورسمي... (راجع «الأناجيل المنحولة»، إعداد فرانس كيرى، ص 142، 149، وايضاً: «أعمال بيلاطس 14: 1، 16: 5 «وقاموس الكتاب المقدس» ص 934-935)! ونحن نؤكد ان «جبل ملكوم» هذا، ما هو الاّ جبل الكرمل بالذات... (راجع الفصل الخاص بجبل الكرمل في هذا الكتاب) أجل! لقد عاد المسيح، بعد قيامته، الى جبل الكرمل المقدس منذ القدم، حيث درس وتعلم وأَمضى فترة طويلة من حياته التي سمّوها «خفيّة». وهناك اجتمع طويلاً بتلاميذه ورسله، ولقّنهم الطقوس والحقائق السرّية، وقواعد الحكمة الروحية السرانيَّة، وأعطاهم تعليماته ووصاياه الاخيرة وودّعهم. ومن هناك، أي من جبل الكرمل المقدس بالذات، صعد المسيح الى السماء وجلس عن يمين الله الآب. ومن الثابت والمؤكد ان جبل الكرمل كان في ارض فينيقة-لبنان عهد ذاك! (فلتراجع جميع الخرائط القديمة، من مطبوعة ومخطوطة، وبجميع اللغات...) أجل! من جبل الكرمل، من لبنان، صعد يسوع الى السماء...! وهذه ايضاً حقيقة تاريخية جغرافية خطيرة طمسها اليهود والمسيحيون المتهوّدون، ثم لفّها التناسي والنسيان والجهل الموروث والخوف... الى يومنا هذا. ونحن الآن من هنا-من لبنان بالذات-نعلن قيامها من نومها الطويل!... ان موضوع صعود المسيح الالسماء يخرج عن اطار هذه الدراسة. غير أننا نشير هنا -اشارة خاطفة- الى المكان المحدّد الذي حصل فيه هذا الصعود. وهذا المكان هو جبل الكرمل في لبنان. ولنا عودة مفصّلة الى هذا الموضوع الهام الذي طمسه الطامسون وأغفله الجهلاء كغيره من المواضيع الهامة التي طمستها الاهواء وذلك لانها حصلت في لبنان... اما التقليد القائل بان جبل الزيتون القريب من اورشليم هو «جبل الصعود»، فهو تقليد تقوي شعبي متوارث منذ القديم، كغيره من التقاليد التقوية الشعبية المتوارثة والتي لم تُبْنَ على أسس تاريخية وجغرافية علمية... والنقد التاريخي العلمي الحديث كشف العديد من الحقائق

التاريخية والجغرافية التي كانت تحجبها تقاليد شعبية تقوية متوارثة..
وفي الأصل، كان بعض المسيحيين المتهوّدين الاولين يحاولون ان يجعلوا من أورشليم وجوارها محوراً لكثير من عظائم الامور، ولو كان بعض هذه الامور قد حصل بعيداً عن أورشليم. وكل ذلك، كما رأينا مراراً، في سبيل تفخيم وتعظيم المثلّث اليهودي المعروف: سبط يهوذا، داود والعاصمة أورشليم، وربط يسوع بهذا المثلث... فكما جعلوا من بيت لحم يهوذا في جنوب فلسطين المدينة التي ولد فيها يسوع المسيح-مع انه ولد في بيت لحم جليل الامم، في شمالي فلسطين، المدينة الكنعانية القديمة...-جعلوا من جبل الزيتون القريب من أورشليم... جَبَلَ الصعود.
ونحن نعلم أن بعض الاناجيل المنحولة والتقاليد القديمة تتحدث عن جبل ملكوم حيث كان السيد المسيح يتردّد، قبيل صعوده، ويعطي تلاميذه تعليماته ووصاياه الاخيرة. ومعلوم ان ملكوم هذا كان يسمّى ايضاً «البعل» الكنعاني (إرميا 32: 35- راجع ايضاً سَفر اللاويين 18: 21، الملوك الاول 11: 5 الملوك الثاني 23: 10، حزقيال 20: 26 اشعيا 57: 9 الخ...).
والظاهر انه قد حصل هناك التباس فظنّ البعض ان مولوك وملكوم هما مختلفان، اذ يقال عن الأول ان عبادته كانت في وادي هنوم قرب أورشليم، وفي الثاني انها كانت على جبل الزيتون قرب أورشليم ايضاً (الملوك الثاني 23: 10-13). غير انه يظهر من سَفر الملوك الاول (11: 5-7) أن ملكوم «رجس الموآبين» هو هو نفسه مولوك «رجس بني عمون» الكنعانيين... (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 935) من هنا نشأ الالتباس بين جبل «ملكوم» في الجليل، وجبل الزيتون، قرب أورشليم، مقر عبادته... وقال البعض فيما بعد ان جبل الزيتون هو جبل الصعود. وظل هذا الاعتقاد سائداً، بين عامة الناس، الى أيامنا هذه...! اما الحقيقة التاريخية فهي ان يسوع المسيح صعد الى السماء من جبل الكرمل من لبنان، حيث درس وتعلّم وقضى فترة طويلة من «حياته الخفية.«...
وبالاضافة الى ما تقدم، يستدل من الفصل الاول من انجيل لوقا (26-56) أن اليصابات كانت تقيم في الجليل حيث تقيم نسيبتها مريم (في ناصرة الجليل): «وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً

(36)... وفي تلك الايام قامت مريم فمضت مسرعةً الى الجبل وزارت نسيبتها اليصابات (39). ...»وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها (56). وهكذا، فزكريا واليصابات، وهما من انسباء يسوع، كانا يقيمان في الجليل. ويوحنا المعمدان نفسَه، ابن زكريا واليصابات، ولد وعاش وعلّم وعمد في الجليل... (راجع مرقس 6: 14-29 وايضاً متى 14: 1-2 ولوقا 9: 7-9). وهيرودس أنتيباس أمير الربع على الجليل هو الذي سجن يوحنا وقطع رأسه: «ذلك بان هيرودس هذا قد أرسل الى يوحنا من أمسَكه وأوثقه في السجن، من أجل هيروديا امرأة أخيه فيلبّس لانه تزوجها. فكان يوحنا يقول لهيرودس لا يحلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك. وكانت هيروديّا ناقمة عليه تريد قتله فلا تستطيع، لان هيرودس كان يهاب يوحنا لعلمه أنه رجل بارّ قديس، وكان يحميه... الخ» (مرقس 6: 17-29). وهكذا فهيرودس انتيباس كان أميراً على الجليل، ويوحنا المعمدان كان من رعاياه في الجليل نَفْسِهِ...

الجميع كان يعرف تماماً أن يسوع وأهله وأقاربه هم من الجليل: أهل الجليل أنفسهم على اختلاف مجموعاتهم وفئاتهم وأممهم (جليل الأمم)، والسامريون، واليهود على اختلاف فئاتهم من فرّيسين وصدوقيين وغيورين وعلماء شريعة وكتبة وعامة الشعب، واليونان والرومان المقيمون في فلسطين والجليل والمناطق المجاورة، جميع الناس كانوا يعرفون ويصرّحون بان يسوع المسيح هو من الجليل، حتى الجموع وعامة الشعب... فقد جاء في إنجيل متى (21: 10-11) ما يلي: «ولما دخل يسوع أورشليم ضجّت المدينة كلّها وسألت: من هذا؟ فأجابت الجموع: هذا النبيّ يسوع من ناصرة الجليل....» وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: «الترجمة اللفظية: «اهتزّت» (فعل يستعمل لزلزال الارض: متى 17: 51 و 28: 4 وراجع 8: 24 ورؤيا 6: 13). حين يدخل يسوع الى أورشليم ملكاً مشيحياً، تهتزّ المدينة كما اهتزّت عند بلوغ خبر ولادته (2: 3)، فحياة يسوع حدث علني يهم جميع الناس... ويعترف الناس هنا بيسوع نبياً، من دون اثارة اي اعتراض على أصله الجليليّ، كما ورد أيضاً في يوحنا (7: 52) وفي متى (13: 57)...» (النسخة الجديدة، متى 21: 10-11، والحاشيتان رقم 7 ورقم 8، ص 94). ان اعتراف الجموع بيسوع

كونه من الجليل هو اعتراف واضح جلي علني ومحدّد، ولا يحتمل أي ريب والتباس. والملفت حقاً، أن اعتراف الجموع «بجليليّة» يسوع لا يتضمن، على الاطلاق، اية اشارة ولو غير مباشرة، ولا حتى اي تلميح بعيد، الى كونه ولد في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، او الى كونه وكون والديه يرتبطون بأية علاقة بذرّية داود أو غيرها من الذريات اليهودية...!
«إنه نبيّ من ناصرة الجليل». ولو كان ولد-على سبيل الافتراض-في بيت لحم اليهودية واهتزّت مدينة أورشليم عند بلوغ خبر ولادته كما يقول متى نفسه (2: 3) والنسخة الجديدة (الحاشية رقم 7 ص 94)، فكيف اختفى وتلاشى وزال هذا الحدث الخطير من ذاكرة الجميع، مع انه هزّ (وزلزل) مدينة أورشليم والملك هيرودس وعظماء الكهنة والكتبة وعامة الشعب؟! ألم يوجد، وعلى سبيل الصدفة، واحد من الناس يقول: بل إن يسوع ولد في بيت لحم اليهودية أو إنه من ذرّية داود الخ... إنه حقاً لامر غريب عجيب! «إنه نبيّ من ناصرة الجليل» _بكل معنى الكلمة. هذا ما عرفته جموع الشعب، وهذا ما صرّحت به عالياً وعلناً...

ويسوع المسيح نفسه يقر ويعترف علناً بان الجليل هو وطنه. ولم يشر، ولو تلميحاً، ولا مرّة الى كونه ولد في بيت لحم اليهودية، حتى في أصعب الظروف وأثناء محاكمته. ولم يشر الى أية علاقة نسَب تربطه، او تربط والديه واهله وأنسباءَه بذرّية داود، أو باية ذرّية يهودية. لا بل فقد رفض اكثر من مرّة ان يدعى ابن داود، كما رأينا سابقاً. كان يدعو نفسه دوماً: «ابن الانسان». وهل يمكن ان يكون هناك أحد يعرفه اكثر مما يعرف هو نفسه؟! أوليس يسوع هو نفسه القائل: «...لم أرسل الاّ الى الخراف الضالة من آل اسرلئيل...»؟ (متى 15: 21-24، راجع ايضاً متى 10: 5-7). والمعروف أن الخراف الضالّة من آل اسرائيل هم اليهود انفسهم، وليس غيرهم. فهل يعقل بالتالي ان يكون يسوع هو نفسه من هؤلاء «الخراف الضالّة من آل اسرائيل»؟ أي أن يكون يهودياً مثلهم؟ حاشا وكلا! وأيضاً أليس يسوع هو نفسه القائل لليهود: «أنتم أولاد أبيكم إبليس...» (يوحنا 8: 44)؟ وهل يعقل ان يكون هو مثلهم ابناً لابليس؟ حاشا وكلاّ...!

وهناك اكثر من دليل على أن المسيح نفسه قد أقرّ واعترف علناً بأن الجليل هو وطنه ووطن أهله وأقاربه وانسبائه. فقد جاء في انجيل متى

(13: 53-58) ما يلي: «ولمّا أتمّ يسوع هذه الامثال ذهب من هناك وجاء الى وطنه، واخذ يعلم الناس في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من أين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ اليس هذا ابن النجّار؟ اليست أمه تدعى مريم، واخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أوليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كل هذا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الا في وطنه وبيته. ولم يكثر من المعجزات هناك لعدم إيمانهم...» وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النص في متى فتقول: «»وطن»: يدل هذا اللفظ في اليونانية إمّا على أرض الآباء في مجملها (راجع 2 مكابيين 8: 21 ويوحنا 4: 44)، وإمّا على مسقط الرأس، على المدينة او القرية التي تقيم فيها العائلة...» (النسخة الجديدة، متى 13: 54 والحاشية رقم 23، ص 76). وفي الموضوع نفسَه، جاء في انجيل مرقس (6: 1-6) ما يلي: «وانصرف يسوع من هناك وجاء الى وطنه يتبعه تلاميذه. ولمّا أتى السبت أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، وقالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أليس هذا النجّار ابن مريم، أخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع :لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته .ولم يستطع ان يجري هناك شيئاً من المعجزات، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم. وكان يتعجّب من عدم ايمانهم. ثم سار في القرى المجاورة يعلّم...». اليست هذه النصوص الانجيلية، بما فيها من وضوح ودقة وتفصيل، بغنى عن اي شرح وتفسير؟ اليس واضحاً تمام الوضوح ان الجليل هو وطن يسوع ووطن أهله وأقاربه وأنسبائه؟ «لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته !«...هل من حاجة بعدُ الى توضيح ودقة وتفصيل: وطنه وأقاربه وبيته؟! غير أن النسخة الجديدة، في تعليقها على هذا النص في مرقس، تزيد الوضوح وضوحاً فتقول: «اليس هذا النجّار ابن مريم: عدم ذكر الاب أمر عجيب في بيئة يهودية! ولكن قد يكون أن مرقس اهمله هنا، كما في 3: 31-35 و 1: 29-30، علماً بان الله هو ابو يسوع (8: 38 و 13: 32 و 14: 36) (النسخة الجديدة، مرقس 6: 3، الحاشية رقم 4، ص 142)! أجل إن عدم ذكر الاب هو أمر عجيب في بيئة

يهودية! فكيف كان يسوع يدعى «ابن مريم»؟ هذا صحيح تماماً. غير أن تسميته «بابن مريم» يدل، مرّة أخرى، وبشكل واضح، على أن يسوع لم يكن فعلاً في بيئة يهودية، بل على العكس، في بيئة جليليّة معادية تماماً للبيئة اليهودية، كما كشف لنا التاريخ حديثاً. والملفت أن الناس في أيامنا هذه لا يقدرون مدى التباين والتباغض والخصومة التي كانت سائدة ايام يسوع بين اليهود والجليليّين... ويقول لوقا عن بداية رسالة يسوع، في الجليل، ما يلي: «وعاد يسوع الى الجليل بقوة الروح، فانتشر الخبر في الناحية كلّها. وكان يعلّم في مجامعهم فيمجّدونه جميعاً. وأتى الناصرة حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ... وكانوا يشهدون له بأجمعهم، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فمه فيقولون: أما هذا ابن يوسف؟ فقال لهم: لا شك انكم تقولون لي هذا المثل: يا طبيب اشفِ نفسك. فاصنع ههنا في وطنك كل شيء سمعنا أنه جرى في كفرناحوم. وأضاف: الحق أقول لكم: ما من نبيّ يقبل في وطنه) «...لوقا 4: 14-24.(

وهناك ايضاً نصوص إنجيلية اخرى، خاصة في يوحنا، تؤكد بوضوح تام أن الجليل هو وطن يسوع بكل معنى الكلمة، وتنفي بشكل قاطع إجماع الناس حول ولادته في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم. كما تظهر، من جهة ثانية، تباين نظرة الناس واختلاف آرائهم فيما يخص وطن المسيح المنتظر، ورسالته بشكل عام، ووطن يسوع المسيح ورسالته بشكل خاص. فقد جاء في إنجيل يوحنا0الذي لم يذكر شيئاً عن ميلاد المسيح وطفولته-جاء ما يلي: «...فقال أناس من أهل أورشليم: أليس هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى تبيّن للرؤساء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو .فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال :أجل، إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا .على أني ما جئت من نفسي، فالذي أرسلني هو صادق. ذاك الذي لا تعرفونه أنتم. وأمّا أنا فأعرفه لأني من عنده وهو الذي أرسلني. فأرادوا ان يمسكوه، ولكن لم يبسط إليه أحد يداً، لأن ساعته لم تكن قد أتت. فآمن به من الجمع خلق كثير وقالوا أيجري المسيح من الآيات حين يأتي اكثر ممّا أجرى هذا الرجل؟ فسمع

الفرّيسيون الجمع يتهامسون بذلك في شأنه، فأرسل عظماء الكهنة والفرّيسيّون بعض الحرس ليمسكوه...» (يوحنا 7: 25-32). وعلى الآية 27، التي جاءت على لسان الجموع والتي تقول: «على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو...»، تعلّق النسخة الجديدة فتقول: «نجد هنا صدى مجادلات استمرّت بين اليهود والمسيحيين طوال القرن الاول (؟!)... فالمسيح هو في آن واحد انسان (أصله معروف) (راجع 6: 42)، وابن الله (أصله السماوي يخفى على البشر)...» (النسخة الجديدة، يوحنا 7: 27، الحاشية رقم 15، ص 311). غير أن «رينان»، من جهته، فيؤكد أن المناقشات والمجادلات بين اليهود والمسيحيّين استمرت طوال القرون الثلاثة الاولى للمسيحية! وكانت هذه المجادلات تتمحور، في هذا المجال، حول حقيقتين اثنتين: الأولى حول علاقة يسوع المسيح بذرّية داود وسلالته الملكية... والثانية حول حقيقة ميلاد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية. ولم يحصل اتفاق البتة في ذلك الوقت حول أي من هاتين الحقيقتين. واستمر الحال هكذا حتى يومنا هذا. غير أن التقليد الشعبي التقوي، بقطع النظر عن التمحيص العلمي الموضوعي، والقائل بان المسيح هو من ذرّية داود وانه ولد في بيت لحم اليهودية، هو الذي ساد فيما بعد، واستمر سائداً حتى يومنا هذا...!؟

»إن هذا نعرف من أين هو...» هذا ما صرّحت به جموع أورشليم بالنسبة الى يسوع المسيح. وقد حدّدت من أين هو: «إنه النبيّ يسوع من ناصرة الجليل». الجميع كان يعرف تماماً انه من الجليل. ولم يقل أحد بتاتاً إنه ولد في بيت لحم يهوذا القريبة من أورشليم!! لا هو ولا أهله وأنسباؤه وأقاربه، ولا رؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والكتبة، ولا الفرّيسيّون والصدوقيّون، ولا أحد من الناس قال أو المح الى أنه ولد في بيت لحم يهوذا. وأمّا قول الجموع: « وأمّا المسيح فلا يُعْرف حين يأتي من أين هو...»، فقد رد عليه المسيح شخصياً بشكل واضح وقاطع، وبالحرف الواحد: «أجل! إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا» (الآية 28). نحن نعطي لهذا الكلام أهمّية بالغة، لانه جاء على لسان المسيح نفسه. وهو كلام يفوق، في الموضوع الذي نحن بصدده، كل كلام آخر، وهو بغنى عن أي تعليق وشرح وتفسير. الكلام بسيط واضح محدّد قاطع: «أجل! إنكم

تعرفونني وتعرفون من أين أنا». إنه جواب مباشر فوري على تساؤل جموع أورشليم: «على ان هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو». هذا يعني انه هو المسيح، وأنهم يعرفونه شخصياً، ويعرفون والديه وأقاربه وانسباءه، ويعرفون تماماً أنه من الجليل. إنهم جميعهم يعرفون أنه من الجليل. فهو يوافقهم هذا القول ويؤكد عليه علناً وعلى الملأ. أجل! انه من الجليل كما يقولون. غير أنه لم يقل لهم انه ولد في بيت لحم يهوذا قرب أورشليم. ومن المؤكد أن كلام المسيح هذا: «أجل! انكم تعرفونني، وتعرفون من أين أنا»، يُقصد به معرفة أصله ووضعه البشري، فهم لا يستطيعون الربط بين وضع يسوع البشري وأصله الإلهي: فالايمان الذي هو هبة من الله يمكّن وحده من ذلك. فمن الناحية الروحية الالهية هم «لا يعرفونه، ولا يعرفون من أين هو». وهل كانت جموع أورشليم هذه تعرف انه ابن الله الوحيد، الكلمة الأزلي، المساوي للآب في الجوهر، المرسل من لدن الآب لخلاص البشرية جمعاء والكون كلّه؟ ان التلاميذ ورسل المسيح انفسهم لم يعرفوا هذه الحقائق قبل حلول الروح القدس عليهم...

وهناك نصوص أخرى في يوحنا تلقي أضواءً إضافية على مضمون النصوص التي نحن بصددها. فقد جاء في إنجيل يوحنا (7: 40-52) ما يلي: «فقال أناس من الجمع وقد سمعوا ذلك الكلام (كلام يسوع في هيكل أورشليم في عيد المظالّ عند اليهود): هذا هو النبيّ حقاً. وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكن آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وإنه يأتي من بيت لحم (يقصدون بيت لحم اليهودية...)، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه... وأراد بعضهم أن يمسكوه، ولكن لم يبسط اليه أحد يداً. ورجع الحرس الى عظماء الكهنة والفرّيسيّين فقال لهم هؤلاء: لماذا لم يأتوا به؟ أجاب الحرس: ما تكلّم انسان قط مثل هذا الكلام. فأجابهم الفرّيسيّون: أَخُدعتم أنتم أيضاً؟ هل آمن به أحد من الرؤساء أو الفرّيسيِّين؟ أمّا هؤلاء الرعاع الذين لا يعرفون الشريعة، فهم ملعونون... فقال لهم نيقوديمس وكان منهم، وهو ذاك الذي جاء قبلاً الى

يسوع: أتحكم شريعتنا على أحد قبل أن يُستمع اليه ويُعرف ما فعل؟
أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحث ترَ أنه لا يقوم من الجليل نبيّ.«...

يظهر جلياً من النصّ أن جموع الناس كانوا آنذاك منقسمين حول شخصية يسوع وطبيعة رسالته. منهم من قال: إنه «النبيّ». وكانت الناس في انتظار نبيّ ما. ومنهم من قال: هذا هو المسيح! وكان الشرق بكامله في انتظار مسيح مخلّص، لأن المجتمعات البشرية والاوطان وحتى الديانات نفسها كانت في حالة يرثى لها من التفكك والانحلال الاخلاقي والفراغ الروحي... ومنهم أيضاً من كان متردداً حائراً: «أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وأنه يأتي من بيت لحم القرية التي منها خرج داود؟» ويسوع هذا هو من الجليل فكيف يكون المسيح المنتظر؟ وهكذا «وقع بين الجمع خلاف في شأنه...». والخلاف هذا، كما هو بيّن، يقتصر فقط على شخصية المسيح وطبيعة رسالته. هل هو النبيّ؟ هل هو المسيح؟ أم ليس هذا ولا ذاك؟ من هو، في الحقيقة، هذا الرجل؟ الكل يعرف أنه من الجليل. والبعض يعرف أنه من ناصرة الجليل... والملفت حقاً انه لم يوجد أحد يقول او يلمح تلميحاً الى كون يسوع ولد في بيت لحم يهوذا، لا أهله وأقاربه، لا تلاميذه ورسله، لا رؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والكتبة، لا الفريسيّون ولا الصدوقيون ولا أحد من عامة الشعب... مع أن الموقف كان حرجاً للغاية، «لأن البعض ارادوا ان يمسكوه...» (الآية 44). والاهم من كل ذلك ان المسيح نفسه لم يقل لهم -لا هنا ولا في اي مكان آخر في الأناجيل...- انه ولد في بيت لحم يهوذا، أو أنه من اليهوديّة، أو أن أصل أهله واقاربه من اليهوديّة. ولم يشر الى اية علاقة تربطه بيهوذا أو بداود او باليهودية، لا من قريب و لا من بعيد. بل على العكس تماماً، الجميع يقولون ويصرّحون علناً انه من الجليل، انه «جليليّ»: وهو يوافقهم تماماً هذا القول ويصرّح علناً: «أجل! انكم تعرفونني، وتعرفون من أين أنا.» اي انني من الجليل بكل معنى الكلمة، كما تقولون. المقصود هنا طبعاً هو أصل يسوع ووضعه البشري. لان أصله الالهي لا يعرف الاّ بالايمان. فعندما سأله الفريسيون عن الآب الذي ارسله قائلين له: «اين ابوك؟ أجاب يسوع: انتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً...» (يوحنا 8:

19-راجع ايضاً يوحنا 12: 45؛ 14: 7 الخ...). لماذا لم يقل لهم المسيح انه ولد في بيت لحم اليهودية، اذاً لكان زال الخلاف الذي وقع في شأنه ولكان عرف الجميع انه المسيح المنتظر. اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً مخلّصاً يأتي من بيت لحم يهوذا مدينة داود... فلو كان المسيح ولد في هذه المدينة، فلماذا لم يقل لهم ذلك؟ لم يقل المسيح لهم ذلك، لانه لم يولد في بيت لحم يهوذا، ولم يكن مسيحاً دنيوياً عسكرياً محرّراً لليهود وحدهم، فيتسَلطون على باقي الشعوب ويستعبدونهم، بل هو المسيح المنتظر من قبل البشر أجمعين والخلائق جمعاء، الذي يخلّص الناس من الشرّ والخطيئة ويحرّرهم حقاً ويرفع الانسان والكون الكبير لى الله الآب المبدأ الاول والهدف الاخير لكلّ موجود...

وفي نهاية نصوص يوحنا التي نحن بصددها هنا، هناك مقطع أخير يلقى ضوءاً إضافياً على ما جاء من قبلنا من تعليقات وشروحات. وهذا المقطع الهام هو التالي: «فقال نيقوديمس للفرّيسيين وكان منهم، وهو ذاك الذي جاء قبلا الى يسوع (راجع يوحنا 3: 1-21): أتحكم شريعتنا على أحد قبل ان يُستمع اليه ويعرف ما فعل؟ أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ ابحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ...» (يوحنا 7: 50-52). يظهر من النص بشكل واضح تماماً ان الفرّيسيّين كانوا على بيّنة تامّة أن يسوع هو من الجليل: ليس من اليهودية، ولم يولد بالتالي في بيت لحم اليهودية؛ إنه جليليّ بكل معنى الكلمة، ولا علاقة له مع اليهودية، لا من قريب ولا من بعيد، لا من حيث الاصل والذرّية، ولا من حيث المولد والاقامة الخ... إنه رجل آتٍ من الجليل ويدّعي انه ابن الله... ويظهر أيضاً من النص كيف كان الفرّيسيّون ينظرون الى الجليل والجليليّين. ومعروف أن اليهود كانوا يعتبرون أهل الجليل من «الأمم»، من «الغويم» ويكنون لهم منذ البداية البغض والكراهية ويظهرون تجاههم الازدراء والاستخفاف. وكانت الخصومة بين الاثنين قديمة ومستحكمة. ولا يقدّر انسان اليوم مدى هذه الخصومة وشدّتها. ولا ننسَ أيضاً أن المسيحيين، فيما بعد، كثيراً ما لقّبهم جليليين خصومُهم الذين من اليهوديّة. والغيورون أيضاً أُطلق عليهم أحياناً هذا اللقب (النسخة الجديدة، ص 313، الحاشية رقم 31). كل هذا يفسّر جواب الفرّيسيّين الى نيقوديمس الذي هو منهم: أوأنت أيضاً من الجليل؟

إبحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ...». مع انه، في الحقيقة، قام من الجليل اكثر من نبيّ واكثر من رجل صالح معروف في العهدين القديم والجديد...! فيونان النبيّ المشهور، ابن امتاي، هو من الجليل، من مدينة جت حافر وهي اليوم قرية «المشهد» على بعد نحو 4 اميال شمالي الناصرة. وقد تنبأ في أيام الملك ياربعام الثاني ملك السامرة. (787-747). (راجع سَفر يشوع 19: 13، سَفر الملوك الثاني 14: 25 وقاموس الكتاب المقدس ص 1126، العمود الثاني). النبيّ الكبير إيليا نفسه هو من الجليل، من مدينة «تشبة» في جنوب قادش المدينة القديمة المعروفة. ويسمّى ايضاً إيليا التشبيتي (راجع سَفر الملوك الاول 17: 1 والحاشية رقم 1 في النسخة الجديدة، ص 663، طوبيا 1: 1، قاموس الكتاب المقدس ص 144 العمود الاول). والنبيّ ناحوم هو ايضاً من الجليل، من مدينة ألقوش في شمالي بحيرة طبريا أي بحر الجليل. ويشار اليوم الى قبر النبيّ ناحوم شمالي هذه البحيرة حيث مدينة كفرناحوم نفسها... (راجع سَفر ناحوم 1: 1، قاموس الكتاب المقدس ص 106 العمود الاول). ويقول العديد من آباء الكنيسة ومنهم القديس أبيفانيوس ان النبيّ هوشع هو ايضاً من الجليل، من «بليمون» وهي مدينة في الجليل الاسفل (راجع «تاريخ الناصرة» للقس أسعد منصور، ص 29، والحاشية رقم 5). فاذا كان هناك، على الاقل، اربعة انبياء معروفون قاموا من الجليل، فكيف ولماذا قال الفرّيسيّون لنيقوديمس: «إبحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ...»؟ هل كانوا يقصدون، يا ترى، كما يقول بعض المفسرين: انه لا يقوم من الجليل «النبيّ» (المنتظر قدومه) وليس نبيّ... أم ان عداوتهم لاهل الجليل قد أعمت قلوبهم فقالوا إنه لا يقوم من الجليل نبيّ؟... ومهما يكون تفسير هذا القول، وبالاضافة الى الانبياء الأربعة الذين قاموا من الجليل، فقد قام من الجليل ايضاً أربعة قضاة. ومعروف أن القضاة كانوا يُعتبرون بمثابة «مخلّصين» للشعب... وهؤلاء القضاة هم: باراق من مدينة قادش في الجليل الأعلى (قضاة 4: 6)، تولع من الجليل الاسفل (قضاة 10: 1)، إبصان من بيت لحم الجليل نفسها... (يشوع 19: 12 قضاة 12: 8)، وايلون الزبولوني من منطقة بيت لحم الجليل ايضاً (قضاة 12: 11!(

إن الأمر الذي نودّ أن نلفت إليه، في ختام كلامنا هذا، هو أن أقارب يسوع وأبواه يوسف ومريم، ولو كانوا، أيام المسيح، مقيمين في الجليل في منطقة بيت لحم الشمالية وجبل الكرمل، غير أنهم قد نزحوا من قانا الجليل اللبنانية القريبة من صور. وهذا ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في الفصول اللاحقة، وبنوع خاص في كلامنا عن «مقام النبيّ عمران»-يواكيم والد مريم عند المسيحيّين. (راجع الفصل الخاص «بمقام النبيّ عمران»). وعلى كل حال، فأقارب يسوع وأبواه نزحوا من قانا الجليل -وهي أرض لبنانية- وأقاموا في منطقة بيت لحم الجليل والكرمل- وهي أرض لبنانية أيضاً. إنهم نزحوا من منطقة لبنانية الى منطقة لبنانية أخرى: لقد كانوا وبقوا في أرض لبنان! (راجع الخرائط المنشورة في هذا الكتاب). ولقد أصبح من المؤكد، في أيامنا هذه، أن 4 أو 5 من تلاميذ المسيح كانوا من قانا الجليل اللبنانية وجوارها... وأن أقارب يوسف ومريم - وبالتالي أقرباء يسوع المدعوّين «إخوة الربّ»، أو الأقرباء الادنين لأمه او لأبيه - كانوا من قانا الجليل اللبنانية أو من منطقتها. ولا عجب، فإن آباء وأجداد يوسف ومريم-وبالتالي آباء وأجداد يسوع المسيح جميعهم - هم من قانا الجليل اللبنانية. وهذا ما سوف نثبته بالتفصيل وبالبراهين الحسّية فيما يلي، في الفصل الخاص «بمقام النبيّ عمران»، هذا المقام الموجود الى اليوم، في جوار قانا، والذي يحوي رفات وأضرحة آباء وأجداد يوسف ومريم ويسوع.
ومن له عينان مبصرتان فليذهب ويرَ ويلمس!

مراجع الفصل

المراجع العربية

العهد القديم:

-سفرالملوك الثاني 17: 5-6؛ 24-34 (مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية الجديدة-اليسوعية- ص 707-709(

العهد الجديد:

-إنجيل متى 1: 1-17؛ 2: 21-23
4: 12-17
12: 46-50
13: 1-2؛ 53-58
-إنجيل مرقس 1: 14-15
3: 31-35؛ 4: 1
6: 1-6
-إنجيل لوقا 1: 26-27
3: 23-38؛ 4: 16-30
4: 14-15
8: 19-21
-إنجيل يوحنا 4: 43-53
6: 41-42

«-النسخة الجديدة»، ص 76، 142- 143، 203- 204، 300- 301، مع الحواشي والشروحات...

-قاموس الكتاب المقدس، ص 934-935.

-الأب برنابا مؤرخ الناصرة الاول -جديد الأرض المقدسة»، نقله القس أسعد منصور: راجع المصدر التالي:

-القس أسعد منصور «تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال، مصر، 1924، الباب الثالث، الفصل الثاني، ص 137، والحاشية رقم 1.
-الأب يعقوب تيريني اليسوعي «تحفة الجيل في تفسير الأناجيل» - بشارة يوحنا- الفصل الخامس عشر، ص 716-717 (وفيه اقوال من آباء الكنيسة الأولين(...
-مخطوطات إجرتون: بردى (بابيروس) إجرتون: الفقرة الأولى.
-ندرة اليازجي «ردّ على التوراة»، دار الغربال، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1974.
-الدكتور أسد رستم، مؤرخ الكرسي الانطاكي «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، طبعة ثانية منقّحة ومفهرسة، بيروت، لبنان، 1990.
-يوسف الحوراني «لبنان في قيم تاريخه-العهد الفينيقي»، ص 85، 88، 136، 204- 205، 215- 217، 228- 229، 262.
-فراس السواح «لغز عشتار-الألوهة المؤنثة وأصل الدين والاسطورة»، ص 55-56.

مراجع الفصل

المراجع الأجنبية

-Protévangile de Jacques:
1.2; 3.1; 7.1.2; 8.1-3; 9.1-3; 10.1; 11.1-3; 12.1 (cf. France Quéré "Evangiles apocryphes", Ed. Du Seuil, 1983, pp. 69-78 et Notes)
-Histoire de Joseph le Charpentier:
2 (cf. "France Quéré", Evang. Apocry. Pp. 97-98)
-Evangile du Pseudo-Matthieu:
Chapitres IV, V, VI
(cf. F. Amiot, "Evangiles Apocryphes", Librairie Arthème Fayad, Paris 1952, pp. 65-68)
-Dorothée Kœchlin de Bizemont, "L'Univers d'Edgar Cayce", Tome I, pp. 320-325
-Dr. H. Spencer Lewis, "La vie mystique de Jésus", Chapitre III, pp. 45-61, 83-105
-Ernest Renan, "Vie de Jésus", Tome 1, Chap. 4, p. 50
-Charles Guignebert, "Jésus", Collection l'Evolution de l'Humanité, Ed. Albin Michel, 1969, Chap. III, pp. 87-93
-Jacques Duquesne, "Jésus", pp. 54-56
-Pierre-Antoine Bernheine "Jacques, frère de Jésus", Editions Noêsis, Paris, 1996, pp. 54-60, 280.
-Shay J.D. Cohen, "From the Maccabees to the Mishnah", Westminster Press, 1987, pp. 120-123.
-John Meier, "A Marginal Jew", New York, Double-day, Vol. 1, pp. 271-278.

-Elias J. Bikerman, “The Jews in the Greek Age”, Cambridge, Harvard University Press, 1988, pp. 250-255
-Eusèbe de Césarée Histoire Ecclésiastique 2.23; 5-7 (Eusèbe cite aussi Hégésippe l’un des premiers historiens chrétiens).
-Helena P. Blavatsky, “La Clef de la Théosophie”, (Traduction française), nouvelle édition, éditions Adyar, Paris, 1993, section I, pp. 3 avec la note N°3;7.
-Alexander Wilder, “La Philosophie Eclectique”, (Traduction française), texte publié dans “New Platonism and Alchemy”, Albany, N.Y., Weed, Parsons and Company, 1869, p. 37.

الفصل الثالث

مَدِينَتا بيت لحم
في التاريخ والجغرافية

-أولاً - بيت لحم «اللبنانية» في التاريخ المدنيّ القديم والحديث

إن أقدم وأهم المراجع التاريخيّة عن بيت لحم «الكنعانيّة-الفينيقيّة-اللبنانيّة» هي وثائق أو «رسائل تلّ العمارنة» الشهيرة في مصر. «والعمارنة» في الأصل اسم قبيلة مصرية. «وتلّ العمارنة» هو المكان الذي استقرّت فيه هذه القبيلة فترة من الزمن. ونظراً لقيمة هذه الوثائق البالغة الاهمية في تاريخ مصر وبلاد الشرق الادنى القديم، لا بد من كلمة ولو مختصرة عن هذه الرسائل-الوثائق.

في المكان الذي سمّي فيما بعد «تلّ العمارنة»، كان أمينوفيس الرابع أخيناتون -وهو من أوائل روّاد «الوحدانية» في التاريخ- قد بنى، بالقرب من هيليوبوليس، عاصمتَهُ الشهيرة «أخيناتون» حوالي سنة 1370 ق.م. وبين 1887 و 1893، قام عالم الآثار الانكليزي السر «فلندرز بترى» بحفريّات هامة في تلك المنطقة. ومن أبرز اكتشافاته أكثر من 358 لوحة من الآجر هي كناية عن رسائل مع أجوبتها كان قد أرسلها فرعون مصر أمينوفيس الثالث والفرعون أمينوفيس الرابع أخيناتون الى ملوك كنعان-فينيقية الموالين لمصر. والرسائل مع أجوبتها مكتوبة بالخط المسماريّ وباللغة الاكاديّة، اللغة الدبلوماسية في ذلك العهد، في الشرق الادنى القديم. وفي هذه الوثائق المخطوطة معلومات هامة جداً عن أحوال الشرق في القرن الرابع عشر ق.م. إذ إن عصر هذه «الرسائل» يمتد بين سنة 1400 وسنة 1360 ق.م. وهي اليوم تعتبر أهم الوثائق التاريخية عن هذا العصر. ومن جملة هذه الرسائل، رسائل عديدة أرسلها ملوك كنعان وفينيقية، يطلبون فيها النجدة من أخيناتون لصدّ عدوان الحثيّين الآتين من الشمال... وفي هذه الرسائل بالذات يذكر ملوك كنعان، اكثر من مرّة، المدن الكنعانية المهدّدة بالاجتياح من قبل الحثيّين. ومن جملة هذه المدن: مدينة بيت لحم الكنعانية -الفينيقية التي تقع- كما يحدّدون هم- بالقرب من مدينة «مجدّو» الشهيرة. ونحن نقرأ في النص رقم 190 من «رسائل تل

العمارنة»، وهو عبارة عن احدى الرسائل التي بعثها «عبدي هبة «ملك أورشليم الكنعانيّ الى الفرعون أخيناتون، نقرأ ما يلي:

»الى الملك مولاي. هكذا يقول خادمك «عبدي هبة». أنظر الى ما فعله «ملك-إيلو» وشوار داتا» بأراضي الملك مولاي. لقد دفعوا بقوات من «جازر» ومن «جَتّْ» ومن كيله. أخذوا أراضي «روبوتو». وأراضي الملك سُّلّمت الى شعب «العابيرو». حتى مدينة «بيت لحم» قد أعطيت الى «كيلة». فَلْيُصْغِ مليكي الى خادمه «عبدي هبة» ويرسل قوات تعيد الأراضي الملكيّة الى الملك. وإذا لم تصل القوّات فإن أراضي الملك ستغدو للعابيرو«...

في هذا النص، كما في اي نصّ تاريخي قديم آخر، هناك مواقع لم يتم التعرّف عليها الى اليوم، وأخرى مرجّحة، وثالثة ثابتة بالدليل الأركيولوجي القاطع. فموقع «كيلة» مشكوك بأمره. «وروبوتو» يرجّح كثيراً أن تكون في مكان ما جنوب غربي «مجدّو» المدينة التاريخية الاثرية الشهيرة. أما «جازر» فمدينة كنعانية هامة تقع على المنحدرات الغربية للسلسلة المركزيّة في فلسطين، بدأ التنقيب في موقعها منذ مطلع القرن الحالي، وتمّ التعرّف عليها خلال الحملات المتتابعة باجماع كلّ علماء الآثار. أما مدينة بيت لحم الكنعانية فتقع -بحسب نصّ «رسائل تلّ العمارنة»- بالقرب من مجدو الى الشمال. «فمجدّو» تقع في المنحدرات الشرقية-الجنوبية لجبل الكرمل، وبيت لحم تقع في المنحدرات الشمالية- الشرقية لجبل الكرمل نفسه؛ فهي اذاً في شمال فلسطين وليس في جنوبها كما هي بيت لحم المعروفة اليوم في اليهودية او أرض يهوذا في جنوب فلسطين... (انظر الخرائط المنشورة في هذا الكتاب-مدينة مجدّو الشهيرة، تل المتسلّم حديثاً، تقع بالقرب من الكرمل، في شمال فلسطين لا في جنوبها. وبيت لحم الكنعانية اللبنانية تقع بالقرب من مجدّو الى الشمال.(

وما نودّ أن نركّز عليه هنا، هو أن «رسائل تلّ العمارنة» -وبالتالي ذكر مدينة بيت لحم الكنعانية-الفينيقية- قد سبق مجيء الفلسطينيين واليهود الى فلسطين (جنوب أرض كنعان) بمئات من السنين! وبالتالي فان مدينة بيت لحم المعروفة اليوم، والتي تقع في جنوب فلسطين

وعلى مسافة عشرة كيلومترات الى الجنوب من اورشليم، لم تكن قد أنشئت بعد؛ فهي قد أنشئت في وقت لاحق (القرن الثالث قبل الميلاد؟) (انظر في مراجع هذا الفصل: و.ف. ألبرايت «الرسائل الاكادية» ص 439، 489؛ اللاروس «الانسيكلوبيدي»، الجزء الاول، ص 189، العمود الثاني؛ فراس السواح «الحدث التوراثي والشرق الادنى القديم»، صفحة 57، والحاشيتين رقم 30 و 31؛ «ورسائل تلّ العمارنة»، النص.(EA- N 190

وفي دراسة آركيولوجيّة حديثة العهد جداً (1997)، أجرت عالمة الآثار المعاصرة كاترين فيل-روشان تنقيبات أثرية في مدينة بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، أكّدت في نهايتها ان أقدم أثر في هذه المدينة يعود الى العهد الروماني! وليس الى ما قبل هذا العهد. والمعروف ان العهد الروماني بدأ في فلسطين على ايام القائد الروماني بومباي عام 63 ق.م. راجع دراستها المنشورة في:

"Maisons de Bethléem" par R. Rivault, S. Santelli et C.W-Rochant; Maison neuve et Larose, Institut du monde Arabe, Paris, 1997, p.p. 7-13; avec Figures, Photos et Cartes.

وتؤكد الدراسات العلمية الحديثة أن «بيت لحم» المدينة القديمة، المذكورة بوضوح في «رسائل تلّ العمارة»، ليست هي بيت لحم يهوذا، جنوبي اورشليم، المعروفة اليوم، بل هي في الحقيقة، كما قلنا وكرّرنا اكثر من مرّة، «بيت لحم» في الجليل، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل... (راجع على سبيل المثال: هـ. كازيلّ، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مجلة «عالم البيبليا» -مجلّة آركيولوجية، فنية، تاريخية- العدد الممتاز الخاصّ بمدينة «بيت لحم»، أوكتبر، 1983، ص 24-بالفرنسية.(

وهكذا يتبيّن بوضوح أن بيت لحم الجليل، في شمال فلسطين، هي مدينة كنعانية-فينيقية كانت موجودة كمدينة قبل زمن «رسائل تل العمارنة» أي قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أما زمن تأسيسها فَغَيْرُ محدّد تماماً حتى اليوم، ولكنه يعود الى العهدد الكنعاني القديم. ويرتبط اسم «بيت لحم»، الكنعاني الأصل، بالبعل وادونيس إله الزراعة والخصب،

كما ذكرنا سابقاً؛ وفيما بعد بإله (أو مقام) الخبز في العهد الآرامي-السرياني.

في القرن الثالث عشر ق.م.، ذكر هذه المدينة، على انها مدينة كنعانية «مع قراها»، يشوع بن نون نفسه، خليفة موسى. وقد حدّد موقعها بالضبط جغرافياً، في سبط زبولون، في السفوح الشمالية-الشرقية لجبل الكرمل. وكان سَفر التكوين قد ذكرها على انها «أفراته» اي «المثمرة» أو الكثيرة الثمار، والخصبة. ومعروف أن جبل الكرمل والمنطقة المحيطة به كانت تسمى قديماً «المثمرة» والكثيرة الثمار: «أفراتة». وبعد التكوين ويشوع ورد ذكر بيت لحم هذه في بعض أسفار العهد القديم.

في العهد الجديد هدمت بيت لحم الجليل وعمّرت اكثر من مرّة، بفعل تقلّبات الزمان والزلازل والحروب. في أيام المسيح كانت معروفة تماماً، ولكنها كانت في «جليل الأمم»... وفي جليل الاسفل بالتحديد. ولو لم تكن معروفة لما حذف نسّاخ متى (2: 6) عبارة «أفراتة» المأخوذة من ميخا (5: 1)، واستبدلوها بعبارة «أرض يهوذا" غير الموجودة في النص الاصلي للكتاب المقدس، كما يقول بالحرف الواحد المفسّر اكاثوليكيّ الشهير شارل بيرو في كتابه «أحداث طفولة يسوع»، بالفرنسية، ص 31! (راجع ايضاً سَفر يشوع 19: 15). وهكذا تَمَّ حذف عبارة «أفراته» الملازمة دوماً والتي هي بمثابة مرادف لبيت لحم الجليل، كي يظهر أن المسيح، رغم كل القرائن التاريخية والجغرافية المعاكسة، ولد في بيت لحم اليهودية، بالقرب من أورشليم...! وهكذا بعد كتابة إنجيلي متى ولوقا، نسي التاريخ بيت لحم الاصلية الحقيقيّة في الجليل، وركّز على بيت لحم اليهودية الحديثة العهد. وذلك لان بيت لحم اليهودية قريبة جداً من أورشليم وهي في أرض يهوذا...» اما بيت لحم الجليل فهي بعيدة جداً عن أورشليم وهي في «أرض الأمم» و...»الوثنيين»-»أَلغُوِيْمْ»: غير اليهود؛ ومن غير المعقول، بنظر اليهود والمسيحيّين المتهوّدين الذين كتبوا ونسخوا الاناجيل في القرون الاولى للمسيحيّة، من غير المعقول اذاً ان يولد المسيح بين «الامم الوثنية»... بل عليه ان يولد حيث يريدون هم، وهم الذين يحدّدون بالضبط مكان ولادته... وهكذا حصل تماماً. فقد تسلّم

المسيحيّون هذه الامور كما نقلت اليهم منذ البداية حتى اليوم. والذي كرّس بشكل نهائي، وعلى الأرض، كون بيت لحم اليهودية هي مسقط رأس المسيح، هو أن الملك قسطنطين الكبير وأمه هيلانة قد شيّدا, فوق مغارة في بيت لحم اليهودية، كنيسة كبيرة، حوالي سَنة 325، كما قيل لهما من قبل المسيحيّين المُتَهَوِّدِين المتواجدين رسمياً على الارض؛ ونسي التاريخ المسيحيّ تماماً، منذ ذلك الوقت، بيت لحم الحقيقية حيث ولد المسيح، في الجليل، لانها عادت واصبحت من جديد في أرض «الامم» الوثنية!...

إن مدينة بيت لحم الشمال في «جليل الامم»، والتي ولد فيها برأينا يسوع المسيح بحسب النصوص الاصلية غير المحوّرة لتنبؤات الانبياء، هذه المدينة كانت دوماً وأبداً مدينة كنعانية-فينيقية-لبنانية، منذ فجر التاريخ البشري حتى نهاية العهد العثماني والحرب العالمية الاولى (1914-1918)! وبالتالي كانت داخل أراضي فينيقية-لبنان، تحديداً، عندما ولد فيها السيّد المسيح. فالتاريخ والجغرافية تثبتان ذلك بشكل واضح وصريح، واسمها منذ البداية يدلّ على ذلك. «فرسائل تلّ العمارنة»، وهي أهم الوثائق عن الشرق الادنى القديم في القرن الرابع عشر قبل المسيح، تقول ذلك بصراحة، ثم جغرافية يشوع في الربع الاول من القرن الثالث عشر قبل المسيح، ومن بعده أهم اسفار العهد القديم. وفي ايام المسيح كانت مدينة من مدن «الأمم» أي «الوثنيين» وكانت تدعى، كما دعيت دوماً، منذ التكوين، بيت لحم «أفراتة»، والبرهان القاطع على كونها كانت موجودة في زمن الميلاد، هو ان متى قد اضطر لحذف عبارة «أفراتة»، لئلا يظن الناس انه ولد فيها (متى 2: 6) واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا» وهي اختلاق وإضافة (وهناك اليوم إجماع تام حول هذا الموضوع). وبعد هذا التحوير الجغرافي المقصود، غابت بيت لحم «الأمم»، في الشمال، عن مسرح الاحداث، وظهرت بقوة بيت لحم اليهودية في الجنوب قرب أورشليم، وكأنها، ياللغرابة، بيت لحم الوحيدة في التاريخ المسيحيّ منذ ولادة المسيح حتى يومنا هذا!! انه، في الحقيقة، أمر غريب جداً يثير أعلى درجات التساؤل والدهشة والعجب... كيف غاب، يا ترى، عن بال المسيحيّين طوال ألفي سَنة وجود مدينة بيت لحم

«الأمم»، في الشمال، وهي مدينة عريقة جداً في التاريخ، وقد ذكرتها بوضوح أهم الوثائق التاريخية والجغرافية، وأسفار الكتاب المقدس نفسه، وذلك بشكل واضح وصريح ومحدّد؟!

وفي القرون المسيحيّة الاولى، وحتى القرن الثامن للميلاد، ظلّت بيت لحم الشمال منسيّة من التاريخ لان بيت لحم الجنوب قد استقطبت كل الانظار والاهتمامات. ماذا حلّ ببيت لحم الشمال، يا ترى، طوال هذه الفترة المتقلّبة من التاريخ؟ هل خربت ومتى؟ وهل اعيد بناؤها ومتى؟ لا أجوبة تاريخية واضحة عن هذه التساؤلات، على ما نعلم، حتى اليوم. هناك آراء وظنون عديدة ومتباينة. منهم من يقول إنها بقيت قائمة حتى القرن الثامن. ومنهم من يقول انها خربت عند استشهاد أطفال بيت لحم، «عندما ارسل الملك هيرودس فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها من ابن سنتين فما دون، بحسب الوقت الذي تحققه من المجوس...» (متى 2: 16)، هذا في حال حصلت الولادة في بيت لحم الشمال، وتمّ استشهاد الاطفال فيها؛ ومن ثم هرب سكانها وتوزّعوا على المدن والقرى المجاورة، وبعد فترة من الزمن -في القرن الثاني للميلاد- سكن قسم منهم في الناصرة. ومنهم أخيراً من يقول انها خربت في القرن الاول للميلاد ثم اعيد بناؤها في أواسط القرن الرابع ايام قسطنطين الكبير الخ...

يذكر التاريخ أن بيت لحم الجليل قد هجرها أهلها وأصبحت خراباً، حوالي سَنة 775، ايام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، حيث سافر مسيحيو الجليل الى قبرص... وبقيت خراباً الى بداية العهد الصليبي حيث سَكنها المسيحيّون من جديد. ثم خربت مرّة اخرى على يد جنكيزخان التتري المغولي عام 1242 («تاريخ الناصرة»، ص 42-44.(

في بداية العهد العثماني، حوالي سَنة 1620، عمّرت بيت لحم الجليل على يد الامير اللبناني فخر الدين المعنيّ الثاني الكبير، وأصبحت، من ضمن منطقة صفد المركزية، تابعة لامارة لبنان الكبير طيلة ايام فخر الدين الكبير. وكانت صفد والناصرة وبيت لحم الجليل تابعة للواء عكا وصيدا في ولاية بيروت. في القرن الثامن عشر، أصبحت الناصرة والقرى المحيطة بها ومنها بيت لحم، تحت سيطرة القبيلة العربية: قبيلة ظاهر العمر، وذلك

حتى حكم ابراهيم باشا سَنة 1831. وفي سَنة 1826 كان السلطان محمود قد أقطع الرهبان الفرنسيسكان الناصرة وقراها، ومنها بيت لحم، يؤدون خراجها للدولة. وفي هذا الصدد، يقول يعقوب فرح مؤرخ الناصرة، في كتابه «تاريخ الناصرة»: «وفي تلك الايام ضمن الرهبان وترجمانهم يوسف الجريس شمّا يمّين، ضمن الناصرة وقراها (ومنها بيت لحم)، وأصبحوا حكّاماً فيها، فكبرت بهذه الواسطة طائفتهم ولا تزال تنمو الى يومنا هذا، واخذ الدير يزداد بالبنا والتمليك من حوانيت ودكاكين وبساتين وأراضي وحواكير ولوكندات وخلافه، وصاروا في هذه البلاد ليس رهباناً فقط بل حكاماً أيضاً. وتبلغ طائفتهم 750 نسمة...» (راجع «تاريخ الناصرة» للقس أسعد منصور، ص 65، حيث يذكر كلام يعقوب فرح في كتابه «تاريخ الناصرة»، المخطوط والموضوع سَنة 1857، وتوجد نسخة منه عند حفيده قدس الأب الخوري صالح فرح.(

عرفت بيت لحم الجليل والمناطق المحيطة بها زلزالين قويين تركا آثاراً مدمّرة، وذلك في عام 1759 وعام 1837، وقد تلى ذلك الطاعون والجراد، فمات العديد من الناس وهجر البعض الآخر...

»وفي أواسط القرن التاسع عشر كانت أراضي الناصرة والقرى المحيطة بها تبلغ مائة فدان رومي (والفدان الرومي عبارة عن 160 دونماً، والدونم كلمة تركية وهو عبارة عن 1600 ذراع مربع): للمسلمين 33 وللروم33 وللاّتين والموارنة 24 وللكاثوليك 10، تبعاً لجداول القنصل الانكليزي م. روجرز عام 1854... وفي عام 1869، باعت الحكومة، حكومة راشد باشا مشير إيالة صيدا التابعة لولاية بيروت، باعت الصفقة الأولى كل أرض الناصرة وبعض القرى المحيطة بها كما يأتي: ً1-أرض الناصرة السهل والوعر ً2-جنيجار ً3-العفولة ً4-الفولة ً5-جباتا ً6-خنفيس ً7-تلّ الشمّام ً8-تلّ نور ً9-معلول ً10-سمونة ً11-كفرتا ً12-جيرا ً13-بيت لحم ً14 أم العمر ً15-طبعون ً16-قصقص ً17-الشيخ بريك. منها 19 قيراطاً لحبيب بسترس ونقولا سَرسَق و 1/2 3 للتويني و1/2 1 لمتى فرح، وكلّهم من تجّار وأغنياء بيروت !ثم اشترى سَرسَق حصة بسترس وبعض حصص أخرى حتى أصبح معظم الملك له. وسَنة 1872 باعت الحكومة قرى أخرى، في الضفة الثانية، وهي: ً1-المجدل ً2-الهريج ً3-الحارثية ً4-الباجور ً5-الخريبة

تابعة الباجور. منها 18 قيراطاً لسَرسَق و4 قراريط لسليم الخوري اللبناني... وقال لورنس أوليفانت في كتابه «أرض جلعاد» ان البيع جرى عام 1872، والارجح أنه يجمع الصفقتين في تاريخ واحد. وقال بهذا الصدد ما ترجمته: «ملك الخواجا نقولا سَرسَق صاحب بنك في بيروت نحو سبعين ميل مربّع من أفضل أراضي فلسطين قيل لي أنه دفع ثمنها 18000 ليرة عثمانية... فالخواجا سَرسَق يملك الآن عشرين قرية عدد سكّانها 4000 نسمة. وقيل لي إن دخله السنوي منها يبلغ30000 ليرة إنكليزيّة... وقد جرى البيع في أيام راشد باشا والي إيالة صيدا التابعة لولاية بيروت...» (راجع تاريخ الناصرة-من أقدم أزمانها الى ايامنا الحاضرة (1924)، للقس أسعد منصور، ص 286-288 مع الحواشي.(

»وفي عام 1906، فُصل قضاء الناصرة عن ولاية عكا وصيدا وألحق بولاية القدس، وكانت أراضي الناصرة، ومنها بيت لحم، لا تزال ملكاً لعائلة سَرسَق البيروتية اللبنانية. غير أن هذا الإلحاق الغريب أثار دهشة كبيرة لانه الحاق مُفتعل وغير طبيعي. ففضلاً عن صلة قضاء الناصرة بلواء عكا، من الناحية الطبيعية الجغرافية، فإن هذا الالحاق بالقدس يتجاوز لواء نابلس الذي هو بين لواء القدس ولواء عكا وصيدا. ومن الظنون التي حامت حول هذا العمل الغريب أن في ذلك يداً صهيونية بغية امتلاك بعض قرى سَرسَق... فان الشغل في القدس أسهل عليهم (الصهيونيون) مما هو في عكا وبيروت... وعبثاً حاول الناصريون طلب ارجاعه (قضاء الناصرة)، حتى جاء الانقلاب العثماني فأرجع سَنة 1909...»! (راجع كتاب «تاريخ الناصرة- من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، ص 102). وفي هذه الفترة، حاول الرهبان الفرنسيسكان ان يوسّعوا أملاك أديرتهم في أراضي الناصرة والقرى المجاورة. «غير أن الصهيونيّين استأجروا، سَنة 1913، أراضي الناصرة من الخواجه سَرسَق استئجاراً هو مقدّمة البيع... وخوفاً من أن يُعدّ هذا الجبل («جبل القفزة» الملاصق للناصرة) داخلاً في البيع أعطى بعض الأهالي للرهبان مضبطة بأن الجبل المذكور ملكهم مع جزء من المرج عند أسفله... وفي أوائل سَنة 1914، نزل الرهبان أنفسهم ومعهم فعلة ووضعوا حدوداً من الجنوب لهذه الأرض. ولا تزال الدعوى

قائمة بينهم وبين صاحب الأرض (الخواجه سَرسَق) الى يومنا هذا (1924)...» («تاريخ الناصرة»، ص 146.(

وقعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، وبيت لحم الجليل، في جوار الناصرة، قرية خربة ومهجورة بفعل الزلزال القوي الذي ضرب منطقة الجليل، عام 1837، كما ذكرنا سابقاً. «ومن بداية الحرب الى عام 1924، اصبحت بيت لحم «شبه مستعمرة المانية»: فقد سكنها «الهيكليّون» الألمان، وهم ينتمون الى جمعية مسيحية سرّية عالمية شهيرة في التاريخ...!! (راجع أ. كوندر «بنت يورك في فلسطين»، بالانكليزية، ص 301- والقس أسعد منصور «تاريخ الناصرة...»، ص 191، 262-263). بعد نهاية الحرب كانت بيت لحم تحت الانتداب الانكليزي (1918-1948). وفور إعلان الهدنة، قسمت الحكومة البريطانية بلاد فلسطين الى خمسة الوية، اثنين في الجنوب: لواء القدس وسمّته لواء اليهودية ومركزه القدس، ولواء يافا ومركزه يافا، ولواء الوسط سمّي لواء السامرة ومركزه نابلس، واثنين في الشمال: لواء فينيقيا على الساحل ومركزه حيفا، ولواء الجليل في الداخل ومركزه الناصرة. ثم نقل المركز الى طبريا، على ضفاف البحيرة، ثم اعيد الى الناصرة عام 1919. وفي سنة 1922، ألغي لواء الجليل ودعي مع لواء فينيقيا اللواء الشمالي ومركزه حيفا وصارت الناصرة مركز قضاء.

وفي سنة 1924، ترك «الهيكليّون» بيت لحم، فعادت قرية مهجورة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وخلال هذه الفترات كانت بيت لحم تابعة مع اراضيها لقضاء الناصرة، هذه المدينة التي عرفت، من جديد، نمواً وعمراناً بعد الحرب العالمية الأولى. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أخذت بيت لحم تعمر بالسكان شيئاً فشيئاً. وفي سنة 1948، عند قيام دولة اسرائيل، دخل الجليل وفيه الناصرة وبيت لحم، تحت السَيطرة اليهودية. وفي أوائل التسعينات عرفت بيت لحم نمواً جديداً، وهي اليوم قرية كبيرة عامرة وظاهرة للعيان! (راجع جميع الخرائط الحالية لدولة اسرائيل وبجميع اللغات). أمّا لماذا رمّمت وعمّرت من جديد بيت لحم هذه، الاولى والاصلية، الكنعانية واللبنانية الأصل، والتي ولد فيها السيّد المسيح، كما نؤكد نحن، ولماذا عادت الى الوجود والظهور، في هذا

الوقت بالذات؟ فأمر يعود الى أسرار التاريخ البشري، والعناية الالهية، والله أعلم! وقد يكون انبعاث بيت لحم الحقيقية، في هذا الوقت بالذات الذي يحتفل به العالم بذكرى السَنة الألفين لولادة السيّد المسيح «في بيت لحم»...، قد يكون هذا الانبعاث، من تحت تراب الطمس والنسيان والجهل والخوف كما كان بالنسبة الى سابقتها قانا الجليل اللبنانية، إشارة ورمزاً ودلالة على أنها هي بيت لحم الحقيقية، لان عصرنا اليوم أصبح، كما هو ظاهر تماماً للعيان، عصر الحقائق الساطعة والصارخة والصاعقة...

وهكذا عرفت بيت لحم، كأرض كنعان التي تنتمي اليها، أحوال الأزمنة وتقلبات الأيام. في الأصل هي مدينة كنعانية-فينيقية-لبنانية قديمة العهد جداً. وقد ظلّت دوماً هكذا، واسمها يدل عليها -لغةً- حتى قيام الساعة. ثم عرفت غزوات واحتلالات وعهوداً كثيرة، كالأرض التي تنتمي اليها: من اسرائيلية أولاً ثم أشورية وكلدانية وفارسية ويونانية ورومانية وعثمانية وصهيونية (اليوم)... ولم تكن يهودية ولا يوماً من الايام على الاطلاق!

-ثانياً - بيت لحم اليهوديّة في التاريخ المدنيّ القديم والحديث

إن تاريخ إنشاء مدينة بيت لحم، المعروفة اليوم، الى الجنوب من أورشليم، غير معروف حتى اليوم، لا في كتب التاريخ ولا في اسفار الكتاب المقدس نفسَه. هناك آراء متعدّدة ومختلفة حول هذا الموضوع. منهم من يظن أنها بنيت بعد الرجوع من سبي بابل، على ايام عزرا ونحميا في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. «فبنو بيت لحم»، بحسب عزرا، «ورجال بيت لحم» بحسب نحميا (والاثنان يقصدان بيت لحم الشمال لان بيت لحم الجنوب لم تكن موجودة، ولان جميع يهود الجليل والسامرة واليهودية عادوا، عند الرجوع من السَبي، الى اليهودية وحدها...)، رجال أو بنو بيت لحم اذاً عادوا الى اليهودية، ولما لم يجدوا مدينة يسكنون فيها، أنشأوا مدينة بيت لحم المعروفة اليوم بجانب تلّة الى الجنوب من أورشليم عليها حصن قديم صغير مندثر يدعى حصن بيت لحم. ولم يكن هناك اي بناء غير هذا الحصن الصغير في كل تلك المنطقة. (راجع سَفر عزرا، الفصل الثاني، وسَفر نحميا، الفصلين السابع والحادي عشر). والبعض الآخر يقول أن بيت لحم اليهودية ترجع الى عهد الثورة المكابية (167 ق.م. – 143ق.م.). وذلك عندما أجلى سمعان المكابي، بواسطة أخيه يهوذا، يهود الجليل، وأسكنهم في أورشليم وجوارها، لانهم كانوا على خلاف شديد مع «الأمم». ومن جملة يهود الجليل هؤلاء، بعض سكان مدينة بيت لحم «جليل الأمم»، الذين بنوا بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم (راجع سَفر المكابيّين الأول، المدخل-والفصل الثالث عشر، النسخة الجديدة، ص 948 مع الحواشي والشروحات). وهناك ايضاً من يقول إن بيت لحم المعروفة اليوم قد أنشئت في الزمن الذي سبق مباشرة النسخة السبعينية (اليونانية) للعهد القديم، في الاسكندرية، على عهد بطليموس الثاني وبأمره (285 ق.م.-246 ق.م.). وذلك لان هذه النسخة هي التي ذكرت، لاول مرة، اسم بيت لحم «اليهودية». أمّا

النسخ القديمة التي سبقت النسخة السبعينية فلم تذكر بيت لحم اليهودية...! (راجع سفر يشوع، المدخل، ص 418، والفصول 12: 7-24: 15: 59-60 والحاشية رقم 8؛ 19: 10-16؛ النسخة الجديدة، الجدول التاريخي ص 22). وهناك أخيراً مجموعة من علماء الآثار اليوم يرجعون تاريخ انشاء مدينة بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم الى بداية العصر الروماني!! (القرن الأول ق.م.) (راجع كتاب «بيوت بيت لحم»، بالفرنسية، للعلماء فيليب ريفو، سيرج سانتلّلي وكاترين ويل-روشان، منشورات ميزونوف ولاروز، معهد العالم العربي، 1997، ص 7-12 مع الرسوم والصور والخرائط). نعرض فيما يلي جدولاً تاريخياً ببيت لحم «اليهودية» المعروفة اليوم، وبأهم الأحداث التي حصلت فيها، منذ الميلاد الى يومنا هذا:

37-4ق.م. هيرودس الكبير، ابن انتيباطر، يستولي على أورشليم ويملك على فلسطين. وكانت هذه في أيامه موحّدة وتحت الانتداب الروماني. كان هيرودس هذا أدوميّ الأصل .والأدوميون كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودى بالقوة منذ سَنة 125 ق.م.

20-19ق.م. بدء اعادة بناء هيكل أورشليم على يد الملك هيرودس الكبير، الآنف الذكر.

في حوالي 7-6 (؟) قبل تأريخنا الراهن: ميلاد يسوع المسيح!

في 4 ق.م. موت الملك هيرودس الكبير في مدينة أريحا.

4ق.م.-6 ب.م. أرخلاوس والي اليهودية والسامرة.

4ق.م.-39 ب.م. هيرودس أنتيباس، ابن هيرودس الكبير، أمير ربع على الجليل وعلى عبر الاردن. (بعد موت هيرودس الكبير ألغى أوغسطس قيصر النظام الملكي في فلسطين التي قسمت الى عدة ولايات.(

6ب.م. أوغسطس خلع أرخلاوس ونفاه الى فيينا (غاليا.(

6ب.م.-41 ب.م. اليهودية اقليم، عليه والٍ- عاصمتها قيصريّة فلسطين-البحريّة.

70ب.م. حصار أورشليم، إحراق الهيكل. تشتت اليهود في الشرق والغرب. قسم منهم يقيم في الجليل؛ ومع الوقت يزداد عددهم وتقوى شوكتهم، فيحاولون، بكل الوسائل، استئصال كل أثر أو ذكر للمسيحية في مناظق الجليل... ولقد دامت هذه الهيمنة اليهودية على الجليل

حوالي 300 سَنة، حتى قسطنطين الكبير الذي اطلق الحرية للمسيحية... سَنة 313.

الى الآن لا ذكر، على الاطلاق، لبيت لحم اليهودية (أرض يهوذا) في التاريخ المدني للعهد الجديد (خارج الكتاب المقدس). ويظهر انها ظلّت بمنأى عن أحداث 70 ب.م. ونتائجها. وكانت قرية صغيرة لا أهمية لها. غير أنها في عهد الامبراطور أدريانوس، نالت حصّتها من التدابير الرومانية العنيفة، على اثر الانتفاضة المسلّحة الثانية التي قام بها بركوكبا اليهوديّ ضد السلطة الرومانية الحاكمة، بين سَنة 132 و 135 مسيحية... وبدافع ديني ملفت،، أقام أدريانوس تمثالاً للإله أدونيس فوق مغارة بيت لحم التي ولد فيها المسيح (بحسب كتبة اسفار العهد الجديد...)، وغرس حول التمثال غابة كثيفة لإكرامه. كما أنه أقام فوق الجلجلة وقبر المسيح ومكان القيامة تماثيل لجوبيتر وفينوس... وبما أن اليهود كانوا قد حُرموا من الاقامة في أورشليم وبيت لحم في هذه الفترة التي دامت طويلاً، فان سكان بيت لحم كانوا في غالبيتهم من الوثنيين. وكان الجو متاحاً لهم لاقامة طقوس عبادة الديانات الشرقية القديمة، من جديد، في بيت لحم وجوارها. أما المسيحيون المتهوّدون (المسيحيون الأول من أصل يهوديّ...) فكانوا أقلية تعيش في الخفاء... ولم يكن باستطاعتهم مقاومة الأوامر الامبراطوريّة. وهكذا، في الفترة الممتدّة من سَنة 70 الى سَنة 313، كانت فلسطين تعيش رسمياً في ظل الديانة الوثنية، كسائر أقطار العالم الروماني عهد ذاك...

وفي سَنة 324، زارت الملكية هيلانة والدة قسطنطين الكبير الأراضي المقدسة. وفي السَنة التالية، وبناء لطلب مكاريوس أسقف أورشليم الذي التقى قسطنطين في مجمع نيقية، أعطى هذا الاخير الاوامر ببناء الكنائس في فلسطين. وفي هذه الفترة بنيت كنيسة مسيحية فوق مغارة بيت لحم يهوذا. ومنذ ذلك الحين اخذت بيت لحم تصبح تدريجياً موْئلاً للحياة الرهبانية، غربية وشرقية. ومن أبرز الوجوه الرهبانية القديس إيرونيموس، الذي بقي في بيت لحم من سَنة 384 الى سَنة 420، يعيش حياة الزهد والتقشف والتأمل. وفي الوقت عينه كان يحارب البدع التي بدأت تظهر في المسيحية. أمّا العمل الجبار الذي خلّده في تاريخ

المسيحية، والذي كلّفه به البابا داماسيوس، فهو مراجعة الترجمات اللاتينية القديمة لاسفار الكتاب المقدس، ووضع ترجمة جديدة انطلاقاً من النصوص العبرانية واليونانية الاصلية. وقد سميت ترجمة ايرونيموس هذه «الفولغاته» اي المُيَسَّرَة أو المبسّطة...

في سَنة 386، وصلت الى بيت لحم الشريفة الرومانية باولا مع ابنتها اسطوخيا، وبدأت بتشييد الاديرة للرهبان والراهبات. وقد تَبِعَتْهَا بعد فترة قصيرة نخبة من النساء الرومانيات الشريفات، واخترن على مثالها الحياة الرهبانية. ولقد خصّصت الشريفة باولا ثروتها الكبيرة لبناء ديرين كبيرين، الاول لايرونيموس وتلاميذه، والثاني لها ولراهباتها، بالاضافة الى تشييد بيت كبير لاستضافة الزوار الذين يقصدون بيت لحم. وفي هذه الفترة اخذت شهرة ايرونيموس تنتشر وتشعّ، إنطلاقاً من بيت لحم، في مجالات الكتاب المقدس والحياة الرهبانية والكتابة الروحيّة. ويجمع المؤرخون على ان كتاب «حياة القديس انطونيوس الكبير»، أب الرهبان، الذي وضعه القديس اتناسيوس سَنة 350، كان له الأثر الكبير في انطلاقة الحياة النسكية والرهبانية في فلسطين أولاً ثم في سائر اقطار المشرق المسيحي...

توفي القديس ايرونيموس سَنة 420، ودفن في احدى مغاور بيت لحم القريبة من مغارة الميلاد...! وخلفه في رئاسة رهبان بيت لحم أوسابيوس الكريموني أحد كبار تلاميذ القديس إيرونيموس. ولكن أوسابيوس توفي بعد سنتين من رئاسته، مما عجّل في اضمحلال الحياة الرهبانية في بيت لحم وجوارها...

في هذه الاثناء انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين: الغربية والشرقية (395). وعندما احتلّ رومه فيزيغوط ألاريك (410) قصد المشرق الآف والآف من اللاجئين واستقروا في مدنه وقراه ومنها بيت لحم.

وخلال ثورة السامريّين في منطقة نابلس ضد الحكم البيزنطي، سَنة 529، خرّبت العساكر قرية بيت لحم التي كانت أسوارها مهدّمة لا تشكل أية حماية. بعد سنتين من هذا الاجتياح، وبناء لطلب القديس سابا، موفداً من بطريرك أورشليم، أرسل الامبراطور يوستنيانوس بعثة عملت على

إعادة بناء البازيليك فوق مغارة المهد، بالاضافة الى تشييد الكنائس والاديار واقامة سور حصين يلفّ بيت لحم من كل جهة.

وفي الحرب التي دارت رحاها بين الفرس والبيزنطيين، إحتلت جيوش أحشورش الثاني الفارسي بلاد فلسطين في سنة 614. وقد هلّل اليهود للجيوش الغازية ظنّا منهم بأنها سوف تقضي على المسيحية التي بدأت تترسّخ وتتنامى في المنطقة. أمّا الفرس الذين خرّبوا أورشليم وأعملوا فيها السيف والنار فقد وقفوا أمام بيت لحم متهيبين دون أن يصدر عنهم أي عمل مزعج. وسبب ذلك انهم رأوا في داخل كنيسة المهد فسيفساء كبيرة تمثل سجود المجوس وهم باللباس الفارسي... وهكذا سلمت بيت لحم وحدها من الغزو الفارسي، الذي لم يدم طويلاً في فلسطين. فقد تمكن الأمبراطور البيزنطي هيرقل من طرد الفرس من المشرق واستعادة فلسطين في سنة 629.

وفي سنة 637 وصل الفتح العربي الى أبواب أورشليم. ولاول مرّة منذ ثلاثة قرون متوالية لم تتمكن بيت لحم من الاحتفال بعيد الميلاد. فبعد أن دحر البيزنطيين، احتل الخليفة عمر ابن الخطّاب مدينة أورشليم سَنة 638، واطلق عليها اسماً جديداً: «القدس». ثم دخل بيت لحم وصلّى في كنيسة المهد. وكان له سياسة سمحاء تجاه المسيحيّين بحيث إنه آمن بالتعايش الاخوي بين الاسلام والمسيحية. فقد عقد اتفاقاً مع صفرونيوس بطريرك أورشليم، يُسمَح بموجبه للمسلمين بان يقوموا بتأدية صلاتهم داخل كنيسة المهد في الناحية القبلية-باتجاه مكة، ويحتفظ المسيحيّون بكامل حريتهم في العبادة والصلاة، مع حق الاحتفاظ والاعتناء باماكن العبادة من كنائس وأديرة ومزارت. وقد دامت الحال، على هذا المنوال، سنوات طويلة...

غير أن الفتح العربي أخذ، مع الوقت، يحدث تغييراً جذرياً في بيت لحم، حتى ان الحياة المسيحية اخذت بالذبول وعدد المسيحيين بدأ يتضاءل. فبينما كان هناك ستة أديرة في بيت لحم تعجّ بالرهبان والراهبات عدا الكهنة والنساك والمتوحدين، أيام الامبراطور يوستنيانوس في أواسط القرن السادس، فإن عدد رجال الدين المسيحيين قد تدنى الى 17، ايام «شارلماني» بحسب إحصاء سَنة 808، بين كاهن وراهب ومتوحّد...!

ورغم ذلك، ظلّت سياسة الخلفاء الراشدين بعد عمر بن الخطاب، سياسة وفاقية سمحاء مع المسيحيين. غير أن الامور قد تغيرت تماماً، واخذت منحى خطيراً، مع الخليفة الفاطمي، في مصر، الحاكم بأمر الله... ففي سّنة 1010 أمر هذا الخليفة باضطهاد المسيحيين ودكّ كنائسهم وأديرتهم. ووصل به الأمر الى هدم كنيسة القيامة في القدس. وحصل ضيق شديد على جميع مسيحيّي فلسطين. غير أن بيت لحم وحدها قد نجت من هذا الاضطهاد الشديد. والبعض يعزو هذا الامر الى حصول آيات وعجائب منعته من تدمير بيت لحم، والبعض الآخر يقول بل هي الاموال الطائلة التي كانت تجنيها البلدة من الحجّاج والزوار الآتين من كل اصقاع الأرض. وقد أمر بإرسالها اليه باستمرار...

في سَنة 1099 خرّبت جيوش الاسلام بيت لحم عند اقتراب الصليبيين من أبواب أورشليم. ومخافة أن يطال الخراب كنيسة المهد، كما طال غيرها من الكنائس والاديار، أرسل سكان بيت لحم الى القائد الصليبي «غودفروا ده بويّون»، المتمركز في مدينة عمّاوس، شمال-غربي أورشليم، يطلبون إليه أن يأتي ويحتلّ بلدتهم فيقيها هكذا من الخراب والدمار. فأرسل غودفروا فرقة من مائة خيّال، بقيادة «تانكرير»، لإتمام هذه المهمّة. وهكذا ارتفع علم الصليبيين فوق قبة كنيسة المهد... وفي ليلة الميلاد من سَنة 1100، توّج بطريرك أورشليم في كنيسة المهد، الملك بودوين، كأول ملك صليبي على أورشليم. وهكذا فعل الملك بودوين الثاني سَنة 1119.

وفي الواقع، عرفت بيت لحم، إبّان الحملات الصليبيّة، عهداً جديداً زاهراً من تاريخها. لقد أعيد بناؤها من جديد وأصبحت مدينة محصّنة. وقامت فيها أديار جديدة للرهبان والراهبات، شرقيّين وغربيّين. وبما أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تميّز كنيسة المهد عن غيرها من الكنائس، فظلت هكذا بيت لحم رعية صغيرة تابعة لبطريرك أورشليم، عمل الصليبيون على إبراز بيت لحم وكنيسة المهد فيها. فطلب الملك بودوين الاول من البابا باسكال الثاني ان يجعل من بيت لحم مقراً لاسقفية جديدة. غير أن اسقفية بيت لحم لم تدم طويلاً، فقد تحوّلت فيما بعد الى نيابة أسقفيّة.

بين سَنة 1165 وسنة 1169 تعاون الامبراطور البيزنطي مانويل والملك الافرنجي أموري وراوول اسقف بيت لحم على ترميم كنيسة المهد وتجديدها وتزيينها. فقد أزالوا السقف القديم وأبدلوه بخشب من أرز لبنان ورصاص، وفرشوا أرض الكنيسة والجدران بالرخام الفاخر من مدينة «كارّارة» في إيطاليا، وغطّوا السقف والحنيّة الكبرى بالفسيفساء الملوّنة. أمّا سقف مغارة المهد فقد فرشوه بالذهب... وفي هذه الفترة لبست كنيسة المهد ومغارة الميلاد افخر الحلل في تاريخها الطويل...

بعد انتصار صلاح الدين الايّوبيّ على الصليبيّين، في معركة حطّين، سَنة 1187، أصبحت مدينة بيت لحم تحت حكم الايوبيّين، كسائر مدن فلسطين. وفي سنة 1192، وبتوسط «هوبير والتر» أسقف سالزبري وسفير ريكاردوس قلب الأسد، سمحت السلطات الاسلامية لطائفة اللاتين بإقامة الشعائر الدينية في كنيسة المهد، لقاء جزية يدفعها المؤمنون المسيحيّون. ولم تدم الحال هكذا فترة طويلة من الزمن. فقد غاب الحضور المسيحيّ عن بيت لحم مرّة جديدة، من سَنة 1192 الى سَنة 1229. في هذه السَنة عاد الحضور المسيحي بقوة الى بيت لحم، بفضل معاهدة أبرمت بين الامبراطور فريدريك الثاني وبين سلطان مصر «الملك الكامل»، وتجدّدت بين ملك نافارّ وسلطان دمشق...

في عهد المماليك (1252-1517) عرفت بيت لحم أياماً عصيبة سادها الجور والاضطهاد. ففي سَنة 1266، أمر الملك بيبرس المملوكي بدكّ أسوار بيت لحم وطرد المسيحيين منها. غير أن الاماكن المقدسة ظلَّت تستقبل الحجاج والزوار كالمعتاد، واصبحت وارداتها تذهب الى خزينة الدولة المملوكية.

في هذه الاثناء، ومنذ بداية القرن الثالث عشر، أخذ الرهبان المرسلون الفرنسيسكان يتوافدون تباعاً الى فلسطين بدءاً بمدينة أورشليم. في بادئ الأمر كان هؤلاء الرهبان يؤمّنون الخدمات الروحية والرعاية الانسانية للحملات الصليبية. وبعد زوال الحكم الصليبيّ نهائياً سَنة 1291، عمل الرهبان الفرنسيسكان على البقاء في فلسطين بغية الاهتمام بالاماكن المقدسة فيها. وبين سَنة 1333 وسَنة 1337 تملّكوا الأراضي المبنيّة فيها عليّة صهيون وكنيسة القيامة. وقد فوّضهم البابا اكليمنضوس السادس

حراسة جميع الاماكن المقدسة، في رسالة مؤرّخة في 21 تشرين الثاني سَنة 1342. وفي سَنة 1347، استقرّوا نهائياً في بيت لحم، وبدأوا باقامة الشعائر الدينية المسيحية فيها كالمعتاد...

في نهاية القرن الخامس عشر كان هناك بقايا من سور مدينة بيت لحم تحوي برجين كبيرين، واحد في أعلى المدينة والثاني قرب كنيسة المهد. وعندما انتصر السلطان سليم الاول على المماليك وبدأ العهد العثماني، عملت جيوش السلطان على إزالة كل أثر لسور بيت لحم. وفي القرن السادس عشر أصبحت بيت لحم شبه مهجورة. ففي كتاب وضعه سَنة1586 الرحالة الافرنسي زوالاّر، كتب يصف بيت لحم:

«وبيت لحم اليوم بلدة فقيرة، تتوزع أبنيتها بين أخربة كثيرة وبيوت قليلة» حقيرة. سكانها فقراء يتوزعون بين بعض العائلات المحمّدية وبعض العائلات المسيحية الشرقية... وكان فتيان المسيحيين يتهافتون نحو وفود الزوار يعرضون عليهم مسابح وصلباناً من خشب. ولذلك كانوا يحفظون بعض الالفاظ والعبارات من لغات الافرنج... ويبدو ان غالبية السكان قد هجرت بيت لحم ...» (Jean Zuallart “Très dévot Voyage de Jérusalem”, Anvers 1586).

في بادئ الامر، حاول العثمانيون أن يظهروا تسامحاً دينياً مع غير المسلمين، وأن يركّزوا على الأمور الإدارية والإعمارية. يشار هنا بالمناسبة الى الاسوار التي أقامها السلطان سليمان الاكبر حول أورشليم بين سَنة 1539 وسَنة 1542، والباقية الى يومنا هذا!... غير أنه مع توالي الأيام والسنين أخذت تشتد وطأة الظلم والجور من قبل ولاة وحكام الاتراك على بلدان المشرق كافة. وقد عرفت بيت لحم خلال العهد العثماني، طوال 400 سَنة، الكثير من التخلّف والجور والظلم. أضف الى ذلك النزاعات الشديدة التي بدأت في القرن السادس عشر، بين الطائفتين اللاتينية واليونانية (الاورثوذكسية) حول حق الرعاية داخل كنيسة المهد ومغارة الميلاد. وكانت هذه النزاعات تتكرّر وتشتدّ حتى تصبح دموية في كثير من الاحيان...!

كان الآباء الفرنسيسكان قد نالوا من السلطان العثماني، منذ 1347، حق الرعاية التامة على كنيسة المهد ومغارة الميلاد. وفي اواخر القرن

الرابع عشر سعى الرئيس الأعلى للآباء الفرنسيسكان في فلسطين، لدى ملوك وامراء وأوروبا، الى ترميم وتجديد جميع الأماكن المقدّسة في بيت لحم. وتواصلت اعمال الترميم خلال القرن الخامس عشر. كل ذلك، بالاضافة الى فَرَمَانات سلطانية عدة بحوزة الفرنسيسكان، جعلت من هؤلاء أصحاب الحق الشرعيّين في رعاية جميع الاماكن المقدسة في فلسطين ومنها بيت لحم...

غير أنه، وابتداء من القرن السادس عشر، أخذ الرهبان اليونانيون، من الطائفة الأُرثوذكسية، وبتسهيل من الباشوات والحكّام، يشترون بعض الأراضي المحيطة بالاماكن المقدسة، والتي بحوزة الرهبان الفرنسيسكان. حتى إن بعض الاماكن المقدسة عينها كانت تسلّم تارة الى اللاتين وتارة الى اليونانيّين...

بالاضافة الى ما تقدم، كان مصير الرهبان اللاتين في فلسطين مرتبطاً بالحروب التي كانت تنشب من حين الى آخر بين العثمانيين «والجمهوريات البحرية» من حوض المتوسط الاوروبي. فهكذا مثلاً، على أثر تدمير اسطوله البحري من قبل عساكر «جنوا» سَنة 1537، انتقم السلطان سليم الثاني من ذلك، فأمر بسجن الرهبان الفرنسيسكان في أورشليم وبيت لحم. وقد سُجنوا أولاً في «برج داود» في أورشليم ثم نقلوا بعد ذلك الى سجون دمشق. وقد استمر احتجازهم هذا اكثر من ثلاث سَنوات. وعندما انتصرت جيوش بني عثمان على «جمهورية البندقية» سَنة 1669، أصبح وضع الرهبان اللاتين حرجاً للغاية في فلسطين. وهكذا تمكن الرهبان اليونانيون من الاستيلاء على كنيسة المهد ومغارة الميلاد...

في سَنة 1690، تمكن الرهبان الفرنسيسكان من استعادة حقوقهم في مغارة الميلاد فقط، فاخذوا يقيمون الشعائر الدينية فيها بحسب الطقس اللاتيني، كما في السَابق. وفي سَنة 1717، استبدلوا النجمة المعدنية القديمة التي كانت موضوعة فوق المكان الذي ولد فيه المسيح، بحسب التقليد الشعبي المحلّي، استبدلوها بنجمة جديدة، وحفروا عليها العبارات التالية باللغة اللاتينيّة "Hic de Virgine Maria Jesus Christus natus est" التي تعني بالعربيّة: «هنا ولد يسوع المسيح من

العذراء مريم»؟. وفي سَنة 1757 تملّك الرهبان اليونان الأرثوذكس، من جديد، كنيسة المهد ومذبح مغارة الميلاد –اجل، المذبح فقط!- وبقيت الفسحة المتبقية من المغارة بحوزة اللاتين! ونزع اليونان نجمة المغارة الآنفة الذكر التي تشهد –من حيث الكتابة اللاتينية- على حقوق الطائفة اللاتينية. وبعد مفاوضات بين الحكومة الفرنسيّة «والباب العالي» وُضعت، سَنة 1853، نجمة لاتينية تحت مذبح مغارة الميلاد. وقد استمرت «حرب النجمة» داخل مغارة الميلاد، اكثر من قرنين ونصف من الزمن، بين اليونان واللاتين، ولم تضع هذه الحرب -الفضيحة أوزارها الاّ حوالي منتصف القرن العشرين!...

منذ أوائل القرن التاسع عشر، أصبح هناك ثلاث طوائف مسيحية تتقاسم كنيسة المهد ومغارة الميلاد! اللاتين واليونان الارثوذكس ثم الارمن الارثوذكس. وكان لكل طائفة مذبحها الخاص في الكنيسة تقيم عليه احتفالاتها الدينية بحسب طقسها! حتى إن مغارة المهد الصغيرة، اصبحت هي ايضاً مقسمة بين هذه الطوائف الثلاث...! وفي فترة لاحقة سُمح لسائر الطوائف المسيحية الشرقية بإقامة الصلوات والاحتفالات في كلا الكنيسة والمغارة في بيت لحم...

بين سَنة 1831 وسَنة 1841، عرفت بيت لحم فترة هادئة ومميّزة، أيام محمد علي، باشا مصر، وابنه ابراهيم باشا. أراد محمد علي الانفصال عن السلطنة العثمانية، وجعل مصر دولة مستقلة. فدارت بينه وبين الجيش التركي معارك عدة في المشرق. وفي إحدى المعارك، أرسل محمد علي الى فلسطين فرقة عسكرية من 30 ألف رجل بقيادة ابنه ابراهيم باشا. ومنذ سَنة 1831 حتى سَنة 1841، كانت فلسطين كلها تحت حكم ابراهيم باشا. في هذه الاثناء ترك العديد من المسلمين بيت لحم وأصبح حيُّهُم خراباً. وهكذا اصبح المسيحيون يشكّلون الاكثرية فيها...

في سَنة 1841، عادت فلسطين وبالتالي بيت لحم، من جديد، تحت الحكم العثماني. فعرفت الاماكن المقدسة المسيحية مراقبة اكثر تشدّداً من ذي قبل. وعادت المنازعات تتجدّد وتأخذ طابع العنف، حول كنيسة المهد ومغارة الميلاد، بين اليونان واللاتين... ففي سنة 1873، هجم الرهبان اليونان الارثوذكس على الرهبان اللاتين أثناء إحتفال هؤلاء في

كنيسة المهد ومغارة الميلاد، فجرحوا ثمانية منهم، والحقوا أضراراً بالمغارة واستولوا على كل ثمين فيها! وبسَبب ذلك أمر السلطان العثماني بوضع حراسة مشدّدة ليل نهار لفرض الأمن في الكنيسة والمغارة. وبعد الحرب العالمية الأولى، ومع الانتداب البريطاني، استمرت الحراسة المشدّدة والمتواصلة. وبرغم كل ذلك، ظلت المناوشات، ولو خفيفة، تتجدّد من حين الى آخر...

سَنة 1948، قامت دولة اسرائيل، فاصبحت بيت لحم تحت سلطة المملكة الهاشمية في الاردن، التي عملت على رعاية وحماية جميع الاماكن المقدسة بكل سماحة وكرامة. فعرفت بيت لحم أيام سلام وأمان تذكّر بايام عمر ابن الخطّاب والخلفاء الراشدين. وعلى أثر حرب حزيران سَنة 1967، واحتلال اسرائيل لبعض الاراضي العربية، أصبحت بيت لحم تحت السيطرة الصهيونية. وأصبحت الاحتفالات الدينية تقام فيها تحت الحراب وبنادق الجيش، وباجواء ضاغطة عدائية...

وفي ميلاد سَنة 1995، أصبحت بيت لحم يهوذا تحت حكم السلطة الفلسطينية، بعد مفاوضات سلمية بين اليهود والفلسطينيّين... وبدأ فيها عهد جديد من التعايش بين المسلمين والمسيحيّين. وقد اصبح المسيحيّون أقليّة...

اما العلاقات بين الطوائف المسيحية نفسَها، في بيت لحم، وفي الاماكن المقدسة فيها بالتحديد، فقد دخلت، بدءاً بأيام المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، (1962-1965)، عهداً جديداً من التآلف والتآخي بين المسيحيّين أنفسهم وبين المسيحيّين وسائر الأديان والمذاهب. علَّ هذا العهد الجديد يستمر ويتواصل ويأخذ أبعاداً كونيّة على مشارف القرن الحادي والعشرين... في الوقت الذي تكاد تصبح فيه الارض «قرية إلكترونية واحدة!«

كلمة «اليهوديّة«

يقول المؤرخ كمال الصليبي: « «اليهودية» في فلسطين (المذكورة في الأناجيل...)، وهي منطقة القدس والخليل، اتخذت اسمها في العصرين الهلّينستي والروماني من سكّانها اليهود وليس من اسم شعب أو أرض «يهوذا»...» («التوراة جاءت من جزيرة العرب»، صفحة 174 والحاشية رقم 7). وهكذا إذاً فكلمة «اليهودية» حديثة العهد نسبياً - بالنسبة مثلاً الى كلمة «إسرائيل»... وهي بالاحرى تسمية قوميّة سياسيّة اجتماعيّة، وليست تسمية دينية. وبالتالي لا تمتّ بصلة الى «المشيحانية» أي الى عهد انتظار المسيح في العهد القديم. ومع الوقت اصبحت كلمة «اليهودية» تعني، في بعض الاحيان، أرض فلسطين كلّها، بالمعنى الواسع للكلمة. أمّا بالمعنى الحصريّ فهي تعني دوماً أرض يهوذا في جنوب فلسطين (منطقة القدس والخليل). وهكذا عند لوقا مثلاً، الذي يستعمل كثيراً كلمة «اليهودية»، في إنجيله وفي أعمال الرسل، تارة يستعملها بالمعنى الواسع للكلمة، وتارة أخرى بالمعنى الحصريّ. فهو يستعمل كلمة «اليهودية»، كما يفعل اليونان، ليدلّ على أرض اليهود كلّها، أي كل فلسطين والجليل حيث استوطن اسباط اليهود الاثنا عشر، في إنجيله في 1: 5؛ 4: 44؛ 6: 17؛ 23: 5 وفي أعمال الرسل 10: 37. ويطلق كلمة «يهودية»، كما يفعل اليهود، على جنوب فلسطين وحده، المميّز عن السامرة والجليل، في إنجيله، في 3: 1؛ 5: 17 وفي أعمال الرسل 9: 31 (راجع النسخة الجديدة، صفحة 186 والحاشية رقم 10 مع الشروحات). وفي العهد الجديد قد تطلق كلمة «اليهودية» على كل فلسطين، حتى وعلى بعض أراضي شرقي الاردن كما في متى 19: 1 ومرقس 10: 1!

كان أرخيلاوس والياً على اليهودية من السَنة 4 ق.م. الى السنة 6 ب.م. ومن السَنة 6 الى السَنة 41 ب.م.، أصبحت اليهودية إقليماً عليه والٍ، عاصمتها قيصريّة فلسطين على المتوسط. وكان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية من السَنة 26 الى سَنة 36. وكانت حدود اليهودية الشمالية تمتد من يافا على ساحل المتوسط الى نقطة نهر الاردن التي

تبعد 10 أميال الى الشمال من البحر الميت. وحدودها الجنوبية من وادي غزّة على بعد 7 أميال الى الجنوب الغربي من غزّة، فإلى بئر سَبع، فالى القسم الجنوبي من البحر الميت. من الشرق يحدّها نهر الاردن والبحر الميت، ومن الغرب البحر الابيض المتوسط. كان طول اليهودية من الشمال الى الجنوب حوالي 55 ميلاً، ونفس هذه المساحة تقريباً من الشرق الى الغرب.

وبالاضافة الى انجيل لوقا الذي تحدثنا عنه سابقاً، فقد ذكرت اليهودية مراراً في العهد الجديد، وكانت تعني القسم الجنوبي من فلسطين، المميّز عن السامرة والجليل. (راجع مثلاً: متى 2: 1، 21؛ 24: 16 -يوحنا 4: 3، 7: 3 -أعمال الرسل 1: 8، 9: 31، 10: 37، 12: 19، 28: 21- رومة 15: 23-2 قورنتس 1: 16 - 1 تسالونيكي 2: 14 الخ.(...

وهكذا عندما يطلق الكتاب المقدس، القديم والجديد، لقب «اليهودية» على مدينة بيت لحم بالمعنى الواسع للكلمة (أي كل فلسطين والجليل حيث استوطن الاسباط الاثنا عشر...) فهذا يعني ان المقصود هو بيت لحم الشمالية الجليلية، وذلك حتى نهاية القرن الرابع أو بداية الثالث قبل المسيح. لان هذا التاريخ هو تاريخ انشاء بيت لحم الجنوبية، المعروفة اليوم: في أرض يهوذا. وعندما يطلق الكتاب المقدس، القديم والجديد، لقب «اليهودية» على مدينة بيت لحم بالمعنى الحصري للكلمة (اي القسم الجنوبي من فلسطين، المميّز عن السامرة والجليل) فهذا يعني أن المقصود هو حتماً بيت لحم الجنوبية، في أرض يهوذا، المعروفة اليوم، ولكن فقط ابتداء من أواخر القرن الرابع أو أوائل الثالث قبل المسيح، أي تاريخ إنشائها كمدينة ...والمعروف، من النصوص الكتابية نفسها، أن كلّ النبؤات التي تتحدّث عن المسيح المخلّص المنتظر - عن مجيئه وطبيعته ورسالته ومكان مولده - انما قيلت في الأصل قبل القرن الرابع قبل الميلاد، اي قبل انشاء مدينة بيت لحم المعروفة اليوم...!!

مراجع الفصل

المراجع العربيّة:

-فراس السواح «الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم»، ص 57، والحاشيتين رقم 30 و 31.
-أسعد منصور «تاريخ الناصرة - من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال، مصر، 1924.
-غاستون لى هردي «تاريخ الناصرة وجوارها» باريس 1905، الترجمة العربية بقلم الشيخ فارس الخوري اللبناني 1912.
-الاب بروسبير فيود «الناصرة»، رئيس دير تِرَّاسانطا في الناصرة، باريس 1913، بالفرنسيّة.
-الاب أتناس برون «الناصرة»، رئيس ميتم السلزيان في الناصرة، نيس 1908، بالفرنسيّة.
-الدكتور سكر مجر «الناصرة»، أدنبرج 1913، بالانكليزيّة.
-الآباء الفرنسيسكان في القدس «تاريخ الناصرة - تقويم الارض المقدسة»، القدس 1920، بالعربية.
-«قاموس الكتاب المقدس»، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1971.
-راجع ايضاً الخرائط القديمة لمنطقتي الجليل واليهوديّة.

المراجع الاجنبية:

-W.F. Albright "The Akkadian Letters", 1939, pp. 439, 489
-Larousse Encyclopédique, 1ere partie, p. 189, col 2
-Lettres "Tel-El-Amarina", Texte N° 190, 5: 1
-H. Cazelles, "A travers l'Ancien Testament", in "Le Monde de la Bible" (Revue-Archéologie, Art, Histoire), Numéro spécial: Bethléem, Cité messianique, Octobre, 1983, p. 24
-Charles Perrot, "Les recits de l'Enfance de Jésus", p. 31
-Conder "Pent Wark in Palestine", p. 301
-R. Rivault, S. Santelli, C.W. Rochant, "Maisons de Bethléem". Maison neuve et Larose, 1997, p.p. 7-13 (Avec Figures, Photos et Cartes).
-Maria Teresa Petrozzi "Bethléem" (Traduit de l'italien par Albert Storme), coll. "Lieux Saints de Palestine", Franciscan Printing Press, Jérusalem, édition revue et corrigée, 1985, pp. 17-37
-J.A Knudtzon, "Die El-Amarma - Tafeln" and S.A.B. Mercer: "Tel-El-Amarna Tablets", I, pp. 249, 882.
-

الفصل الرابع

الميلاد بين التقليد والحقائق التاريخية والجغرافية

الميلاد في الأناجيل المقدّسة

رواية متّى:

يجدر بنا أولاً ان نعرض رواية الميلاد وما رافقها من أحداث، كما جاءَت في الأناجيل القانونية، وبالتحديد في إنجيلي متى ولوقا، لان مرقس ويوحنا لم يتحدثا عن ولادة المسيح...؟

جاء في إنجيل متى، بعد جدول نسَب يسوع الذي يفتح الكتاب، ما يلي:

»أما ميلاد يسوع المسيح، فهكذا كان: لمّا كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، وُجدت قبل أن يتسَاكنا حاملاً من الروح القدس. وكان يوسف زوجها بارّاً، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم على أن يتركها سرّاً. وما نوى ذلك حتى تراءى له ملاك الربّ في الحلم وقال له: يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم الى بيتك، فإن الذي كوّن فيها هو من الروح القدس، وسَتلد ابناً فسَمّه يسوع، لانه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الربّ على لسَان النبيّ: «ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً يسَمّونه «عمّانوئيل» أي «الله معنا». فلمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الربّ، فأتى بامرأته الى بيته، على أنه لم يعرفها حتى ولدت ابناً فسمّاه يسوع...

»ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهوديّة، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلهم، واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهوديّة، فقد أوحي الى النبيّ فكتب: «وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل.«...

»فدعى هيرودس المجوس سرّاً وتحقّق منهم في أي وقت ظهر النجم. ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال: إذهبوا فابحثوا عن الطفل بحثاً دقيقاً، فإذا

وجدتموه فأخبروني لأذهب أنا أيضاً وأسجد له. فلما سَمعوا كلام الملك ذهبوا. وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه مريم. فَجَثَوْا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً. ثم أوحي إليهم في الحلم الاّ يرجعوا الى هيرودس، فانصرفوا في طريق آخر الى بلادهم...

»وكان بعد انصرافهم أن تراءى ملاك الربّ ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لان هيرودسَ سيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام فأخذ الطفل وأمه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى وفاة هيرودس، ليتم ما قال الربّ عن لسَان النبيّ: «من مصر دعوت ابني...«

»فلما رأى هيرودسَ أن المجوس سخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كلّ طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتمّ ما قال الربّ على لسَان النبي إرميا: «صوت سُمِعَ في الرامة، بكاء ونحيب شديد. راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لانهم زالوا عن الوجود...«

»وما إن توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الربّ في الحلم ليوسف في مصر، وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واذهب الى أرض اسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهوديّة، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصريّاً...». (إنجيل متى 1: 18-25؛ والفصل الثاني بكامله، مع الحواشي والشروحات.(

النسخة الجديدة، في تعليقها على أحداث الميلاد هذه، في رواية متى، توضح بعض الأمور على الشكل التالي. في تعليقها على 1: 18 «أمّا ميلاد يسوع المسيح»... تقول: «... إن أمر الميلاد الشرعي يشير الى أن يوسف قبل يسوع في سلالته. لا شك أن هذه الرواية هي نتيجة تأمل لاهوتي طويل .ومن الراجح أن متى استند الى أحلام يوسف

(راجع متى 2: 13 و 19) يشير الله فيها، من خلال اعترافات يوسف، الى الافتراءَات المتعلّقة بالميلاد من بتول. واستشهد متى بنبؤة اشعيا (اشعيا 7: 14) المعبّرة عن ميلاد المسيح من عذراء (راجع أيضاً لوقا 1: 26-38). وبذلك أجاب متى عن السؤال الذي يطرحه النسَب: فيسوع هو من سلالة يوسف مع كونه مولوداً من عذراء». (النسخة الجديدة ص 37، حاشية رقم 5.(

وفي تعليقها على الآية 19 «وكان يوسف زوجها»، توضح النسخة الجديدة فتقول: «كان الشاب والشابة المتواعدان بالزواج يُعدّان زوجين حتى قبل المسَاكنة، وكان الطلاق الشرعي وحده يفسَخ الوثاق الذي يربطهما». (النسخة الجديدة، ص 37، حاشية رقم 6.(

وفي تعليقها على الآية 20 «وما نوى (يوسف) ذلك حتى تراءى له ملاك الرب في الحلم»، تقول: تدلّ هذه التسمية «ملاك الرب»، كما في العهد القديم، على تدخّل الله نفسَه (التكوين 16: 7 و 13 والخروج 3: 2). لا بدّ من التمييز بين «ملاك الرب» «والملائكة». (النسخة الجديدة ص 38، حاشية رقم 8.(

وفي تعليقها على الآية الاولى من الفصل الثاني: «ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام الملك هيرودس» تقول: ولد هيرودس الكبير حوالى السَنة 73 قبل المسيح. كان ابن انتيباتر، خازن يوحنا هرقانس الثاني (63-40 ق.م). فعيّنه الرومانيون في السَنة 47 قائد حرس الجليل، ثم قائد حرس البقاع، وفي السَنة 41 أمير الربع على اليهوديّة، وفي السَنة 40 عيّنه مجلس الشيوخ الروماني ملكاً على اليهوديّة. استولى هيرودس الكبير على أورشليم في السَنة 37 وأباد الحشمونيّين، وحصل من القيصر على طراخونيطس وباشان وحوران في شمال فلسطين. عرف بمهارته السياسيّة وبكثرة المدن الهلّينسَتية التي بناها واعتمد على حزب الفرّيسيّين. توفي في السّنة 4 ق.م.، علماً بأن يسوع المسيح ولد قبل وفاة هيرودسَ بسنتين!... ومتّى يجعل صلة بين هيرودس الملك ويسوع، مشيراً بذلك الى النزاع الذي سيقوم بين السلطات الرسميّة والملك الحقيقي الذي سَيخلّص شعبه (متى 1: 21 و 2: 2). وهناك موضوع آخر ينفرد به متى، هو أن الذي تنبذه سلطات الشعب تسجد له

الأمم الوثنية المتمثّلة بالمجوس...» (النسخة الجديدة، ص 38، الحاشية رقم 1). وفيما يخصّ كلمة «مجوس»، تعلّق النسخة الجديدة فتقول: كان لكلمة «مجوس» اليونانية معانٍٍ مختلفة: كهنة فرس وسَحرة ودعاة دينيّون ومشعوذون... ولم ترد في الترجمة اليونانية للكتاب المقدّس الاّ في سَفر دانيال (2: 2 و 10). وقد تدل هنا (في إنجيل متى) على منجّمين من بابل، لربّما كانوا على صلة بالمشيحيَّة اليهودية...! (صفحة 38، الحاشية رقم 2). وهذا يوافق ما ذهبنا اليه سابقاً من أن الاسينيّين كانوا على اتصال متواتر مع جمعيات دينية شبيهة بهم في بلاد المشرق، وأن هذه الجمعيات الدينيّة المتطورة كانت تنضوي جميعها تحت لواء هرمس الكبير، هرمس الهرامسَة... (المنظمة الهرمسية الكونيّة...). ويسوع المسيح نفسه، ألم يكن، كانسان، على «رتبة ملكيصادق»، كاهن الإله الكنعاني إيل؟ كما يقول الكتاب المقدس نفسه وخاصة المزمور 110: 4، والرسالة الى العبرانيين الفصلان 6 و 7؟ والمعروف أن هرمس الاكبر هو أول مبشّر بديانة إيل، وان المنظمة الهرمسية الكونية تشكل الاستمرارية السرّانية لديانة الإله الواحد الكنعاني: إيل. والمسيح، للمرة الألف، هو «عمّانوئيل»، أي: إيل معنا، أو الله معنا، كما تنبأ اشعيا الكبير (7: 14) وكما جاء في الإنجيل المقدّس (متى 1: 23.(

وتعترف النسخة الجديدة نفسَها، في تعليقها على الآية 6 من الفصل الثاني من متى، والتي تقول: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل...»، تعترف فتقول: هذا النصّ مأخوذ من النبي ميخا (5: 1) بتصرّف...»! (ص 39، الحاشية رقم 5). وفي الواقع، نكرّر هنا ما فصَّلناهُ سَابقاً، نظراً لأهمية الموضوع: لقد تصرّف ناسخ متى وبالغ في التصرّف حتى وقع في التحريف مرتكباً ثلاثة اخطاء دفعة واحدة (؟!!) في القسم الاول من الآية: الخطأ الأول: ميخا يقول بالحرف الواحد: «وأنتِ يا بيت لحم أفراتة» – وناسخ متى يقول: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا»! لقد حذف الناسخ كلمة «أفراتة» (الهامّة جداً) واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا»، مع انه لا وجود على الاطلاق «لارض يهوذا» في نصّ ميخا كلّه. الخطأ الثاني: ميخا يقول: «إنك أصغر عشائر يهوذا» – ومتى يقول: «لستِ أصغر ولايات يهوذا».

وبين عبارة «إنكِ أصغر» وعبارة: «لستِ أصغر» فرق هائل! والخطأ الثالث: ميخا يقول: «عشائر يهوذا» أي قبائل يهوذا – وناسخ متى يلغي عبارة «عشائر يهوذا» ويستبدلها – هكذا وبكل بساطة – «بولايات يهوذا! في الحقيقة، هذا لم يعد تصرّفاً ولا حتى تحريفاً، بل هو تبديل وتغيير اساسي جوهري في النصّ! «فالعشائر» شيء، و»الولايات» شيء آخر تماماً. ومعروف أن ناسخ متى فعل كل ذلك ليبرهن أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، وانه بالتالي ولد في بيت لحم أرض يهوذا. مع أن المسيح الذي كان ينتظره اليهود هو مسيح زمني دنيوي محارب يجعلهم ينتصرون على أعدائهم بقوة السلاح. أما يسوع المسيح فهو ابن الله الوحيد، رجاء الخلائق كلّها وانتظار الشعوب أجمعين، المخلص الوحيد للبشر وللكون الكبير بكامله... ويطيب لنا هنا أن نذكر بعض الصلوات المعبّرة وذات الطابع الشمولي والكونيّ التي ترددها أمنا الكنيسة المارونية خلال تسَاعية الميلاد فتقول: «يا رجاء الآباء وانتظار الشعوب، الذي بميلادك منحت الرجاء لبني البشر... يا كلمة الله الخارجة من فم الله لتكون حياة لكل انسان، الذي صرت خبزاً حيّاً وولدت في قرية الخبز (معنى اسم: بيت لحم) لتشبع جوعنا... أرسل الله ابنه الوحيد نوراً للأمم، واحتجب في حشى مريم ومنها تجسّم... تسعة اشهر حملت مريم بحامل الأكوان، ولم تحسّ منه بثقل لانه إله وانسان... قدّوس قدّوس قدّوس ربنا، وحيد اللاهوت ونور العالم، قدّوس قدّوس قدّوس الابن الذي اشرق بأمه مريم... أشرق بالجسد على بني آدم... وتقبّل السجود من كلّ الأمم...». إذاً، يسوع المسيح هو «انتظار الشعوب كلها»، «منح الرجاء لبني البشر أجمعين»، «إنه الحياة لكلّ إنسان»، «إنه النور للأمم»، «إنه نور العالم»، «أشرق بالجسد على بني آدم»، «وتقبل السجود من كل الأمم». فهل أبلغ وأصدق وأوضح من هذا الكلام الطقسي الماروني في وصف المسيح الحقيقي؟

وفي تعليقها على الآية 18 من الفصل الثاني من متى: «صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها وقد أبت أن تتعزّى لأنهم زالوا من الوجود»، تقول النسخة الجديدة: «ترجمة بتصرّفللنصّ إرميا 31: 15 العبري، مع بعض الاقتباسات من النصّ اليوناني .راحيل، أم بني

اسرائيل الشمال، تبكي على بنيها المجلوّين .وبيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل ...والرامة هي مكان تجمّع المنفيين المسوقين الى الجلأ (إرميا 40: 1)». (النسخة الجديدة، ص 40، الحاشية رقم 11).

وهكذا تعترف النسخة الجديدة بأمور ثلاث غاية في الأهمية: الأمر الأول أن هناك تصرفاً من قبل ناسخ متى في ترجمة نص إرميا (31: 15) العبري، مع بعض الاقتباسات من النصّ اليوناني! الامر الثاني، وهو الأهم، إنها تعترف ان بيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل كما جاء في سَفر التكوين (35: 19-20 و 48: 7). والأمر الثالث، وهو نتيجة للأمر السَابق، أن بكاء راحيل على بنيها قد حصل في الشمال حيث بيت لحم الحقيقية، وليسَ في الجنوب حيث بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، والتي بنيت بعد وقوع هذه الأحداث بمئات من السنين! والغريب، كما رأينا آنفاً، ان نسّاخ التوراة المتأخرين قد جعلوا قبر راحيل في جنوب أورشليم قرب بيت لحم المعروفة اليوم، مع ان سَفر التكوين ومن بعده سَفر يشوع يحدّدان موقع قبر راحيل في شمال فلسطين، قرب بيت لحم أفراته، أي في الجليل، في أرض زبولون! (تكوين 35: 19؛ 48: 7؛ يشوع 19: 15.(

وفي تعليقها على الآية 21 من الفصل الثاني من متى: «فقام (يوسف) فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض اسرائيل...»، تقول النسخة الجديدة موضحة: «لا شك أن متى استند، في هذه الرواية، الى رواية هرب موسَى الى مدين) راجع سَفر الخروج 4: 19-23)». (ص 40، الحاشية رقم 12). وهذا يوافق تماماً ما قلناه سَابقاً مستندين الى المفسِّر الكاثوليكي المعاصر الكبير شارل بيرّو (أحداث طفولة يسوع – متى 1-2 لوقا 1-2، ص 11-16 مع الحواشي) من أن الانجيلي متى كتب انجيله وخاصة أحداث طفولة يسوع بصيغة «المدراش اليهوديّ»، وبالتحديد بصيغة «مدراش موسَى الصغير»، ولم يكتب تاريخاً دقيقاً ومتسَلسلاً بحسب مفهومنا المعاصر للتاريخ... كان قصده أن يبرهن أن يسوع خلّص شعبه في العهد الجديد كما أن موسَى خلص شعبه في العهد لقديم. (راجع أيضاً فيما يخص الشبه بين احداث طفولة موسَى واحداث طفولة يسوع، على سَبيل المثال: سَفر الخروج 2: 15 = متى 2: 14؛ خروج 3: 2 = متى 1: 20؛ خروج 4: 19-23 = متى 2: 12 الخ.(...

وتعلّق النسخة الجديدة على الآية الاخيرة من آيات طفولة يسوع بحسَب متى، والقائلة: «وجاء (يوسف) مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً»، تعلّق موضحة فتقول: «ناصريّاً: يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النصّ الذي يستند اليه متى !؟ فاللفظ المستعمل لا يدلّ على أحد سكان الناصرة (!!!) ولا على أحد أعضاء شيعة الناصريّين، بل يرى متى فيه لفظاً يعادل لفظ «الجليلي» 26: 69. ويجوز أن نفهم هنا: «الذي في الناصرة» (21: 11، وراجع يوحنا 1: 45 أعمال الرسل 10: 38. ولربما أراد متى أن يشير به الى «قدّوس الله» المثالي، الى «النذير» (سَفر القضاة 13: 5، وراجع متى 16: 17 ومرقس 1: 24). ونحن نكرّر هنا قضية تفسير الآية «إنه يدعى ناصريّاً»، نظراً لاهميتها على الصعيدين التاريخيّ والجغرافيّ، موضوعي دراستنا هذه حول بيت لحم الحقيقية... فاذا كانت عبارة «ناصريّاً» لا تدل، بحسّب النسخة الكاثوليكية الجديدة، على أحد سكان الناصرة، أي ليسَت نسبة الى مدينة الناصرة، فهذا يعني، على الأقل، ان الباب قد اصبح مفتوحاً، بشكل واسع، لتصحيح بعض الأمور التاريخية والجغرافية الواردة في رواية الميلاد، على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة والحقائق الموضوعية.
علماً ان هذه الامور هي محض دنيوية زمنية –تاريخية وجغرافية- ولا تمت بصلة على الاطلاق الى صحة الوحي وحقيقة الاحداث وجوهر العقيدة والدين. ومعروف تماماً حتى هذه السَاعة، ان عبارة: «إنه يدعى ناصرياً»، تعني أن يسوع هو من الناصرة، هو أحد سكّان مدينة الناصرة، أي إن «ناصريّاً» هي نسبة الى الناصرة، تاريخياً وجغرافياً. وقد رأينا، في الفقرة السابقة، ان هذا التفسير التقليدي –منذ حوالي ألفَي سَنة!- هو غير صحيح. الا يدعو هذا الأمر الى العجب والغرابة؟ وهكذا، وعلى هذا المثال، فنحن ندعو في هذه الدراسَة –التي هي دراسة محض تاريخية وجغرافية، مرة أخرى- ندعو الى تصحيح تحديد الموقع والمنطقة التي ولد فيها حقاً السيِّد المسيح. فمنذ حوالي الفَي سَنة يظن الجميع ان السيّد المسيح ولد في مدينة بيت لحم، في جنوب فلسطين، في أرض يهوذا أو اليهودية، على بعد حوالي 12 كلم الى الجنوب من اورشليم (أي بيت لحم المعروفة اليوم). أما نحن فنحاول ان نثبت، بالبراهين والحجج

التاريخية والجغرافية ومن خلال الخرائط، ان السيّد المسيح قد ولد، في الحقيقة، في مغارة بالقرب من مدينة بيت لحم المدينة الكنعانية العريقة المشهورة، الكائنة في شمال فلسطين، في الجليل – «جليل الأمم»، وان هذه المغارة تقع في السّفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل بالتحديد، وأن جبل الكرمل مع سفوحه ومغاوره الكثيرة كان داخل أراضي فينيقيا – لبنان منذ بدء التاريخ، وفي أيام السيّد المسيح، وبعد المسيح بحوالي 70 سَنة! (راجع جميع الخرائط المخطوطة والمطبوعة، القديمة وبجميع اللغات الشرقية والغربية...). أجل! إن يسوع المسيح قد ولد في لبنان! «ومن له أذنان سَامعتان فليسمع...»! (وسَوف نفصّل ذلك في الفصول اللاحقة). لقد ولد في لبنان، لا في اليهودية.

رواية لوقا:

أما رواية الميلاد وما رافقها من أحداث في إنجيل لوقا، فقد جاءَت على الشكل التالي:

...»وفي الشهر السَادس أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل اليها فقال: إفرحي أيتها الممتلئة نعمة، الربّ معك. فداخلها لهذا الكلام اضطراب شديد، وسَألت نفسها ما معنى هذا السَلام. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، فقد نلت حظوة عند الله. فسَتحملين وتلدين ابناً <u>فسَمّيه</u> يسوع. سَيكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: إن الروح القدس سَينزل عليك، وقدرة العلي تظلّلك، لذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يدعى. وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا الشهر السَادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً. فما من شيء يعجز الله. فقالت مريم: أنا أمة الرب، فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها...

...»وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا، ودخلت بيت زكريّا، فسَلّمت على اليصابات. فلمّا سَمعت

اليصابات سَلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس، فهتفت بأعلى صوتها: مباركة أنت في النساء! ومباركة ثمرة بطنك! من أين لي أن تأتي أم ربي؟ فما إن وقع صوت سَلامك في أذنيّ حتى ارتكض الجنين في بطني. فطوبى لمن آمنت: فسَيتمّ ما بلغها من عند الرب... وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها...

«وفي تلك الايام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الاحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريّة. فذهب جميع الناس ليكتتب كل واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً. وبينا هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لانه لم يكن لهما موضع في المضافة...

«وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البريّة، يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الربّ حولهم، فخافوا خوفاً شديداً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا، ها إني أبشّركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كلّه: ولد لكم اليوم مخلّص في مدينة داود، وهو المسيح الربّ. واليكم هذه العلامة: سَتجدون طفلاً مقمّطاً مضجعاً في مزود. وانضمّ الى الملاك بغتة جمهور الجند السَماويين يسَبّحون الله فيقولون: المجد لله في العلى! والسَلام في الأرض للناس أهل رضاه!

«فلما انصرف الملائكة عنهم الى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: هلمّ بنا الى بيت لحم، فنرى ما حدث، ذاك الذي أخبرنا به الربّ. وجاؤوا مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود. ولمّا رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل. فجميع الذين سَمعوا الرعاة تعجّبوا مما قالوا لهم. وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور، وتتأمّلها في قلبها. ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله ويسَبّحونه على كلّ ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم...

«ولمّا انقضت ثمانية أيام فحان للطفل أن يختن، سمّي يسوع، كما سَمّاه الملاك قبل أن يحبل به...

»ولمّا حان يوم طهورهما بحسَب شريعة موسَى، صعدا به الى أورشليم ليقدّماه للربّ، كما كتب في شريعة الربّ من أن كلّ بكر ذكر يُنْذِرُ للرب، وليقرّبا كما ورد في شريعة الربّ: زوجي يمام أو فرخي حمام.

»وكان في أورشليم رجل بارّ تقيّ اسمه سمعان، ينتظر الفرج لاسرائيل، والروح القدس نازل عليه. وكان الروح القدس قد أوحى اليه أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين مسيح الربّ. فأتى الهيكل بدافع من الروح. ولمّا دخل بالطفل يسوع أبواه، ليؤدّيا عنه ما تفرضه الشريعة، حمله على ذراعيه وبارك الله فقال: الآن تطلق، يا سيّد، عبدك بسَلام، وفقاً لقولك. فقد رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سَبيل الشعوب كلّها. نوراً يتجلّى للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل. وكان أبوه وأمّه يعجبان ممّا يقال فيه. وباركهم سمعان، ثم قال لمريم أمّه: ها إنه جعل لسقوط كثير من الناس، وقيام كثير منهم في اسرائيل، وآية معرّضة للرفض، وأنتِ سينفذ سيف في نفسك لتنكشف الأفكار عن قلوب كثيرة...

»وكانت هناك نبيّة هي حنّة ابنة فنوئيل <u>من سَبط أشير</u>، طاعنة في السنّ، عاشت مع زوجها سَبع سَنوات ثم بقيت أرملة فبلغت الرابعة والثمانين من عمرها، لا تفارق الهيكل، متعبّدة بالصوم والصلاة ليل نهار. فحضرت في تلك السَاعة، وأخذت تحمد الله، وتحدّث بأمر الطفل كلّ من كان ينتظر افتداء أورشليم...

»ولمَّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...». (إنجيل لوقا 1: 26-45؛ 2: 1-40 مع الحواشي والشروحات.(

تعلّق النسخة الجديدة على مقدمة انجيل لوقا (1: 1-4)، فتقول: «يستهلّ لوقا إنجيله بمقدمة على طريقة الكتّاب اليونانيّين المعاصرين له. فيذكر من سَبقه ويلفت النظر الى تقصّيه الأمور وترتيبه المعلومات، ويهدي كتابه أخيراً الى شخص وجيه. ويظهر من خلال خطواته هذه قصده أن يكون» <u>مؤرّخاً دينيّاً</u> :!«إنه يريد أن يكتب إنجيلاً معتمداً «التقليد»... وسَنرى في كتاب لوقا أن المقصود <u>ليسَ ترتيباً زمنياً في الدرجة الأولى، بل ترتيباً أدبيّاً وتعليمياً</u>) !«...ص 186، الحاشيتان رقم 1 ورقم 5.(

وتعلّق على الآية 5 من الفصل الأول: «كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا...»، شارحة وموضّحة فتقول: «إنه هيرودس الكبير، المتوفي في السَنة 4 ق.م. (علماً بأن يسوع المسيح ولد قبل وفاة هيرودس بسَنتين...!؟) –راجع متى 2: 1 والحاشية رقم 1... وتدلّ كلمة «يهوديّة»، هنا وفي لغة اليونانيّين، على أرض اليهود كلّها . وسَيستعمل لوقا هذا اللفظ بالمعنى نفسَه في 4: 44 و 6: 17 و 23: 5 وأعمال الرسل 10: 37. وسَيطلقه، كما يفعل اليهود، على جنوب فلسطين، المميّز عن الجليل، في 3: 1 و 5: 17 وأعمال الرسل 9: 31» (ص 186 والحاشيتان رقم 9 ورقم 10.(

أمّا بخصوص بشارة الملاك للعذراء مريم، بشكل عام، فالنسخة الجديدة توضح: «إن هذه الرواية تتم فصولها في الناصرة... وهي تصوّر رسَالة يسوع أولاً بصورة المشيح التقليديّ كما وردت في أقوال أشعيا 7: 14 و 9 6 :وصموئيل الثاني 7: 14-16 (الآيات: 31-33)، ثم بصورة ابن الله المثالي (الآية 35 وراجع أيضاً رومة 1: 4). والحبل البتولي بيسوع هو علامة هذه البنوّة الفريدة والعجيبة... وفي لوقا 2: 32 هناك أيضاً تخطٍ واضح لحدود هذه المشيحية القومية اليهوديّة...؟! (ص 188-189، والحاشيتان رقم 42 ورقم 54.(

أما بخصوص مكان البشارة –الناصرة- وقضية زمن اقامة العذراء في هذه القرية، فهناك عدم توافق واضح، إن لم نقل تناقضاً، من الناحيتين التاريخيّة والجغرافية، كما رأينا سَابقاً، بين رواية متى ورواية لوقا. ونكرر هنا هذا القول نظراً لاهميته وعلاقته المباشرة بطبيعة دراستنا هذه التي هي محض تاريخية وجغرافية. فمتى يقول، عند عودة يوسف ومريم ويسوع من مصر ...» :فقام يوسف فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية. فخاف أن يذهب اليها. فاوحي اليه في الحلم، فَلَجَأَ الى ناحية الجليل .وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً...» متى 2: 21-23 والحواشي رقم 12، 13، 14). اما لوقا من جهته فانه يقول: «وفي الشهر السَادس (بعد حبل اليصابات بيوحنا(، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة

لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم...» (لوقا 1: 26-27). إن عدم التوافق واضح جداً بين النصّين من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فبحسَب متى، أقامت مريم في الناصرة، مع يوسف ويسوع، بعد رجوع الثلاثة من مصر .اما بحسَب لوقا، فقد كانت مقيمة في الناصرة عندما بشرّها الملاك جبرائيل بابنها يسوع!؟ في هذه القضية بالذات، يقول كبار مفسِّري الأناجيل اليوم، ومنهم بنوا وبوامار وبيرّو وغيرهم، إن هناك في الواقع تبايناً ظاهراً بين النصين ومن الأفضل أن نقرّ ونعترف بضعفنا وجهلنا في إعطاء الجواب الشافي على ذلك، لان كتب الأناجيل ليسَت كتباً تاريخية بحصر المعنى وبحسَب مفهومنا اليوم للتاريخ...

وعلى كلام الملاك لمريم: «لذلك يكون المولود قدُّوسَاً» تعلّق النسخة الجديدة: «قدوس»: يدل هذا اللفظ على الانتماء الى الله وحده، وهو من أقدم التعابير عن ألوهية يسوع (أعمال الرسل 3: 14 و 4: 27 و 30 راجع أيضاً لوقا 4: 34)». إذاً عبارة «قدّوس» تدل على الانتماء الى الله وحده! وليسَ على الانتماء الى داود... والعبارة التالية تؤكد على ذلك: «وابن الله يدعى». فليسَ هناك لا ابن داود... ولا من يحزنون. بل هناك «قدّوس وابن الله يُدعى». كما أن عبارة «وابن العليّ يُدعى» في لوقا 1: 32، تعني في الحقيقة وبحسَب النصّ الأصلي الاول «وابن عليّان يدعى»، أي «ابن إيل يدعى»، لان صفة «عليّان» الكنعانية، برأي الجميع اليوم، تعني: العالي جداً او المتعالي، وهي من أهم صفات الإله الكنعاني «إيل»! (راجع ملحمة البعل وعناة في «ملاحم وأساطير من أوغاريت (راس شمرا)» لأنيس فريحه، ص 373، 409، 414، 434، 438 الخ.(...

وتعلّق النسخة الجديدة على لوقا 2: 2 «وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريا...»، فتقول: «ببليوس سَلبيسيوس قيرينيوس معروف في التاريخ بأنه حاكم على سورية، أجرى إحصاء فلسطين في السَنة 6 ب.م.، أي بعد وفاة هيرودس الكبير بعشر سَنوات (وقعت هذه الوفاة بعد ميلاد يسوع، بحسَب ما ورد في متى 2: 19 وراجع لوقا 1: 5). كان مسؤولاً عن السياسَة الرومانية في الشرق الأدنى منذ السَنة 12 ق.م. أفتراه باشر عمليات الإحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس

الكبير؟ أم هل استبق لوقا الإحصاء اللاحق؟ لا تمكّننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الأمر) !!«...ص 193-194 والحاشية رقم 4.(

لقد بيّنا سَابقاً بالتفصيل أن مدينة داود، في العهد القديم، هي أورشليم –وليسَ بيت لحم، وبالتالي ان ربط يسوع بذرّية داود عن طريق بيت لحم يهوذا، أي كون داود ويسوع هما اصلاً من مدينة بيت لحم هذه، هذا الربط هو غير صحيح من الناحيتين التاريخية والجغرافية. وفي التعليق على نصّ لوقا هذا، الذي نحن بصدده، الآية 4: «وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم...»، تؤكّد النسخة الجديدة على ذلك، فتقول بالحرف الواحد: «في العهد القديم، تدلّ «مدينة داود» دائماً على أورشليم (لا على بيت لحم). (صموئيل الثاني 5: 7-9 و 6: 10-12 وسَفر اشعيا 22: 9)». (النسخة الجديدة ص 194، والحاشية رقم 6.(

وجاء في نص لوقا الذي نحن بصدده في الآية 22 من الفصل الثاني: «ولما حان يوم طُهورهما...». فعلى هذه الآية الغامضة جداً، تعلّق النسخة الجديدة فتقول: «في بعض المخطوطات: «طُهورِه»، وفي بعض المخطوطات الاخرى «طُهورِها»؟. إن الشريعة الواردة في سَفر الاحبار 12: 1-8 تتناول الأم (ولذلك القراءة الثانية) (ص 195 الحاشية رقم 24). يبقى السؤال: طهور من، في النص الأصلي الأول؟ هل المقصود طهور يوسف؟ وما دخل يوسف في موضوع الطهور، وهو لم يقم علاقة جسَديّة مع مريم؟ أو هل المقصود طهور مريم، وهي التي جاء عنها في النص نفسَه أنها: «عذراء»، «ممتلئة نعمة»، نالت «حظوة عند الله»، الروح القدس سَينزل عليها»، وقدرة العلي تظلّلها والمولود منها قدوس وابن الله يُدعى»؟ فبعد كل ما قيل فيها، هل هي بحاجة الى طهور؟ جوابنا هو كلا! معاذ الله ان تكون العذراء مريم، أم الله، بحاجة الى أي نوع من الطهور. إنها ممتلئة نعمة» وكلّية الطهارة. وإذا قيل حصل الطهور إتماماً لشريعة موسَى ولإعطاء المثل الصالح الخ... فالجواب هو أن المخطوطات القديمة غير واضحة ومحدّدة، فمنها ما يقول: «طهوره»، ومنها «طهورها»، ومنها أيضاً «طهورهما»! هذا من جهة. ومن جهة أخرى، راينا سَابقاً أن أجداد يسوع هم من أصل غير يهودي وانهم أجبروا على اعتناق اليهودية

قسراً والالتزام ظاهرياً باتّباع شريعة موسَى، وذلك قبل قرن من الميلاد على الأقل، على أيام أرسطوبولس الاول (104-103 ق.م.) ابن سمعان المكابي، الذي لقّب نفسَه ملكاً (سلالة الحشمونيين). وهكذا، فمن الممكن ان يكون اتمام شريعة الطهور قد حصل على هذا الشكل. مع العلم أن عملية الطهور لم تحصل أصلاً في أورشليم، بشكل تاريخي ثابت، كما سَنرى في الفقرات التالية. ومن المرجَّح جداً انها حصلت في الجليل وليسَ في اليهوديّة...

وإذا عدنا الى نشيد سمعان الشيخ في لوقا (2: 29-33)، والذي جاء فيه: «فقد رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سبيل الشعوب كلها، نوراً يتجلّى للأمم...»، نتبين بوضوح الطابع الروحي الشمولي لرسالة المسيح الحقيقي المنتظر، مما يتناقض مع الطابع العنصري القومي الضيّق الذي كان يسبغه اليهود على مسيحهم المنتظر. والنسخة الجديدة، من جهتها، تعلّق على ذلك موضحة: «هذه أول مرّة يبشر فيها بخلاص الوثنيّين في انجيل لوقا... ولن يعلن صراحة الاّ ابتداءً من وحي الفصح... (لوقا 24: 47)» (ص 196 الحاشية رقم 34). مما يوحي بأن سمعان الشيخ كان هو أيضاً من الجليل –»جليل الأمم»- فهو ينتظر مسيحاً روحياً عالمياً، «نوراً للأمم» «ومخلّصاً للشعوب كلها»، وليسَ مسيحاً دنيوياً عنصرياً محارباً قومياً كما كان اليهود ينتظرون. ان سمعان الشيخ، بالتالي، كان اقرب الى «الاسِّينيين» «والنصارى»، «والمنتظرين» المسيح الشامل، منه الى اليهود واليهوديّة الرسمية...

وهكذا كان الامر مع حنّة النبيّة، التي كانت هي أيضاً من الجليل. فاسمها واسم والدها والسبط التي هي منه، كل ذلك يدل على أنها جليلية: «وكانت هناك نبيّة هي حنّة ابنة فنوئيل من سَبط أشير طاعنة في السنّ...» (لوقا 2: 36). فسَبط أشير كما هو معروف وظاهر في الخرائط يقع في الجليل، على شاطئ المتوسط، الى الشمال الغربي من سَبط زبولون، حيث توجد بيت لحم الحقيقية، الشمالية الجليلية وحيث ولد في الحقيقة يسوع المسيح. ومن جهة ثانية، جاء في نص لوقا نفسه (2: 38) «أن حنّة النبيّة حضرت في تلك السَاعة، وأخذت تحمد الله، وتحدّث بأمر الطفل كل من كان ينتظر افتداء أورشليم...». فاذا كان الأمر

كذلك، وإذا كان يسوع ولد حقيقة في بيت لحم اليهودية القريبة جداً من أورشليم، أفلا يحق التساؤل، على الأقل، كيف نسي جميع هؤلاء الناس الذين سَمعوا كلام سمعان الشيخ وخاصة كلام حنّة النبيّة، كيف نسوا جميعهم أخبار الطفل يسوع وكونه ولد في بيت لحم القريبة منهم؟ زد على ذلك أن الرعاة انفسهم، قبل سمعان وحنّة، «جاؤوا مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود. ولما رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل. وجميع الذين سَمعوا الرعاة تعجّبوا ممّا قالوا لهم... ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله ويسَبحونه على كلّ ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم...» (لوقا 2: 16-20). فكيف يا ترى نسي الرعاة وجميع من سمعوا أخبارهم قصة هذه الولادة العجيبة التي حصلت قربهم في بيت لحم اليهودية؟ والاغرب من كل ذلك، كيف نسيت «أورشليم كلها» مع جوارها، وكيف نسيت «بيت لحم وجميع أراضيها» قصة هذه الولادة الفريدة، ولادة الطفل يسوع؟! فقد جاء في متى: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، فقد أوحي الى النبي فكتب: «وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل... ولما رأى هيرودس أن المجوس سَخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كلّ طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتمّ ما قال الرب على لسَان النبي إرميا: «صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزّى لانهم زالوا من الوجود...» (لوقا 2: 1-6 و 16-18.(

فبعد كل هذه الأحداث الخطيرة والكبيرة والتي انتشرت في كل تلك المنطقة من اليهودية، يتساءل المرء كيف ان جميع الناس قد نسوا كل ذلك، وكيف تلاشت نهائياً من ذاكرتهم هذه الاحداث الفريدة والخطيرة؟! فاذا كان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية، ألم يبقى، على

الأقل، شخص واحد يتذكّر شيئاً من كل تلك الأحداث؟ اليسَ في الأمر غرابة قصوى، هذا إذا كان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية؟... غير ان المسيح لم يولد، في الحقيقة، في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع على بعد حوالي 10 كلم الى الجنوب من أورشليم، بل قد ولد فعلاً بالقرب من بيت لحم الجليل في الشمال. فكان هناك طمس مقصود من قبل اليهود والمسيحيّين المتهوّدين من جهة، وجهل موروث ونسيان وخوف... من قبل الباقين حتى اليوم...! أما المسيحيون المتهوّدون فقد ركّزوا منذ البداية على أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، مستعملين كل الوسائل... لكي يبرهنوا لليهود أن المسيح ولد عندهم في اليهودية، وانه بالتالي هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، والذي كان انبياء اليهود يتنبأون عنه... من هنا كان التصرّف والتبديل والتحوير في نصوص الانبياء الذين تنبؤا عنه كي تصبح مؤاتية وملائمة لمسيح اليهود!

والبرهان على ذلك –والامر غريب وملفت حقاً- انه كان هناك منذ البداية، وعلى أيام المسيح نفسَه، تباين واختلاف حول مولد المسيح ونشأته وأصله. والخلاف في هذا الشأن كان ظاهراً وعلنياً بين الناس. فقد جاء في إنجيل يوحنا ما يلي: «... فقال أناس من أهل أورشليم: اليسَ هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. تُرى هل تبيّن للرؤساء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من اين هو، وأمّا المسيح فلا يعرف حين يأتي من أين هو. فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال :أجل انكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا ...فقال أناس من الجمع وقد سَمعوا ذلك الكلام: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا :أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وانه يأتي من بيت لحم، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه. وأراد بعضهم أن يمسكوه، ولكن لم يبسط اليه أحد يداً. ورجع الحرس الى رؤساء الكهنة والفرّيسيين، فقال لهم هؤلاء: لماذا لم تأتوا به؟ أجاب الحرس: ما تكلّم إنسان قط مثل هذا الكلام. فأجابهم الفرّيسيّون: أخدعتم أنتم أيضاً؟ هل آمن به أحد من الرؤساء أو الفرّيسيين؟ أمّا هؤلاء الرعاع الذين لا يعرفون الشريعة، فهم

ملعونون. فقال لهم نيقوديمس وكان منهم، وهو ذاك الذي جاءَ قبلاً الى يسوع: أتحكم شريعتنا على أحد قبل أن يُستمع اليه ويعرف ما فعل؟ أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحث ترَ أنه لا يقوم من الجليل نبيّ... ثم انصرف كلّ منهم الى بيته...» (يوحنا 7: 25-28 و 40-53.(

يظهر جليّاً من النصّ أنه كان هناك خلاف واضح وعلني بين الجموع في شأن يسوع. خلاف حول أصله وموطنه، هل هو من الجليل ام من بيت لحم اليهودية؟ وخلاف ايضاً حول طبيعة دعوته ورسالته، هل هو النبيّ؟ هل هو المسيح المخلّص المنتظر؟ من هو في الحقيقة هذا الرجل؟ وما هي رسالته؟ ورغم ان الاكثرية الساحقة كانت تعتقد أنه جليلي «هذا النبي يسوع من ناصرة الجليل...» (متى 21: 11)، فإن الخلاف في شأنه، ظل قائماً فيما بعد، طوال ثلاثة قرون، بين المسيحيين من جهة واليهود والمسيحيّين المتهوّدين من جهة ثانية... وكان الخلاف يدور حول علاقة يسوع بذرية داود، وحول مكان مولد يسوع: هل ولد في الجليل أم في اليهودية؟ هل ولد في ناصرة الجليل أم في بيت لحم يهوذا؟ هل مدينَتُهُ الناصرة أم بيت لحم؟...

هذه التساولات تعود بنا الى نهاية رواية الميلاد عند لوقا –أو انجيل الطفولة- الذي نحن بصدده. يقول لوقا: «... ولمّا أتمّا (يوسف ومريم) جميع ما تفرضه شريعة الرب (حول تقدمة يسوع لله وما اليها) رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...» (لوقا 2: 39-40). وهنا أسئلة هامة تفرض نفسَها من الناحيتين التاريخية والجغرافية، ولم تجد لها أجوبة الى اليوم حتى عند كبار شارحي ومفسّري الأناجيل المقدسة في يومنا هذا. وهذه الأسئلة تختصر بالتالية:

أولاً: انطلق يوسف ومريم من الناصرة الى أورشليم، بحسَب لوقا، لتقدمة يسوع الطفل لله في الهيكل. لكن بحسَب متى، سَكنت العائلة المقدسة في الناصرة، بعد عودتها من مصر؟ ما هي الحقيقة التاريخية؟ ومتى سَكنت العائلة المقدسة الناصرة؟ لا جواب تاريخي قاطع حتى اليوم!...

ثانياً: متى لم يذكر تقدمة يسوع الطفل لله في هيكل أورشليم. لماذا؟ هل حصلت هذه التقدمة، بحسب متى؟ ومتى حصلت؟ ذلك لان ملاك الرب طلب من يوسف، مباشرة بعد رجوع المجوس الى بلادهم، «أن يهرب بالطفل وأمه الى مصر...» (متى 2: 13-15). وهنا أيضاً لا جواب تاريخيّ قاطع على هذا السؤال حتى اليوم!

ثالثاً: وبحسَب لوقا أيضاً (2: 22-40)، ذهبت العائلة المقدسة، بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، من الناصرة «مدينتهم» الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع لله في الهيكل، وكأن شيئاً لم يكن!؟ كأن المجوس لم يأتوا ولم يسألوا: «أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له...» (متى 2: 2)! وكأن «هيرودس لم يضطرب وتضطرب معه أورشليم كلها...» (متى 2: 3)! وكأن «عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم لم يجتمعوا بهيرودس ويقولوا له: إن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية بحسب النبي القائل: «وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل...» (متى 2: 4-6)! وأكثر من ذلك كلّه، كيف ذهبت العائلة المقدسة من الناصرة الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع لله في الهيكل بعد أربعين يوماً من ولادته، وكأن «الملك هيرودس لم يستشط غضباً ويرسل فيقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتم ما قال الرب على لسان النبي إرميا: صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد. راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لانهم زالوا عن الوجود...» (متى 2: 16-18)! كيف حصل كل ذلك؟ ومتى؟ ألم يخف يوسف ومريم من غضب الملك هيرودس؟ ألم يخافا من عظماء الكهنة ورؤساء اليهود؟ ألم يخافا من أحد وهم يقطعا تلك المسافة الشاسعة التي تفصل الناصرة عن مدينة أورشليم؟ مع انه بعد انصراف المجوس على الفور «تراءى ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لان هيرودس سَيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام يوسف فأخذ الطفل وأمّه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى وفاة هيرودس، ليتم ما قال الربّ على لسان النبيّ: من مصر دعوت ابني...» (متى 2: 13-15)! فكيف والحالة

هذه، ذهبت العائلة المقدسة هكذا بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، من الناصرة الى أورشليم، لتقدمة يسوع لله في الهيكل بعد أربعين يوماً من ولادته؟ وكيف انه «لما أتما (يوسف ومريم) جميع ما تفرضه شريعة الرب، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتد ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...» (لوقا 2: 39-40). وكيف حصل الذهاب من الناصرة الى أورشليم والاقامة فيها والرجوع الى الناصرة، هكذا بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، وهيرودس يفتش عن الطفل ليهلكه «ويُرسل فيقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك...»؟! فكيف حصل كل ذلك اذا كان المسيح قد ولد قرب أورشليم، في بيت لحم اليهودية؟ اليسَ في الأمر، كما هو واضح جداً من مقابلة النصوص، غرابة حقيقية من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟...

على كل هذه التسَاؤلات المحرجة يجيب كبار الشارحين ومفسِّري الأناجيل، وعلى رأسهم بنوا وبوامار، يجيبون بما معناه: إن كتب الأناجيل ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة، أي بالمفهوم العلمي الحديث لعبارة «تاريخ»، لا أجوبة قاطعة على هذه التسَاؤلات، ومن الأفضل ان نقرّ بجهلنا وضعفنا! ...الخ...

أمّا إذا اعتبرنا ان يسوع المسيح قد ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل الشمالية، القريبة جداً من الناصرة –وهذا ما تسعى هذه الدراسَة الى اثباته- فان كل هذه التسَاؤلات التاريخية والجغرافية المحرجة تبطل تلقائياً ويستقيم الامر تماماً من حيث المنطق والواقع معاً. وهذا ما سَنفصّله لاحقاً.

وبعد أن عرضنا فيما سَبق رواية الميلاد والاحداث المحيطة بها بحسب متى ولوقا، ونقلنا تعليقات وشروحات النسخة الكاثوليكيّة الجديدة حولها، يجدر بنا هنا ان نضيف بعض الملاحظات التي وردت في الفترة الاخيرة حول هذه الاحداث عند بعض الشارحين والمؤرّخين والعلماء... فقد تأكد اليوم بفضل الاكتشافات الآركيولوجية –وبالتالي التاريخية والجغرافية- أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام الميلاد، فهي قد بنيت خلال القرن الثاني للميلاد! فهذا يغيّر أموراً كثيرة، ويوضح تماماً أموراً أخرى، ويكشف عن الحقيقة المجرّدة، مما يؤكد ويثبت، بشكل قاطع ونهائي، نظريتنا

الخاصة في هذه الدراسة!! (راجع فيما يخص زمن بناء الناصرة كلام اتيان نودى الاستاذ في المدرسة البيبلية والآركيولوجيَّة في كتاب جيرار مورديّا وجيروم بريُّور «ملك اليهود»، بالفرنسية، منشورات كوربُسَ كريستي- آرتي، تورين إيطاليا، 1997، ص 29-31.)

ففيما يخصّ بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، وبالتحديد فيما يخص تعيين المكان الذي حصلت فيه هذه البشارة، هناك اقوال وآراء مختلفة... منهم من يقول إن البشارة حصلت في بيت مريم ويوسف في ناصرة الجليل. ومنهم من يقول إنها حصلت في ضواحي الناصرة عند «عين الماء» حيث كانت مريم تستقي ماءً. ومنهم من يقول إنها حصلت في هيكل أورشليم عندما كانت العذراء تصلّي في داخله. ومنهم من يقول في مكان ما في الجليل دون تحديد الموقع. ومنهم من لا يحدّد أين حصلت البشارة... الخ...؟

فعلى ضوء ما رأينا يتعذر القول، بشكل علمي جغرافي ثابت، إن البشارة حصلت في الناصرة او في ضواحيها، وذلك لان اقامة مريم في الناصرة، قبل رجوع العائلة المقدسة من مصر، غير ثابت من الناحية التاريخية والجغرافية. ففي حين يقول لوقا: «إن الله أرسَل الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسُف، واسم العذراء مريم...» (لوقا 1: 26-27)، يقول متى، من جهته، إن يوسف عند عودته من مصر مع مريم ويسوع، «خاف ان يذهب الى اليهودية، فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً...» (متى 2: 22-23)؟! والقول، على ما يظهر، إن البشارة حصلت في الناصرة أو في جوارها يعود إمّا لكون العائلة المقدسة سَكنت في الناصرة، برأيهم، لفترة من الزمن، وإمّا لتفسيرات شعبية تقويّة متوارثة، وإما للإثنين معاً... والثابت أنه ليسَ هناك اسَاس تاريخي وجغرافي محقّق لحصول البشارة في الناصرة او في جوارها، عدا عن أن الناصرة نفسَها لم تكن موجودة في تلك الأيام...

أمّا القول بأن بشارة الملاك للعذراء مريم قد حدثت في هيكل اورشليم، فهو قول تقوي شعبي سطحي لا أسَاس له من الصحة على الإطلاق.

فمن الثابت ان العذراء مريم قد عاشت، مع جميع اقربائها وانسبائها، في الجليل، على الأقل قبل موت ابنها يسوع على الصليب. والتقاليد القديمة، على أنواعها، مسيحيّة كانت او يهودية أو إسلامية، تقول كلها ان مريم كانت في الجليل قبل موت المسيح. ونحن نعلم مدى سَعي المسيحيّين المتهوّدين لربط أهم الامور والاحداث بمدينة أورشليم تمشياً مع اليهود!...

إن العذراء مريم، عندما بشّرها الملاك جبرائيل، كانت في الجليل، دون أدنى شك، ولم تكن اطلاقاً في الجنوب في أرض يهوذا أي في اليهودية. وبالتحديد، لم تكن في الناصرة بعد رجوعها من مصر، لان الناصرة، كما ثبت اليوم، لم تكن موجودة بعد، فهي قد بنيت في القرن الثاني بعد الميلاد. إذاً، أين كانت العذراء مريم مقيمة بالتحديد عندما بشرها الملاك جبرائيل بالحبل بابنها يسوع المسيح؟

رأينا سَابقاً أن أهل يسوع وأقاربه وأنسباءَه وأجداده كانوا جميعاً في الجليل. وهناك إجماع تام حول هذا الموضوع. ورأينا، من جهة ثانية، أن والديه، يوسف ومريم، كانا من الجماعات الروحيّة السَاكنة في «جليل الأمم»، والتي كانت تنتظر بلهفة مجيء مخلّص روحي للبشر أجمعين يحرّر الناس كلهم من ربقة الشر والخطيئة ويحلّ ملكوت الله على الأرض ويحقق المصالحة الروحية بين الله والناس، بعكس المسيح الذي كان ينتظره اليهود. فهؤلاء كانوا ينتظرون مسيحاً زمنياً محارباً قومياً يحرّرهم من الغرباء وينتصر على أعدائهم الخ... كانت الجماعات الجليلية الروحية أصحاب نظرة انسانية روحية شاملة، وكانت على علاقة متواصلة مع جماعات روحية متشابهة منتشرة في كل اصقاع الشرق ومنها جماعة المجوس... وكانوا جميعاً ينتظرون مجيء مخلّص بشريّ روحيّ. وكانت لهم بالاضافة الى دير الاسينيّين على ضفاف البحر الميت –الذي اصبح في يومنا هذا معروفاً وشهيراً جداً- مراكز في كل فلسطين، ومنها حيّ كبير في مدينة أورشليم نفسَها مع مضافة ومستشفى في الجهة الجنوبية من المدينة. وكان احد «ابواب» اورشليم يسمّى «باب الاسينيين»...! (كل هذه الحقائق التاريخية المسجّلة في التواريخ والخرائط القديمة كانت قبل اليوم منسيّة مطموسة إمّا عن قصد أو عن

جهل موروث أو عن خوف... أمّا اليوم فقد أصبحت معروفة من الجميع...! راجع الخرائط القديمة والجديدة.(

هذه الجماعات الروحيّة الجليليّة، والتي منها «الاسينيّون» «والمنتظرون» (مجيء المخلّص الروحي) «والنذيريم» و«المكرّسون» وغيرهم...، والتي تحدثنا عنها بالتفصيل سَابقاً، هذه الجماعات كانت، قبل الميلاد بحوالي 70 سَنة، قد انتظمت في مجموعة كبرى وشيّدت ديراً كبيراً ومجموعات سَكنية فوق جبل الكرمل، بالقرب من المعبد الكنعاني القديم الذي كان قد تهدم ورمّمه النبي إيليا (سَفر الملوك الاول 18: 30). وبعد اطّلاعنا على العديد من المخطوطات والكتب التاريخية القديمة، بالاضافة الى ما نشر مؤخراً عن مخطوطات قمران (البحر الميت) وبعض الكتب السرّية الحديثة، وبعد مقابلة كل ذلك مع كتب العهد الجديد القانونية والمنحولة، تبيّن لنا بوضوح ان بشارة الملاك للعذراء مريم وأن التجسّد الالهي (لان التجسّد قد حصل في أحشاء العذراء بعد حدث البشارة على الفور) قد حصلا في الواقع، تاريخياً وجغرافياً، فوق جبل الكرمل، في الدير الكبير الذي شيدته هذه الجماعات الروحية الجليلية الآنفة الذكر! وإليكم التفاصيل:

كانت هذه الجماعات الروحية المنفتحة على الحضارات والديانات والمذاهب الروحية الشرقية كافة، تنتظر عما قريب وبلهفة قوية مسيحاً روحياً ومُخلّصاً بشرياً شاملاً يحقّ الحق وينشر العدالة بين الجميع ويصالح الناس مع الله. وكانت لهم دراساتهم وتنبؤاتهم الفلكية، وكانوا على اتصال متواتر بالمجوس الشرقيّين حول تحديد مجيء هذا المسيح المخلّص المنتظر... وقد أثبتت مخطوطات قمران في البحر الميت مؤخراً صحة وجود هذه الجداول الفلكية عند الجماعة الاسينية! وهكذا، وقبيل ميلاد يسوع المسيح، كان الشرق كله، ومنه فلسطين والجليل، ينتظر بلهفة قوية مجيء «نبيّ كبير» أو مسيح مخلّص... والأناجيل القانونية نفسَها مليئة بالإشارات حول هذا الانتظار الكبير (راجع متى 16: 13-16؛ مرقس 8: 27-30؛ لوقا 9: 18-21(

وقبل الميلاد بفترة قصيرة، واستعداداً وتحضيراً لمجيء هذا المخلّص الروحي الذي كانوا يعتقدون أنه سَيولد عندهم، باشر كبار ورؤساء هذه

الجماعات الروحيّة الجليلية، وعلى رأسهم الاسينيّون، بالتحضير المباشر لهذه الولادة الفريدة... فاختاروا 12 فتاة أو صبيّة عذراء (لاحظ الرقم 12)، من أطهر وأقدس العائلات عندهم، عَلَّ المخلّص المنتظر يولد من إحداهن. وكانت هذه الفتيات تقمن خصيصاً في الدير الكبير فوق جبل الكرمل. وقد أصبح من المعروف اليوم، وبعد اكتشاف مخطوطات قمران، أن التجمّعات السَكنية لهذه الجماعات الروحيّة المنفتحة كانت تضم الرجال والنسَاء. وهذا ما لم يكن معتاداً عند اليهود... وكانت هذه الفتيات يَعشن سَوية في نوع من العزلة «والحصن» كالراهبات المتعبدات، يقضين أيامهنّ في الصلاة والتأمل وخدمة الهيكل. وهذه ظاهرة لم تكن معروفة اطلاقاً عند الشعب اليهودي، بل كانت سَائدة عند الاسينيّين وبقية الجماعات الروحية الجليلية المماثلة. وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الفتيات المختارات يحصلن على ثقافة روحية وفكرية متقدمة، وذلك دون شك بتأثير مباشر من البيئة الكنعانية الحضارية المحيطة، كما كنّ يَتَلَقَنَّ الحقائق السرّية والإعداد المعيّن. من هذه الفتيات الاثنتي عشر المختارات بالذات كانت مريم العذراء. وكان والدها، يواكيم وحنّة، من أبرز واطهر العائلات الروحية بين تلك الجماعات الجليلية. وكانا قد تخليا عن كل ما يملكان في سَبيل تحقيق هذا الهدف السَامي. وعندما دنت سَاعة حنّة لتلد قرّر الوالدان في حال رزقهما الله صبيّة بأن يسَمياها «مريم» ويكرسَاها للرب، فتكون في عداد الفتيات المختارات. وهكذا كان. وعندما بشّرها الملاك جبرائيل بالحبل بيسوع ابن الله، كانت مريم العذراء –الملقّبة «بحمامة إيل»- تعيش بين تلك الفتيات الاثنتي عشر فوق جبل الكرمل بالذات. وجبل الكرمل هذا، كما هو معروف وثابت ومؤكّد (راجع جميع التواريخ والخرائط القديمة)، كان منذ فجر التاريخ، وفي أيام الميلاد، وبعد الميلاد بحوالي 70 سَنة، كان جبل الكرمل هذا داخل أراضي فينيقية-لبنان!!!

أجل! في لبنان بالذات حصلت بشارة الملاك لمريم. في لبنان بالذات حصل الحبل بيسوع، إذ إن الحبل به قد حصل فعلاً، كما يجمع المفسّرون، في نهاية البشارة عندما قالت مريم للملاك: «فليكن لي حسَب قولك...». في لبنان بالذات، حصل التجسّد الالهي «والكلمة صار جسداً وحلّ فينا...». وولادة يسوع المسيح عينها حصلت أيضاً في لبنان، في مغارة

بالقرب من بيت لحم الشمالية –لا الجنوبية- في سَفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، وهو موضوع هذه الدراسَة.

بعد قصة بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، ومكان حصول هذه البشارة، وبعد الحبل بيسوع، تأتي قصة الاكتتاب أو الإحصاء الذي قام به الرومان. «وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الاحصاء الاول إذ كان قيرينيوس حاكم سورية. فذهب جميع الناس ليكتتب كلّ واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...» لوقا 2: 1-5.(

يجمع المؤرخون وشارحو الكتاب المقدس اليوم أنه قد حصل بالفعل نوع من الاكتتاب والاحصاءات في ذلك العصر، من قبل الرومان، لسكّان المملكة الرومانية والبلاد التابعة لسلطة قيصر. غير أنه قد ثبت اليوم ان هذه الاحصاءات قد حصلت، بشكل مؤكّد، قبل ولادة المسيح بفترة طويلة او بعد ولادته بسَنوات عديدة ولم يحصل أي إحصاء كان عند ميلاد يسوع بالذات، كما في رواية لوقا؟! وهناك اليوم إجماع تامّ حول هذا الموضوع بالذات، من قبل جميع المؤرخين وشارحي ومفسّري الكتاب المقدّس...! والمؤرخون في ذلك العصر، وعلى رأسهم المؤرخ الشهير يوسيفوس (فلافيوس جوزاف)، لم يذكروا أي نوع من الإحصاء أو الاكتتاب في الزمن الذي ولد فيه المسيح. حتى إن متى نفسَه الذي تحدّث عن الميلاد والاحداث المحيطة به لم يذكر شيئاً عن الإحصاء والاكتتاب ولا عن سَفر يوسف ومريم الحبلى من الجليل الى بيت لحم... كما أن مرقس ويوحنا هما ايضاً، من جهتهما، لم يذكرا شيئاً عن الميلاد وطفولة يسوع! والنسخة الكاثوليكية الجديدة، التي بين أيدينا، تعلّق على موضوع الاحصاء، وقد أشرنا الى ذلك سَابقاً، فتقول: «ببليوس سَلبيسيوس قيرينيوس معروف في التاريخ بأنه حاكم على سوريَّة، أجْرى إحصاءَ فلسطين في السَنة 6 ب.م. أي بعد وفاة هيرودس الكبير بعشر سَنوات (وقعت هذه الوفاة بعد ميلاد يسوع، بحسَب ما ورد في متى 2: 19 وراجع لوقا 1: 5). كان مسؤولاً عن السياسَة الرومانية في الشرق الأدنى منذ

السَنة 12 ق.م.، أفتراه باشر عمليات الاحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس الكبير؟ أم هل استبق لوقا الاحصاء اللاحق؟ لا تمكننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الأمر...» (النسخة الجديدة في تعليقها على الاحصاء في لوقا 2: 1-5 والحاشية رقم 4 ص:193-194). وهكذا، وبعد مرور الفي سَنة على ميلاد يسوع، لا يمكن النسخة الجديدة ان تبت بتحديد زمن الاحصاء الذي ورد في لوقا. هل حصل قبل الميلاد ام بعده؟ وهي تتساَءل اليوم: أفترى قيرينيوس باشر الإحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس الكبير؟ أم هل استبق لوقا الإحصاء اللاحق؟! وهي تعترف أنه لا تمكننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الامر...»! أما التواريخ –بالمفهوم الحصري الحديث لكلمة «تاريخ»- فانها تؤكّد بالاجماع أنه قد حصلت إحصاءات رومانية قبل ولادة المسيح بفترة طويلة وبعد هذه الولادة بسَنوات عديدة، وأنه بالتالي –وهذا هو المهم والخطير في نظرنا- لم يحصل إحصاء أو اكتتاب البتّة في زمن الميلاد بالذات. وهذا يعني بوضوح، وكنتيجة منطقية حتمية، ان يوسف والد يسوع لم يذهب من الناصرة الى اليهودية، الى بيت لحم مدينة داود، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...!!! فمن جهة، لم يحصل إحصاء في ذلك الوقت كي يذهب يوسف... ومن جهة ثانية، لم يكن هناك ناصرة لينطلق منها يوسف...! هذه هي الحقيقة.

وجاء في أعمال الرسل، حول موضوع الاحصاء، ما يلي: «فقام في المجلس فريسيّ اسمه جملائيل، وكان من علماء الشريعة، وله حرمة عند الشعب كلّه. فأمر بإخراج هؤلاء الرجال (الرسل المسجونين في مجلس اليهود) وقتاً قليلاً، ثم قال لهم: يا بني إسرائيل، إياكم وما توشكون أن تفعلوه بهؤلاء الناس. فقد قام ثودس قبل هذه الأيام، وادّعى أنه رجل عظيم، فشايعه نحو أربعمائة رجل، فقتل وتبدّد جميع الذين انقادوا له، لم يبقَ لهم أثر. وبعد ذلك قام يهوذا الجليلي أيام الاحصاء، فاستدرج قوماً الى اتّباعه، فهلك هو أيضاً وتشتّت جميع الذين انقادوا له...» (أعمال الرسل 5: 34-37.(

فالنسخة الجديدة تعلق على هذا النص، فتقول: «كتب المؤرخ اليهوديّ يوسيفوس أن «ثودس» كان يدّعي أنه نبيّ ويعد أنصاره بأنهم سَيعبرون

نهر الاردن على اليبس، كما فعل يشوع محرّر أرض الميعاد... والعصيان الذي تزعّمه «يهوذا الجليليّ» ورد ذكره أيضاً عند يوسيفوس المؤرخ، ولقد نتج عن الاحصاء مباشرة (4 ق.م. أو 6 ب.م.). وكان هذا العصيان منطلقاً لحركة الغيورين، علماً بأن هذه الحركة لم تفشل...» (ص 388، الحاشيتان رقم 16 ورقم 17). وهذا دليل آخر، في الكتاب المقدّس نفسَه، وفي يوسيفوس المؤرّخ أيضاً، أن الإحصاء أو الاكتتاب لم يحصل زمن الميلاد نفسَه، بل قبله بفترة من الزمن! مع أن لوقا يقول عن الإحصاء الذي جرى وقت الميلاد أنه الاحصاء الاول؟! فقد جاء بالحرف الواحد: «وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سورية. فذهب جميع الناس ليُكتتب كل واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة... ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...» (لوقا 2: 1-5)؟! ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بتعليق النسخة الجديدة التي تقول حول هذا الموضوع: «... لا تمكّننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الامر...» (ص 194، الحاشية رقم 4، المقطع الأخير)؟!

يقول الشارح واللاهوتي الكاثوليكي الكبير، والاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، شارل بيرّو: «إن مشكلة الإحصاء في الأناجيل لم تحسم بعد، فهي قائمة الى يومنا هذا... («يسوع والتاريخ»، 1979، ص 86). ويوافق هذا القول لاهوتي كبير لآخر، هو أوسكار كولمن في كتابه: «الولادة وشجرة الميلاد»، منشورات «سَيرف»، 1933. وهكذا، يتبين لنا أن كتب الأناجيل المقدسة لا يمكن اعتبارها، مرة أخرى، كتباً تاريخية بحصر المعنى وبحسَب مفهومنا اليوم، العلمي والدقيق، لكلمة «تاريخ». وهكذا، لم يذهب يوسف ليكتتب هو ومريم خطيبته الحامل، لانه، وبكل بسَاطة، لم يكن هناك اكتتاب او احصاء في ذلك الوقت بالذات! والذي جعل عامة الناس يعتقدون أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، الجنوبية، بالقرب من أورشليم، وليس في بيت لحم الشمالية في الجليل، هو هذا المقطع الوارد في لوقا 2: 1-8، والغير الثابت والدقيق تاريخياً وجغرافياً، والذي ورد فيه: «وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور... وصعد يوسف أيضاً من الجليل

من مدينة الناصرة الى اليهودية... ليُكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...» (لوقا 2: 1-7). مرّة أخرى، الناصرة لم تكن موجودة أيام يوسف!

يقول اليوم الشارحان الكاثوليكيان الكبيران ب. بنوا وم. أ. بوامار: «أن الاحصاء او الاكتتاب الذي ذكر وقت الميلاد هو أمر غير مؤكد وغير ثابت تاريخياً) «...راجع كتابهما الضخم الشهير بالفرنسية: «إزائية الأناجيل الأربعة، الجزء الثاني، ص 63، الحاشية رقم 9، المقطع الأخير). غير أنهما يذكران أكثر من إحصاء حصل في الامبراطورية الرومانية قبل الميلاد أو بعده. والعالم شارل بيرّو، أحد كبار شارحي الانجيل وكتب العهد الجديد، يقول: «في كل الاحصاءات التي حصلت في أيام أغسطس قيصر، في بلاد الغال، في إسبانيا، في مصر، في سوريّة وغيرها، كان كل انسان يسجّل في مكان إقامته وليسَ في وطنه الأصلي أو مسقط رأسه ... وكانت الغاية من تلك الاحصاءات إمّا تعداد الرجال الصالحين للحرب وإما معرفة حجم الممتلكات والخيرات بغية تحسين الضرائب. فإذا كان الامر كذلك، فمن المستبعد جداً ان يكون يوسف قد سَافر من الجليل الى اليهودية لهذه الغاية») «...أحداث طفولة يسوع»، بالفرنسية، ص 51، العمود الأول). وجاك دوكين في كتابه الشهير «يسوع» يقول نفس القول تقريباً (الفصل الثالث، ص 45). وهكذا، وإذا افترضنا أن إحصاءً ما حصل عند الميلاد، في أيام يوسف، فان هذا الأخير يكون قد اكتتب في بيت لحم في الجليل، لانه كان من هذه المدينة .غير أنه في الحقيقة التاريخية، كما ذكرنا، لم يحصل أي احصاء او اكتتاب في أيام يوسف، أي في زمن الميلاد. أمّا رواية سَفر يوسف المزعومة من الناصرة الى اليهودية اى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم (مع انه من الثابت أن اورشليم كانت تسمّي هي وحدها دوماً «مدينة داود»...)، لانه كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...، هذه الرواية، من حيث ربطها الميلاد بأرض اليهودية ومن هذه الناحية فقط، لا تستند الى أي أسَاس تاريخيّ وجغرافيّ. أما فيما سَوى ذلك، فالميلاد، كما جاء في الأناجيل المقدّسة، هو حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة ومؤكّدة، لا لبسَ فيها ولا إبهام ولا شك، على الإطلاق؛ وهي بكل تأكيد أعظم حقيقة في تاريخ البشرية والأرض. غير أن ربط أحداث رواية الميلاد بأرض اليهودية،

وببيت لحم اليهودية بالذات، كان الغاية منه ربط يسوع المسيح بسَبط يهوذا وببيت داود وبأورشليم عاصمة اليهود (ولو عاصمتهم لفترة قصيرة من الزمن...) أي بالمثلث القومي اليهودي المعروف، والذي تحدثنا عنه مراراً وتكراراً. ومفتعلو هذا الربط غير الصحيح وغير الثابت هم بعض من النسّاخ الأقدمين من المسيحيّين المتهوّدين، الذين كان همّهم اقناع اليهود، بكل الطرق والوسائل، أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود. ومعروف تماماً أن المسيح المخلّص الذي ينتظره اليهود هو قائد عسكري قومي يحرّر اليهود وينصرهم على أعدائهم ويجعلهم يستعبدون الناس أجمعين. أما المسيح المخلّص الحقيقي –أي يسوع المسيح نفسه، «فهو مخلص العالم أجمع» (يوحنا 4: 42) وهو النور للأمم والمخلّص الذي أعدّه الله للشعوب كلّها...» (لوقا 2: 31-32). وهو المخلّص الوحيد للكون الكبير بكامله... نقول ذلك تكراراً وتكراراً عن قصد، وذلك لان الصفة الكونية للمسيح تبطل الصفة الضيقة العنصرية القومية «لمسيح اليهود.«

بعد قضية الإحصاء وعلاقته بالميلاد، تأتي قضية مجيء المجوس من المشرق الى أرض فلسطين بحثاً عن المولود الفريد «الذي رأوا نجمه في المشرق...». ولقد كتب الكثير الكثير عن قصة مجيء المجوس هذه. فالبعض يثبت حدوثها تاريخياً، ومنهم التقليد الشعبي المسيحي –كما وردت في رواية متى. والبعض الآخر ينفي حدوثها تاريخياً ويرجعها الى الرواية الاسطورية الشعبية كبعض المؤرخين المعاصرين... والبعض الآخر أيضاً يلمح الى بعض المبالغات في الرواية ويناقش بعض التفاصيل فيها. أمّا نحن فالذي يهمّنا في رواية مجيء المجوس، في هذه الدراسَة، هو الناحية الجغرافية والمكان الذي قصدوه عند مجيئهم وعلاقة ذلك بمكان ولادة يسوع المسيح. وقبل أن نفصّل رأينا في ذلك، ننقل أولاً رواية قدوم المجوس وسجودهم ليسوع، كما جاءَت في إنجيل متى:

»ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنَسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة

وكتبة الشعب كلّهم واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، فقد أوحي الى النبيّ فكتب: «وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لستِ أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل». فدعا هيرودس المجوس سرّاً وتحقق منهم في أي وقت ظهر النجم. ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال: إذهبوا فابحثوا عن الطفل بحثاً دقيقاً، فإذا وجدتموه فأخبروني لأذهب أنا أيضاً وأسجد له. فلما سَمعوا كلام الملك ذهبوا. وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جدّاً. ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمّه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا إليه ذهباً وبخوراً ومرّاً. ثم أوحي اليهم في الحلم الاّ يرجعوا الى هيرودس، فانصرفوا في طريق آخر الى بلادهم»... (متّى 2: 1-12).

إن الذي يهمنا من قضية قدوم المجوس، في هذه الدراسَة، هو بالدرجة الأولى تحديد الموقع الجغرافي الذي قصدوه، مع الاعتراف بمجيئهم من الناحية التاريخية. وتحديد الموقع الجغرافي يفسِّر، بشكل غير مباشر، أموراً تاريخية ظلت فترة طويلة مبهمة وغامضة وحتى متناقضة في بعض التفاصيل حتى اليوم. مرادنا أن نبرهن على أن المجوس قد قدموا من المشرق الى منطقة الجليل وحدها، ولم يدخلوا قط أرض اليهودية في الجنوب. وإليكم القرائن والأدلة والبراهين بالتفصيل. هذا مع العلم أنه إذا كان المجوس قد قدموا الى الجليل فقط ولم يدخلوا قط أرض اليهودية، فهذا يعني بوضوح ان ولادة يسوع المسيح قد حصلت في بيت لحم الشمالية في الجليل وليسَ في بيت لحم اليهودية كما يظنّ حتى اليوم!

رأينا سَابقاً، واكثر من مرّة، أن الجماعات الروحية في الجليل، وعلى رأسهم الاسينيّون في الدير الكبير فوق جبل الكرمل، كانوا ينتظرون قبيل الميلاد مجيء «مسيح روحيّ» مخلّص للناس أجمعين، وليسَ مسيحاً قومياً عنصرياً محارباً كما كان اليهود ينتظرون... وكانت هذه الجماعات الروحية في الجليل على اتصال متواتر بسَائر الجماعات الروحية المماثلة في بلاد المشرق، في مصر وفارس وبابل. وقد تبيّن مؤخّراً أن هذه الجماعات الروحية الخاصة كانت تنتمي الى تيار روحي واحد وشبه

منظمة روحية مشرقية هي المنظّمة الروحية الهرمسية العالمية...، التي كانت مطّلعة عن الاسرار الكونية والحقائق السرّية. كانت كل هذه الجماعات تنتظر سَوية مجيء هذا المخلّص الروحي الشامل، بواسطة الدراسات الفلكية وتقصّي علامات الأزمنة. وكانت الجماعات الجليلية – وخاصة الجماعة الاسينية- قد اكتشفت، بواسطة جداولها الفلكية-الروحية، بأن المسيح الروحي المنتظر سَوف يولد قريباً في منطقتهم أي في الجليل. واليوم أصبح من الثابت والمحقق وجود هذه الجداول الفلكية عند الاسينيين، بعد أن تمّ اكتشافها بين مخطوطات قمران –البحر الميت...! ولهذا، أخذت الجماعات الروحية في الجليل تستعد بشكل واع ومباشر لتقبّل هذا المخلّص، فاختارت، كما أوضحنا سَابقاً، 12 فتاة من أطهر وأقدس عائلاتهم، عَلَّ المخلّص يأتي من إحداهنّ. وكانت مريم العذراء من بين هذه الفتيات...

والملفت حقاً، أن النسخة الكاثوليكية الجديدة نفسَها، في تعليقها على كلمة «مجوس»، تعترف بشكل واضح بالعلاقات التي كانت قائمة بين جماعة المشيحيّة القديمة في فلسطين –أي المنتظرين مجيء المسيح- وبين علماء الفلك في بابل! وهذا الاعتراف بالعلاقة بين الجماعتين، هو، على ما نعلم، الأول من نوعه في شروحات الكتاب المقدّس. وتقول النسخة الجديدة، في تعليقها على الآية الأولى من الفصل الثاني من متى والقائلة: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق...» تقول النسخة: كان لكلمة «مجوس» معانٍ مختلفة: كهنة فرس ودعاة دينيون... وقد تدل هنا على منجّمين من بابل، لربّما كانوا على صلة بالمشيحية القديمة في فلسطين) ...ص 38 والحاشية رقم 2). ويقول العالم المسيحي جاك دوكين في كتابه الشهير «يسوع»، الصادر حديثاً، يقول، مستنداً إلى مخطوطات قمران-البحر الميت» :إن الجماعة الاسينية قد حدّدت، من خلال جداولها الفلكيّة المفصّلة، زمن مجيء المسيح المخلّص .هذا ما وجدناه بين مخطوطات مغاور قمران-البحر الميت...» (ص 58، المقطع الأول)! ومن الجليل نفسَه انطلقت أخبار توقّع المخلّص وعمّت كلّ أرجاء فلسطين وجوارها. لذلك نجد في نصوص الأناجيل

المقدّسة عينها اكثر من إشارة واضحة الى هذا «الانتظار الكبير»: انتظار مسيح أو مخلّص أو نبيّ كبير، أو حتى عودة أحد الانبياء الكبار... يقول متى: «ولمّا وصل يسوع الى نواحي قيصرية فيلبّسَ سَأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان (وكان قد مات)، والبعض الآخر يقول: هو إيليا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الانبياء... فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنتَ المسيح ابن الله الحيّ» (متى 16: 13-16). ويقول مرقس من جهته: «وذهب يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبّس، فسَأل في الطريق تلاميذه: من أنا في قول الناس؟ فأجابوه: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول: إيليّا، وبعضهم الآخر: أحد الانبياء. فسَألهم: ومن أنا، في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: أنتَ المسيح. فنهاهم أن يخبروا أحداً بأمره...» (مرقس 8: 27-30). ولوقا يقول أيضاً: «واتفق أنه كان يصلّي في عزلة والتلاميذ معه فسَألهم: «من أنا في قول الجموع؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول: إيليّا. وبعضهم: نبيّ من الأولين قام. فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: مسيح الله. فنهاهم بشدّة أن يخبروا أحداً بذلك...» (لوقا 9: 18-21) الخ...

وهكذا كان الجليل وفلسطين وجوارها في انتظار حدث روحي كبير، يدور حول مجيء مسيح أو مخلّص أو نبي كبير أو عودة أحد الانبياء الكبار الأقدمين... وهكذا كل الحاضرات الشرقية الثقافية والروحية. الانتظار كان يعمّ الشرق كلّه! وحدها الجمعيات الجليلة الروحية –وعلى رأسها الجماعة الاسينيّة- كانت تنتظر قدوم «مسيح روحي» غير زمني وذي طابع انسَانيّ شامل. وكان يعزز هذا الطابع الانساني الشمولي الروح الكنعانية المحلية التي ما فتئت تعزّز، من خلال صهرها لكل المعتقدات والمذاهب، الروح الانسانية الشاملة وتسعى الى ترسيخ «عالمية الانسان»...! وجَاءت مخطوطات قمران-البحر الميت لتؤكد وتثبت روحية وشمولية المسيح المنتظر... ولذلك، نجد المسيح نفسَه ينهى تلاميذه، أكثر من مرّة، أن يخبروا أحداّ بأنه المسيح! والسَبب في نهي المسيح هذا هو، دون شك، حرصه على الاّ يظن الناس أنه مسيح زمني دنيوي كما كان يعتقد اليهود، ولان الناس لم يكونوا مُهيّأِينَ بعد لاقتبال مسيح

روحيّ سَماويّ... يقول متى: «... ثم أوصى يسوع تلاميذه بالاّ يخبروا أحداً بأنه المسيح...» (متى 16: 20). ومرقس من جهته، يقول بعد اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح: «فنهاهم أن يخبروا أحداً بأمره...» (مرقس 8: 30). ولوقا يقول بعد اعتراف بطرس أيضاً: «فنهاهم بشدّة أن يخبروا أحداً بأنه المسيح...» (لوقا 9: 21.(

والنسخة الجديدة في تعليقها على نهي المسيح هذا، الوارد في مرقس (8: 30)، تقول: «لا يتضمن ردّ فعل يسوع هذا، في نظر مرقس، أي استنكار للقب «المسيح»، علماً بأنه سَيقبله (في 14: 62). يخضع هذا اللقب (المسيح) للتوصية بالسكوت كلقب ابن الله وسَائر تعابير الكنيسَة. (راجع 1: 34 +، و1: 44 +) وهي تعد سَابقة لأوانها قبل انتهاء رسَالة يسوع بالموت والقيامة (راجع 4: 22 + و 9: 9). وإن أردنا أن نفهم سَبب تشديد مرقس على «سرّ» يسوع، لا بدّ لنا ان نأخذ بعين الاعتبار، لا التباسات الالقاب المشيحية اليهودية فقط، وهي غير كافية لتحديد رسَالة يسوع، بل التقدّم الذي أحرزه إيمان الكنيسة القديمة أيضاً، واجتهاد مرقس في إعادة قراءة حياة يسوع الأرضية في ضوء وحي الفصح...» (النسخة الجديدة، ص 152 والحاشية رقم 21). والبرهان على ذلك، أن يسوع نفسَه في الوقت المناسب، وفي اثناء محاكمته مثلاً، صرّح عالياً وبوضوح تام انه هو «المسيح» ابن الله الحيّ. يقول مرقس: «فسَأله عظيم الكهنة ثانية قال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ (والمبارك هو الله) فقال يسوع: أنا هو. وسَوف ترون ابن الانسان جالساً عن يمين القدير، وآتياً في غمام السماء» (مرقس 14: 61-62). ومن بقية النص عينه، يتضح ان يسوع هو غير «المسيح» الذي كان ينتظره اليهود. لان مرقس يتابع: «فشقّ عظيم الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد الى الشهود؟ لقد سَمعتم التجديف، فما رأيكم؟ فأجمعوا على الحكم بأنه يستوجب الموت. وأخذ بعضهم يبصقون عليه، ويُقَنِّعُون وجهه ويلطمونه ويقولون: تنبّأ! وانهال الخدم عليه باللّطم...» (مرقس 14: 63-65). أجل! ان يسوع، كما هو واضح في الأناجيل المقدسة وكما صرّح هو نفسه علناً بذلك، ليسَ «المسيح» الذي كان ينتظره اليهود –مسيحاً زمنياً دنيوياً ملكاً

محارباً...- بل هو في الحقيقة «المسيح الحق»، المسيح الروحيّ السماويّ الشامل، مخلّص الناس أجمعين والكون الكبير بكامله...

هذا المسيح الروحي الشامل هو الذي كان ينتظره كبار الجماعات الروحية الجليلية بعد أن حدّدوا زمان مجيئه من خلال دراسَاتهم وأبحاثهم الفلكيّة. وهذه الدراسَات الفلكيّة كانت مقتصرة عليهم وحدهم في كل تلك المنطقة، لان كتب التوراة كانت تحرّم بشدّة على اليهود اللجوء الى الفلكيين والعرّافين والمنجّمين. فقد جاء في كتاب أشعيا النبي ما يلي: «قد أعييتِ، أيتها البكر بنت بابل، من كثرة مشوراتك. فليقف المنجّمون الناظرون في الكواكب، المعرّفون عن رؤوس الشهور، وليخلّصوكِ ممّا هو أتٍ عليكِ. إنهم سَيصيرون كالقشّ فتحرقهم النار، ولا ينقذون أنفسهم من يد اللّهيب، ولا تبقى جمرة يستدفأ عليها، ولا نار يقعد أمامها...» (سَفر أشعيا 47: 13-14). وسِفْرُ الأحبار يشدّد على ذلك فيقول: «لا تقصُدُوا العرافين والمنجّمين، فتتنجّسوا بهم: أنا الرب إلهكم...» (سِفْرُ الأحبار 19: 31).

»لقد قلّب علماء الاسينيّين طرفهم في السَماوات وسَامروا النجوم ورقبوا الكواكب ورعوها ليتبيَّنوا خطة الله فيها، وكتبوا في ذلك ودوّنوا... فهناك درج يتضمّن أثر النجوم والكواكب في مصير الإنسان جسَداً وعقلاً... وهناك ما يبحث في تغييرات الطقس وآثارها في الحوادث الجارية: فبرقة أو رعدة معيّنة قد تنبئ بوصول غريب الى قمران أو بوقوع حادث غير عادي الخ...» (الدكتور أسَد رستم مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران طبعة ثانية، بيروت لبنان، 1990، ص 72.(

وهكذا في حين كانت علوم الفلك والتنجيم محرّمة تماماً على اليهود، حتى في النصوص الكتابية نفسها، كانت الجماعات الروحيّة الجليليّة، وخاصة جماعة الاسينيّين، يلجأون الى هذه العلوم لمعرفة أحوال المستقبل. وقد أجمع علماء اليوم الذين درسوا مخطوطات البحر الميت في قمران أن جماعة قمران كان لديها درج خاص يحوي جداول ولوائح منتظمة في علوم الفلك والتنجيم، بغية معرفة أحوال المستقبل...

يقول الدكتور هـ. سبنسر لويس في كتابه «الحياة السرّية ليسوع»: «تقول الوثائق والمخطوطات الشرقية القديمة إن جماعة المجوس، وهم

من المنظمة الهرمسية الروحية العالمية، قد لمحت في المشرق بعد دراسات وأبحاث فلكية مفصّلة، النجم الذي يدلّ على ولادة المسيح المخلّص البشريّ المنتظر... وقد توجهوا الى منطقة فلسطين قبل عدة أسابيع من وقوع الحدث الكبير... وبعد أن قدّموا للطفل الالهي الاكرام والتقدمات الثمينة صعدوا الى جبل الكرمل المتاخم لمكان الولادة حيث أطلعوا كبار جماعة الكرمل على طبيعة ورسّالة هذا المولود الفريد وطلبوا اليهم توفير كل الظروف الملائمة لتربيته وتثقيفه وإعداده... وبعد فترة من الزمن قفلوا راجعين الى حيث انطلقوا...» (الفصل السَادس: «مكان ولادة يسوع والمجوس»، ص 104-105.(

يتبيّن من هذا النص، بالاضافة الى ما ذكرنا في الفقرات السَابقة، عدّة حقائق تاريخيّة وجغرافية لم يحصل تركيز وافٍ عليها حتى اليوم، او لم يجرؤ أحد على إعلانها حتى اليوم، وهي التالية: أولاً كانت حاضرات الشرق كلها تتلهّف لمجيء مخلّص بشري روحي كبير، وكان علماء الفلك والمنجّمون يجرون الأبحاث والدراسات حول تحديد زمن مجيئه. ثانياً كانت جماعات المنظّمة الهرمسية في الشرق على اتصال متواتر، بعضها مع بعض، حول تحديد زمن ولادته .وقد توافقت أخيراً هذه الجماعات الروحية على ن منطقة فلسطين (آنذاك، أي جنوب أرض كنعان) هي المكان المحدّد لولادة هذا المخلّص. ثالثاً عندما قدم مجوس الشرق الى المنطقة لم يذهبوا الى الجنوب أي الى اليهودية، بل قصدوا الجليل، في الشمال، لأنهم كانوا يعرفون بالتحديد موقع الولادة... وبعد أن سَجدوا للطفل الالهي كان من الطبيعي جداً أن يبقوا في المنطقة لفترة من الزمن يتوافقون خلالها مع زملائهم المحليّين –الجماعات الجليليّة الروحيّة- حول مصير الطفل وظروف تربيته وتثقيفه وإعداده... نظراً لرسَالته البشرية السَامية. لذلك، وبعد سجودهم للطفل الالهيّ قصدوا جماعة جبل الكرمل الملاصق لمكان الولادة... هذه الجماعة الذين كانوا على اتصال مستمر معها حول مجيء هذا المخلّص. رابعاً اذا كانت كل هذه الامور قد حصلت فعلاً في الجليل، في منطقة جبل الكرمل، فان ولادة يسوع قد حصلت، ليسَ في بيت لحم اليهودية في أقاصي الجنوب، بل بالاحرى في بيت لحم الشمالية الجليلية المتاخِمة لجبل الكرمل بالذات، والكائنة الى اليوم،

في سفوحه الشمالية الشرقية (راجع جميع خرائط العالم القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، بجميع اللغات...!). وتكرارنا لمراجعة الخرائط مقصود أيضاً، وذلك لان الطابع «العلمي» للخرائط يقنع نظر انسان اليوم وعقله ومنطقه العلميّ.

وعلى ضوء كلّ ما سَبق، وبالاضافة اليه، وزيادة في التأكيد، نفهم الآن لماذا تؤكد الأناجيل المنحولة –من النواحي التاريخية والجغرافية...- أن المجوس لم يدخلوا قط أرض اليهودية في الجنوب، بل دخلوا أرض الجليل حيث ولد يسوع، في بيت لحم الجليلية، وحيث قدموا وسَجدوا به... يقول الانجيل القديم بحسَب يعقوب –وقد ثبت أن هذا الانجيل هو أقدم الأناجيل وأقدم كتب العهد الجديد كلّها- يقول ما ترجمته الى العربية، بالحرف الواحد: «... وقد أوحى ملاك الرب الى المجوس الآتين من المشرق بالاّ يدخلوا الى أرض اليهودية بل الى أرض الجليل...» (الانجيل القديم ليعقوب 21: 1-4 راجع أيضاً: «الاناجيل المنحولة» إعداد وتقديم دانيال روبس و ف. أَميو، ص 63، «الأناجيل المنحولة» اعداد وتقديم فرانس كيرى ص 83؛ وب. بنوا وم.أ. بوامار في مجلّدهما الكبير «إزّائية الأناجيل الأربعة»، الجزء الأول، ص 10، الحاشيتين رقم 1 ورقم 2). وهكذا، وبحسَب هذه الأناجيل أيضاً، يتبيّن أن المجوس الآتين من المشرق لم يدخلوا أرض اليهودية في الجنوب، بل قصدوا مسبقاً أرض الجليل حيث تمّت ولادة يسوع في بيت لحم الجليلية الشمالية. وحتى أنهم لم يعرّجوا على اليهودية حيث بيت لحم المعروفة اليوم، لا في مجيئهم ولا في إيابهم. أمّا لماذا حاول النسّاخ المتأخرون، وهم من المسيحيّين المتهوّدين، أن يوهموا الناس بأن المجوس قدموا الى أورشليم واجتمعوا بالملك هيرودس –وبالتالي أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم بالذات- فَلأَسباب عينها التي ذكرناها أكثر من مرّة ألا وهي: التركيز على أورشليم العاصمة اليهودية أنذاك وجعلها محور الأحداث، ومحاولة ربط يسوع بذرية داود وسلالته، كلّ ذلك لكي يبرهنوا ان يسوع المسيح هو مسيح اليهود...!؟

أما إذا عدنا الى التاريخ، بالمفهوم الحديث لكلمة «تاريخ»، فلا نجد أي ذكر لمجيء المجوس الى أرض اليهودية عند جميع مؤرخي ذلك العصر. فالمؤرّخ فلافيوس جوزاف –يوسيفوس- الذي ذكر كل شاردة وواردة حصلت

في اليهودية في ذلك الزمان لا يذكر شيئاً عن قدوم المجوس الى اليهوديّة! مع أن مجيء المجوس للبحث عن مكان ولادة «ملك اليهود»، بحسَب نسّاخ متى المتأخرين، قد هزّ بقوة هيرودس الملك وأحبار اليهود وأورشليم كلّها. فقضية ولادة ملك جديد لليهود قضية في غاية الاهمية والخطورة بالنسبة الى الجميع، وحتى بالنسبة الى قيصر رومه نفسَه. وهذا أمر طبيعي جداً وفي غاية المنطق والمعقول. ومع هذا كلّه، فان المؤرخ الامبراطوري الكبير يوسيفوس، وهو المؤرخ المرجع الثقة، لم يذكر أي شيء عن هذا الحدث البالغ الخطورة! إنه، في الحقيقة والواقع، أمر في غاية الغرابة! والمؤرخون الرومان، امثال لاكتانس وبلينوس وسَيّوتون وغيرهم، الذين تحدثوا عن يسوع المسيح، لم يذكروا شيئاً عن مجيء المجوس ولا عن ولادة «ملك جديد لليهود»، مع أن هذا الامر كان يعنيهم بشكل مباشر... وذلك لأنهم رومان، ولأن هذا الملك يهدّد سلطة الملك هيرودس الذي عينه الرومان ملكاً على اليهوديّة!...

وإذا تصفحنا كتب كبار المؤرّخين العرب والمسلمين، كالطبري والمسعودي وغيرهم، فلا نجد أي ذكر فيها لمجيء المجوس الى أرض اليهوديّة أو الى أورشليم بالذات، ولا أي ذكر لولادة ملك جديد لليهود. يروي الطبري، المؤرخ والمفسّر المسلم الشهير، من الجيل العاشر المسيحي، قدوم المجوس الآتين من الشرق، ويعطي عن تقادمهم شرحاً يقرب من تفسير المسيحيّين: «فالذهب يقدم لامير عصره، والمرّ بلسَم لجراحه وما البخور الاّ رائحته تبلغ السماء...». غير ان الطبري لا يذكر أي شيء عن اليهودية أو أورشليم أو الملك هيرودس. بل يقول بالحرف الواحد: «مرّ المجوس، الآتون من الشرق، بملك الشام وأخبروه بامر المولود الجديد...» (راجع تاريخ الطبري 1: 727-729؛ راجع أيضاً: «مروج الذهب» للمسعودي 4: 77-80؛ «وكتاب العبر» لابن خلدون 2: 148، وغيرهم...). والمعروف أن فينيقية عهد ذاك كانت تسمّى: فينيقية – سوريّة... (الشام)- راجع أيضاً الخرائط المنشورة في هذا الكتاب.

وهكذا يتبيّن لنا أخيراً وبوضوح أن المجوس الآتين من الشرق لم يدخلوا أرض اليهودية حيث أورشليم وبيت لحم يهوذا، بل دخلوا أرض الجليل في الشمال حيث منطقة الكرمل وبيت لحم الحقيقية حيث ولد السيّد

المسيح في مغارة قريبة من بيت لحم الجليل، وفي سفوح جبل الكرمل بالذات. وذلك بالاستناد الى الوثائق والخرائط والقرائن التاريخية والجغرافية القديمة، والأناجيل المنحولة، وبعض كبار مؤرخي العرب والاسلام، وبعض المؤرخين والمفسِّرين المسيحيين من قدماء وحديثين ومعاصرين...

وبعد قضية المجوس ومجيئهم من الشرق الى الجليل، تأتي قضية قتل أطفال بيت لحم وجميع أراضيها على يد هيرودس الملك، كنتيجة مباشرة لمجيء المجوس والولادة المزعومة لملك اليهود... هذا يعني أنه لو لم يأت المجوس ويسألوا عن «ملك اليهود الذي ولد...»، بحسَب رواية متى (2: 1-12)، لما اضطرب الملك هيرودس وخاف على ملكه... «فأرسل فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس...» ولئلا نقع في التكرار نقول إن كل ما قدمناه، في الفقرات السابقة، عن المجوس وقصدهم من المجيء ودخولهم فقط الى أرض الجليل حيث حصلت الولادة، وعن عدم دخولهم الى اليهودية حيث بيت لحم المعروفة، كل ذلك، وكل ما ينتج عنه، ينطبق بالتالي، وكنتيجة منطقية حتمية، على قضيَّة قتل اطفال بيت لحم وكل أراضيها... وبعبارة أبسَط إن عملية قتل أطفال بيت لحم هذه لم تحصل أبداً في أرض اليهودية في الجنوب، بل هي قد تكون حصلت –في حال حصلت بالفعل تاريخياً- في مدينة بيت لحم الجليل الشمالية «وكل أراضيها...«

إن قتل أطفال بيت لحم «وكل أراضيها»، هو في الحقيقة، مجزرة بشرية بكل ما لهذه الكلمة من معنى. ونحن نعرف، والكتاب المقدس نفسه يصرّح بوضوح انه كان لمدينة بيت لحم شيوخ عديدون يمثلونها، وكان لها أبواب ومداخل وسَاحات يجتمع فيها الشعب. فقتل كل أطفالها وأطفال جميع أراضيها من ابن سَنتين فما دون ذلك، يشكّل في الواقع مجزرة انسانية حقيقية. والقتل هو قتل اطفال صغار ابرياء وعزّل... فلو كانت هذه المجزرة الفظيعة قد حصلت فعلاً في بيت لحم اليهودية بالقرب من أورشليم، أفلم يكن من البديهي والطبيعي والمعقول أن يأتي على ذكرها، ولو بإشارة عابرة، واحد من مؤرخي العالم؟ وبنوع خاص واحد من مؤرخي ذلك العصر وتلك المنطقة بالذات؟ أنه في الواقع لأمر عجيب غريب

للغاية فلا المؤرخون اليونان ولا المؤرخون الرومان ولا المؤرخون العرب والمسلمون ولا غيرهم، اشاروا الى هذه المجزرة البشعة، ولو بكلمة واحدة. والمؤرخ الكبير يوسيفوس، المؤرخ اليهودي لذلك العصر ولكل تلك المنطقة، والذي أورد كثيراً من التفاصيل في تواريخه، هو أيضاً لم يذكر هذه المجزرة بعبارة واحدة؟ وحتى في يومنا هذا، لا أحد من المؤرخين ولا من شارحي ومفسّري الأناجيل المقدسّة يؤكد حصول مجزرة بيت لحم هذه، بشكل تاريخي، في أرض اليهودية. أما اذا كانت مجزرة بيت لحم قد حصلت –هذا اذا كانت قد حصلت فعلاً- في بيت لحم الحقيقية الشمالية في الجليل، كما تحاول هذه الدراسة ان تثبت، فان كل التساؤلات تبطل دفعة واحدة، وينتفي العجب وتتلاشى الغرابة وتلتقي القرائن ويسود المنطق التاريخي والجغرافي. فلا مجال في علم التاريخ والجغرافية للأفكار المسبقة والتفسير التقوي والتأويلات الشعبية السَطحية، ولا بالأحرى للطمس والتحريف والجهل الموروث... والخوف... وعندما نقول «الخوف» ونكرر هذا القول، في هذه المواضيع بالذات، فانما نَعْنِي الخوف من اليهود ومن المسيحيّين المتهوّدين...

وإذا عدنا الى المؤرخ الكبير يوسيفوس، مؤرخ ذلك العصر وتلك المنطقة، نقرأ في كتابه الكبير «الآثار اليهوديّة» ما ترجمته الى العربية: «أغرق هيرودس الكبير، بواسطة حرسه الخاص، ابن حميّه الشاب الجميل «أرِستوبيل» الذي كان ذا شعبية كبيرة... والذي كان مهيأ لان يصبح رئيس الكهنة... وكان ارستوبيل عندما مات غرقاً بعمر السابعة عشر! ثم قتل على التوالي: ابن حميّه الآخر المدعو جوزيف، ثم الملك الشيخ العجوز هيرقان الثاني الذي كان بعمر 80 سَنة، ثم قتل زوجته الاشمونية «مريامن» ذات الشخصية القويّة، والتي كان يحبّها كثيراً، ثم قتل ولديه «أرستوبيل والكسندر»... وقبل موته، أثناء مرضه العضال، أمر هيرودس بقطع رأس ابنه الثالث «أنتيباتر»...، ثم أمر بإحراق 40 شاباً يهودياً لانهم خلعوا «النسر الذهبي» الذي وضعه فوق باب الهيكل في أورشليم... وقبيل موته بسَاعات قليلة أمر بقتل وجيه يهوديّ في كلّ منطقة من مناطق اليهودية، لكي يعمّ هكذا البكاء والعويل والحزن على موته كل انحاء اليهودية... وكان قد أمر برجم يعقوب أخي يسوع المدعو المسيح...»

(«الآثار اليهويدة» 20: 1-2؛ راجع أيضاً» جيرالد مسّاديه: «الانسان الذي صار الهاً» ص 88-89؛ جاك دوكين: «يسوع» ص 61-64 مع الحواشي والشروحات؛ دانيال روبس: «يسوع في زمانه» ص 120، وغيرهم كثيرون...). وهكذا، يروي يوسيفوس مؤرخ اليهودية آنذاك كل هذه الحوادث والجرائم، الصغيرة والكبيرة، التي قام بها هيرودس الكبير، وهو يروي أيضاً غيرها، دون ان يذكر حرفاً واحداً عن قتل اطفال بيت لحم في أرض اليهودية؟!

وخلف الحاكم أرخلاوس أباه هيرودس الكبير على اليهودية، وحكم من السَنة 4 قبل الميلاد حتى سَنة 6 بعد الميلاد (الكتاب المقدس –العهد الجديد، انجيل متى 2: 21، الحاشية رقم 1، الطبعة الثامنة، ص 39). ويقول دانيال روبس في أرخلاوس: «وخلف أرخلاوس أباه هيرودس الكبير على اليهودية وكان أكثر شراسة من أبيه. فقد قتل في بداية عهده حوالي ثلاثة الآف يهودي لأسباب مختلفة...» («يسوع في زمانه»، ص 123). ولم يذكر كلمة واحدة عن قتل اطفال بيت لحم اليهودية «وجميع أراضيها». ومتى، من جهته، يستطرد في الكلام عن أرخلاوس حاكم اليهودية فيقول: «وما إن توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واذهب الى أرض اسرائيل، فقد مات من كان يريد اهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف ان يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً...» (متى 2: 19-23). ويقول دانيال روبس أيضاً عن عودة يوسف ومريم والطفل يسوع من مصر، أيام أرخلاوس، وإقامتهم في ناصرة الجليل، ما يلي: «ويتبيّن لنا ممّا تقدم أن يسوع المسيح قد ولد، دون شك، بين 749 و 748 لرومة. وكان عند عودته من مصر مع أبويه، بعمر ما بين 8 أشهر و18 شهراً...» («يسوع في زمانه»، ص 123). وعندما يتعرّض لقضية رواية قتل أطفال بيت لحم، يرجّح دانيال روبس أنها كتبت على الطريقة التي استعملت في ولادات عظماء الرجال أمثال أغوسطوس قيصر... فيقول: «يروي «سَيّواتون» المؤرخ الروماني ان

مجلس الشيوخ في رومة، عندما نمي اليه، عن طريق العرافة، أن طفلاً سَيولد ويجلس على عرش رومه مكان أوغسطوس قيصر، أرسل فقتل العديد من الأطفال في تلك النواحي التي من الممكن ان يولد فيها أطفال يطمحون الى الجلوس على عرش رومه...» («يسوع في زمانه»، ص 122.)

واذا عدنا الى رواية قتل اطفال بين لحم نفسها بحسَب متى، نجد أن كبار المفسّرين، وعلى رأسهم شارل بيرّو، يقولون إن متى الذي وضع انجيله على طريقة واسلوب «المدراش اليهودي»، وهنا بالتحديد على طريقة واسلوب «مدراش موسَى الصغير»، عرض رواية قتل اطفال بيت لحم في أطار كتابة «المدراش»: موسَى هو مخلص شعبه... في العهد القديم، وقد مات عند ولادته العديد من أطفال العبرانيين. ويسوع هو مخلّص شعبه... في العهد الجديد، وقد مات عند ولادته العديد من الأطفال الأبرياء، أطفال بيت لحم... فقد جاء في سَفر الخروج عن مولد موسَى ما يلي: «وكلّم ملك مصر (الفرعون رعمسيس الثاني 1304-1238) قَابِلَتَيّ العبرانيّات اللتين اسم إحداهما شفرة والاخرى فوعة وقال: إذا وَلَّدْتُما العبرانيات، فانظرا الى جنس المولود، فإن كان ابناً فأميتوه، وإن كانت ابنة فلتحيا... وأمر فرعون كل شعبه قائلاً: كل ابن يولد للعبرانيّين فاطرحوه في النيل، وكل ابنة فاستبقوها... ومضى رجل من آل لاوي فتزوّج بابنة لاوي. فحملت المرأة وولدت ابناً. ولما رأت أنه جميل، أخفته ثلاثة أشهر. ولمّا لم تستطع أن تخفيه بعد، أخذت له سلّة من البرديّ وطلتها بالحمر والزفت، وجعلت الولد فيها ووضعتها بين القصب على حافة النهر... فنزلت ابنة فرعون الى النيل لتغتسل، فرأت السلّة بين القصب، فأرسلت خادمتها فأخذتها. وفَتَحَتْها ورأت الولد، فاذا هو صبيّ يبكي... فأشفقت عليه وقالت: هذا من أولاد العبرانيّين. فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب وأدعو لكِ مرضعاً من العبرانيات ترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أمّ الولد. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد فأرضعيه لي، وأنا أعطيك أجرتك. فأخذت المرأة الولد وأرضعته. ولما كبر الولد، جاءَت به ابنة فرعون، فأصبح لها ابناً، وسمّته موسَى وقالت

لانني انتشلته من الماء...» (سَفر الخروج 1: 15-22؛ 2: 1-10 مع الحواشي والشروحات.(...

يقول شارل بيرّو: «ان نصوص الانجيل بحسَب متى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باسلوب كتابة المدراش عند اليهود، وعلى الخصوص «بمدراش موسَى الصغير». والبعض من هذه النصوص يستوحي «مدراش أجّاداً»... والبعض الآخر «مدراش بيشر».... وعند الجماعات المسيحية الأولى كان هذا الاسلوب متّبعاً بشكل عادي شفهياً وكتابة. وكيف، يا ترى، يمكن لهؤلاء المسيحييّن أن يتأملوا بأحداث ميلاد يسوع وطفولته دون الرجوع الى الولادات الفريدة التي تتحدث عنها اسفار العهد القديم؟ ودون الأخذ بالشروحات والتفسيرات الخاصة بهذه الولادات، والسَائدة في أيامهم؟ فبالنسبة الى المسيحييّن الأولين، كانت أحداث طفولة يسوع تختصر كل تلك الولادات القديمة وتبلغ بها الى حد كمالها... فكل هذه الاعتبارات تلقي ضوءاً جديداً على احداث ولادة يسوع وطفولته... ومتى عندما يروي أحداث الميلاد والطفولة، يركّز فقط على شخص يسوع ورسالته الجديدة، دون الاهتمام الكافي والوافي للتفاصيل التاريخية والجغرافية وما إليها...! ويمكن أن يسَمّى هذا «انتقالاً لاهوتياً» على حسَاب «الانتقال التاريخي»...! (شارل بيرّو: «أحداث طفولة يسوع» ص 11-16؛ وأيضاً: «أحداث الطفولة في مدراش هجاداً» ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد»، ص 481-518!(

-الولادة السرّية ليسوع المسيح

يقول المسيح، في صون الحقائق السرّية المقدسة، في إنجيل متى: «لا تعطوا الكلاب ما هو مقدّس، ولا تلقوا جواهركم الى الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها، ثم ترتدّ إليكم فتمزّقكم...» (متى 7: 6). وفي شرح «مثل الزارع» المتعلّق باسرار ملكوت السَماوات، قال المسيح: «من كان له أذنان سَامعتان فليسمع!» فدنا تلاميذه وقالوا له: لماذا تكلّمهم بالامثال؟ فأجابهم يسوع: لأنكم أعطيتم أنتم وحدكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السَماوات، وأمّا أولئك فلم يعطوا ذلك... لأن من كان له شيء، يعطى فيفيض... ومن ليس له شيء، ينتزع منه حتى الذي له. وإنما

اكلّمهم بالأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون، ولأنهم يسمعون ولا يسمعون ولا هم يفهمون. وفيهم تتمّ نبؤة أشعيا حيث قال:

تسمعون سَماعاً ولا تفهمون
وتنظرون نظراً ولا تبصرون.
فقد غلظ قلب هذا الشعب...
وأصَمّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم
لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم
ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا.
أفأشفيهم؟«...

)راجع انجيل متى 13: 3-15، مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية (اليسوعية)، طبعة 1989.(

وبولس رسول «الأمم»، يشير الى الحقائق الدهريّة السرّية الخاصة بالراشدين بالروح...، فيقول:

...»وإننا على حكمة نتكلّم بين المؤمنين الراشدين، وليسَت بحكمة هذه الدنيا، ولا بحكمة رؤسَاء هذه الدنيا ومصيرهم للزوال، بل نتكلّم على حكمة الله السرّية التي ظلّت مكتومة في الماضي... تلك التي أعدّها الله قبل الدهور في سَبيل مجدنا. ولم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا، ولو عرفوها لما صلبوا ربّ المجد... وإننا لا نتكلّم عليها بكلام مأخوذ من الحكمة البشريّة، بل بكلام مأخوذ عن الروح، فنعبّر عن الأمور الروحيّة بعبارات روحيّة. فالإنسان البشريّ لا يقبل ما هو من روح الله فإنه حماقة عنده، ولا يستطيع أن يعرفه لأنه لا حكم في ذلك الاّ بالروح... وإني، أيها الإخوة لم أستطع أن اكلّمكم كلامي لأناس روحيّين، بل لأناس بشريّين، لأطفال في المسيح. وقد غذوتكم باللّبن الحليب لا بالطعام، لأنكم ما كنتم تطيقونه ولا أنتم تطيقونه الآن، فإنكم لا تزالون بشريّين»... (الأولى الى كورنتس 2: 6-8، 13-14؛ 3: 1-3، مع الحواشي والشروحات). وفي الرسالة الى العبرانيين، نقرأ في الموضوع نفسَه، وفي «سرّ ملكيصادق» –عظيم كهنة «إيل»- بالتحديد، ما يلي:

...»ان الله أعلن المسيح عظيم كهنة على رتبة ملكيصادق... ولنا في هذا الموضوع كلام كثير صعب التفسير، لأنكم كسَالى عن الإصغاء، وكان

عليكم أن تستفيدوا من الزمن فتصبحوا معلّمين، في حين أنكم محتاجون الى من يعلّمكم أوليّات أقوال الله، محتاجون الى لبن حليب، لا الى طعام قويّ. فكلّ من كان طعامه اللبن الحليب لا تكون له خبرة بكلمة البرّ لأنه طفل، في حين أن الطعام القويّ هو للراشدين، لأولئك الذين بالتدرّب روّضت بصائرهم...» (الرسالة الى العبرانيين 5: 10-14). وفي موضوع آخر، تقول الرسَالة نفسَها في « سرّ» ملكيصادق، الذي كان المسيح «على رتبته»، ما يلي: «... والرجاء هو لنا مثل مرسَاةٍ للنفس أمينة تخترق الحجاب الى حيث دخل يسوع من أجلنا سَابقاً لنا وصار عظيم كهنة للأبد على رتبة ملكيصادق... فإن ملكيصادق هذا هو ملك شليم وكاهن الله تعالى، خرج لملاقاة إبراهيم عند رجوعه، بعدما كسَر الملوك، وباركه، وله أدّى إبراهيم العشر من كلّ شيء. وتفسير اسمه أولاً ملك البرّ، ثم ملك شليم، أي ملك السَلام. وليسَ له أب ولا أم ولا نسَب، وليسَ لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو على مثال ابن الله ...ويبقى كاهناً أبد الدهور... فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له إبراهيم عشر خيار الغنائم، مع أنه رئيس الآباء... إن الذين يقبلون الكهنوت من بني لاوي تأمرهم الشريعة بأن يأخذوا العشر من الشعب، أي من إخوتهم، مع أنهم خرجوا هم أيضاً من صلب إبراهيم. أمّا الذي ليسَ له نسَب بينهم، فقد أخذ العشر من إبراهيم وبارك ذاك الذي كانت له المواعد. وممّا لا خلاف فيه أن الأصغر شأناً يتلقى البركة من الاكبر شأناً. ثم إن الذين يأخذون العشر ههنا بشر مائتون، وأمّا هناك فإنه الذي يُشهد له بأنه حيّ. فيجوز القول إن لاوي نفسَه، وهو الذي يأخذ العشر، قد أدّى العشر في شخص إبراهيم، لأنه كان في صلب أبيه يوم خرج ملكيصادق لملاقاته...». (الرسَالة الى العبرانيين 6: 19-20؛ 7: 1-10، مع الحواشي والشروحات...). وتوضح الشروحات لهذه النصوص، في النسخة الكاثوليكية الجديدة، فتقول (صفحة 703): «يأخذ الكاتب بمبدأ تفسير للربّانيّين فيستند هنا الى ما لا تذكره رواية تكوين 14 ليخطّ رسماً يجعل خارج الزمان صورة ملكيصادق الغامضة والنبوية .ويرى في ملكيصادق صورة سَابقة ليسوع المسيح ...لا يضع الكتاب المقدّس حدّاً زمنياً لكهنوت ملكيصادق. وهذه الصفة تميّزه عن كهنوت عظماء الكهنة اليهود، علماً بأن كهنوت أحبار اليهود كان ينتهي

عند موتهم (راجع سَفر العدد 20: 24-28)». ونرى هذه الصفة نفسَها كاملة في كهنوت المسيح، غير اليهوديّ، القائم من الموت: «انه كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق...». ويستخدم الكاتب جباية العشر من إبراهيم على يد ملكيصادق ليدلّ على تفوّق كهنوته على كهنوت اليهود، كهنوت هارون واليعازر ولاوي المولودين من إبراهيم... وحين يتم إثبات الشبه القويّ بين المسيح وملكيصادق بالاستشهاد بمزمور 110، يبلغ الاستدلال خاتمته: إن كهنوت المسيح ليسَ كهنوتاً يهودياً، وهو أفضل من كهنوت اللاويّين اليهود، لأنه على «رتبة ملكيصادق»... فالكتاب المقدس نفسَه في عهديه، القديم (مزمور 110)، والجديد (الرسَالة الى العبرانيين 7)، يؤكّد اذاً أن كهنوت المسيح ليسَ كهنوتاً يهودياً، بل كهنوتاً على رتبة ملكيصادق. وملكيصادق، كما هو واضح وضوح الشمس عند الظهيرة في سَماء لبنان الصافية، هو كبير كهنة الإله الكنعانيّ-اللبنانيّ «إيل».
فالنتيجة السَاطعة كالشمس أو كحدّ السيف هي التالية: ان كهنوت يسوع المسيح ابن مريم العذراء هو كهنوت كنعاني! هذه حقيقة سَاطعة كالشمس، تبهر العيون الضعيفة لشدّة سطوعها... وهذه الحقيقة يؤكدها التاريخ والجغرافية والوحي الالهيّ والتقليد والكتاب. ويؤكدها، بنوع خاص، العهد الجديد والقديس بولس وتلاميذه... أما لماذا لا يراها الكثيرون؟ «لأنهم يبصرون ولا ينظرون...». أو لأنهم خارجون لتوّهم من ظلمات المغاور اليهوديّة القديمة الى سطوع شمس وجه المسيح: إن شدّة سطوع هذه الشمس القوية تبهر عيونهم الضعيفة المشبعة بالظلمات الحالكة، والتي لم تَعْتَدْ بعدُ على التحديق بالشمس مباشرة!... أما نحن، فبفضل تشبعنا من الإصالة الكنعانيّة، نعلن هذه الحقيقة، الآن وهنا، بالفم الملآن امام العالم أجمع، امام الكون الكبير، امام البشر والحضارات الكونية والملائكة وقوات السَماء أجمعين: أجل! ان كهنوت يسوع المسيح هو كهنوت كنعاني –لبناني...!

لقد مهّدنا لهذا الفصل المتعلق بسرّ ولادة المسيح، بهذه المقدمة الكتابيّة الطويلة، نظراً لأهمية موضوع هذا الفصل من جهة، ومن جهة ثانية، نظراً لمتانة «الأسَاس الكتابي» المستند على الوحي وكلام الله...

تحدّثنا في الفصول السَابقة عن «جليل الأمم» موطن يسوع المسيح، عن نسَبه وأقاربه، عن البيئة الجغرافية والفكرية والدينية التي ولد ونشأ وبشّر فيها. ثم تحدّثنا عن الجماعات والفرق المذهبية والروحية التي كانت منتشرة في هذه البيئة، والتي كانت تشكل بوتقة إنسانيّة حضاريّة دينيّة... وقد ركّزنا، بنوع خاص، على الجماعة الاسينية الفريدة، والآن أصبح بامكاننا أن نتكلّم على ولادة يسوع المسيح، هذه الولادة ذات الطابع السرّي والفريد...،بشكل طبيعي وموضوعي. ولو حمل كلامنا هذا بعض الغرابة...

في زمن الميلاد، كانت «الجماعة الاسينيّة» راسخة ومنتشرة في مناطق عدة من مصر وفلسطين «وجليل الأمم». وكانت مدينة الاسكندرية تحتضن المركز الأسَاسي للجماعة الاسينية المصرية. أمّا الهيكل الاسينيّ السرّي الكبير فكان قائماً في مدينة هيليوبوليس الشهيرة بقدمها وروحانيتها العريقة، حيث كان كبار الأخوة الاسينيّين يعقدون دورياً اجتماعاتهم السرّية ويحتفلون بأسرارهم وطقوسهم الدينية. وكانت الوثائق التاريخية القديمة تتحدث عن هذا الهيكل الكبير بكثير من الهيبة والوقار وتسميه «هيكل هيليوس» أو «هيكل الشمس». أما في «جليل الأمم» –في شمالي فلسطين- فكان نشاط الجماعة الاسينيّة ينطلق من مركزها الاسَاسي وديرها الكبير فوق جبل الكرمل. ومن دير قمران بجانب البحر الميت، يمتد نشاطها الى أورشليم وسَائر اليهوديّة. وكان لها هيكل خاص قرب أحد أبواب أورشليم مخصّص للاحتفالات الدينية... وقد سَلّطت الاكتشافات والدراسات العلمية النقدية الحديثة كثيراً من الأضواء على هذه الحقائق التي ظلّت مطموسَة الى يومنا هذا!

وبفضل هذه الأضواء بدأنا نعرف حالة المرأة في الجماعات الروحية الجليلية، وخاصة الاسينية، التي كانت مريم العذراء تنتمي اليها دون شك.

والملفت حقاً في هذه الجماعات، ان المرأة كان لها دورها البارز في جميع المجالات الانسَانيّة، وخاصة الثقافية منها والدينية، خلافاً لما كانت عليه الحال في المجتمعات اليهوديّة التي لم تعترف بأن للمرأة روحاً كالرجل! وذلك يعود الى التأثير القوي الذي كان لمصر وكنعان خاصة على

«الروح الاسينية». ألا يُبرز التاريخ دور «أيزيس» «وهاتور» «وتانيت» في الحضارة الفرعونية، ودور «إيلات» «وأشيراي» «وعشتار» «وعناة» في الحضارة الكنعانية؟ «وعناة نفسَها، إبنة الإله الكنعاني «إيل»، العذراء والبتول، ألم تكن المثال والظاهرة الأولى والفريدة للعذرية والبتولية الحقة، في التاريخ الكنعانيّ القديم قبل مريم العذراء؟ وفي الحقيقة كانت «عناة» رمزاً وصورة وتمهيداً للعذراء مريم!...

وكانت العذارى الاسينيّات يخدمن داخل الهياكل والمعابد الاسينية كعروسات مكرّسات لله، فترة محدّدة من الزمن. وكن يخترن عادة من بنات كبار الإخوة الاسينيّين. وكان هؤلاء يرعون بناتهم بكل عناية داخل المعابد، ويؤمّنون لهنّ الثقافة الزمنية والدينية بحيث يبلغن مرحلة متقدمة من النضج الانساني والروحيّ، ويمثلن ويعكسن هكذا الوجدان الروحيّ الكونيّ...! أجل! كان للمرأة دور روحيّ بارز جداً عند هذه الجماعات الجليلية الروحية، على عكس ما يظن البعض في أيامنا هذه. وذلك بفصل «البوتقة الروحية» التي كانت تمتاز بها الحضارة الكنعانية نفسَها...

وقبيل زمن الميلاد، كان هناك في «جليل الأمم» كاهن أسينيّ كبير يدعى يواكيم، وكان خادماً في هيكل «هيليوس-خارج- الاسوار» (وهيليوس باليونانية تعني: «إيل»...) وقد «باع ما يملك وأعطاه للمساكين»، ليتكرّس كلياً لله، منصرفاً الى خدمة أسراره وطقوسه. وحين جاء وقت امرأته حنّة لتلد وكانت أسّينيّة مثله، قرّر وإياها، إذا كان المولود طفلة، أن يكرّساها لله فتكون عذراء عروساً روحية في الهيكل. ووضعت حنّة طفلة، كما تنبأ لها فلكيّو (مجوس) الهيكل، وسَمّتها «مريم»، لأنها عندما ولدت كانت الشمس في برج الميزان...

وعندما بلغت الطفلة مريم ستة أشهر، أخذها والدها الى هيكل هيليوس فوق جبل الكرمل، كما كانت العادة عهد ذاك، ليباركها الكهنة وينظروا روحياً في أمرها... وبعد إداء الفريضة المقدسة، رجع الوالدان، يواكيم وحنّة، الى منزلهما، أما الكهنة فسرّوا وفرحوا وباركوا الله لأن كاهنهم الكبير يواكيم قدّم طفلته الى الهيكل...

ولقد وفت الوالدة حنّة بوعدها. فأقامت معبداً صغيراً في بيتها وفرشته بقماشة من هيكل هيليوس كي لا تطأ قدما الصبيّة مريم الأرض حتى يوم

تكريسها في الهيكل... وعملت على الاّ تقترب الصبيّة مريم من أي شيء نجس... ودعت بعضاً من عذارى الهيكل الطاهرات ليكنّ برفقة ابنتها في المعبد الصغير في المنزل. كانت مريم «منذورة» للربّ...

وعند بلوغ الطفلة مريم سَنتها الأولى، كان فرح واحتفال ديني، في بيت يواكيم وحنّة، حيث دعي كهنة الجماعة مع الأقارب والجيران. وأخذ يواكيم ابنته مريم وقدّمها للكهنة. فصلّى هؤلاء عليها وباركوها ورشوا عليها أوراق الورد، كما كانت العادة، واطلقوا عليها رسمياً اسم «مريم»، ولقّبوها «بعروس الهيكل» «وحمامة هيليوس» (أي حمامة «إيل»...). ثم تلوا فوق رأسها هذه الصلاة النبويّة: «يا إله القلوب والأرواح، بارك ببركتك الابوية هذه الطفلة الصغيرة «مريم»، واجعل أن يكون هذا الاسم الذي أطلق عليها مباركاً لدى الأجيال الآتية من أبناء الله...». وبعد انتهاء الاحتفال ذهب كلّ واحد الى بيته، ورجع الكهنة يخبرون أخوة الجماعة، في كل منطقة «جليل الأمم» بان ابنة كاهنهم الكبير يواكيم أصبحت رسمياً عروساً للهيكل مكرّسة لله، باسم «مريم» الملقّبة «بحمامة إيل»...! (فيما يخصّ هذه الفقرة: «الولادة السرّية ليسوع المسيح»، راجع: الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرّية»، بالفرنسيّة، الفصل الخامس، ص 83-94). ومن مريم العذراء، الملقّبة «بحمامة إيل»، ولد يسوع المسيح «عمّانوئيل» (أي إيل معنا، او الله معنا)، كما يقول الإنجيل نفسه (متى 1: 23). وهكذا كانت «الولادة السرّية» ليسوع المسيح!...

-الميلاد وبيت لحم «اللبنانية» في القرآن الكريم

جاء في سَورة آل عمران الآيات 34-36، ما يلي: «إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السَميع العليم. فلمّا وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليسَ الذكر كالانثى، وإني سَمّيتها مريم وإني أعيزها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وأنبتها نباتا حسَناً وكفلها زكريّا كلما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب«.

يتّضح من هذا النصّ القرآني أولاً أن امرأة عمران قد نذرت لله ما في بطنها محرّراً. فمريم هي اذاً من «المنذورات لله» أو «المكرّسَات له». والمنذورات لله لم يرد ذكرهن في التوراة ولا في تواريخ اليهود. كان عندهم «المنذورون» من الرجال فقط، وليسَ من النسَاء. لأن الامرأة عند اليهود لم تكن مؤهّلة للتكريس لله، وهذا أمر معروف... أمّا النساء المكرّسات والمنذورات لله فكان أمرهنّ شائعاً في الجماعات الروحية غير اليهوديَّة في جليل الأمم قبل المسيح وفي أيامه. ومن هذه الجماعات: الاسينيون والناصريون، والنذيرون –المنذورون، والمكرّسون وغيرهم... كان المكَرَّسُون والمكرّسَات من هذه الجماعات الروحية الجليلية، غير اليهود، يسكنون أمكنة خاصة في أغلب الأحيان ويتّبعون نظاماً حياتياً ومعيشياً خاصاً بهم، يغْلب عليه التقشّف والزهد والصلاة. وهذا ما يتفق مع ما جاء في تواريخ هذه الجماعات الروحية الجليلية من جهة، كما رأينا سابقاً، ومن جهة ثانية مع ما جاء في القرآن نفسَه عن مريم بالذات، حيث يقول في سَورة مريم الآيتين 15 و16: «واذكر في الكتب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فارسَلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سَويّاً». كما ان النص الذي نحن بصدده (سَورة عمران الآيات 34-36) يقول هو أيضاً في الآية 36: «فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وانبتها نباتاً حسَناً. وكفلها زكريا. كلما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً. قال يا مريم أنّى لك هذا. قالت هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب». هذا يعني بوضوح أن مريم المكرّسة والمنذُورة لله قد قبلها الله هكذا، وكانت تقيم في «المحراب» أي في المعبد أو الهيكل: وهذا لم يكن معروفاً عند اليهود. وكانت ضروريات الحياة مؤمّنة لمريم في المحراب نفسّه: السَكن والمأكل والمشرب واللباس وغيره. وهذا أيضاً لم يكن معروفاً عند اليهود، بل كان معروفاً وسَائداً عند الجمعيات الروحية الجليلية الآنفة الذكر.

ومن جهة ثانية، تقول الآية القرآنية التالية (37): «هناك دعا زكريّا ربه. قال ربِّ هب لي من لدنك ذرّية طيّبة. إنك سَميع الدعاء». مما يدلّ أن زكريّا كان يسكن قريباً من مسكن مريم، في الجليل، وليسَ في اليهودية في جنوبي فلسطين، كما كان يُظن. فقد جاء في انجيل لوقا (1: 39-40):

«وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلّمت على اليصابات...». فالتفسيرات القديمة كانت تقول: ان هذه «المدينة في يهوذا» هي عين كارم، على بعد ستة كيلومترات الى الجنوب الغربي لمدينة أورشليم؟ والتفسيرات الحديثة، من جهتها، تقول: ان كلمة «الجبل» تدلّ أحياناً على أحد أقضية اليهودية الأحد عشر؟ (راجع النسخة الجديدة: لوقا 1: 39 والحاشية رقم 64، ص 190)... أمّا المفسِّران الكاثوليكيان الشهيران «ب. بنوا وم.أ. بوامار» فيؤكدان أن عبارة «الى مدينة في يهوذا» هي عبارة مضافة الى النصّ الأصلي، زيدت فيما بعد على يد بعض النسّاخ المتأخرين من المسيحيّين المتهوّدين (راجع كتابهما «إزائية الأناجيل الأربعة» في مراجع الفصل) فيكون ان النص الأصليّ في لوقا 1: 39 هو كالتالي: «وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل، ودخلت بيت زكريّا، فسَلمت على اليصابات». فهل يعقل أن تذهب مريم من الناصرة (والناصرة لم تكن موجودة بعد)، وهي حبلى، مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا في جنوب فلسطين، قاطعة مسَافات طويلة (أكثر من 150 كيلومترا!) يتخللها جبال ووديان ووهاد، بالاضافة الى صعوبات وعوائق ومطبات الطريق الناتجة عن الاعداء السامريّين وجنود الرومان... ولصوص الطرق المنتشرين في تلك النواحي، كما يؤكد اليوم جميع مؤرخي ذلك العصر؟! وكيف عادت مريم أيضاً –دائماً لوحدها- من اليهودية الى الجليل؟ هل هذا أمر معقول؟ ولا يغرب عن بالنا أن لوقا نفسه صاحب النص الذي نحن بصدده، سَبق وقال: «وفي الشهر السَادس (بعدما حبلت اليصابات بيوحنا المعمدان) أرسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم الفتاة مريم...». والمعروف أن حبل مريم بيسوع قد تمّ فعلاً في ختام بشارة الملاك، عندما قالت له: «أنا أمة الرب، فليكن لي بحسَب قولك» (لوقا 1: 38). اذاً عندما حبلت مريم بيسوع كانت مقيمة في مدينة في الجليل اسمها «الناصرة». وهكذا، فالحقيقة هي ان مريم الحبلى والمقيمة في «الناصرة» قد ذهبت مسرعة لزيارة نسيبتها اليصابات الى الجبل: الى جبل الكرمل في الجليل، هذا الجبل الذي هو قريب جداً من «الناصرة»

على مسَافة بضعة كيلومترات فقط! فهناك كانت اليصابات تسكن مع زوجها زكريا. فهكذا، وهكذا فقط، يحصل التوافق والتطابق بين النص الانجيلي وبين الحقيقة والواقع الجغرافي المنطقي الموضوعي المجرّد! بعيداً عن الأفكار المسبقة والتفسيرات التقوية الشعبية وزيادة النسَّاخ المتأخرين والطمس المقصود والجهل الموروث...

وجاء أيضاً في سَورة عمران، الآيات 41-44، ما يلي: «وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نسَاء العالمين. يا مريم أقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك. وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشَرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسَى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين.«

يظهر بوضوح من النص القرآني أولاً أن مريم كانت منذورة ومكرّسة ومصطفاة من الله. وترد كلمة «اصطفاكِ» مرتين! وهذا يثبت ما قلناه سَابقاً من أن مريم كانت من «جماعة المنذورات –النذيرات»، و»المكرّسَات لله»... ويظهر ثانياً أنها كانت تلازم مكاناً مقدساً مع زميلات لها: «يا مريم اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين». كانت في حالة زهد ونسك وصلاة في «المحراب»، في المعبد أو الهيكل. وهذا أيضاً، مرّة أخرى، ما كان سَائداً في الجمعيات الروحية الجليلية في ذلك الوقت كما اسلفنا. ويظهر ثالثاً ان المسؤولين عن قبولها في الجماعة والمشرفين على رعايتها فيما بعد كانوا يلجأون الى القرعة لمعرفة من يكفلها في الجماعة، كما كانت العادة آنذاك، وكما هي مستمرة حتى اليوم، في بعض الجمعيات الروحية والرهبانية... «إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون». ويجمع كبار مفسِّري القرآن، كالجلالين وغيرهما، أنهم كانوا يلقون اقلامهم، بشكل قرعة، في مياه النهر، ليعرفوا من يكفل مريم. والنهر هو هنا، دون أدنى شك، نهر قيشون (أو أحد روافده)، الذي يمر بين «بيت لحم اللبنانية»، الجليلية في شمال فلسطين، وبين جبل الكرمل القريب جداً منها. هذا هو الواقع الجغرافي الظاهر للعيان حتى اليوم. أمّا بيت لحم اليهوديّة، في أرض سَبط يهوذا، في جنوب فلسطين، أي بيت لحم المعروفة اليوم، والذي يُظنّ ان

المسيح ولد فيها، فلا تجاور لا نهراً ولا غديراً ولا جدولاً كما هو معروف وظاهر...!

وفي سَورة مريم (الآيتان 15-16) نقرأ ما يلي: «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فارسَلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَويّاً». يتبيّن من النص أن مريم، وقبل أن يبشرها الملاك بالحبل بيسوع، قد ابتعدت عن أهلها وذويها والناس واحتجبت عن الأعين «فاتخذت من دونهم حجاباً». ولا شك انها انقطعت الى الزهد والنسك والصلاة، ولازمت حياة «التكريس لله»، متمّمة نذر والدتها التي قالت: «ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السميع العليم» (سَورة آل عمران، الآية 34). هذا مع العلم ان كتب العهد الجديد القانونية، ومنها الأناجيل المقدسة، لم تاتِ على ذكر والدي مريم –يواكيم وحنّة- بل أخذتهما الكنيسة المسيحية، مع غيرها من الأمور، من الأناجيل المنحولة...!

والملفت حقاً، أن مريم قد «انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً أي بعيداً والى ناحية الشرق، أي شرقيّ جبل الكرمل حيث كانت تقيم مع أهلها داخل الجماعة الروحية. وهذا المكان الذي انتقلت اليه هو بالتحديد، جغرافياً، منطقة بيت لحم الجليل (ومغارتها) والمغاور التي تقع في السفوح الشرقية لجبل الكرمل نفسَه. والذي نبغي التركيز عليه هنا هو أن جبل الكرمل نفسَه وسفوحه الشرقية والمغاور التي في هذه السفوح تقع جميعها في داخل أرض فينيقية – لبنان بالذات في تلك الأيام (وطيلة الألاف من السنين التي سَلفت). هذه هي الحقيقة المرتكزة على الواقع التاريخي والجغرافي، والتي طمسّها التاريخ المزوّر من قبل اليهود والمسيحيّين المتهوّدين والجهل الموروث...! (فلتُراجَعْ جميع الخرائط الجغرافيّة، المخطوطة والمطبوعة، وبكل لغات العالم حتى يومنا هذا(

وجاء في سَورة مريم نفسَها، في الآيات 21-24، ما يلي: «فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً. فجاءها المخاض الى جزع النخلة فقالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسَياً منسيّاً. فناداها من تحتها الاّ تحزني قد جعل ربّك تحتكِ سَريّاً. وَهُزّي اليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيّاً». مرّة أخرى، تقول «سَورة مريم» إن مريم، قبيل ولادة ابنها، ذهبت الى مكان

قصيّ بعيداً عن أعين الناس. وهذا المكان الذي قصدته يقع بقربه نهر. لأن النص يقول: قد جعل ربّك تحتك سَرِيَاً» – والسرِيّ هو النهر. والمعروف أن مغاور بيت لحم في الجليل، والتي تقع في أرض فينيقية –لبنان، يمرّ بقربها نهر «قيشون» أو أحد روافده، في السفوح الشرقية لجبل الكرمل. ونشير الى ان المسؤولين عن قبول مريم في جماعتهم الروحية، كانوا قد «رموا اقلامهم»، بشكل قرعة، كما اسلفنا، في مياه النهر نفسَه: نهر قيشون. كما ان السواحل الشمالية والشرقية لهذه المنطقة – منطقة بيت لحم الفينيقية – كانت تكثر فيها اشجار النخيل، كما هو ظاهر حتى اليوم.

ومن جهة ثانية، وهذا امر بالغ الاهمية، لا تذكر النصوص القرآنية أيّ شيء على الاطلاق عن سَفر طويل قامت به مريم (وهي حبلى!؟) مع زوجها يوسف (على الحمار؟!) أي عن السَفر الطويل التي قامت به مريم مع زوجها يوسف، من «الناصرة» في الجليل، حيث بشرها الملاك وحيث حبلت بيسوع، الى مدينة بيت لحم في أرض اليهودية، في أقاصي جنوب فلسطين. هذا السَفر، الذي يتنافى تماماً مع المنطق والحقيقة والواقع الجغرافي. أجل! مرّة أخرى، هذا السَفر الطويل والشاق هو أمر مستغرب للغاية ويتنافى مع الحدّ الأدنى للعقل السَليم. لماذا هذا التَحَايُلْ السَخيف والضعيف على الحقيقة والمنطق والواقع والجغرافية، وهناك، على مسافة كيلومترات قليلة جداً من «الناصرة» حيث كانت تقيم مريم، توجد مدينة اسمها «بيت لحم» بالذات، منذ الألاف من السنين، ولم تنتقل من مكانها أبداً!!... وهكذا يُستدلّ من نصوص الآيات القرآنية ومن القرائن الجغرافية الملازمة ان ولادة المسيح قد حصلت في بيت لحم الجليل حيث تمت بشارة مريم والحبل بيسوع...

يقول ياقوت الحمويّ في قاموسه الجغرافي الشهير «معجم البلدان» (المجلّد الأول ص 521-522)، يقول في باب كلمة «بيت لحم» (وهو يقصد بيت لحم اليهودية في جنوبي فلسطين) ما يلي: «بيت لحم» قرية على نحو فرسَخ من جهة جبرين، بها ولد عيسَى بن مريم، عليه السَلام، وثمّ كانت النخلة وليسَ ترطب النخيل بهذه الناحية، ولكن جعلت لها آية...» فهو يذكّر بالنص القرآني الذي أوردناه: سَورة مريم، الآيات 22-24، والذي

يقول: فجاءها المخاض الى جزع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً. فناداها من تحتها الاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً. وهزّي اليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيّاً». فيوضح ياقوت الحموي مفسّراً: «وثم كانت النخلة وليسَ ترطب النخيل بهذه الناحية، ولكن جعلت لها (لمريم) آية...» اذاً، وبشهادة ياقوت الحموي كبير جغرافيّي العرب، لم يكن يوجد نخيل في تلك الناحية أي في منطقة «بيت لحم» اليهودية الجنوبية. وقد رأينا أن النخيل يكثر في منطقة بيت لحم الجليلية الشمالية. هذا برهان تاريخي – جغرافي آخر على أن ولادة المسيح قد حصلت في منطقة «بيت لحم» الجليليّة الشماليّة. وبالاضافة الى ياقوت الحمويّ، يجمع مؤرّخو المنطقة والمفسّرون على أن شجر النخيل لا ينبت في منطقة بيت لحم اليهوديّة في الجنوب، بل ينبت كثيراً في منطقة بيت لحم الجليل، كما هو ظاهر للعيان في أيامنا هذه. ويقول الطبريّ، المؤرخ الكبير، في كتابه الشهير «تاريخ الأمم والملوك»، ص 593-594)، يقول عن مريم ويوسف ما يلي: «... وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمّها يليان خدمة الهيكل... وكان ذلك الهيكل يومئذ من أعظم هياكلهم، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك الهيكل في ذلك الزمان. وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وكناسَته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه... وكان لا يعلم من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما.«... يظهر جلياً من النص أن يوسف بن يعقوب هو ابن عم مريم، مما يتوافق والتقليد المسيحي المستمر الذي يقول ان مريم ويوسف كانا نسيبين... والانجيليّ متى يقول من جهته: «... ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح» (متى 1: 16). كما يتضّح من مجمل النصّ ان مريم ويوسف كانا ملازمين للهيكل، يخدمان فيه ويقومان بكل عمل يعمل فيه من «تجمير وكناسَة وطهور» الخ... إنها في الواقع حياة المكرّسين والمكرّسات لله، المنذويين والمنذورات لله، ممّا يتوافق تماماً مع ما جاء على لسَان والدة مريم عندما كانت حبلى: «إذ قالت امرأة عمران ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّراً فتقبّل منّي انك أنت السميع العليم». ونحن نعلم انه لم يكن مسموحاً ابداً للنساء والبنات عند اليهود أن يخدمن الهيكل. فينتج أن مريم كانت

تخدم في أحد هياكل الجماعات الروحية الجليلية، «وكان ذلك الهيكل يومئذ من أعظم هياكلهم». وهذا الهيكل كان قائماً، بنظرنا، فوق جبل الكرمل، أقدس امكنة الجليل، وفي المنطقة نفسَها حيث بشر الملاك مريم وحيث حبلت هي بيسوع، وحيث تمت ولادة يسوع. ويضيف الطبري في نفس الكتاب: «تاريخ الأمم والملوك» (ص 599) فيقول شارحاً ومحدّداً تماماً مكان ولادة يسوع: «وولدت مريم طفلها الى الجهة الشرقية من محراب قومها...»! وكان الطبري يشرح في كلامه المحدّد والواضح هذا، الأيتين 15 و16 من سَورة مريم حيث جاء: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسَلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَويّاً...». وجاء أيضاً في سَورة التحريم، الآية 12: «ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين»، أي من النسَاء التقيّات المتعبّدات، «المكرّسات» «والمنذورات لله»... والملفت حقاً، ان مغارة بيت لحم الجليل حيث ولد يسوع تقع تماماً الى الجهة الشرقية من جبل الكرمل حيث «المحراب» الكبير، وبالتحديد في السفوح الشرقية لهذا الجبل المقدس الذي كان القطب الروحي لكل منطقة الجليل منذ أقدم العصور حتى سَنة 70 بعد المسيح... في هذه المنطقة بالذات حصلت بشارة مريم والحبل بيسوع وولادته. والطبري، هو أيضاً، لا يأتي، لا من قريب ولا من بعيد، على ذكر سَفر قامت به مريم من مكان ولادتها وإقامتها الى جنوبي فلسطين، الى بيت لحم اليهودية...

ويقول الطبري أيضاً في نفس الكتاب (ص 598) ما يلي: «أوحى الله عزّ وجلّ الى مريم ان تكون وابنها عيسَى في بلاد الشام، ففعلت الذي أُمرت به. فلم تزل هي وابنها في بلاد الشام حتى كان ابن ثلاثين سَنة... فجاءَهُ الوحي على ثلاثين سَنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين، ثم رفعه الله اليه...». لم يذكر الطبري أن المسيح ولد أو عاش في اليهودية بل في بلاد الشام. ولم يأتِ على ذكر اليهودية لا من قريب ولا من بعيد. ومعروف أن أرض كنعان – فينيقية كانت تدعى في أيام المسيح: فينيقية – سورية (الشام...)... (فلتُراجَعْ جميع الخرائط الجغرافية، المخطوطة والمطبوعة بكل اللغات القديمة والحديثة حتى يومنا هذا).

ملحق الفصل

الميلاد عند اليهود

منذ القرن الثاني بعد المسيح، بدأت تظهر في الأوساط اليهودية في فلسطين كتابات أطلق عليها فيما بعد اسم «أخبار يسوع» (بالعبرية: «توليدوت يشوع»). وهي تروي، كما يظهر من عنوانها، ومن منظار اليهود انفسهم، حياة يسوع من ميلاده الى صلبه، بشكل مختصر، مركّزة على ولادته وخلافه مع رؤساء اليهود، وعلى محاكمته وموته. ومن مجرد البدء بقراءة «أخبار يسوع» هذه، يظهر بشكل واضح انها مجرد صورة سَاخرة بذيئة للانجيل المقدس. وهي مليئة بالتشنيع السخيف والتجديف الحاقد اللّئيم على السيّد المسيح، وعلى امه العذراء مريم الكلية الطهارة «والممتلئة نعمة»، «وأشرف نسَاء العالمين.«

وفيما بعد، حتى القرون الوسطى، ظهرت «أخبار» جديدة في اوروبا باللغات السريانية والعبرانية والالمانية. ومعظمها يستوحي كتاب اليهود الشهير: «التلمود». وهذه «الأخبار» الجديدة كانت تتابع نهج «أخبار» القرن الثاني في التهجم على المسيحية والتشهير المنحط والبذيء بالسيّد المسيح وأمه البتول العذراء مريم. وتجدر الإشارة الى أن «أخبار يسوع» هذه (توليدوت يشوع) غير معروفة من عامة الناس حتى ايامنا هذه. والى القراء الكرام، فيما يلي، مقطعاً معرّباً عن الفرنسية من إحدى «توليدوت يشوع»، وهو المقطع الخاص بالحبل بيسوع وبولادته:

كيف ولد يسوع

(بحسَب «توليدوت يشوع» وتلمود اليهود)

»في بيت ملاصق لبيت مريم، كان يسكن رجل جميل الهيئة يدعى جوزيف بن بنديرا، وكان ينظر اليها دوماً نظرة سوء. وفي ذات ليلة عند نهاية يوم السَبت شرب خمراً وتسلّل الى بيت مريم، وكان زوجها غائباً، ويدعى يوحانان. أما هي فظنّت أنه زوجها وغطّت وجهها خجلاً. فاقترب منها وقبّلها. فقالت له: لا تلمسني، فإنني لست «طاهرة»! أمّا هو فلم

يُعر كلامها انتباهاً، فنام معها وحملت منه... وعند منتصف الليل عاد زوجها يوحانان. وعندما اقترب منها بادرته قائلة: ماذا دهاك؟ هذا ليسَ من عادتك، فمنذ ان تزوجتني لم تدخل عليّ مرتين في ليلة واحدة. فأجابها زوجها: ولكنها المرة الأولى التي أدخل عليك فيها هذه الليلة! فقالت مريم: لقت أتيت منذ فترة وقلتُ لك إنني لستُ «طاهرة»، فلم تعر كلامي انتباهاً، فقضيت وطركَ وانصرفتَ. عند ذلك، عرف زوجها أن جارها جوزيف بن بنديرا، الذي كان ينظر اليها دوماً نظرة سوء، هو الذي اقترف معها هذا الاثم الشنيع...»!! (مقطع مأخوذ من مخطوط «ستراسبورغ» في كتاب «إنجيل الغيتُّو» الذي وضعه بالفرنسية جان –بيار أوزْيه، طبعة بيرغ انترناسيونال، 1984.(

هكذا حُبل بيسوع! وهكذا ولد! هذه هي أمّه! وهذا هو أبوه! بحسب اليهود «أبناء أبليس» كما دعاهم المسيح شخصياً في انجيله المقدس (إنجيل يوحنا 8: 44)... (ألم يقرأ المسيحيون، الى اليوم، هذه الآية الإنجيليَّة الواضحة جداً؟.(!

الفصل الخامس

سنوات يسوع المخفية

في التقليد المسيحي وفي كتب الأناجيل، هناك كلام قليل جداً وتلميحات خاطفة عن طفولة المسيح وصباه وفتوّته وشبابه ودروسَه... حتى بداية حياته العلنية التبشيرية... هذه الفترة الطويلة من حياة يسوع المسيح يلفّها الصمت شبه التام الى اليوم. وهي بدورها تقسَم الى قسمين: الأول يبدأ من ولادته في «بيت لحم» وينتهي عند ذهابه الى هيكل أورشليم، في سنّ الثانية عشرة، حيث جلسَ بين العلماء يستمع اليهم ويسألهم ويحاورهم... والثاني يمتد من اجتماعه هذا بعلماء الهيكل، الى بداية حياته العلنية في الجليل – «جليل الأمم...«

هذا الصمت الغريب عن أطول فترة زمنيَّة من حياة يسوع المسيح دفع البعض الى إبداء آراء ونظريات خاصّة ومتطرفة حول حياته، والبعض الآخر الى الشكّ حتى بوجوده! ونتج عن كل ذلك مسَاجلات ومنازعات وانقسَامات، لو جمعت لكوّنت مكتبة ضخمة. ويصرّ العديد من هؤلاء النقّاد على اعتبار كتب الأناجيل كتباً تاريخية بحصر المعنى كما نفهمها نحن اليوم! ويتسَاءلون، انطلاقاً من هذا الاعتبار، لماذا كل هذه الأخبار والتفاصيل عن بشارة الملاك لمريم، وعن حبلها العجيب وعن ولادة يسوع في مغارة بيت لحم، وعن سجود الرعاة ومجيء المجوس، وعن تقدمة الطفل يسوع الى الهيكل...، ولا أخبار ولا تفاصيل عن طفولة يسوع وفتوّته وصباه وشبابه ودروسه وسَائر ظروف ومراحل حياته حتى بداية حياته العلنية؟! ويضيفون أن الذين تحدّثوا بشيء من التفصيل عن الظروف التي سَبقت ولادة يسوع، وظروف ولادته، والظروف التي تلت مباشرة هذه الولادة، كانوا على بيّنة إذاً من مصادر الأخبار، فلماذا أغفلوا فترة هامة جداً من حياته؟ هل فعلوا ذلك عن قصد أو غير قصد؟ وما هي الغاية من كل ذلك؟ وهل فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا أن الناس عهد ذاك لم يكونوا مستعدّين تماماً بعد لتقبّل جميع الحقائق المتعلقة بالمسيح؟ أم أنهم ركّزوا اهتمامهم، وهم في بيئة يهوديّة، على تبشير اليهود بأن يسوع هو المسيح والمخلص المنتظر الذي كان أنبياء اليهود قد تنبأوا بمجيئه؟ وأخيراً، الا يعقل أن تكون جميع أخبار المسيح، وخاصة أخبار صباه وفتوته وشبابه وكل ما يتعلق بتربيته وتثقيفه ودروسه، قد سجّلت، أو سجّل أهمّها، من قبل بعض الجماعات الروحية المعاصرة له؟ كالاسينيّين مثلاً؟

او كالمجوس أيضاً: وهل يعقل أن هؤلاء المجوس الذين قدموا من بعيد، «مفتشين أين يولد «ملك اليهود»، لأنهم قد رأوا نجمه في المشرق، وجاؤوا ليسجدوا له»، فهل يعقل انهم اكتفوا بذلك فقط، ولم يتابعوا اهتمامهم به، بتربيته ودروسه وإعداد مستقبله؟ هل يعقل أنهم، بعد سجودهم له، وهو المسيح المخلّص المنتظر، قفلوا راجعين بسرعة من حيث أتوا، دون أي اهتمام آخر؟ ما سرّ هذا الصمت التام اذاً؟

من الطبيعي جداً أن يكون هناك تسَاؤلات كهذه حول شخص بهذا الحجم، حوّلَ مجرى التاريخ البشريّ بكامله. حول شخص «به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس...، وهو النور الحق الآتي الى العالم والمنير كل إنسان... الذي كان في العالم وبه كان العالم...». في الحقيقة «ان العالم لم يعرفه». جاء الى بيته، فما قبله أهل بيته!«...

ومن الطبيعي أيضاً، بالمقابل، أن تكون أهم الاحداث المتعلّقة بتربية المسيح وثقافته ودروسه، بصباه وفتوّته وشبابه حتى بداية حياته العلنية، قد دوّنت بالفعل من قبل جماعات روحية مثقّفة معاصرة له... وفي الواقع، هذه الاحداث – وهي محض تاريخية – قد دوّنت بالفعل وحفظت! بعضها كتب في الأناجيل المنحولة، وبعضها كان سرّياً ونشر حديثاً، والبعض الآخر بقي سرّياً الى اليوم، ولم ينشر بعد... وكل هذه الاحداث –التاريخية، مرة أخرى- بدل أن تقلّل من أهمية المسيح أو تشوّه صورته الحقيقية، فهي، على العكس تماماً، تظهر وتوضح شخصيته الحقيقية، وصورته الكاملة، واشعاعه الشامل الكونيّ: هو المسيح الكوني، هو الإله-الانسان، هو الانسان-الإله، هو البداية والنهاية، «الذي هو كل شيء وفي كل شيء»، هو هو نفسه مسيح الكنيسة، مسيح يوحنا وبولس وآباء الكنيسة الأولين... هو المسيح بكل أبعاده وإشعاعاته الانسانية والكونية والالهية...! طبعاً ليس هو المسيح المحارب العسكريّ الذي كان ينتظره اليهود مخلّصاً لهم وحدهم، ولا مسيح المسيحيّين المتهوّدين... بل المسيح الحق الذي أرسله الآب مخلصاً للناس وللكون أجمع، والذي كان ينتظره الكون، وتنتظره كل خليقة، وينتظره كل إنسان، وتنتظره كل الكائنات الروحية والسَماوية، وينتظره كلّ شيء... ومرة أخرى –وللمرّة الألف- هو

هو «الكلمة الذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان... به كانت الحياة... وهو النور الذي يضيء كل إنسان...» كما كتب يوحنا في مقدمة إنجيله منذ ألفي سَنة! ويوحنا نفسَه يختم انجيله بهذا الكلام المعبّر: «وهناك أمور أخرى كثيرة أتى بها يسوع، لو كتبت واحداً واحداً، لحسبت أن الدنيا نفسَها لا تسَع الأسفار التي تدوّن فيها!«...

أجل! هناك اذاً أمور كثيرة متعلقة بتلك الفترة من حياة يسوع التي يلفّها الصمت، قد دونتها وحفظتها بعض الجماعات الروحية – السرّية، ولم تعرفها عامة الناس الى اليوم... وهذه الأحداث التاريخية قد أبقيت مكتومة عن قصد، ولم تنشر. وذلك إمّا لأن مستوى تقبّل الناس عهد ذاك لحقائق المسيح السريّة الكاملة لم يكن متوفّراً بشكل عام...، وإما لأن الظروف الزمنية المحدّدة عهد ذاك لم تكن تسمح بذلك... والكنيسة التي «هي عمود الحق» – وصاحبة الحكمة الدهرية – كانت على صواب تام في نشر ما نشرت... من حياة المسيح حتى اليوم! أما اليوم، فكل شيء يدعو، وبإلحاح، الى نشر ما يمكن نشره من الوثائق التاريخية غير المنشورة عن حياة يسوع المسيح. وغني عن القول تماماً، بأن هذه الوثائق المحفوظة كمخطوطات سرّية تتحدث فقط عن أمور زمنية تاريخية وجغرافية، ولا علاقة لها اطلاقاً، لا من قريب ولا من بعيد، بالإيمان والعقائد والتعاليم المسيحية الرسميّة... بل على العكس تماماً، فهي تعترف بها وتؤيدها وتدعمها، ولو بشكل غير مباشر. ومرّة أخرى، لأن الكنيسة «هي عمود الحق»، و»أبواب الجحيم لن تقوى عليها...»، ولأن المسيح نفسَه هوالقائل للكنيسة، في آخر آية من انجيل متى: «... وهاءنذا معكم طوال الأيام الى نهاية العالم.«

من الطبيعي جداً – لا بل من البديهيّ – أن يكون يسوع المسيح الانسان قد تلقّى دروساً نظاميّة متكاملة، واطّلع عن كتب على ثقافة عصره. كان له، بالاضافة الى طبيعته الالهية، «وهو مسَاو للآب في الجوهر»، طبيعة بشرية حقيقية كاملة كأي انسان (طبعاً ما عدا الخطيئة). وغنيّ عن القول أن طبيعته البشرية، بكل قواها وطاقاتها وَأَمْدَائِهَا، كانت تنمو بشكل طبيعي كسَائر الناس، جسَداً ونفساً وروحاً. والانجيل نفسَه يقول في هذا الموضوع: «وكان يسوع ينمو ويتسَامى في

الحكمة والقامة والحظوة أمام الله والناس...» (لوقا 2: 52). وتبعاً لطبيعته البشرية الحقيقية، كانت كل قواه العقلية (المعرفة والارادة والحرية... الحافظة والذاكرة والمخيّلة والمصوّرة الخ...) تنمو وتتطوّر وتنضج وتتسَامى بشكل طبيعي كسَائر الناس – ولو كان هو الانسَان المثال الأنموذج والكامل بشرياً في التاريخ البشري كلّه...

والدليل الواضح على كون يسوع قد تلقى دروساً ابتدائية نظامية مكثّفة هو حادثة اجتماعِهِ بالعلماء في الهيكل. فقد جاء في انجيل لوقا: «وكان أبواه يذهبان كلّ سَنة الى أورشليم في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سَنة، صعدوا اليها جرياً على السَنة في العيد. فلما انقضت أيام العيد ورجعا، بقي الصبيّ في أورشليم، من غير أن يعلم أبواه. وكانا يظنّان أنه في القافلة، فسَارا مسيرة يوم ثم أخذا يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف. فلمّا لم يجداه، رجعا الى أورشليم يبحثان عنه. فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين العلماء، يستمع اليهم ويسألهم... وكان جميع سَامعيه معجبين أشدّ الاعجاب بذكائه وجواباته...» (لوقا 2: 41-47). فهذا النصّ الانجيلي الواضح يغني، بحد ذاته، عن أي شرح وتفسير وتعليق، وهو يتضمن الدليل القاطع على أن الصبيّ يسوع، ابن الثانية عشرة، كان قد تلقّى، بقطع النظر عن ذكائه الشخصي المتفوّق، دروساً نظاميّة مكثّفة جعلت «جميع سَامعيه معجبين أشدَ الاعجاب بذكائه وجواباته...». الا تعني جواباته هذه، على اسئلة علماء الهيكل ثقافة علمية محدّدة وناضجة؟ واذا كان شخص المسيح، وهو ابن الله، على اتصال مباشر ومستمر بابيه السَماوي، يتلقى منه كلّ الانوار الالهية، فهذا لا يمنع اطلاقاً كونه تلقّى بشكل طبيعي وبشريّ عادي التربية والثقافة والعلوم الانسانية التي تمكّنه من إيصال أفكاره وبشارته ورسَالته الى الجميع حتى عامة الناس. وفي الواقع، نراه في روايات الأناجيل، يخاطب جميع فئات الشعب، كلّ بلغته وأسلوبه وحتى تعابيره... يخاطب الحكّام والعلماء، الفريسيّين والصدوقيّين، الأغنياء والفقراء، المثقفين والبسَطاء، اليهود والرومان و»الأمم...«

أمّا الادّعاء بان يسوع لم يكن بحاجة الى تربية وثقافة وعلوم بشريّة، لأنه ابن الله ولأن طبيعته الالهية تغنيه عن كل ذلك، فهو ادعاء خاطئ

مردود وينتقص من طبيعته البشرية الحقيقية. فكما أن جسده البشريّ، ككل جسَد بشري، بحاجة الى غذاء ونمو وتطور، فهكذا نفسَه وروحه بحاجة، ككل نفس وروح بشريين، الى غذاء ونمو وتطوّر. وهذا لا ينتقص أبداً من طبيعته الالهية، بل يؤكد على طبيعته البشرية المسَاوية لطبيعة كل انسان...

هل يخطر على بال انسَان، ولو للحظة واحدة، أن العذراء مريم والدة يسوع كانت مُعْفاةً من تدريبه مثلاً على المشي والنطق، على تناول الشراب والغذاء، على تلبية حاجاته الطبيعية الخ...؟ هل كانت كلّ هذه الأمور تأتيه بالوحي والالهام من علُ؟ أو هل كانت أموراً مكتسَبة منذ ولادته...؟ أليسَت كل هذه الأمور تندرج في إطار النمو الطبيعي والتدريب البشري؟ وهكذا في الامور العقلية والفكرية والعلمية، فمن الطبيعي والضروري ان يكون هناك معلمون وملقّنون ومدرّبون. ومن البديهي ان يسوع لم يشذّ عن هذه القواعد والقوانين الطبيعية البشرية العادية...

يستنتج القارئ المتبصّر في الأناجيل، بكل سهولة، أن يسوع كان يتكلّم، على الأقل، ثلاث لغات: العبرية وهي لغة التوراة والشريعة والطقوس اليهودية؛ الآرامية –أي السريانية القديمة – اللّغة الشعبية المحكية في الجليل وفلسطين والبلدان المجاورة؛ واليونانية، لغة الثقافة والعلوم في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسِّط، والتي كان يتكلّمها الحكّام وضبّاط الجيش والمثقفون وطلاّب الصفوف العالية حتى من اليهود أنفسهم. فغنيّ عن القول أن يسوع كلّم الشعب والجموع بلغتهم المحكية أي الآرامية. وفي مجامع الجليل واليهودية، قرأ وفسَر وشرح وعلّق على الكتب بالعبرية لغة الشريعة والانبياء، واللّغة الطقسيّة – الدينية عند اليهود. والأدلّة على ذلك كثيرة في الأناجيل... (راجع مثلاً: متى 4: 23-25؛ مرقس 1: 21-28، 6: 1-5؛ لوقا 4: 14-24؛ الخ...). وقد تكلّم يسوع باليونانية، على ما يقول كثير من المفسِّرين، مع قائد المئة عندما شفى له عبده المريض (راجع متى 8: 5-13؛ لوقا 7: 1-10)، ومع عامل الملك، عندما شفى له ابنه المريض (راجع يوحنا 4: 46-54). وقد تكلّم، على الارجح، باللغة اليونانية أيضاً، مع الحكام والعلماء والمثقفين... كان من الطبيعيّ جداً أن يتقن المسيح اللغات التي كان مواطنوه في

الجليل – وفي سائر مناطق فلسطين – يتكلّمون بها، وذلك نظراً الى أهمية رسالته الخلاصية السَامية الموجّهة الى كل فئات الشعب. وهل يخطر على بال انسان عاقل واحد، وللحظة واحدة، انهم كانوا يترجمون للمسيح لغات كان يتقنها مواطنوه؟ وهل من المعقول ان يكون المسيح أقل ثقافة من مواطنيه؟!

فبالاضافة الى اللّغات الثلاث: العبرية والآرامية واليونانية، من الطبيعي والمنطقي والبديهي أن يكون المسيح قد تلقى دروساً عالية في جميع الموادّ التي كانت تلقّن في محيطه وبيئته، وحصل، دون أدنى شك، على ثقافة متقدّمة ومتكاملة في جميع المجالات الدينية والفكرية والعلمية... أمّا كيف ولماذا وأين تلقى هذه لثقافة العالية، فهذا ما سَنبيّنه ونفصّله في ما يأتي.

رأينا سَابقاً أن يسوع المسيح ولد من عائلة جليليّة داخل بيئة أسينية... فهذا وحده كاف ليؤمّن للطفل يسوع اكبر قدر ممكن من التربية والثقافة التي كانت تعطى في بيئته عهد ذاك. ذلك لأن المدارس الاسينية كانت تؤمن للطلاب من أبنائها ثقافة مثالية متكاملة بفضل معلّمين ومرشدين أكملوا تخصّصهم بعلوم عصرهم في مختلف بلدان الشرق. أضف الى ذلك أن الفروع الاسينية في هذه البلدان كانت تتبادل باستمرار المعارف والعلوم، مما كان يميّزها عن غيرها من الجماعات، ويجعل منها بوتقة حضاريّة متقدمة...

وقدوم المجوس الى بيت لحم أكبر دليل على التبادل العلمي والروحي بين هذه الجماعات المشرقية. فَهُمْ قد رأوا نجم المسيح في المشرق فجاؤوا ليسجدوا له... واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. ولما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً... ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً...

وقد جاء في انجيل الطفولة (28: 2-3) «أن بعض المرافقين والجنود الذين أتوا مع المجوس من المشرق بقوا في أرض الجليل. وعندما بلغ يسوع عمر الثانية عشرة، كان يحاورهم في أمور الدين والروح والحياة الثانية!«...

هؤلاء المجوس، الذي لم يذكر الانجيليّ متى اسماءهم ولا عددهم، كانوا من علماء الفلك ومن كهنة هياكل الاسرار الشرقية الضالعين في أساليب التربية والثقافة والحكمة الاكثر تقدماً وتطوراً في زمانهم. وقد أثبتت الأبحاث الحديثة انهم كانوا على اتصال مستمر بالمنظّمات العلميّة الروحيّة في مصر وفي جبل الكرمل بالذات. وكانوا جميعاً من العائلة الهرمسية الكبرى المنتشرة في كل أصقاع الشرق. وما مجيء المجوس أنفسهم الى بيت لحم، وتعرّفهم الى المسيح، وسجودهم له، وتقديم هداياهم له، سوى اقرار علني وتكريس رسمي لهذا المسيح – المخلّص الذين كانوا ينتظرونه هم، والمنظمة الهرمسية الكبرى في الشرق، والعالم أجمع...

فهل يعقل، بعد هذا الحدث البالغ الأهمية على الصعيد العالمي، ان يقفل المجوس راجعين تواً الى ديارهم، تاركين الطفل المخلّص وحيداً بين أيدي والديه؟ اليسَ من البديهي والمنطقي أن يسعوا الى الاهتمام الخاص به، ويبذلوا كلّ جهدهم لتوفير كل الظروف التي تؤمن له التربية المثالية والثقافة الملائمة؟

رأينا في ما سَبق، أن الجماعات الاسينيّة، في زمن الميلاد، كانوا في أوج تقدمهم وازدهارهم في منطقة الجليل. وكانت مراكزهم المنظمة تتوزّع بين معاهد ومستشفيات وبيوت مضافة واستقبال للغرباء والزوار والمحتاجين في الجليل وكافة مناطق فلسطين. وبالاضافة الى كل ذلك، كانوا يزوّدون بعناصرهم الاكفاء، هيكلهم الكبير في مصر، اديرتهم في الجليل، وفي اليهودية (دير قمران)، وفي بَعْضِ البلدان المجاورة...

أمّا الموضوع التاريخي الخطير الذي بقي مغموراً وسريّاً طيلة أجيال وأجيال، والذي طمسَه عن قصد التعصّب اليهوديّ، وتبعه المسيحيون المتهوّدون وغيرهم فيما بعد، فهو يتركز حول حقيقة «جبل الكرمل»، الذي كان أنبياء اليهود أنفسهم يسمّونه، في رؤاهم الروحية، «جبل لبنان». نعم «جبل لبنان»! هذا الموضوع كان من أكبر ضحايا التعصب اليهودي العنصري والقومي والديني، هذا التعصب الذي قتل المسيح نفسَه وشوّه التاريخ البشري بكامله وما يزال يشوّهه حتى اليوم! هذا الموضوع يعيد أموراً كثيرة الى نصابها الحقيقي، يسَلّط أضواء جديدة كاشفة على حياة

يسوع الخفية، ويشكل العمود الفقري لبحثنا في هذا الكتاب. ونحن من قلب لبنان بالذات، نعلن هذه الحقيقة التاريخية، التي ظلت مطموسَة طيلة أجيال، نعلنها بالفم الملآن أمام العالم أجمع! والتفاصيل في ما يأتي:

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، حدث أمر ثقافيّ – روحيّ فوق جبل الكرمل بالذات، أمر بالغ الأهميّة، كان من طبيعته سرّياً، وقد تناساه التاريخ عن قصد أو عن غير قصد، بشكل شبه تام حتى أيامنا هذه. ولم تدوّنه سوى بعض المخطوطات والوثائق عند بعض الجمعيات السرّية الخاصة في المشرق. وهذا الأمر بالذات يلقي أضواءً كاشفة على حياة يسوع «والسَنوات الخفية» من حياته الخاصة، قبل البدء بحياته التبشيرية العلنية. كما يسَلّط أضواء إضافية على ظروف الميلاد وموقع بيت لحم الحقيقية ونشأة المسيحية عينها. ألم تكن «السَنوات الخفية من حياة المسيح» موضوع تسَاؤلات وتقديرات ونظريات كثيرة، حتى أيامنا هذه؟

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد إذاً، بدأت الجماعة الاسينية توحّد جهودها مع الجماعات الجليلية الروحية الأخرى ومنها «مدارس وعائلات الانبياء والنبيّات»، «والمنذورون» (نذيريم)، «والمكرّسون لله»، «والمتوحّدون»، بغية إقامة مركز محوريّ روحي كبير فوق جبل الكرمل. ومن المعروف انه كان هناك مغاور عديدة بالاضافة الى معبد صغير فوق الجبل. أما المشروع الجديد هذا، فكان يبغي انشاء دير كبير وشبه «جامعة دينية – علمية متخصّصة» ونظامية، لها أقسَامها وفروعها مع مكتبة ضخمة تجمع الوثائق والمخطوطات القيّمة الآتية من مكتبة الاسكندرية الكبرى ومن سَائر المدن والعواصم الحضارية في الشرق وفي محيط البحر المتوسط. وقد نفّذ هذا المشروع الكبير المشترك، في أواسط القرن الأول للميلاد!! ومن أهم الاسباب التي دفعت هذه الجماعات الروحية الى انشاء هذا المركز المحوري فوق جبل الكرمل بالذات، الاضطهادات المتتالية التي حصلت على هذه الجماعات في مراكزها المتفرقة في فلسطين، من قبل الحكام والرؤساء اليهود، دينيّين ومدنيّين. وكانت هذه الجماعات تشكل الأعداء الألداء لليهوديّة الرسميّة، كما يؤكد يوسيفوس المؤرخ وغيره من مؤرّخي ذلك العصر. أضف الى هذه الاسباب

الزلازل التي حصلت بين سَنة 31 ق.م. وسَنة 37 ق.م. في بعض مناطق فلسطين ومنها منطقة البحر الميت وقمران. وقد انقطع السَكن في دير قمران من سَنة 31 ق.م. الى سَنة 4 ق.م. (راجع المؤرّخ أسَد رستم «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، طبعة ثانية، بيروت، لبنان، 1990، ص 21 مع الحواشي والشروحات). غير أن أهم الأسباب التي دعت هذه الجماعات الى إقامة هذا المركز الثقافي – الروحي الكبير، فوق جبل الكرمل تحديداً، هو ان هذا الجبل مع سفوحه كان يقع، في ذلك الوقت ضمن أراضي فينيقية – لبنان. مع العلم ان جبل الكرمل هذا، كان يقع ضمن أراضي فينيقية – لبنان، منذ بداية التاريخ البشري، وطوال القرون المتتالية حتى نهاية العهد العثماني! (راجع، مرّة أخرى، جميع الخرائط القديمة.(

وهكذا، عندما أنشأت هذه الجماعات الروحيّة مركزها المحوريّ خارج الأراضي اليهودية، وداخل أراضي فينيقية –لبنان، أصبحت بمنأى عن تدخل اليهود واضطهادهم المتواصل، وحافظت هكذا على حرّية أفكارها ومعتقداتها وطقوسها، لأن أرض فينيقية – لبنان كانت دوماً وأبداً، كما هو معروف من الجميع، أرض الحرية والانفتاح والتفاعل الثقافي والديني والحضاري. كانت، كما هو لبنان اليوم، «بوتقة وحدة البشر!...«

في هذا المركز الثقافي –الروحيّ في جبل الكرمل، أمضى يسوع المسيح القسم الأكبر، على الأرجح، من سَنوات «حياته الخفيّة» التي يتساءل عنها عامة الناس الى ايامنا هذه. غير أن السرّية التامة كانت الطابع المميّز الذي كان يتقيد به رسمياً، وبقسم علني، جميع سكان هذا المركز. فكانوا على قناعة تامّة بأن الحقائق السرّية والحكمة الروحية الدهريّة، لا يجوز إطلاقاً ان ترمى رمياً أمام أقدام الجهلة والفاسدين والأشرار... وهذا يذكّرنا بالحكمة الدهرية التي جاءَت على لسَان السيّد المسيح نفسه، القائل: «لا تعطوا الكلاب ما هو مقدّس... ولا تلقوا جواهركم الى الخنازير... لئلا تدوسها بأرجلها، ثم ترتدّ اليكم فتمزّقكم...»! (متى 7: 6). في مركز الكرمل هذا، أقام يسوع منذ نعومة أظافره، بعد السَنوات الأولى من طفولته التي أمضاها مع أبويه في بيتهما. وفيه تلقى

الدروس، بشكل نظاميّ ومركّز، في اللّغات والثقافة والعلوم والروحانية والأديان... وظل في هذا المركز حتى بداية حياته العلنية.

وإذا عدنا الى قضية مجيء المجوس من المشرق، وبحثهم الدؤوب عن مكان ولادة المسيح، وسجودهم له، وتقديمهم له الهدايا الملكية، فهل يعقل، وهم من كبار علماء الفلك والروحانية الذين كانوا يترقبون مجيئه، أن يقفلوا راجعين لتوّهم الى بلدانهم البعيدة دون إبداء أي اهتمام او عناية بهذا المخلّص البشري الكبير الذي كان ينتظره، بلهفة وشوق، عالم الشرق بكامله؟ إنَّ الذي حصل في الحقيقة، هو أن المجوس بعد سجودهم للمسيح وتقديمهم الإكرام له، ذهب قسم منهم الى مصر ليخبروا كبار الروحانيّين هناك بالحدث المنتظر الكبير، وصعد القسم الآخر الى جبل الكرمل، واجتمعوا بشيوخ وكبار المركز هناك، بغية تأمين كل وسَائل العناية والاهتمام لاعداد تربية خاصة جداً تليق بهذا المولود الفريد. بعد ذلك عادوا الى بلادهم، تاركين بعض العناصر في الكرمل، كي يتابعوا قضية تربيته وتثقيفه وإعداده الإعداد المناسب. (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرّية»، ص 122-123.)

قلنا إن مركز الكرمل الكبير كان شبيهاً «بجامعة». وفي الحقيقة، كانت الدروس تعطى بشكل نظامي ومركّز. كانوا يدرّسون كلّ علوم عصرهم، تلك العلوم التي كانت تدرّس فقط في المراكز والمؤسّسَات في العواصم والحاضرات الثقافية والروحية الموزّعة في أهم البلدان الشرقية المتقدمة، أمثال فينيقية ومصر وبابل وبلاد فارس وبلاد اليونان. والعلوم التي كانوا يدرّسونها هي التالية: اللغات، علم الفلك والتنجيم الفلكي، علوم الطبيعة، الكيمياء القديمة، علم الهيئة، التاريخ، الديانات، العلوم الروحانية والأسرار الكونية... وقد تأثروا بالديانة الكنعانية، ديانة إيل، حتى ان الكبار منهم كانوا يضعون حول أعناقهم قلادة تحمل اسم إيل، إله الكنعانيّين، الإله الموحّد الكوني الأول. أجل! سَوف يلقّب يسوع المسيح نفسه «بعمانوئيل» – أي إيل معنا، أو الله معنا – كما قال الانجيل المقدس نفسه. وسوف يقول المسيح نفسَه على الصليب: «إيلي، إيلي، لماذا تركتني»؟... لقد خاطب «إيل» – أباه – إله الكنعانيين اللبنانيين الذي

أصبح اليوم معروفاً جداً، ولم يخاطب «يهوه» إله اليهود، لأنه كان كنعانياً لبنانياً، لا يهودياً!

في هذا المركز المتقدّم علمياً ودينياً، أمضى يسوع المسيح «سَنواته الخفيّة» حتى بداية حياته العلنية. وخلال هذه السَنوات الطويلة – من السَادسَة الى الثلاثين من عمره – تلقي دروساً نظامية ابتدائية ومتوسطة وعالية في أهم علوم ذلك العصر. وكان محاطاً دوماً بأشخاص من كبار الروحانيّين، يؤمّنون له باستمرار الإعداد والعناية الملائمين، وذلك في جميع المجالات والنشاطات الانسَانية...

هذه هي حقيقة «سَنوات يسوع الخفيّة». وهذه الحقيقة، التي أغفلها التاريخ، تتلاءم وتنسجم وتتوافق تماماً، حتى بتفاصيلها، مع الحقائق والقرائن والدلائل التاريخية والجغرافية والاجتماعية... التي تخصّ ميلاد المسيح وطفولته ونشأته وبيئته الاجتماعية حتى بداية حياته العلنية وتبشيره.

فيما يخصّ «سَنوات يسوع الخفيّة»، راجع: دكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع الخفيَّة» الفصل الثامن ص 117-131 والفصل التاسع ص 133-157- راجع أيضاً في هذه الدراسَة: القسم الثالث، الفصل الاول: جبل الكرمل، والفصل الثالث: في بيئة الميلاد – سرّ الاسينيّين)

مراجع الفصول 4 و5

المراجع العربية

-الطبري «تاريخ الأمم والملوك»، دار سويدان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1967 المجلّد الأول، ص 593 – 600 (مع الحواشي والشروحات.(

-فيليب حتّي + «تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخيّة الى عصرنا الحاضر»، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1972، ص 53-54، 114، 320، 394، 455 + «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين»، الجزء الأول، 1982، ص 9-11.

-يوسف الحوراني: «المواقع الأثرية في الجنوب اللبناني خلال تسميات الأعلام، ق.م.» ص 18-19، والحاشية 43.

-ابن الأثير «تاريخ ابن الأثير» (ورد كلامه عن مكان بشارة العذراء مريم في «تاريخ الناصرة» للقس أسعد منصور، ص 159(

-القس أسعد منصور «تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال بمصر، 1924، ص 159.

-فؤاد فضّول «الماسونية خلاصة الحضارة الكنعانية»، منشورات دار كنعان، مطبعة المتني، بيروت (بدون تاريخ)، ص 86 والحاشية رقم (1)، 99، 112 مع الحواشي...

-مارسيون مجموعة مجلة «صدى الأرز»، العدد 18، ص 30-31

«-ملحمة اقهات»، اللوحة الثانية: 5-6

«-التوراة الكنعانية» تأليف هـ. 1. ديل ميديكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس؛ (1949)، ص 132-155

-القرآن سَورة آل عمران الآية 36؛ سَورة مريم الآيات 15، 16، 22

-سَفر العدد 24: 17

-سَفر صموئيل الأول 10: 5-16، 19: 20، مع الحواشي (النسخة الكاثوليكية الجديدة – اليسوعية – أنا الألف والياء – دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة 1989.

-سَفر الملوك الأول الفصل 18 بكامله مع الحواشي...؛ 22: 10-12

-سَفر الملوك الثاني الفصلان الأول والثاني مع الحواشي... 4: 38

-سَفر المزامير 2: 7
-سَفر اشعيا: 28: 7 وما يتبع.
-عبرانيين الفصل السابع بكامله مع الحواشي...
-أطلس الكتاب المقدّس، دار النشر المعمدانيّة، بيروت، لبنان، 1983، خارطة رقم 14 ص 16-17.

المراجع الأجنبيّة

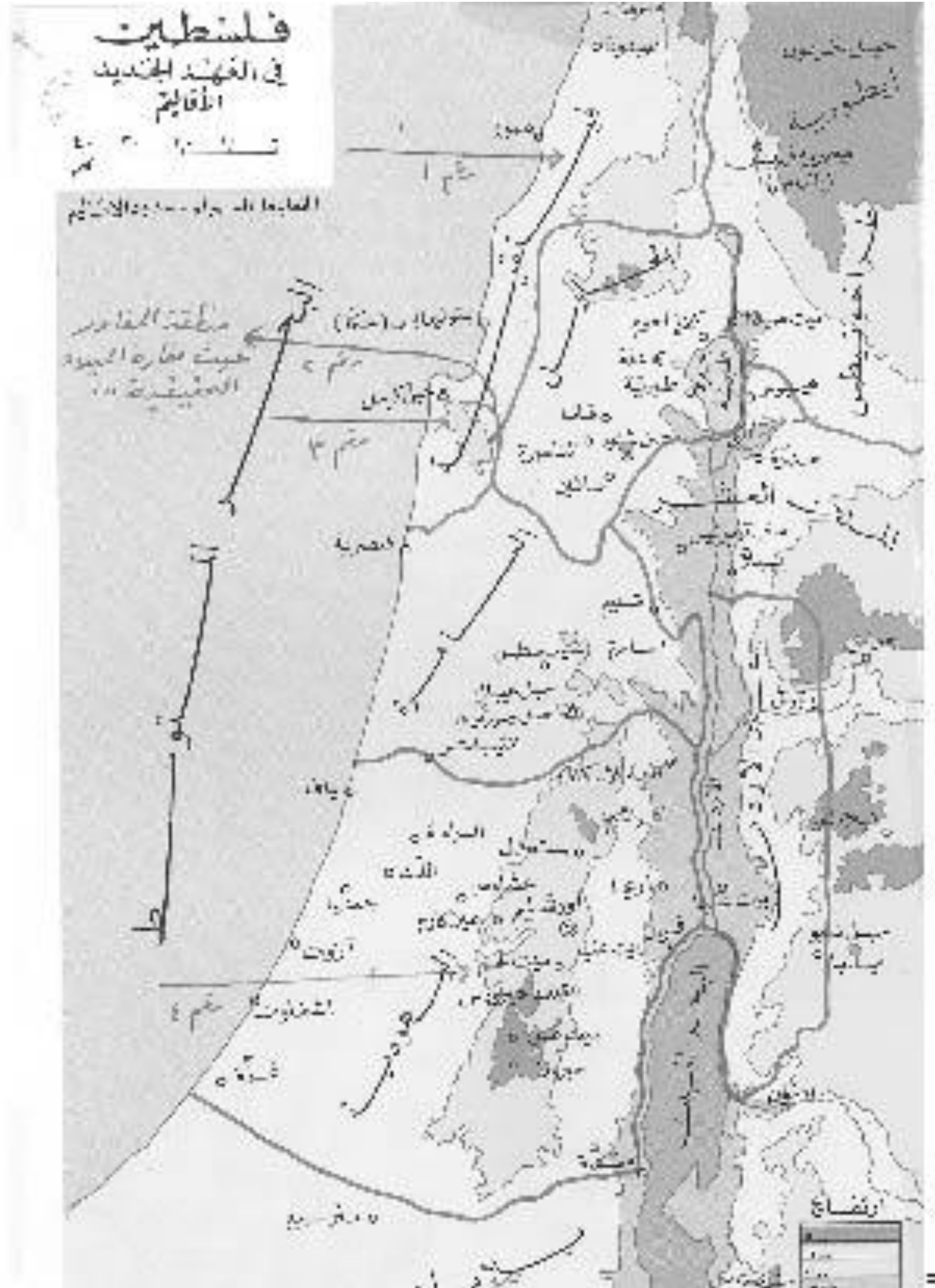
-Fr. Camilo Maccise, "Les racines bibliques de la spiritualité Carmélite" in "La Splendeur du Carmel" (Revue), No 5, Beyrouth, Liban, 1994, p.p. 1-9.
-P. Jean Sleiman O.C.D, "Le Liban Carmel deviendra: Implantation des Carmes au Liban 1643-1653", in "La Splendeur du Carmel" (Revue), No5, Beyrouth, Liban, 1994, et Note N° 29.
-A.D. Grad "Les Clefs secrètes d'Israël", p. 207 (citant le livre de "zohar"…)
-Gérald Messadié. "L'homme qui devint Dieu", Tome II, Les Sources – No 21-22, p.p. 108-109; No 66, p.p. 250-251
-Edouard Dhorme "Les Religions de Babylone et d'Assyrie", P.U.F, 1949, p.p. 148-150.
-R.P. Tellier "Atlas Historique du Nouveau Testament", Editions Spes, Paris, 1936, -Et Cartes p.p. 11, 12, 19, 23, 25, 35.
-Charles Virolleaud "Legendes de Babylone et de Canaan. Paris, Adrien – Maisonneuve, 1949, p. 68.
-Dorothée Kœchlin de Bizemont "L'Univers d'Edgar Cayce", Robert Laffont, Paris, 1992.
Tome 1er p.p. 254-255; 298-299; 316-326; 338-343; 460-461
Tome 3 p.p. 83-84 avec Les Notes;
-Anne – Cathérine Emmerich, "Visions", Editions Téqui, p. 83.
-Cyril Scott, "Vision du Nazaréen", Collection "L'Initié", p. 98

-T.D. Mc. Coum and Arthur Keith “The Stone Age of Mount Carmel”, Vol. II, Oxford, 1939, chap. 2.
-Dr. H. Spencer Lewis “La vie mystique de Jésus” Robert Laffont, Paris, 1972, p.p. 123-131.
-Protévangile de Jacques, 3: 1; 18-24
-Evangiles Apocryphes, F. Quéré, p. 70-85
-P. Benoit et M-.E. Boimard “Synotique des quatre Evangiles”, Tome2, p. 65, Note No 14 (Adoration des Mages…).
-Jane Roberts “L’Enseignement de Seth”; J’ai lu, New Age, 1991, p. 446.
-G. Serbanesco “Histoire de la F.M. Universelle”, Lettre: E.
-Jamblique “Vie de Pythagore”, p.p. 297-298
-H.P. Blavatsky “La Doctrine Secrète”, Editions Adyar, Volume 3, 1984, p. 490; Volume 5, 1982, p.p. 53 et Note No 2, 299 et Notes, 309 avec Note No2, 316-317 et Notes, 338 et Notes No1.
-A. Wilder, “New Platonism and Alchemy”, 1899 p.p. 3-4; 7-9.
-Jacques Duquesne “Jésus”, Flammaration, 1994, p.p. 53-58.
-J.M. Ragon, “Royal Masonic Cyclopœdia”, Section 29
-Charles Perrot “Les récits de l’enfance de Jésus”, Cahiers Evangile, Editions du Cerf, Paris, 1976, No18, p.p. 26, 66
-Flavius Josèphe, “Guerres Juives”, II, p.p. 119, 121
-Dorothy A.E. Garrod and D.M.A. Bate “The Stone Age of Mount Carmel” Vol. I, Oxford, 1937, Chs. 4-8
-Joseph Chami, “De la Phénicie”, Librairie du Liban, Beyrouth, Liban, 1967, p. 47.
-Silvano Giordano, ocd “Le Carmel en Terre Sainte – des origines à nos jours”, Arenzano (Italie), 1995. (Avec références, dessins, images et cartes)

-"Speculum Carmelitanum", Tome I, Anvers 1680, p.p. 50, 58, 60, 72, 82, 84
-Jean – Baptiste de Saint Alexis "Compendio historico dello stato antico e moderno del Carmelo", Turin, 1780.
-Carlo Cicconetti "La regola del Carmelo – Origine, natura, significato", Roma, 1973.
-Florencio Del Niño Jesùs "El Monte Carmelo", Madrid, 1924.
-Jean de Cheminot, ocd "Speculum fratrum ordinis beatae Mariae de Monte Carmeli", Paris, 1350.
-Petit Guide du Mont Carmel, 1ère édition, Jerusalem, 1946 – The commercial Press. p.p. 10, 28-29.
(Avec dessins, images et "Résumé Historique").
-Revue: "Bible et Terre Sainte", No 110, Avril, 1969.
-Alfred S. Romer "Man and the Vertebrates", Chicago, 1941, p.p. 219-222.
-Pline, "Histoire Naturelle", V, p. 17.
-A Neher, "L'Essence du Prophétisme", p.p. 30 et suiv.
-L. Monloubou, "Les Prophètes de l'Ancient – Testament", Cahiers Evangiles, No 43, Ed. Du Cerf, Paris, 1983, p.p. 10-15.
-Earnest A. Hooton "Up from the Ape", New York, 1946, p.p. 336-339
-Papus "La cabbale – Tradition secrète de l'Occident", 17eme Edition, Editions Dangles, St – Jean – De – Brage, France, 1992, p.p. 52-55
-Revue: "La Splendeur du Carmel", No5, Beyrouth, Liban, 1994, p.p. 1-31.

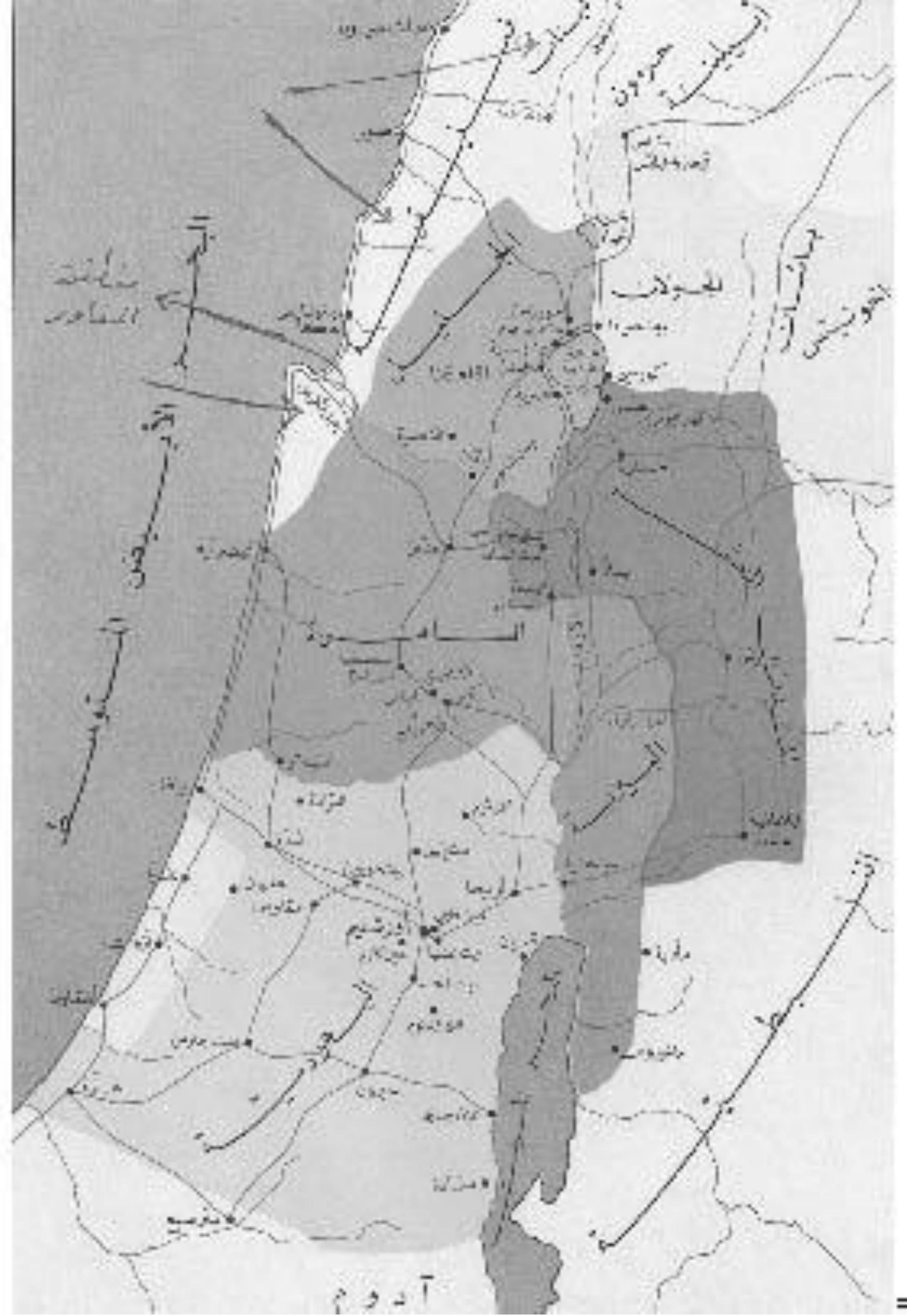


خريطة فلسطين في زمن السيّد المسيح، يظهر فيها بوضوح تامّ جبل الكرمل وسفوحه كلّها داخل أراضي فينيقيا – لبنان. والمسيح ولد بالقرب من بيت لحم وليسَ بداخلها، في مغارة في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. والناصرة في الخريطة هي بالقرب من بيت لحم هذه. (نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه «أطلس الأراضي المقدسة»، نيويورك 1962)



يظهر في الخريطة أعلاه جبل الكرمل بكامله مع جميع سفوحه داخل أرض فينيقية (أنظر السَهم رقم 3). لا حظ منطقة المغاور، حيث مغارة الميلاد الحقيقية، قريباً من الناصرة، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (أنظر السَهم رقم 2).

(مأخوذة من خرائط اكتاب المقدّس – أنا الألف والياء – النسخة العربية الجديدة للآباء اليسوعيّين، دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة 1989.)



خريطة فلسطين في زمن السيّد المسيح (الأقاليم). ويظهر فيها بشكل واضح جداً أن جبل الكرمل وجميع سفوحه هي داخل أرض فينيقية – لبنان. ومنطقة المغاور، ومنها مغارة الميلاد الحقيقية قرب بيت لحم الشمال، تقع في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، داخل أراضي فينيقية – لبنان الظاهرة بوضوح في الصورة أعلاه. (نشرها الأب موسى الحاج الأنطوني في كتابه «الأرض المقدسة – دليل سياحي وروحيّ مصوّر»، بيروت لبنان 1997.(



خريطة الأراضي المقدسة في أيامنا هذه. يظهر فيها بوضوح أن جبل الكرمل وسفوحه (حيث مغارة الميلاد الحقيقية)، لم تعد داخل أراضي لبنان، بل قد ضمّتها إسرائيل إليها، وأصبحت كل تلك المنطقة تابعة لأرض اسرائيل. وهي الى اليوم كذلك. وطوال 300 سَنة بعد المسيح عمل اليهود على استئصال كل أثر للمسيحية (في الجليل) من جذوره. فطمسوا كل الحقائق التاريخية والجغرافية ونسي العالم بيت لحم الحقيقية ومغارتها...! (هامّون، المرجع السَابق نفسَه)

تفصيل لمنطقة الجليل والكرمل أيام السيّد المسيح. تظهر فيها بوضوح تام مدينة بيت لحم الجليلية الشمالية حيث ولد المسيح. وبالتحديد تقع مغارة بيت لحم غربي المدينة في لحف جبل الكرمل الشمالي الشرقي، داخل أرض فينيقيا – لبنان (نشرها كورازين، روش بينا، إسرائيل 1992)

المسافات بين المدن الرئيسية

	أورشليم - القدس	يافا - تل أبيب	حيفا	طبريا	بئر سبع	ايلات
أورشليم - القدس		٥٨	١٥١	١٥٢	٨١	٣٠٩
يافا - تل أبيب	٥٨		٩٥	١٣٤	١٠٥	٣٤٦
حيفا	١٥١	٩٥		٦٩	١٩٧	٤٣٨
طبريا	١٥٢	١٣٤	٦٩		٢٣٣	٤٠٥
بئر سبع	٨١	١٠٥	١٩٧	٢٣٣		٢٤١
ايلات	٣٠٩	٣٤٦	٤٣٨	٤٠٥	٢٤١	
عكا	١٧٣	١١٧	٢٢	٥٥	٢١٩	٤٦٠
بانياس	٢٢٢	٢٠٤	١١٤	٧٠	٣٠٣	٤٧٥
الخليل	٣١	٩٢	١٨٢	١٨٣	٥٠	٢٩١
أريحا	٣٦	٩٧	١٤٩	١١٦	١٦٣	٢٨٩
الناصرة	١٣١	١٠٢	٣٥	٢٩	١٠٧	٤٨٨
راس الناقورة	١٩٣	١٣٧	٤٢	٧٥	٢٣٩	٤٨٠
نابلس	٥٩	٥٧	٩٣	١٠٢	١٤٤	٣٥٩


مدخل دير الرهبان الكرمليّن الذي بني في جبل الكرمل في القرون الوسطى.
(كتاب الكرمل في الأرض المقدسَة(...«


الدير الحالي للرهبان الكرمليّين فوق جبل الكرمل. (المرجع السَابق أعلاه(



لوحة واحدة من البرونز، مثلثة المشاهد، على المدخل الرئيسيّ لكنيسة دير الرهبان الكرمليّين، في جبل الكرمل. صنعها قبيل الحرب العالمية الثانية الأخ سيرافينو ملكيورى الكرمليّ. في الأعلى، يمثل المشهد زواج يوسف ومريم (وهو رسم نادر جداً). في الوسَط، بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم. وفي الأسفل، ميلاد الطفل يسوع، «ونجم المجوس». وقد نقلها الراهب الفنّان عن لوحة زيتية قديمة العهد جداً كانت في كنيسَة دير قديم للرهبان الكرمليين فوق جبل الكرمل.

اللوحة نادرة جداً ومعبّرة للغاية. فهي تجمع في إطار واحد موحّد أحداثاً ثلاثة هامة جداً في تاريخ المسيحية: زواج يوسف ومريم، بشارة الملاك للعذراء مريم وميلاد يسوع المسيح. وهي، حين تجمع هذه الأحداث الثلاثة في إطار واحد، كأنها تدل ببسَاطة وواقعية الى أن هذه الاحداث الثلاثة قد حصلت فعلاً في مكان واحد محدّد: في جبل الكرمل بالذات! وهذا ما سَعينا نحن، في هذه الدراسَة الى إثباته: أجل! في جبل الكرمل، عقد زواج يوسف ومريم، في جبل الكرمل، تمّت بشارة الملاك للعذراء مريم، وفي مغارة، في اللحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، حصلت ولادة الطفل يسوع. في جبل الكرمل، حصل التجسّد الإلهي والميلاد معاً. وكان جبل الكرمل عند الميلاد – وقبله وبعده – داخل أرض فينيقية – لبنان!

)اللوحة مأخوذة من كتاب «الكرمل في الأرض المقدسة...»، بالفرنسيّة، ص 146.(



جدرانية رسَمها الأخ لويس بوجّي الراهب الكرملي تمثل زيارة العائلة المقدسة الى رهبان دير جبل الكرمل!! تاريخ الجدرانية: (1926-1928) وهي موجودة في قبة دير «نجمة البحر» للرهبان الكرمليّين في مدينة حيفا. (كتاب «الكرمل في الأرض المقدسة...») وهي وثيقة بالغة الأهمية التاريخية عن علاقة العائلة المقدسة بجبل الكرمل...

وثيقة تاريخية مُعَبِّرَةٌ جداً... وبالغة الأهمّية!



الجهة الشمالية لجبل الكرمل. الصورة مأخوذة من سَهل إسدرلون (في الأسفل). في الأعلى: موقع محرقة النبي إيليّا، في الوسط نهر قيشون (المرجع السَابق أعلاه(



قبة دير جبل الكرمل الحالي للآباء الكرمليّين. الكتاب المقدس يعتبر جبل الكرمل، مثل جبل لبنان، رمزاً للجمال والخصوبة بوفرة أشجاره ونباتاته وجمال أزهاره... (المرجع السَابق(



»سَيّدة الكرمل» ترتفع فوق جبل الكرمل في سَاحة دير الرهبان الكرمليّين، (المرجع السَابق). والتمثال يمثل الصورة الرسمية – الحالية – لسَيّدة الكرمل.



الجانب الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. الى اليمين: الاتجاه الى مدينة حيفا. في الوسَط الى الشمال «تلّ القسيس»، وفي الأفق البحر الأبيض المتوسط. (المرجع السَابق.(



تمثال «سَيّدة الكرمل»، صنعه، من خشب أرز لبنان...، الفنّان إيمانويل ريادا (1932-1933). أمّا الرأس واليدان فمن صنع الفنّان تمارافانتا. يلاحظ ان العذراء تحمل بيدها اليمنى «ثوب سَيّدة الكرمل». إنها الصورة الرسميّة – الحالية – لسَيّدة الكرمل (المرجع السَابق) يذكر أن تمثالاً قديماً لسَيدة الكرمل، صنع أيضاً من خشب أرز لبنان، أصبح اليوم داخل الكنيسة القديمة «لسَيّدة حريصا» في لبنان!



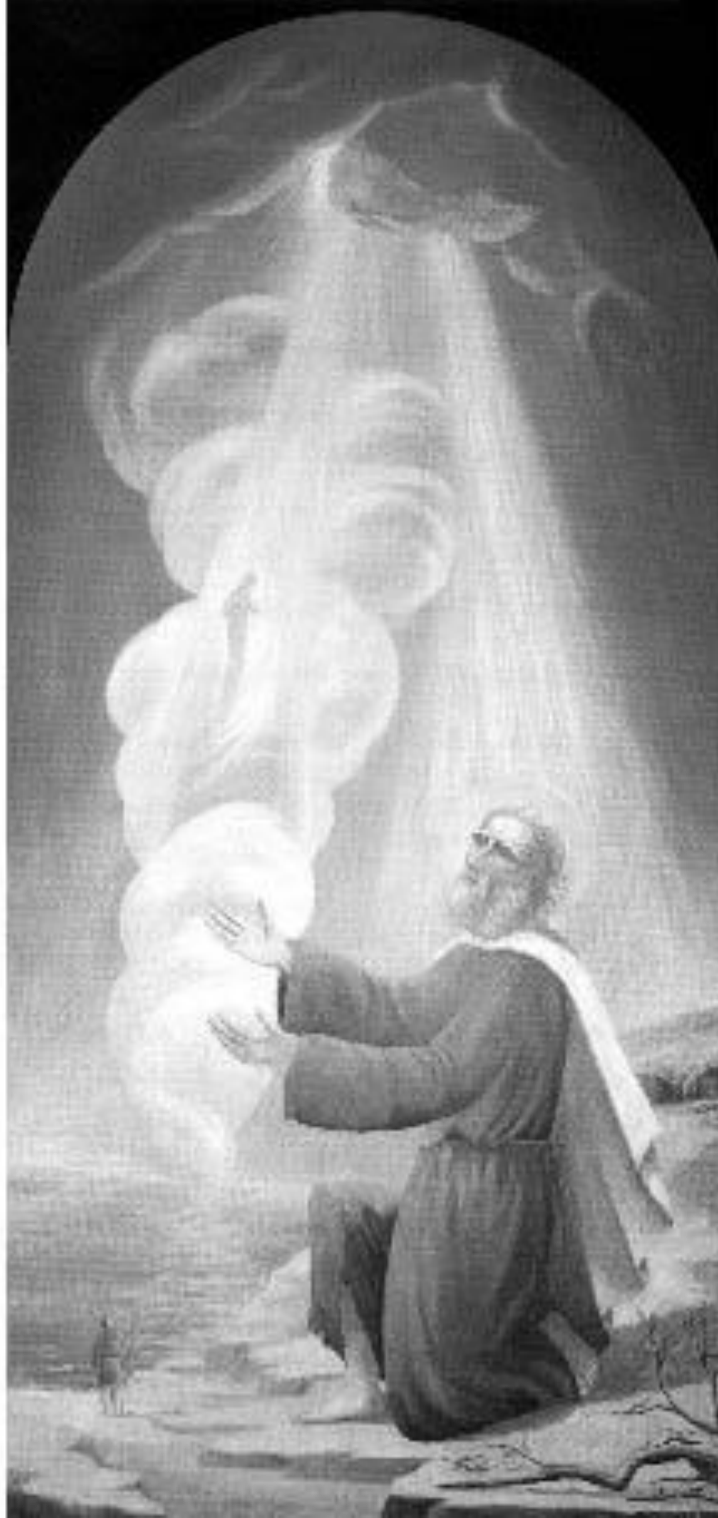
لوحة من البرونز تمثل العذراء مريم وبين يديها الطفل يسوع يحمل «ثوب سَيّدة الكرمل» (الى اليمين). والى اليسَار النبيّ إيليّا يحمل غصناً من الشجر، فوق الغصن «محرقة الكرمل». في أعلى اللّوحة الى اليمين أسقف باللّباس الحبريّ. وفي الأعلى «نجمة البحر» (على بوابة دير «نجمة البحر» للآباء الكرمليّين – حيفا.(



في اللحف الشمالي لجبل الكرمل يظهر دير قديم للآباء الكرمليّين. وبين جناحَي الدير يظهر مدخل «مغارة الخضر» – مغارة أدونيس سَابقاً – والتي دعاها الكرمليون فيما بعد «مدرسَة الأنبياء»، نسبة الى عائلات الأنبياء الكنعانيّين الذين ذكرهم صراحة الكتاب المقدس في سَفر الملوك الأول والثاني، والذي كان يتردّد اليهم النبيّ إيليّا ومن بعده تلميذه وخليفته النبيّ إليشاع (المرجع السَابق.(



لوحة زيتية فريدة بين جدرانيَّات كنيسَة «القديس بطرس الشـهيد»، هامة الرسـل، في طوليدة بإسـبانيا. عنوان اللّوحة: «مريم أم وبهاء الكرمل». واللوحة منقولة عن لوحة أخرى كانت في السَابق في كنيسَة دير رهبان الكرمل. وهذا الدير مندثر من زمن قديم. في الوسَط مريم ترفع يديها علامة الحماية للرهبنة الكرملية. في الأسـفل الى اليسَار النبي إيليّا (بثياب الكرمل) يدل أبناء الأنبياء على الغيمة وبداخلها العذراء مريم. وفي الأسـفل، بين الصورتين شعار رهبانية الكرمل. وفي الأسـفل الى اليمين، رهبان الكرمل القدماء يبنون فوق جبل الكرمل أول كنيسَة مسـيحية (بعد العنصرة)، على اسـم العذراء مريم – وهي بعدُ على قيد الحياة! (هكذا يقول بالحرف الواحد التعليق اللاتيني الموجود تحت هذه الصورة بالذات). إنها وثيقة تاريخية بالغة الأَهمّية! (المرجع السَابق.(



لوحة زيتية تمثل النبيّ إيليّا فوق جبل الكرمل يتضرع الى الله وقت
«المحرقة»... (المرع السَابق(



مغارة تاريخية مجاورة للمغاور السَابقة أعلاه. في هذه المغاور اكتشف علماء الآثار، بين 1929 و 1934، بقايا نوع من انسَان قديم دعوه «انسَان الكرمل» بالنسبة الى الجبل. لاحظ كبر واتِّسَاع المغاور.



مغاور في السَفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. سَكنها النسّاك والرهبان. وفي أسفل الصورة حجارة مبعثرة وبقايا أبنية قديمة. وهناك مغاور كثيرة في هذا السَفح من جبل الكرمل. وفي إحدى هذه المغاور، كما نؤكد نحن، ولد يسوع المسيح. وكانت هذه المغاور بعيدة عن منازل السَكن، ولكنها كانت قرب بيت لحم الجليل وتابعة لها، وعلى طريق يسَمّى «طريق بيت لحم!!«



مغارة أخرى في السَفح الشمالي – الشرقي لجبل الكرمل.
لاحظ حجارة البناء عند مدخل المغارة.



مغارة ذات طبقتين. الحفر الملاصقة للجدران الداخلية تشكّل معالف للماشية. (تذكّر بأجواء مغارة الميلاد(...



مغارة ذات طبقتين. العمود في الوسَط يسند سَقف الطبقة السفلى. (تذكّر بأجواء مغارة الميلاد(...



مغارة في اللّحف الجنوبي من جبل الكرمل. منظر من الخارج.



»مغارة النبيّ إيليّا« الشهيرة، في حلّة عصرية. استعملت في القرون الماضية، تارة مقبرة للأموات وتارة خزاناً للمياه. المغارة ذات طبقتين. لاحظ العمودين الحديثين الكبيرين، وهما يسندان سَقف الطبقة السفلى. في الوسط مذبح مسيحي يعلوه تمثال النبي إيليّا. وتستخدم المغارة اليوم ككنيسَة مسيحيّة ومزار.



مغارة صغيرة نقشت في الصخر في الجانب الشمالي من «مغارة الخضر» – مغارة أدونيس سَابقاً – وقد عرفت قديماً، من قِبَل رهبان الكرمل «بمغارة السَيّدة». واليوم يستخدمها اليهود كما هو ظاهر من الرموز والكتابات باللغة العبرانية... وهذا دليل واضح على الطمس اليهودي المقصود للآثار المسيحية القديمة..



مغارة المهد الحاليّة في بيت لحم اليهوديّة (المعروفة اليوم.(



مغارة تستخدم كمنزل للسَكن. ويوجد حتى اليوم بعض المغاور من هذا النوع في مناطق الجليل.



منظر داخلي «لمغارة الخضر» – مغارة أدونيس سَابقاً – والتي سمّيت أيضاً «مغارة إيليّا الكبرى». المدخل والقسم الأمامي. وقد حوّلها اليهود، في أيامنا هذه، الى «مجمع» ومزار لهم...! وذلك طمساً للآثار المسيحيّة القديمة..



الجانب الآخر من نفس المغارة أعلاه. لاحظ الحجّاج اليهود في هذه المغارة الكبيرة الحجم!

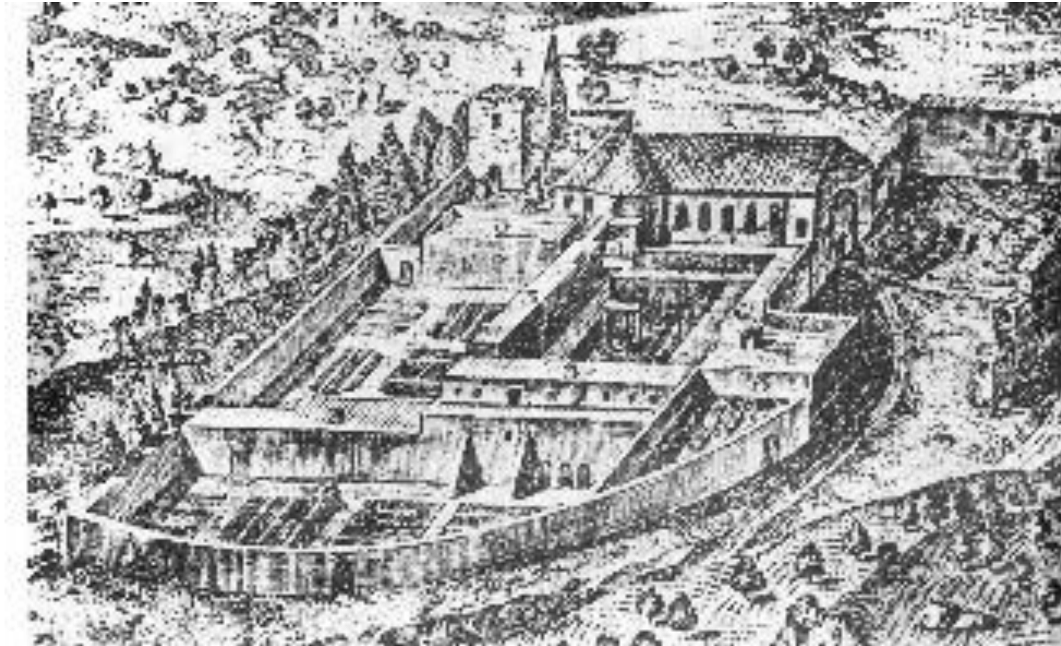


مغارة أخرى محفورة في الصخر، في السَفح الشمالي الشرقي من جبل الكرمل. تقع خلف كنيسَة قديمة تابعة لدير كرمليّ مندثر منذ فترة طويلة. لاحظ المدخل وحوض الماء أمامه. وهناك نبع، يسَمّى «النبع الأعلى»، الى يسَار الحوض.

)صور المغاور مأخوذة من كتاب «الكرمل في الأرض المقدسَة منذ القديم الى أيامنا هذه» (بالفرنسية). وضعه الأب سيلفانو جيوردانو الكرمليّ، أرانزانو، إيطاليا، 1995 – والكتاب غنيّ جداً بالوثائق والمراجع القديمة والحديثة، وبالخرائط والرسوم والصور. وقد أشرفت على إعداده وطبعه ونشره الرئاسَة العامّة للرهبانية الكرمليّة في العالم.(



كنيسَة المهد الحالية من الداخل حيث نشاهد الأعمدة القديمة ولوحات الفسَيفسَاء على الجدران.



صورة قديمة للأبنية الدينية في بيت لحم المعروفة اليوم. وقد رسَمها ل. ماير (1749-1752). مأخوذة عن كتاب «بيت لحم» وضعته بالإيطالية المؤرّخة وعالمة الآثار ماريّا تيريزا بتروتزي – منشورات «الأراضي المقدسة في فلسطين»، مطبعة الآباء الكبّوشيين، أورشليم، سَنة 1985.



=

لوحة من العاج لميلاد الطفل يسوع، في كنيسَة القديس مكسيميان في الكرسي الاسقفي لمدينة رافينّا في إيطاليا. (القرن السَادس). لاحظ القابلة قرب مريم العذراء... وكأن المغارة من طبقتين: في الطبقة السفلى العذراء والقابلة، وفي الطبقة العليا يوسف والطفل يسوع والبقرة والحمار... (مجلّة «عالم البيبليا»، عدد آب أيلول تشرين الأول 1983(

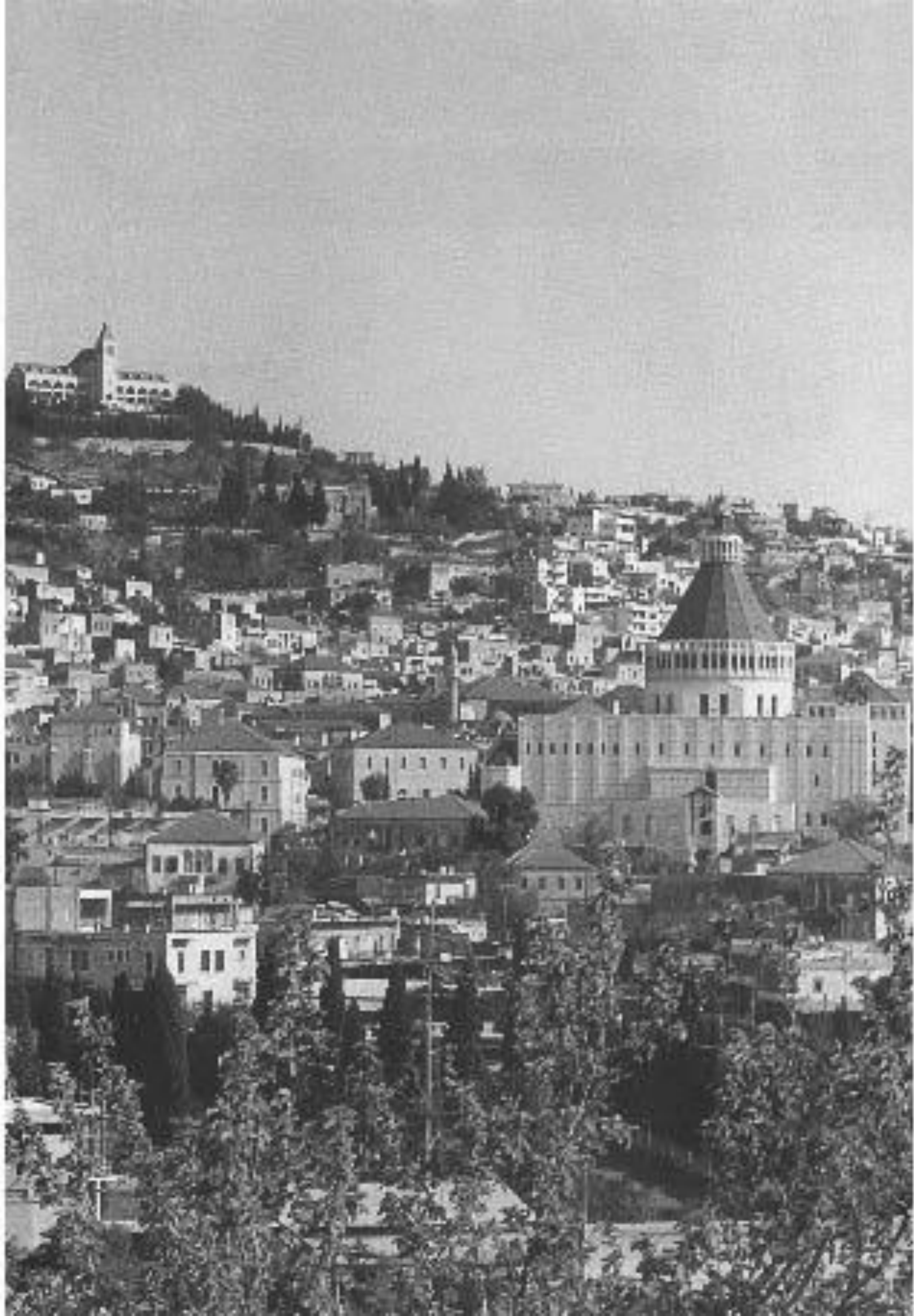


منظر لجانب من بيت لحم اليهوديّة.

كنيسة المهد من الخارج: نشاهد الباب الصغير الذي منه ندخل الى الكنيسة والى مغارة المهد.



منظر لجانب آخر من مدينة بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.



منظر لجانب من مدينة الناصرة في الجليل، في أيامنا هذه.

الفصل السادس

المسيح لم يولد في بيت لحم اليهوديّة
بل في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل
والمغارة كانت في أرض فينيقية – لبنان!

-أولاً - سفر يوسف ومريم وهي حبلى من الناصرة الى بيت لحم اليهودية؟!

-قبيل الميلاد-

جاء في رواية ميلاد يسوع المسيح، بحسب لوقا، ما يلي: «وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريّة. فذهب جميع الناس ليكتتب كلّ واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً. وبينما هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة...» (لوقا 2: 1-7(

نعرض أولاً التعليقات والشروحات التي توردها النسخة الكاثوليكية الجديدة التي اعتمدنا عليها، بنوع خاص، في هذه الدراسَة. فقد جاء في «مدخل» إنجيل لوقا ما يلي:

...»وهكذا عرّف لوقا نفسَه على طريقة المؤرخين، كما أنه اتّبع عاداتهم في تلك الأيام (3: 1-2(، ولكن التاريخ الذي أراد أن يرويه «تاريخ مقدّس»... فجوهر قصده هو الدلالة على معنى الأحداث عند المؤمن المستنير بسرّ الفصح وحياة الكنيسَة ...كما أننا نجد مثلاً في رواية رحلة يسوع الى أورشليم (9: 51؛ 19: 28) تقطيعاً شكلياً محضاً لا تربط بين أجزائها الثلاثة أية صلة جغرافية، والرحلة لا تخضع لتخطيط مكانيّ ...ولوقا يميّز بين زمن يسوع وزمن الكنيسَة، والغاية من هذا التمييز هي تسليط الأضواء على مراحل العمل الإلهيّ في التاريخ... وكتابه موجه خاصة الى مسيحيّين ذوي ثقافية يونانية. ويبدو أن المؤلف نفسَه ينتمي الى العالم الهلّنسَتي بلغتهِ وبعدد من الميزات الأخرى ...وغالباً ما تبن للنقّاد عدم معرفته لجغرافية فلسطين ولكثير من عادات هذا البلد) !«...المدخل الى انجيل لوقا ص 179-185). وفيما يخصّ الأحداث التي سَبقت الميلاد

مباشرة «كصدور الأمر عن أوغسطس قيصر بإحصاء جميع أهل المعمور»، وعملية الإحصاء نفسَها التي «جرت اذ كان قيرينيوس حاكم سورية...»، فقد تحدثنا عنها بالتفصيل سَابقاً، وحدّدنا زمانها تاريخياً (راجع الفصل الخاص برواية الميلاد بحسَب لوقا). نذكّر فقط بأنه لم يكن هناك إحصاء زمن الميلاد... بل حصل إحصاء قبل الميلاد بفترة من الزمن او بعده...

ويتابع لوقا روايته عن الميلاد فيقول: «وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت لحم وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته، وكانت حاملاً. وبينما هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة...» (لوقا 2: 4-7.(

أمّا تحديد يوم ميلاد يسوع المسيح فأمرٌ لم يُبتّ فيه بشكل قاطع ونهائي حتى اليوم. هناك تقاليد مسيحية شرقية – وبعضها باق الى اليوم – حدّدت يوم ميلاده في السَادس من شهر كانون الثاني. وهناك تقاليد شرقية أخرى، تحدّد الميلاد، بحسَب بعض آباء الكنيسَة، في تواريخ أخرى في الشتاء وفي بدايات الربيع. أمّا تحديد يوم 25 كانون الأول يوم ولادة يسوع المسيح فيرجع الى القرن الخامس بعد الميلاد. والسَبب في ذلك يعود الى أن يوم 25 كانون الأول كان في الشرق القديم عيد «الشمس»، عيد النور، «عيد ميترا» وعيد انتصار الضوء على الظلام والليل. وكان عيداً شعبياً كبيراً، ذا مسحة فلكية كونيّة، تعمّ فيه الاحتفالات والأفراح. والكنيسَة رأت في يسوع المسيح الشمس الجديدة (وهو القائل: «أنا نور العالم») والنُور الحقيقي الذي يسَيطر على الجهل والشر والخطيئة ويحقق الخلاص للبشرية جمعاء، فَقرّرت أن تعيّن يوم 25 كانون الاول عيد ميلاد يسوع المسيح. وهكذا كان. وقد غطّى الميلاد الجديد عيد الشمس القديم... (فيما يخصّ تواريخ حياة المسيح والاعياد المسيحية وما اليها، راجع خاصة: سَ. ريناخ «الطقوس والميتولوجيا والديانات»، الجزء الثالث، الفصل 18 وما يليه.(

أمّا في أيّ وقت بالضبط ولد يسوع المسيح: في عهد أي ملك أو حاكم أو أمير ولد؟ فهناك تباين تاريخيّ واضح بين الانجيل وبين الدقة التاريخية الموضوعية. فقد جاء في إنجيل متى (2: 1) ما يلي: «ولمّا ولد يسوع في

بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس...». وهكذا التقليد المسيحيّ الشعبي العام المستمر حتى اليوم، المستند الى نصّ متى هذا... غير أنه بعد النقد التاريخي المعاصر، فقد تبيّن ان يسوع المسيح لم يولد، في الحقيقة، أيام هيرودس الملك (الكبير) لأن هذا كان قد مات قبل ميلاد المسيح بأربع سَنوات، وكان ملكاً على اليهودية والجليل، بل ولد المسيح أيام هيرودس أنتيباس ابن هيرودس الملك (الكبير)، وأمير الربع في الجليل، ولم يكن ملكاً، في حين كان أرخيلاوس والياً على اليهودية.

وفي هذا الموضوع تقول «النسخة الجديدة»: «... وفي السَنة 40 ق.م. عين مجلس الشيوخ الروماني هيرودس الكبير ملكاً على اليهودية... وتوفي في السَنة الرابعة قبل المسيح...» (متى 2: 1 الحاشية رقم 1، ص 38). وفي مكان آخر، تقول النسخة الجديدة، حول الموضُوع نفسَه: «حكم هيرودس أنتيباس الجليل من السَنة الرابعة قبل المسيح الى السَنة التاسعة والثلاثين بعده. ويسَمّى «أمير الربع» للتمييز بينه وبين أبيه الملك هيرودس الكبير». (لوقا 3: 1، الحاشية رقم 3، ص 198). كل هذ1 يدل بوضوح تام الى أن الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً تاريخية وجغرافية بالمفهوم الحصري الحديث لكلمتي «تاريخ» و»جغرافية»... (ونحن نكرّر ذلك، عن قصد، في هذه الدراسَة، لأن الموضوع يتعلّقُ، تاريخياً وجغرافياً، بمفاهيم خاطئة متراكمة وموروثة مرّ عليها ألفا سَنة(!...

أمّا قصة ذهاب – أو سَفر يوسف الطويل والشاق – من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهوديّة، مع مريم وهي حامل، فلنا فيها – ولغيرنا أيضاً – كلام كثير... نبدأ أولاً من نقطة الانطلاق، نقطة انطلاق يوسف في سَفره هذا: أي من الناصرة. لقد رأينا سَابقاً، وبشيء من التفصيل، أن هناك تبايناً صارخاً جداً، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، حول الزمن الذي سَكنت فيه العائلة المقدسَة في الناصرة. فقد جاء في نص متى بالحرف الواحد ما يلي: «وما ان توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واذهب الى أرض إسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهوديّة، فخاف أن يذهب إليها. فأوحي إليه في الحلم،

فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصرياً...» (متى 2: 19-23). إذاً، بحسَب رواية متى، سَكنت العائلة المقدسَة الناصرة بعد رجوعها من مصر. وهذا أمر واضح وجليّ جداً، بحسَب النص نفسَه. أمّا لوقا، من جهته، فيقول: «وفي الشهر السَادس (لحبل اليصابات بيوحنا)، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم»... (لوقا 1: 26-27). ثم يقول لوقا في نصّ آخر، وهو النصّ الذي نحن بصدده الآن: «وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً»... (لوقا 2: 4-5). يظهر بشكل واضح في نصَّي لوقا هذين، أولاً أن مريم كانت تسكن في الناصرة حين بشّرها الملاك جبرائيل، وثانياً أن يوسف ذهب من الناصرة ليكتتب هو ومريم خطيبته، وهذا يعني أنهما كانا يسكنان في الناصرة قبل الميلاد. وهكذا، يكون التباين صارخاً جداً بين متى ولوقا، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، حول زمن سَكن العائلة المقدسَة في الناصرة. وقد رأينا سَابقاً أن كبار شارحي ومفسِّري الأناجيل اليوم لم يتوصلوا الى بتّ هذا الموضوع بالذات...! مع أن الناصرة، كما تأكد اليوم، لم تكن موجودة، أيام يوسف ومريم...

يتابع لوقا فيقول: «صعد يوسف من الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم...». وإذا راجعنا جميع أسفار العهد القديم، لا نجد أبداً، ولا مرّة واحدة، أن بيت لحم هي مدينة داود، بل إن أورشليم وحدها كانت تدعى مدينة داود، دائماً وأبداً. وهذا ما تقوله، بالحرف الواحد، النسخة الجديدة، في تعليقها على هذا النصّ بالذات: «في العهد القديم، تدل مدينة داود دائماً على أورشليم وحدها (صموئيل الثاني 5: 7 و9؛ 6: 10، وسَفر أشعيا 22: 9، وغيرها...» ص 194، الحاشية رقم 6). لماذا إذاً سَمّى لوقا بيت لحم اليهودية مدينة داود؟! فهي لم تكن تسَمّى كذلك أبداً.

أما عبارة «وكان يوسف من بيت داود وعشيرته» فهي من قبيل النسبة التقوية، ومحاولة من قبل المسيحيّين المتهوّدين لربط يوسف وبالتالي

مريم ويسوع بذرية داود وسلالته... والقصد من ذلك كلّه أقناع اليهود أن يسوع المسيح، ابن يوسف ومريم، هو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه... ولقد سَبق وقلنا أكثر مرة، وبالتفصيل، أن يوسف ومريم ويسوع ليسَت لهم أية علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بذرّية داود أو نسَبه أو سلالته... (راجع الفصول الخاصة بأهل يسوع وأقاربه، ويسوع وذرّية داود، وغيرها.(...

ونصل الآن الى السَفَرِ عينه، ذلك السَفر المزعوم، الطويل والشاق، العجيب والغريب، الذي قام به يوسف، مع خطيبته مريم وهي حامل...، من ناصرة الجليل في شمال فلسطين الى بيت لحم اليهودية في الجنوب، قاطعاً مسَافات طويلة جداً من الجبال والتلال والهضاب، من الوديان والصرود والطلعات والسهول...! انه، في الحقيقة، سَفر طويل شاق ومضن، يقرب الى الخيال والاسطورة أكثر منه الى الواقع الممكن والمنطقي والمعقول. والبراهين على ذلك عديدة ومتنوّعة. واليك أهمها:

تجدر الاشارة أولاً أن لا أحد اليوم من المؤرخين والباحثين، مسيحيّين أو غير مسيحيّين، أو من شارحي ومفسِّري الكتاب المقدس، يعتقد بإمكانية حصول هذا السَفر، نظراً للمسَافة الطويلة جداً، ومشقّة الطريق، ووعورة المسَالك، وكثرة المخاطر والمطبّات، وخاصة في تلك الأيام (هذا ما تتحدث عنه بالتفصيل تواريخ تلك الحقبة) وبنوع أخص، بالنسبة الى امرأة حامل مثل مريم العذراء... لا أحد يؤمن اليوم بإمكانية هذا السَفر، من النواحي العقلية والمنطقية والواقعية، عدا عن كون الناصرة، نقطة انطلاق السَفر، لم تكن موجودة آنذاك!

-أولاً: طول المسَافة

المسَافة بين الناصرة وبيت لحم اليهودية طويلة، وطويلة جداً. وكان هناك في ذلك العهد، أمام المسَافرين من الجليل الى أورشليم فبيت لحم، طريقان عاديتان، الأولى تمرّ في وادي الأردن وهي الأطول (أكثر من 200 كيلومتر)! والثانية تمر في وسَط البلاد: السَامرة فاليهودية (ما يقارب الـ 200 كيلومتر)! مع الأخذ بعين الاعتبار منعطفات وتعرّجات الدروب والمسَالك في تلك الأيام...

-أ- الطريق الأول – طريق وادي الأردن:

ينطلق المسَافر من الناصرة، ويتجه بعض الشيء الى الشمال فيصل الى جتّ حافر فغاريس. ومن غاريس يتجه شرقاً الى الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبريّا (بحر الجليل)، مروراً بعين غنيّم، يغنيئيل وسَنابريس. ومن سَنّابريس يتجه الى الجنوب ويدخل وادي الاردن الطويل فيصل الى بيت شان، ومن بيت شان يتابع سَيره في وادي الأردن باتجاه الجنوب حتى مدينة أريحا. ومن أريحا يصعد، باتجاه الجنوب الغربي الى أورشليم. ومن أورشليم يتجه جنوباً فيمرّ ببيت كارم ويصل أخيراً الى بيت لحم اليهودية.

تمتاز هذه الطريق بمسَافتها الطويلة، وبشدة الحرّ أيام الصيف، لأنها تمرّ ببيد ونجاد شبه صحراوية. غير أنها، رغم طولها وصعوبتها، كانت الطريق التي يسلكها أكثر المسَافرين القادمين من الجليل وشمال فلسطين الى أورشليم واليهودية.

ب- الطريق الثاني – في وسَط البلاد: مروراً بالسَامرة فاليهودية.

ينطلق المسَافر من الناصرة ويتجه أولاً الى شمرون في الجنوب الغربي. ومن شمرون يتجه الى مجدّو جنوباً. ومن مجدّو الى تعناك في الجنوب الشرقي، ومن تعناك يتابع السَير باتجاه الجنوب الى مدينة السَامرة، ثم الى سيخار، وبيت إيل، والمصفاة، والرامَة فأورشليم. ومن أورشليم يتابع المسَافر سَيره الى بيت كارم فبيت لحم اليهودية.

في أغلب الأحيان، كان جنود الرومان يسلكون هذه الطريق في تنقلاتهم بين اليهوديّة والسَامرة والجليل. أما بالنسبة الى عامة الناس، فكانت هذه الطريق صعبة المسَالك وكثيرة المطبّات والمخاطر، وفيها العديد من التعرّجات...

ثانياً – وعورة الطرق والمسَالك

إن المسَافر من ناصرة الجليل الى بيت لحم يهوذا يقوم بسَفر طويل صعب وشاق، وهو بالنسبة الى تلك الأيام سَفر شبه مستحيل بالنسبة الى امرأة حامل كمريم العذراء... سَوف يقطع المسَافر مسَاحات شاسعة جداً من الأراضي متعددة الشكل مختلفة الطبيعة... فيها الجبال والتلال

والهضاب، فيها التعرّجات والوديان والصرود، فيها البيد والنجاد والصحارى الصغيرة، بالاضافة الى المطبات الكثيرة والمتنوعة، منها الطبيعي، ومنها الأمني ومنها العسكري الخ... إن القيام بهذا السَفر هو في الحقيقة، بالنسبة الى الرجال أنفسهم، أمر شاقّ جداً وخطر، ويقرب الى المغامرة الخطرة منه الى السَفر العادي. فكيف، يا ترى، يكون الأمر بالنسبة الى امرأة حامل كمريم العذراء؟! لذلك، لا يصدق أحد، في هذه الأيام، من المؤرّخين والباحثين، أو الشارحين والمفسِّرين، بأن العذراء مريم يمكن أو يعقل أن تقوم بمثل هذا السَفر الطويل الشاقّ والخَطِر، وهي حامل...

ثالثاً – صعوبة المرور بالسَامرة

كان من المعروف جداً أن مرور اليهود بالسَامرة في طريقهم الى أورشليم واليهودية، كان من الأمور الصعبة للغاية، وذلك بالنظر الى العلاقات القديمة المتبادلة من العداوة والكراهية والبغض التي كانت قائمة بين اليهود والسَامرين. وكان السَامريّون يؤذون اليهود ويمنعونهم من متابعة سَيرهم، خاصة اذا كانت غاية السَفر روحية أو وطنية. وهناك إجماع، حول هذا الأمر، عند المؤرخين على اختلاف مذاهبهم. ونجد في الانجيل نفسَه إشارات واضحة الى هذه الممانعة السَامرية. فقد جاء في انجيل لوقا: «ولمّا حانت أيام ارتفاعه، عزم على الاتجاه الى أورشليم. فأرسَل رسلاً يتقدّمونه، فذهبوا فدخلوا قرية للسَامريّين ليعدّوا العدّة لقدومهن فلم يقبله السامريون لأنه كان متّجهاً الى أورشليم. فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا: يا ربّ، أتريد أن تأمر النار فتنزل من السَماء وتأكلهم؟ (أي تأكل السَامريّين!). فالتفت يسوع وانتهرهما قائلاً: لستما تعلمان من أي روح أنتما، فابن الانسَان لم ياتِ ليهلك نفوس الناس، بل ليخلّصها...» (لوقا 9: 51-56)! وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: « كان اليهود يتجنّبون الاتصال بالسَامريّين، وكانوا يكرهونهم بسَبب فسَاد أصلهم واختلاف أفكارهم الدينيّة...» (ص 226 والحاشية رقم 59). وأثناء اللقاء المعروف بين المسيح والمرأة السَامريّة، تقول هذه: «وكيف تسألني ان أسقيك وأنت يهودي وأنا امرأة سَامريّة؟ لأن اليهود لا يخالطون السَامريّين...» (يوحنا 4: 9). وتعلّق النسخة الجديدة عى هذا

النصّ أيضاً، فتقول: «إن الانشقاق «السَامري» الذي نشأ عن ردّ فعل على تصلّب الاصلاح اليهوديّ التابع للجلاء، كان قد أدّى الى معارضة شديدة بين الفريقين: اليهود والسَامريّين. فكان على اليهوديّ المتديّن أن يتجنّب كل صلة بالمنجّسين (هنا السَامريّين)، وكم بالأحرى أن يتجنّب طلب طعامٍ منهم...» (ص 298 والحاشية رقم 3). ويسوع نفسَه أوصى تلاميذه الاّ يدخلوا مدينة للسَامريّين. فبعد أن يعرض متى أسماء التلاميذ الاثني عشر الذين اختارهم يسوع، يتابع قائلاً: «هؤلاء الاثنا عشر أرسَلهم يسوع وأوصاهم قال: لا تسلكوا طريقاً الى الوثنيّين ولا تدخلوا مدينة للسَامريّين...» (متى 10: 5). وتعلّق النسخة الجديدة فتقول: «كان السَامريّون من أصل خليط منذ سقوط السَامرة في السَنة 721 ق.م.، وكان لهم هيكلهم الخاص في جبل جَرِزّيم (يوحنا 4: 10). وكان عداء بينهم وبين اليهود...» (ص 64 والحاشية رقم 8). وفي العهد القديم، هناك أقوال كثيرة في السَامريّين، نكتفي هنا بقول واحد، على سَبيل المثال. جاء في سَفر يشوع بن سيراخ، ما يلي: «يقول الربّ: أمّتانِ مقتتهما نفسي، والثالثة ليسَت بأمّة: السَاكنون في جبل سَعير، الفلسطينيّون، والشعب الأحمق السَاكن في شكيم (أي السَامريّون)...» (50: 25-26 والحاشيتان رقم 7 ورقم 8). وهكذا، كان اليهود إذا أرادوا أن يشتموا أحداً يقولون له: «أنتَ سَامريّ». هكذا قالوا للمسيح. (راجع يوحنا 8: 48.(

السَامرة هي القسم الوسَط من بلاد فلسطين بين جنوب الجليل وشمال اليهودية. فتحها الاشوريّون السَنة 721 قبل الميلاد، فجلوا أهلها وأسكنوا فيها شعباً غريباً، أخذ عن اليهود شريعة موسَى وعَبد الله، ولكنه بنى هيكلاً على جبل جرِزِّيم في السَامرة (يوحنا 4: 20). فأنكره اليهود واستحكم الخلاف طويلاً بينهم وتمكّنت العداوة بين الشعبين فلم يخالط بعضهم بعضاً. وكان السَامريّ في نظر اليهود هو مثال الانسان الذي انفصل عن «الشعب المختار» والذي يخضع للتأثيرات الفاسدة... لذلك قال اليهود للمسيح: «ألسنا على صواب في قولنا إنك سَامريّ، وإن بك مسّاً من الشيطان...؟» (يوحنا 8: 48). واذا أرادوا أن يشتموا أحداً من الناس يقولون له بسخرية وغضب: «أنت سَامري»... وكان السَامريّون يؤذون

اليهود اذا مرّوا من عندهم ليذهبوا الى أورشليم... وكان اليهود يعتبرون السَامريّين منجّسين... الخ...

فاذا كانت هذه حال السَامرة والسَامريّين بالنسبة الى اليهود المسَافرين الى أورشليم واليهودية، فكيف خاطر يوسف ومريم وهي حامل...، ودخلا السَامرة وقطعاها بطولها من الشمال الى الجنوب دون أن يحصل لهما أي مكروه؟! وفي الحقيقة، هل كان هذا السَفر، والحالة هذه، سَفراً ممكناً ومنطقياً ومعقولاً؟ هذا إذا حصل. ولكنه لم يحصل...

رابعاً – مطبّات الطرق الوعرة

بالإضافة الى طول المسَافة ووعورة المسَالك وممانعة السَامريّين، كان المسَافرون من الجليل الى اليهودية يتعرّضون، خاصة أثناء الليل وفي المسَالك الموحشة، لمطبّات عديدة ومختلفة. منها كثرة اللصوص والمجرمين وقطّاعي الطرق والهاربين من وجه العدالة، ومنها جنود الرومان والمرتزقة الغرباء العائثين فسَاداً في البراري والصحاري. وكان اغتصاب النسَاء والسَلب والنهب والتعديات على أنواعها من الأمور العاديّة واليومية. أضف الى ذلك كلّه المطبّات المتأتية من طبيعة الطقس وتقلّباته: كالبرد القارس وسقوط الثلج في الشتاء، أو الحرّ الشديد في الصيف خاصة في وادي الأردن في الطريق التي غالباً ما كان يسلكها هؤلاء المسَافرون. زد على ذلك عدد الأنهر والجداول، منها الشتوي ومنها الدائم، التي تعترض مسَالك المسَافرين...

نجد مثل هذه التفاصيل في كتب التاريخ القديمة أمثال يوسيفوس المؤرّخ («حروب اليهود» – الكتاب الثالث، الفصل الثالث)، وفي التواريخ الحديثة، أمثال دانيال روبس («يسوع في زمانه» ص 100 +)، وغيرها... (راجع أيضاً: الخرائط القديمة والحديثة، مع الشروح والتفسيرات التي تتضمّنها. على سَبيل المثال: «إسرائيل في زمن المسيح» – خريطة تاريخية (كورزين)، الترجمة الفرنسية للأب فنسَان مورا الراهب البندكتي، طبعت في إسرائيل، سَنة 1992 – منشورات كورزين، روش بينا، إسرائيل(..

يقول المؤرخ يوسيفوس في الأحوال الأمنية في فلسطين قبيل الميلاد ما يلي: «في السَنوات القليلة التي سَبقت الميلاد، كانت الفتن والاضطرابات قد امتدت الى سَائر مناطق فلسطين. وكان كلّ إنسَان يعمل ما يحلو له. وكانت اليهوديّة مليئة بالزمر الخارجة على القانون من مرتزقة غرباء وقطاع طرق وخارجين على القانون ومجرمين ولصوص الخ... واذا سَيطرت جماعة ما في منطقة ما نصّبت عليها ملكاً... ومع ان هؤلاء الملوك الصغار لم يكوّنوا مشكلة تذكر أمام السلطات الرومانية، فانهم دون شك كانوا سَبباً مباشراً لازدياد الخلافات والانشقاقات بين الشعب وتأزيم الأحوال الأمنية في تلك المناطق...» (راجع كتاب جيرار مورديّات وجيروم بريّور «ملك اليهود»، منشورات آرتى، بالفرنسية، 1997، ص 26.)

والباحث جوزيف كلوسَنر، في كتابه «يسوع الناصري»، يقول في الأحوال الأمنية في الجليل، في السَنوات القليلة السابقة على الميلاد، ما يلي: «... وهكذا أصبح الجليل بفضل طبيعته الجبلية ومغاوره العديدة مركزاً هامّاً للمتعلّقين جداً بأرضهم، للثوريين الوطنيّين والمثاليّين... وفي منطقة صيفوريس الى الغرب من الناصرة، حيث ولد يسوع، جمع يهوذا الجليلي جيشاً من الرجال الوطنيّين المتطرفين، وقام بمهاجمة خزائن أسلحة ودخائر الدولةووزعها على أنصاره. كما وضع يده على ممتلكات وأموال الدولة في بعض مناطق الجليل. بعد ذلك قام باضطهاد ومحاربة كلّ من لم يؤيد أفكاره وأهدافه من يهود «وأمم»... وكما يحصل دوماً في مثل هكذا ثورة وعصيان، لم يميّز يهوذا الجليليّ تماماً بين صديق وعدو، بين مسَالم وخائن... فنشر الخوف والرعب في كل أنحاء الجليل...» (المرجع السَابق، ص 26-27). إن العصيان الذي تزعّمه «يهوذا الجليلي» ورد ذكره أيضاً عند المؤرخ يوسيفوس، ولقد نتج عن الاحصاء مباشرة... (4 ق. أو 6 ب.م.؟) وكان هذا العصيان منطلقاً لحركة «الغيورين»، علماً بأن هذه الحركة لم تفشل. ومعروف أن واحداً، على الأقل، من رسل المسيح كان من «الغيورين» وهو سمعان «الغيور»... والملفت في كلام الباحث جوزيف كلوسنر قوله: «الى الغرب من الناصرة حيث ولد يسوع...». فهو يعترف بأن يسوع ولد في الناصرة، في الجليل، وليسَ في بيت لحم اليهودية. وهناك بعض الباحثين من قدماء ومعاصرين يقولون القول نفسَه. وقد ورد ذكر

عصيان «يهوذا الجليلي» هذا في أعمال الرسل (5: 37) حيث جاء: «وبعد ذلك قام يهوذا الجليلي أيام الإحصاء، فاستدرج قوماً الى اتّباعه فهلك هو أيضاً وتشتّت جميع الذين انقادوا له.«...

فإذا كانت هذه هي الحال في الجليل وسَائر مناطق فلسطين من توتر وعصيان وغليان، فكيف يعقل ان تقوم امرأة حامل بمثل هذا السَفر الطويل والشاق والمليء بالمطبّات، وخاصة أنه لم يكن هناك من ضرورة ماسّة للقيام بمثل هكذا سَفر...؟!

خامساً – يستحيل على امرأة حامل... (مثل مريم العذراء) أن تقوم، بوسَائل تلك الأيام، بمثل هذا السَفر الطويل والكثير المصاعب والمشقّات والمطبّات الخ...

وهكذا، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما سَبق وتحدثنا عنه: من طول المسَافة بين الناصرة في الجليل وبيت لحم في اليهودية، ووعورة الطرق والمسَالك، وصعوبة المرور بالسَامرة ومطبّات الطرق الوعرة والموحشة على أنواعها...، يتبيّن لنا ولكل انسَان عاديّ عاقل وطبيعي أنه من المتعذّر لا بل من المستحيل على امرأة حامل، مثل مريم العذراء، أن تقوم بوسَائل تلك الأيام (على الحمار أو على الحصان أو مشياً على الأقدام...!)، بمثل هذا السَفر الطويل والكثير المصاعب والمشقّات والمطبّات على أنواعها. مع العلم أنها كانت امرأة حاملاً عادية فقيرة وليسَ لها نفوذ سياسي أو عسكري حتى يمكن مسَاعدتها. كيف قامت بهذا السَفر؟ بأي طريقة أو وسيلة؟ كيف تمّ هذا السَفر، هكذا، وبكل بسَاطة؟ الا يصعب تصديق هذا السَفر العجيب الغريب أبداً على عقل انسَان طبيعي عاقل وعادي؟ أليسَ هذا السَفر أقرب الى السَفر الغرائبي العجائبي أو الملحمي الاسطوري؟ وهذا النوع من السَفر يذكّرنا بالتفسير الذي تقدمه بعض الأناجيل المنحولة الأكثر حداثة. وهي الى كونها لم تقتنع بحصول هذا السَفر، بشكل عادي طبيعي، تقول: «لقد وصل يوسف ومريم الحامل الى بيت لحم اليهودية، بطريقة عجائبية، بمدّة سَاعتين فقط»!!؟ أجل! من الناصرة الى بيت لحم في الجنوب بمدّة سَاعتين من الزمن فقط لا غير؟ ولكن بطريقة عجائبية! مع أن الأناجيل المنحولة الأولى

والقديمة (إنجيل يعقوب القديم بشكل خاص) تقول صراحة ان المسيح ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل الشمالية وليسَ قرب بيت لحم الجنوب في اليهودية، وان يوسف، في اليوم التالي لولادة يسوع، قصد الذهاب الى أرض اليهودية...! (راجع إنجيل يعقوب القديم 20، 21). هكذا، وبالحرف الواحد: «إن يوسف، في اليوم التالي لولادة يسوع، قرّر الذهاب الى أرض اليهودية...»! فاذا قرّر الذهاب الى أرض اليهودية، في اليوم التالي لولادة يسوع، فهذا يعني بكل بسَاطة ووضوح أن الولادة قد حصلت في الجليل وليسَ في اليهودية. وإن بيت لحم المقصودة، التي في مغارة بقربها ولد المسيح، هي بيت لحم الجليل في الشمال، وليسَ، طبعاً، بيت لحم اليهودية في الجنوب... فاذا كانت الولادة قد حصلت فعلاً في اليهودية، وكان يوسف بالتالي في اليهودية، فكيف يعقل أن يقصد يوسف الذهاب الى اليهودية، في اليوم التالي للولادة؟ هل من جواب على هذا السؤال؟ وهل هذا أمر طبيعي وممكن ومعقول؟...!

خلاصة القول، إن هذا السَفر المزعوم، وقت الميلاد، الذي قام به يوسف مع مريم وهي حامل، من الناصرة في شمال فلسطين الى بيت لحم اليهودية في الجنوب، هذا السَفر لم يحصل. وذلك لأسباب عديدة. منها ما ذكرناه في الفقرات السَابقة، وقد رأينا فيها أن هذا السَفر يتناقض تماماً مع أبسَط قواعد الحقيقة والواقع والممكن والمنطقي والمعقول معاً. ومنها أنه لم يكن هناك، في الحقيقة، من إحصاء أو اكتتاب وقت الميلاد، فقد ثبت من الناحية التاريخية أن الاكتتاب هذا قد حصل قبل الميلاد أو بعده بفترة من الزمن. ولنفرض أنه كان هناك اكتتاب وقت الميلاد، فانه لم يكن هناك من داعٍ أبداً أن يصطحب يوسف مريم خطيبته من أجل الاكتتاب. أضف الى ذلك أنها كانت حاملاً، وان السَفر كان طويلاً وشاقاً كما رأينا. لم يكن هناك وقت الميلاد لا اكتتاب ولا سَفر! أضف الى ذلك كلّه، أن الناصرة لم تكن موجودة أيام يوسف حتى يقوم بهذا السَفر – إنطلاقاً من الناصرة.

بعد كل ذلك، لماذا كلّ هذا الإصرار على هذا السَفر الاسطوري؟ لماذا هذا التَعّنُّت بالسَير قدماً في التيار المعاكس للتاريخ والجغرافية، للحقيقة والواقع، للمنطقي والممكن والمعقول؟ لماذا حصل كلّ ذلك؟ لماذا؟

الجواب بسيط وجارح. لقد حصل كل ذلك إرضاءً لليهود، بغية ربط يسوع المسيح بذرية داود وسلالته، من خلال يوسف والده : «الذي كان من بيت داود وعشيرته»، وهكذا يجعلون المسيح يولد في بيت لحم اليهودية لأنها مدينة داود. أما في الحقيقة، فقد تبين لنا: أولاً: أن ليسَ هناك، على الاطلاق، أي علاقة نسَب أو ذرية أو قرابة، من أي نوع كان، بين يسوع المسيح واليهود! ثانياً: أن يوسف والد يسوع لم يكن لا من بيت داود ولا من عشيرته. فهو لا يرتبط بأي علاقة نسَب أو ذرية أو قرابة مع اليهود. وينطبق هذا تماماً على خطيبته مريم العذراء... ثالثاً: لم تكن بيت لحم اليهودية ابداً مدينة داود...، بل أورشليم هي التي كانت دوماً، وحدها، «مدينة داود»، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسَه، أكثر من مرّة...، كما بيّنا آنفاً. أجل! لماذا كل هذا التحايل على التاريخ والجغرافية، على الحقيقة والواقع، على الممكن والمنطقي والمعقول، حتى على بعض آيات ونبؤات الكتاب نفسَه، لماذا كل هذا التحايل المقصود من قبل بعض النسّاخ المتهوّدين؟ لماذا كل ذلك؟ وهناك بيت لحم أخرى، في الجليل نفسَه، قريبة جداً من الناصرة نقطة انطلاق «سَفر يوسف ومريم الحامل»، على بعد كيلومترات قليلة... هذا في حال كون الناصرة كانت موجودة (وهي لم تكن موجودة)، وفي حال كون يوسف قد انطلق من الناصرة (وهو لم ينطلق منها لأنها لم تكن موجودة بعد). لماذا التفتيش عن بيت لحم أخرى، على بعد مسَافات شاسعة جداً، وهناك بيت لحم الحقيقية على مسَافة قريبة جداً، وعلى رمية حجر؟ لماذا هذا السَفر الاسطوري وهناك بجوار الناصرة، محل إقامة يوسف ومريم، مدينة تسَمّى بيت لحم أيضاً، وهي من جهة ثانية قريبة جداً من جبل الكرمل حيث كان يوسف ومريم يقيمان في ديره الكبير فترة من الزمن. وفي مغارة في سَفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، وبالقرب من مدينة بيت لحم الجليل، هذه، «أفراته»، سوف يولد يسوع المسيح. وهذا ما يتوافق مع آيات ونبؤات أسفار العهد القديم من جهة، ومع الواقع التاريخي والجغرافي والممكن والمعقول من جهة ثانية.

واليوم، لا أحد يصدّق بحصول هذا السَفر بين الناصرة في الشمال وبيت لحم في الجنوب. غير أن البعض ينطلق من عدم إمكانية حصول هذا

السَفر ويذهب بعيداً في الاستنتاج فيقول، مع الأسَف الشديد، أن رواية الميلاد هي رواية اسطورية... كلا! فرواية الميلاد ليسَت رواية اسطورية على الاطلاق. إنها رواية حقيقية واقعية حصلت فعلاً في الزمان والمكان. غير أن كاتب هذه الرواية كان همه الأسَاسي أن يركّز فقط على الحدث التاريخي الخارق الا وهو تجسّد ابن الله وصيرورته انسَاناً مثلنا. امّا التفاصيل التاريخية والجغرافية فلم يركّز عليها ولم يهتم بها كثيراً، فهي ثانوية جداً بالنسبة اليه. وهو، على كل حال، لم يقصد وضع كتاب تاريخي بالمعنى الحصريّ لكلمة «تاريخ»، بحسَب مفهومنا العصريّ اليوم. أجل! وللمرة الألف، إن الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً «تاريخية...«

الأسفار الطويلة المزعومة الأربعة، التي قامت بها تباعاً مريم العذراء، ذهاباً وإياباً، من الناصرة في الجليل، في شمالي فلسطين، الى بيت لحم اليهودية في الجنوب؟!!

من أهم البراهين على كون الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً تاريخية بحصر المعنى، هي هذه الأسفار الطويلة المزعومة التي نوضح حقيقتها الآن، والتي تذكّرنا بها رواية السَفر الطويل وقت الميلاد، بين الناصرة وبيت لحم، والتي أوضحنا حقيقتها في الفقرة السَابقة. في النصوص الكتابيّة هناك كلام واضح عن زيارات أربع هي في الحقيقة والواقع أسفار طويلة – مزعومة – أربعة، قامت بها تباعاً العذراء مريم!؟... وذلك من الناصرة في الشمال الى بيت لحم في الجنوب، إما ذهاباً وإياباً، واما ذهاباً أو إياباً.

-أ- الزيارة أو السفر (المزعوم) الأول لمريم: قبل الميلاد، «عند زيارتها نسيبتها اليصابات» وكانت وحدها وهي حامل. وذلك ذهاباً وإياباً.

قال الملاك جبرائيل في ختام بشارته لمريم العذراء: «... وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السَادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً. فما من شيء يعجز الله.

فقالت مريم: أنا أمة ارب، فليكن لي بحسَب قولك. وانصرف الملاك من عندها. وفي تلك الأيام (بعد البشارة وبعد الحبل بيسوع...) قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلّمت على اليصابات. فلما سَمعت اليصابات سَلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس، فهتفت بأعلى صوتها: مباركة أنتِ في النساء! ومباركة ثمرة بطنك! من اين لي ان تأتيني أم ربّي؟ فما إن وقع صوت سَلامك في أذنيّ حتى ارتكض الجنين ابتهاجاً في بطني. فطوبى لمن آمنت: فسَيتمّ ما بلغها من عند الربّ... وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها...» (لوقا 1: 36-45، 56).

يظهر جلياً من النص أن العذراء مريم، بعد ان بشّرها الملاك بفترة قصيرة، قامت بزيارة نسيبتها اليصابات المقيمة في اليهودية، «في مدينة في يهوذا». هناك شبه إجماع في تعليقات وشروحات الكتاب على أن هذه «المدينة في يهوذا» هي «قرية» عين كارم على بعد ستة كيلومترات الى الجنوب الغربي لمدينة أورشليم (كذا في النسخة الفرنسية «لتوراة أورشليم»، صفحة 1353 والحاشية رقم هـ). أمّا النسخة الكاثوليكية العربيّة الجديدة فلا تعلّق على هذه «المدينة في يهوذا»؟ لكنها تعلّق على كلمة «الجبل» في عبارة «فمضت مسرعة الى الجبل» فتقول: «الجبل: يدلّ هذا اللفظ أحياناً على أحد أقضية اليهوديّة الأحد عشر» (ص 190 الحاشية رقم 64). وهكذا يظهر، في كل حال، أن المدينة التي قصدتها مريم حيث كانت نسيبتها اليصابات، موجودة في أرض اليهودية، «في يهوذا»، وأن غالبية التقاليد الكتابية والشفهية تحدّدها بالقرب من مدينة أورشليم...

في الحقيقة، ولأول وهلة، عندما يقرأ أيّ منا، تحت عنوان: «زيارة مريم لاليصابات»، هذا النص: «وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلمت على اليصابات... الخ»، عندما يقرأ أيّ منا هذا النص للوهلة الأولى يظن، بشكل بسيط وبديهيّ، أن هذه الزيارة هي زيارة بسيطة، وان اليصابات كانت مقيمة في جوار الناصرة، وأن المسَافة قصيرة، وأن قطع هذه المسَافة لم يستغرق

كثيراً من الوقت. غير أن الحقيقة هي عكسَ ذلك تماماً. فقد رأينا أن المسَافة بين الناصرة ومدينة أورشليم مسَافة طويلة جداً، وأن المسَافر بين هاتين المدينتين عليه ان يقطع الجبال والتلال والوديان والسهول والبيد والصحاري، وأن يعاني كثيراً من المصاعب والمشقّات وان يتعرّض للعديد من المطبّات... (راجع الفقرة الخاصة «بسَفر يوسف ومريم وهي حامل من الناصرة الى بيت لحم اليهودية). كما يلاحظ أيضاً، في زيارة مريم الى اليصابات، أن مريم قامت وحدها في هذا السَفر، وكانت حاملاً، وذهبت مسرعة الى الجبل... ثم عادت وحدها من منطقة أورشليم في اليهودية الى الناصرة في الجليل. وكلّها أمور ملفتة يصعب تصديقها هكذا وبكل بسَاطة. وهل من الممكن والمنطقي والمعقول أن تقوم مريم العذراء وهي صبيّة لا تتجاوز الخامسَة عشرة، وهي حامل، أن تقوم لوحدها بمثل هذا السَفر الطويل والشاق...؟ وذلك ذهاباً وإياباً؟ إنه في الحقيقة لأمر يستحيل تصديقه.

أما ما يمكن تصديقه في أمر زيارة مريم لاليصابات، فهو أن الاثنتين كانتا تقيمان في الجليل، في منطقة الناصرة وبيت لحم والكرمل القريبة الواحدة من الأخرى. وقد رأينا سَابقاً أن يسوع ووالديه وأهله وأقاربه وأنسباءه كانوا جميعاً سَاكنين في الجليل. ولم يكن له أي قريب أو نسيب في أرض اليهودية في جنوب فلسطين. كانوا كلّهم جليليّين، بكلّ ما لكلمة «جليل» من معنى: «جليل الأمم»... واذا كانت اليصابات نسيبة مريم مقيمة في الجليل – وهذه هي الحقيقة – تصبح زيارة مريم لها زيارة عادية مقبولة يسهل تصديقها بين الانسباء. وفي الحقيقة، كان زكريا واليصابات ينتميان هما أيضاً – مثل يوسف ومريم – الى الجماعات الجليلية الروحية التي تحدثنا عنها أكثر من مرة، والتي كانت تنتظر بلهفة مجيء مسيح مخلّص روحيّ شامل لجميع الناس. وقد جاء في إنجيل يعقوب القديم، وهو انجيل منحول ولكنه أقدم الأناجيل زمناً، جاء ما يلي: «وعلمت اليصابات أنهم يريدون قتل ابنها (إشارة الى مجزرة أطفال بيت لحم) فحملته وأرادت أن تخبأه في جبل قريب. وصرخت وهي تبكي: يا جبل الله المقدس اقتبل أمّاً مع طفلها الصغير. غير أن الجبل كان عالياً ولم تستطع الياصابات الوصول الى القمة...» (انجيل يعقوب القديم 22، 23،

24). يستفاد من هذا النص ومن النصوص اللاحقة، أن اليصابات كانت تقيم في الجليل، قريباً من نسيبتها مريم، وأن الجبل الذي قصدته هو جبل الكرمل المجاور... فاذا كانت اليصابات مقيمة في جوار أورشليم، كما يقول التقليد المتهوّد حتى اليوم (في عين كارم)، فلماذا تحاول ان تُخَبِّئ ابنها في جبل عالٍ؟ اين هو هذا الجبل العالي؟ وما اسمه؟ ليسَ هناك من جبل عالٍ قرب عين كارم وبيت لحم اليهودية، بل هناك جبل عالٍ فوق بيت لحم الجليل، هو جبل الكرمل...

وفي تعليقهما على زيارة مريم لاليصابات، يؤكد الابوان والشارحان الكاثوليكيان بنوا وبوامار أن عبارة «مدينة في يهوذا» في النص: «قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا...»، هي عبارة مُزادة مضافة الى النصّ الأول الأصليّ، وأنها من فعل النسّاخ المتأخرين الذين كان همهم إبراز دور أرض يهوذا وأورشليم وجعلها محور جميع الاحداث. وهذه العبارة تغيّرت وتشوّهت أكثر من مرّة خلال الترجمات...! (راجع ب. بنوا و م.أ. بوامار «إزائية الأناجيل الأربعة»، المجلّد الثاني، صفحة 62، والحاشية رقم 5). وهكذا، وعلى عبارة مضافة زادها النسّاخ المتأخرون (المسيحيّون المتهوّدون)، بنيت تقاليد خاطئة، تاريخياً وجغرافياً، ظلّ المسيحيّون فيما بعد، يتوارثونها طوال قرون عديدة!!

-ب- السَفر (المزعوم) الثاني لمريم وهي حامل: زمن الميلاد، مع خطيبها يوسف، من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهودية.

لقد تحدثنا بالتفصيل عن هذا السَفر في مكانه. راجعه في باب: «سَفر يوسف ومريم وهي حامل من الناصرة الى بيت لحم اليهودية»...؟!

-ج- السَفر (المزعوم) الثالث لمريم مع يوسف ويسوع: يوم طهورهما في اليوم الأربعين بعد ولادة يسوع، ويوم تقدمة يسوع لله، وذلك من بيت لحم الى أورشليم، ثم من أورشليم الى الناصرة مدينتهم في الجليل.

جاء في انجيل لوقا (2: 22-24، 39-40) ما يلي:

»ولمّا حان يوم طهورهما بحسَب شريعة موسَى، صعدا به الى أورشليم ليقدّماه للربّ، كما كتب في شريعة الربّ من أن كلّ بكر ذكر يُنذر للربّ، وليقرّبا كما ورد في شريعة الربّ: زوجي يمام أو فرخيّ حمام... ولمّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة. وكانت نعمة الله عليه.«...

وتعلق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: «في بعض المخطوطات: «طهوره» أو «طهورها»... إن الشريعة الواردة في سَفر الاحبار 12: 1-8 تتناول الأم – ولذلك القراءَة الثانية...» (ص 195 والحاشية رقم 24). وسَفر الأحبار يقول في طهور الأم: «أية امرأة حبلت فولدت ذكراً تكون نجسة سَبعة أيام، كأيام طمثها تكون أيام نجاسَتها، وفي اليوم الثامن تختن قلفة المولود، وثلاثة وثلاثين يوماً تظلّ في تطهير دمها... وعند اكتمال أيام طهرها، تأتي بحمل حوليّ محرقة وبفرخ حمام أو بيمامة ذبيحة خطيئة... فان لم يكن في يدها ثمن حمل، فلتأخذ زوجي يمام أو فرخيّ حمام، أحدهما محرقة والآخر ذبيحة خطيئة، فيكفّر عنها الكاهن فتطهر...» (سَفر الأحبار 12: 1-8.(

وفيما يخص تقدمة يسوع لله في الهيكل: «ليقدّماه للربّ، تقول النسخة الجديدة معلّقة وشارحة: «الترجمة اللفظية: «كلّ ذكر فاتح رحم يدعى مقدّساً للربّ». كانت هذه الشريعة تنص عن فداء البكر (سَفر الخروج 13: 13 و34: 20) وكانت تتمّ بدفع خمسَة مثاقيل فضّة في خلال الشهر التابع للولادة (سَفر العدد 18: 15-16). والملفت أن لوقا لم يذكر شيئاً عن فداء يسوع هذا...» (ص 195 والحاشية رقم 25)؟!

وهكذا، في اليوم الأربعين بعد ولادة الطفل يسوع، ذهب يوسف ومريم الى أورشليم ليقدّماه للرب... ولمّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الىالجليل الى مدينتهما الناصرة التي تركاها قبيل الميلاد وسَافرا الى بيت لحم اليهودية... غير أن هذه الأسفار المتلاحقة بعد الميلاد، من بيت لحم الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع الى الربّ، ومن أورشليم الى الناصرة مدينتهما في الجليل، تثير في الواقع الدهشة والعجب البالغين وتطرح

العديد من المسَائل التارخية والجغرافية التي لم توجد لها حلاً حتى يومنا هذا.

أولاً: كيف ذهب يوسف ومريم بعد الميلاد بأربعين يوماً من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ثم من أورشليم الى الناصرة في الجليل، هكذا بكل بسَاطة وهدوء وطمأنينة، كأن شيئاً لم يكن؟! كيف تبخّرت كل أحداث الميلاد ونتائجها الخطيرة؟ هل حدث كل ذلك في فلسطين والجليل أم في بلد آخر؟ وقدوم المجوس وسجودهم ليسوع؟ وقلق الملك هيرودس واضطراب أورشليم وتجمّع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم حول هيرودس؟ ومجزرة بيت لحم وقتل كل طفل فيها وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك؟ أين «الصوت الذي سَمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لأنهم زالوا عن الوجود...»؟ هل يعقل ان يقوم يوسف ومريم والطفل يسوع، والحالة هذه، بهذه الأسفار من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ومن أورشليم الى الناصرة في الجليل؟ أليسَ في ذلك ما يصعب تصديقه تماماً، من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟

ثانياً: بالنسبة الى السَفر نفسَه، من أورشليم في الجنوب الى الناصرة في الشمال، في الجليل، فقد رأينا سَابقاً أنه سَفر طويل وشاق جداً، وذلك بالنسبة الى طول المسَافات ووعورة الطرق والمسَالك، وصعوبة المرور بالسَامرة وكثرة المطبّات في الطرق الوعرة والنائية وتوتّر الاحوال الامنية الخ... وبالاضافة الى ذلك كله، يجب الأخذ بعين الاعتبار، في هذا السَفر الأخير بالذات، أحوال مريم الصحية بعد أوضاع الولادة...، ودقة أحوال الطفل الرضيع وما الى ذلك... فهل يعقل، والحالة هذه، مرّة أخرى، أن يقوم يوسف ومريم والطفل يسوع بهذا السَفر الطويل والشاق؟

ثالثاً: يقول النص: «... رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...». فيظهر من النص بوضوح أن ناصرة الجليل هي مدينة يوسف ومريم وليسَت بيت لحم. هذا في لوقا. أما في متى فكل الدلائل والقرائن تشير الى أن يوسف هو من بيت لحم وليسَ من الناصرة. ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بالتناقض المعروف، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، بين متى ولوقا، في ما

يخص مسقط رأس يوسف ومريم وزمن إقامة العائلة المقدسة في مدينة الناصرة. لوقا يقول: «وفي الشهر السَادس، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم...». يظهر بشكل جليّ من النصّ أن العذراء مريم كانت مع خطيبها يوسف في الناصرة بالذات عندما بشّرها الملاك جبرائيل بالحبل بيسوع. أما متّى، من جهته، فيقول، بعد عودة العائلة المقدسة من مصر: «...فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها اناصرة فسَكن فيها. ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى «ناصرياً»...»؟! خلاصة القول: بحسَب متى، يفهم ان بيت لحم اليهودية هي موطن يوسف ومريم، ولم يسكنا الناصرة في الجليل الاّ بعد عودتهما من مصر. ولكن يظهر بوضوح بحسَب لوقا أن ناصرة الجليل هي موطن يوسف ومريم. والى اليوم، لم يلقَ هذا التناقض التاريخي والجغرافي أي شرح وتفسير، ولن يلقى ما دام الناس يظنون ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين. غير أن هذا التناقض يزول تماماً، وتزول معه كل التناقضات التاريخية والجغرافية الملازمة لأحداث الميلاد، اذا أقرّينا ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم الجليل القريبة جداً من الناصرة، وليسَ كما يظن الناس الى اليوم، في بيت لحم اليهوديّة جنوبي فلسطين والبعيدة جداً عن ناصرة الجليل. وهذا، مرة أخرى، ما تحاول أن تثبته بالأدلّة والبراهين والقرائن هذه الدراسة، كما تحاول أن تثبت غيره من الأمور المتلازمة، تاريخياً وجغرافياً، والمتعلقة بالمسيح وأصله وميلاده ونشأته وحياته... وهي أمور غطّاها الطمس المقصود أو التناسي والنسيان أو الجهل الموروث أو... الخوف من إزعاج اليهود وإغضابهم!!!

-د- السَفر المزعوم الرابع لمريم، مع يوسف ويسوع، عند دخول المسيح الى هيكل أورشليم واجتماعه بالعلماء وهو في عمر

الثانية عشرة، وذلك من الناصرة في الجليل الى مدينة أورشليم ذهاباً وإياباً.

جاء في إنجيل لوقا: «وكان أبواه يذهبان كل سَنة (لاحظ :كلّ سَنة !) الى أورشليم في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سَنة، صعدوا إليها جرياً على السَنّة في العيد. فلما انقضت أيام العيد ورجعا، بقي الصبيّ يسوع في أورشليم، من غير أن يعلم أبواه. وكانا يظنّان أنه في القافلة، فسَارا مسيرة يوم، ثم أخذا يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف. فلما لم يجداه، رجعا الى أورشليم يبحثان عنه. فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين العلماء، يستمع اليهم ويسألهم. وكان جميع سَامعيه معجبين أشدّ الإعجاب بذكائه وجواباته. فلما أبصراه دهشا، فقالت له أمّه: يا بنيّ، لما صنعت بنا ذلك؟ فأنا وأبوك نبحث عنك متلهّفين. فقال لهما: ولما بحثتما عنّي؟ ألم تعلما أنه يجب عليّ أن أكون عند أبي؟ فلم يفهما ما قال لهما...

ثم نزل معهما، وعاد الى الناصرة، وكان طائعاً لهما. وكانت أمه تحفظ تلك الأمور كلّها في قلبها. وكان يسوع يتسَامى في الحكمة والقامة والحظوة عند الله والناس...» (لوقا 2: 41-52.)

يظهر جليّاً من النصّ أن يوسف ومريم كانا يسَافران كل سَنة الى أورشليم في عيد الفصح. ومعروف لدى لوقا ان يوسف ومريم كانا يقيمان منذ البداية في الناصرة، لأن الناصرة كانت مدينتهما. إذاً هذا االسَفر الطويل هو أيضاً قد حصل من الناصرة الى أورشليم ذهاباً وإياباً. وكل الأسفار السَنوية التي تتمّ في عيد الفصح كانت تحصل دوماً من الناصرة في الجليل الى اورشليم في جنوب فلسطين. وقد رأينا كم كانت تتضمّن هذه الأسفار من صعوبات ومشقّات وأخطاء ومطبات متعددة ومختلفة وخاصة من الجليل الى اليهودية في تلك الأيام. فكم بالحري اذا كان هناك أكثر من سَفر واحد في السَنة، قامت به مريم العذراء، في غير عيد الفصح، كما رأينا في الأسفار الأربعة التي نحن في صددها الآن؟

هذه كانت الأسفار الأربعة الطويلة المزعومة التي قامت بها مريم العذراء من الناصرة الى أورشليم أو الى بيت لحم في اليهودية، ذهاباً وإياباً، أمّا لوحدها وهي حامل! وإمّا مع يوسف وهي مشرفة على الوضع!

وإما مع يوسف ويسوع. السَفر الأول، قبل الميلاد، عند زيارتها نسيبتها اليصابات، ذهاباً وإياباً، وكانت وحدها وهي حامل. السَفر الثاني، وهي مشرفة على الوضع، زمن الميلاد، مع خطيبها يوسف عند الاكتتاب... والسَفر الثالث، مع يوسف والطفل يسوع، يوم طهورهما وتقدمة يسوع الى الله في الهيكل، وذلك من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ثم من أورشليم الى الناصرة في الجليل...! والسَفر الرابع مع يوسف ويسوع من الناصرة الى أورشليم ذهاباً وإياباً، عند دخول يسوع الى الهيكل وكان عمره 12 سَنة.

وهناك سَفر معروف جداً، بالاضافة الى الأسفار الأربعة الآنفة الذكر، وهو السَفر الطويل جداً الى مصر، ذهاباً وإياباً، الذي قامت به مريم مع يوسف والطفل يسوع. فلا بد من ذكره، على الأقل، ولو لم يدخل مباشرة في صلب دراسَتنا هذه. فقد جاء في انجيل متى ما يلي:

»وكان بعد انصرافهم (المجوس) أن تراءى ملاك الربّ ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لأن هيرودس سَيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام يوسف فأخذ الطفل وأمه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى أن توفيّ هيرودس، ليتمّ ما قال الربّ على لسَان النبيّ: «من مصر دعوتُ ابني»... وما ان توفّي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واذهب الى أرض إسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصريّاً...» (متى 2: 13-15، 19-23).

فإذا أضفنا السَفر الطويل جداً الى مصر ذهاباً وإياباً، الى الأسفار الأربعة الطويلة الآنفة الذكر، ثم أضفنا الى ذلك الأسفار التي كانت تقوم بها كل سَنة الى أورشليم في عيد الفصح، ثم أضفنا الى ذلك كله الرحلات الطويلة التي قامت بها مريم وهي ترافق ابنها أثناء رسَالته في الجليل وفينيقية واليهودية... تكون العذراء مريم، في الواقع، قد قضت كل حياتها

تقريباً في الرحلات والأسفار الطويلة والشاقة! قاطعة آلاف وآلاف الكيلومترات على الأقدام أو على الحمار... تارةً لوحدها، وهي حبلى أو مشرفة على الوضع، وتارةً بعد الولادة، وتارة مع يوسف والطفل يسوع، ودائماً بالوسَائل المتواضعة المتوافرة في تلك الأزمنة. فهل كان كل ذلك ممكناً ومنطقياً ومعقولاً؟ كلاّ! في الحقيقة، أليسَ في كل ذلك ما يدعو الى التساؤل الشديد والعجب والغرابة؟ إنها أمور يصعب لا بل يتعذّر تماماً تصديقها. إنها أقرب الى الروايات الشعبية التقوية منها الى الحقائق التاريخية الموضوعية. أمّا إذا كان هناك بيت لحم أخرى – وهي موجودة – في جوار الناصرة، واذا كانت ولادة يسوع قد تمت في بيت لحم هذه – وهذا ما حصل فعلاً – فكل تلك التساؤلات والتناقضات تتلاشى على الفور، وكل تلك الأمور والأسفار العجيبة تصبح في الحال طبيعيّة عاديّة منطقية مقبولة وسَهلة التصديق تماماً... أي أنها تصبح داخل دائرة علوم المنطق والتاريخ والجغرافية البشرية...!

ومن جهة ثانية، وبعد أن اثبتت الأبحاث والتنقيبات الآركيولوجيّة اليوم أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة قبل القرن الثاني للميلاد، كما ذكرنا بالتفصيل سَابقاً، فإن السؤال الخطير يعود ويفرض ذاته بالحاح من جديد: كيف يمكن ان تقوم العذراء مريم بكل تلك الأسفار الطويلة جداً إنطلاقاً من الناصرة، والناصرة لم تكن موجودة بعد؟! كيف انطلقت من الناصرة الى زيارة نسيبتها اليصابات، ثم الى بيت لحم اليهودية وقت الميلاد، ثم الى أورشليم في اليوم الأربعين بعد الولادة يوم طهورهما ليقدما الطفل للربّ، ثم كلّ سَنة الى أورشليم في عيد الفصح، ثم الى أورشليم عند دخول يسوع الى الهيكل في سنّ الثانية عشرة، ثم الى مصر، كيف انطلقت اذاً من الناصرة الى كل تلك الأمكنة، كما تقول النصوص الكتابيَّة، والناصرة لم تكن موجودة بعد؟

سَوف نتحدث بالتفصيل عن كل «سّفر» من هذه «الأسفار» التي قامت بها العذراء مريم لوحدها او برفقة يوسف ويسوع، وهي في الحقيقة زيارات صغيرة وقصيرة حصلت كلّها في مناطق متجاورة في قسم محدّد من الجليل (ما عدا السَفر الى مصر... في حال حصوله فعلاً من الناحية التاريخية ؟). ذلك لأن بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها المسيح كانت في

الجليل، ولأن الهيكل الذي تكرسَت فيه العذراء مريم وأقامت فيه فترة من الزمن وتردّدت اليه مراراً كان هو أيضاً في الجليل: في جبل الكرمل بالذات! مع التذكير، مرة أخرى، أن الناصرة لم تكن موجودة قبل القرن الثاني للميلاد...

ولادة يسوع تمّت في"مغارة"
بالقرب من بيت لحم الجليل.

إن التحديد الدقيق لمكان ولادة يسوع كان، وما يزال، موضوع دراسَات وآراء متعدّدة ومختلفة. وذلك عائد الى طبيعة التقاليد المسيحية القديمة من جهة، والى طبيعة النصوص الكتابية نفسَها من جهة ثانية. ماذا تقول أولاً النصوص الكتابية في المكان المحدّد الذي ولد فيه يسوع؟

جاء في انجيل متى أنه «لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي وُلد؟ فقد رأينا نجمه في الشرق، فجئنا لنسجد له... ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمّه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً...» (متى 2: 1-12(

يظهر من النص ان الطفل يسوع كان في» بيت «عندما وصل المجوس : »ودخلوا» البيت «فرأوا الطفل مع أمّه مريم...». غير أن النصّ يورد عبارة «البيت»، بشكل عام، دون الاشارة الى طبيعة هذا البيت، أو مكانه او حجمه أو شكله، أو أية صفة من صفات هذا البيت...

أمّا لوقا، من جهته، فيقول: «وبينما هما (يوسف ومريم) في بيت لحم حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة...» (لوقا 2: 6-7). النص يقول: «في مزود»، وليسَ في بيت أو في فندق أو مضافة أو غرفة، كما أنه لم يحدّد بوضوح طبيعة هذا المزود أو مكانه وموضعه.

لماذا إذاً يسود الاعتقاد في العالم المسيحيّ، وبشكل شامل وقاطع، أن يسوع ولد في «مغارة»، مع أن النصوص الكتابية لا تذكر عبارة «مغارة«، بل» في البيت» أو في «مزود«؟ للاجابة على هذا السؤال يجدر بنا الرجوع الى التقليد المسيحي القديم. ففي المجمع المسكوني الذي انعقد في «نيقية» سَنة 325 بعد الميلاد، تقدّم الاسقف أوسابيوس القيصريّ (قيصرية فلسطين على المتوسط)، أول مؤرّخ للكنيسة، ببيان

طويل أوضح فيه أمام آباء المجمع ان يسوع المسيح ولد في مغارة، وطلب إليهم إقرار هذه الحقيقة وإعلانها. وهكذا كان. ويظهر أن أوسَابيوس كان على علم بالتقاليد المسيحية القديمة حول مكان ولادة يسوع، فدوّنها ونقلها الى آباء المجمع.

واليوم أصبح من الثابت أن التقليد الذي يقول إن المسيح ولد في «مغارة» هو تقليد قديم جداً ويعود على الأقل الى أواسط القرن الثاني بعد الميلاد. وإن أول من كتب يقول إن يسوع المسيح ولد في «مغارة» هو القديس جوستين تلميذ الرسل. وقد ورد ذلك في كِتَابِهِ «المحاورات» (70: 2 و78: 4، 5، 6) الذي وضعه سَنة 150 بعد الميلاد. وقد قال القول ذاته العديد من كبار آباء الكنيسة الأولين أمثال ترتليانوس (200 ب.م.) والقديس إيرونيموس (375 ب.م.) وغيرهما. وقد أجمعوا على أن المسيح ولد في «مغارة». كذلك الاناجيل المنحولة والعديد من الكتبة المسيحيّين الاولين. فقد جاء مثلاً في «إنجيل يعقوب القديم» ما يلي: «ووجد هناك يوسف مغارة فأدخل إليها مريم خطيبته التي أوشكت على الوضع... وإذا بغمامة تملأ المغارة لفترة من الزمن، ثم انزاحت الغمامة وحلّ محلها نور سَاطع يبهر العيون...» (إنجيل يعقوب القديم: 18، 19(

ومن جهة ثانية، وتمشياً مع التقليد القائل بأن يسوع ولد في مغارة، فان البازيليك التي شيدها الملك قسطنطين الكبير عام 326 في بيت لحم (اليهودية)، شيّدها فوق مغارة كما هو ظاهر حتى اليوم، مع العلم أن هذه البازيليك قد رمّمت أكثر من مرّة. وكانت القديسة هيلانة والدة قسطنطين قد زارت الأراضي المقدسة عام 324، وعادت وفي نيتها بناء كنيسة كبيرة فوق المغارة التي ولد فيها المسيح، وقد نقلت رغبتها هذه الى أبنها الملك. وفي السَنة التالية، 325، عندما التقى الملك قسطنطين مكاريوس أسقف أورشليم في مجمع «نيقية»، سَلّمه مبالغ طائلة من المال لبناء كنائس في الأراضي المقدّسة. وكانت بازيليك المهد الأولى التي شيّدت من هذه الكنائس، وكان ذلك عام 326. أمّا لماذا شيّدت البازيليك في بيت لحم اليهودية؟ فنقول، ونكرّر، بان بيت لحم الحقيقية في الجليل حيث ولد يسوع المسيح كانت عرضة للطمس المقصود من قبل اليهود الذين أقاموا في الجليل طوال 300 متوالية بعد

خراب الهيكل، سَنة 70 بعد الميلاد، وعملوا بكل الوسَائل على استئصال أي أثر للمسيحيّة في تلك المنطقة. ومن جهة ثانية، أصبح هناك قرية تحمل نفس الاسم: بيت لحم، وهي في أرض يهوذا وبالقرب من اورشليم. وهكذا، أصبح كلّ شيء متوفّراً لدى المسيحيّين المتهوّدين في القرون الاولى لإقناع اليهود بأن يسوع هو نفسَه مخلص اليهود ومسيحهم المنتظر، وبأنه ولد بينهم في بيت لحم اليهودية، وبأنه من ذرّية داود الخ... أما بيت لحم الحقيقية الجليلية فاصبحت هناك، في البعيد، تحت حكم البرابرة و»الوثنيين» والغرباء... والمغارة اتي ولد فيها يسوع ظلّت هناك في البعيد، في سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية، في منطقة «أفراتة»، في أرض فينيقية – لبنان البعيدة الغريبة...! وظلّت بيت لحم ومغارتها عند «الأمم»، عند «الوثنيين»، «الغُوِّيم.«

)فيما يخصّ ولادة يسوع المسيح في «مغارة»، راجع من المصادر القديمة، وعلى سبيل المثال: «إنجيل يعقوب القديم» (المنحول) 17: 1، 2، 3؛ 18: 1 –»الاناجيل المنحولة»، إعداد فرانس كيرى، ص 79 – »الاناجيل المنحولة»، إعداد روبس – أَمْيُو، ص 60 – القديس جوستين «المحاورات» 70: 2؛ 78: 4، 5، 6، وهو يستشهد بسَفر أشعيا 33: 16 – سَفر أشعيا 33: 16. وفيما يخصّ المراجع الحديثة، راجع على سَبيل المثال: «ب. بنوا وم. أ. بوامار «أزائية الاناجيل الأربعة» الطبعة الثالثة، 1972، الجزء الأول، ص 6-7 مع الحواشي، وهو يعرض النصوص الموازية في الاناجيل المنحولة، ونصوص آباء الكنيسة الاولين – شارل بيرّو «أحداث طفولة يسوع»، دفاتر الانجيل، عدد 18، 1976، ص 51-52 – الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرّية»، الفصل الخامس ص 83-94، والفصل السَادس ص 95-105.(

ويجدر بنا هنا أن نقول كلمة، ولو سَريعة، في من هم المسيحيّون المتهوّدون. معروف أن الجماعة المسيحيّة الأولى قد تعرّضت، منذ نشأتها لاضطّهادات عنيفة من قبل رؤساء الكهنة اليهود والسلطات الرومانية على السَواء. (راجع كتاب أعمال الرسل). غير أن الشعلة المسيحيّة لم تنطفئ بعد موت الرسل والتلاميذ، بل ظلت حيّة، في فلسطين، في قلوب بعض

اليهود الذين اهتدوا الى المسيحية عند نشأتها. «واما الذين شتتهم الضيق الذي وقع بسَبب اسطفانوس، فانهم انتقلوا الى فينيقية...» (أعمال الرسل 11: 19). ومن فينيقية، نقطة انطلاق المسيحية نحو الأمم، انتشرت المسيحية في قبرس وانطاكية وبعض الأقطار المشرقية. وفي انطاكية دعي أتباع الناصريّ، لأول مرة، «مسيحيّين...» وفيما بعد انتشرت المسيحيّة على يد بولس ومعاونيه الى أهم مدن حوض المتوسط.

أما المسيحيّون الذين بقوا في فلسطين فكانوا من أصل يهوديّ. لذلك، ظلّوا في الوقت نفسَه يتّبعون شريعة موسَى، خاصة في الختان، ويعتبرونها توطئة ضرورية للدخول الى المسيحيّة. إنهم «المسيحيّون المتهوّدون». ولهذا السَبب سُمّيت جماعتهم «كنيسة الختان»...! وقد سُمّوا في بادئ الأمر «أتباع بطرس» أو «بطرسيّين» تمييزاً عن أتباع بولس أو «البولسيّين»، أي الأمميّين المهتدين الى المسيحية، الذين كانوا يرفضون إتّباع شريعة موسَى والختان كشرط أسَاسي للدخول الى المسيحية. فيما يخصّ هذا الخلاف، راجع الفصل الخامس عشر من كتاب «أعمال الرسل...«

إن قضية وجود «كنيسة الختان»، أو جماعة «المسيحيّين المتهوّدين» في فلسطين، ليسَت فرضية تاريخية أو احتمالاً ورد عند بعض المؤرخين أو المفسِّرين. إنها واقع تاريخي ثابت ومحقّق. وإن أبحاث وكتابات الكردينال جان دانيالو والأبوين أ. تيستا وب. باغاتّي الكبوشي قد أظهرت للعيان، وبشكل موضوعي محقّق، حقيقة وجود وأعمال وآثار «كنيسة الختان» أو «جماعة المسيحيّين المتهوّدين» في فلسطين. ولقد أظهرت هذه الدراسَات أن أول أثر لوجود هذه الجماعة يكمن في تاريخ الكنيسَة الأولى نفسَها. فإن اتهامات سَلسوس (178-180) للمسيحيّين، والتي تتمحور حول قيامهم بأعمال سحريّة في الظلام...، قد تسَببت بسجالات طويلة بينه وبين آباء الكنيسة وخاصة أوريجانوس الذي وضع كتاباً دفاعيّاً دعاه «ضد سَلسوس». في هذه الأثناء كانت «كنيسَة الختان» معروفة تماماً من رؤساء الكهنة اليهود ومن آباء الكنيسة على السَواء أمثال ايريناوس وجوستين واوريجانوس وكيرللّس وإيرونيموس وأبيفانيوس وغيرهم. وظلت

«كنيسة الختان» هذه معروفة تماماً من الفئتين حتى القرن الرابع. وإن أصلهم اليهوديّ جعل المسيحيّين المتهوّدين يبالغون في التركيز على أسفار العهد القديم أثناء تبشيرهم بيسوع المسيح. وكانوا يستخدمون الأناجيل الشعبية التي سمّيت فيما بعد «محرّفة أو منحولة»، بالاضافة الى بعض المخطوطات الكتابية الخاصة بالمسيح المنتظر، المسَمّاة «تستيمونيا»، التي كانت تتداولها الطبقات الشعبيّة...

كان همّ المسيحيّين المتهوّدين، الأوَل والأساسي، أن يبرهنوا لليهود إخوتهم غير المؤمنين بعد بالمسيح، أن يسوع هو هو نفسَه المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، والذي تنبأت عنه كتبهم وأنبياؤهم. وبالاضافة الى ذلك، كانوا، من جهة ثانية، يحاولون إقناع مسيحيّ الأمم باتّباع شريعة موسَى، وخاصة الختان، كمدخل طبيعي وتاريخي الى الديانة المسيحيّة. ويظهر أن العديد من كتبهم التعليمية والطقسية قد فقدت فيما بعد، ولم يبقَ منها سوى بعض المقتطفات والمقاطع الواردة في كتب آباء الكنيسَة أنفسهم.

من جهة ثانية، ترك المسيحيّون المتهوّدون آثاراً خاصة بهم في بعض المغاور المعروفة في أورشليم وجوارها. نذكرمن هذه المغاور: «مغارة المهد»، كما يدّعون، في بيت لحم اليهودية، ومغارة تحت الجلجلة في أورشليم التي تذكّر بانتصار المسيح على الظلمة والموت، ومغارة جبل الزيتون، ومغارة الأبانا، التي تذكّر بانتقال الابن المتجسِّد الى الآب السَماويّ. فبالاضافة الى الاهمية التاريخية لهذه المغاور في العهد الجديد، فإن المسيحيّين المتهوّدين استخدموها كرموز روحية للحديث عن لاهوت «النور الالهي» مقابل «ظلام الارض» المتمثّل في التعاليم والاسرار الوثنية. فبحسَب هذه الاسرار، على «العارفين» أن «يخرجوا» من مغارة الأرض المظلمة كي يشاهدوا الله ينبوع كل الأنوار. أمّا المسيحيّون المتهوّدون فكانوا يقولون، بعكس ذلك، إن المسيح هو الذي «يدخل» المغاور السرّية المظلمة فينيرها ويضيء القلوب. وإن قوى الإنسان لا يمكنها لوحدها أن تجعل الإنسان يبصر النور الحقيقي: على ابن الله نفسَه أن يتّحد بالطبيعة البشريّة ويدخل المغاور المظلمة كأنه الشمس المشعّة. من هنا جاءَت تسمية: «المغاور المضاءة»، «المغاور

المشعة»، الخ... والاعتراف بان يسوع المسيح هو النور الحقيقي أصبح من التعاليم الرسمية للكنيسة كما هو ظاهر في «قانون الإيمان» المسيحيّ عينه: «إله من إله، نورُ من نور«...

كانت مغارة المهد، بالنسبة الى المسيحيّين الأولين المرحلة الأولى في حياة المسيح الأرضية. إنها الرمز الأول للعبور من الظلمة الى النور. وان الكلمة الالهي نزل من عليائه وولد ليسَ في بيت بناه البشر، بل تحت الأرض في «مغارة» مظلمة لم يصلها النور بعد. ويشرح إيريناوس فيقول: «إن كلمة الله، غير المرئي بطبعه، لم يره الناس عندما نزل الى الأرض». وغريغوريوس النيصي يقول من جهته: «عند الولادة أضاء النور الالهي ظلمة المغارة، التي أصبحت «مغارة الحياة...». والملفت أننا نجد اصداءً لهذه التعاليم والأقوال في الأناجيل المنحولة نفسَها التي كان يستخدمها المسيحيّون المتهوّدون كما ذكرنا. فقد جاء مثلاً في انجيل يعقوب القديم: «وتوقفوا عند المغارة. وإذا بسَحابة من الضوء تملأ المغارة... ثم انزاحت السَحابة وملأ المغارة نور سَاطع مشعّ أبهر عيوننا... وأخيراً أخذ هذا النور بالانحسَار في الوقت الذي بدأ الطفل يسوع يظهر من أحشاء أمّه مريم...» (إنجيل يعقوب القديم، فقرة 19). (راجع أيضاً: «إنجيل متى المنحول»، فقرة 13 – «إنجيل الطفولة» فقرة 5؛ الخ.(...

كان النجم يرافق دوماً الطفل يسوع خلال أحداث الميلاد. قال المجوس: «لقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له... وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلمّا أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً...» (متى 2: 2، 9-10). وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرّية، يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الرب حولهم، فخافوا خوفاً شديداً...» (لوقا 2: 8-9). وكان التقليد المسيحي القديم يرسم نجمة فوق رأس الطفل يسوع المولود في المغارة، وظلّت هذه النجمة ترافق مغارة الميلاد الى يومنا هذا. كل ذلك يذكّرنا برمز النور الالهي الذي يضيء ظلمة مغارة الأرض، والذي ركّز عليه المسيحيّون الأوّلون. فقد جعلوا من المغارة المضاءة مكاناً لتجلّي النور الالهيّ. والذي أضفى على نظرتهم الروحية اللاهوتية هذه طابعاً مميّزاً هو أنها جاءت في وقت كانت عبادة

أدونيس مزدهرة في فلسطين وفي أورشليم وبيت لحم بالذات. ففي سَنة 135 أقام الامبراطور أدريانوس تماثيل لأدونيس في أهم الاماكن المقدّسة التابعة لليهود والمسيحيين على السَواء. وكانت الغابة التي تحيط بمغارة بيت لحم مكرّسة لإقامة طقوس أدونيس الدينية. ومن هذه الطقوس الاحتفال بموت أدونيس وانحداره الى «ظلمات أسَافل الأرض»... ثم قيامته في الربيع مكلّلا بالخضرة والجمال «والنور والضياء...«

بالاضافة الى مغاور بيت لحم والجلجلة وجبل الزيتون، كان المسيحيّون الأولون يجتمعون في العديد من مغاور فلسطين والجليل حيث كانوا يصلون ويقيمون ذبيحة الخبز والخمر، متذكّرين كلام يسوع: «إصنعوا هذا لذكري...» (لوقا 22: 19.(

إن «كنيسَة الختان» أو جماعة المسيحيّين المتهوّدين، كانت راسخة في الجليل في القرن الثاني للميلاد كما أثبتت ذلك الاكتشافات الأثرية، خاصة في المغاور والمقابر، في العقود الثلاثة الماضية. كما تبيّن أن تكريم مريم أم يسوع كان متجذّراً في الجليل، وخاصة في الناصرة، في القرن الثاني للميلاد، قبل وقت طويل من إعلانها رسمياً «أم الله»، في المجمع المسكوني العام، في أفسس عام 431. والإكتشافات الاخيرة، المدعومة بالنصوص التلموديّة حول جماعة المسيحيّين المتهوّدين، أظهرت بوضوح الطابع المسيحي للبناء الذي أقيم فوق بيت القديس بطرس في كفرناحوم علىالضفة الشمالية لبحيرة طبرية أو بحر الجليل. وقد ظهرت على الجدران القديمة رموز وكتابات وصلوات خاصة بالمسيحيّين المتهوّدين باللغات العبرانية والسريانية واليونانية.

وبالاضافة الى ما تقدم، هناك دلائل أخرى تؤكد على وجود «كنيسة الختان» أو «جماعة المسيحيّين المتهوّدين»، وهي الآثار الخاصة التي تركوها على جدران المغاور وفي داخل المقابر. إن التوابيت الحجريّة التي كانت تحوي عظام الأموات، بعد مرور فترة من الزمن على وضع هؤلاء تحت التراب، هي دون شك توابيت مسيحيّة، لأن هذه العمليَّة كانت محرّمة على اليهود. غير أن المسيحيين الذين كانوا ينتظرون عودة قريبة للمسيح، كانوا يهيئون موتاهم بهذه الطريقة كي يكونوا مستعدين تماماً عند عودته...

وبما أن شريعة موسَى كانت تحرّم عليهم وضع التماثيل ورسم الصور، كان المسيحيّون المتهوّدون يلجأون دوماً الى نقش أو رسم الأرقام والاعداد والرموز المختلفة. وبعد أن توارى هؤلاء عن مسرح الاحداث في فلسطين ظلت هذه الطريقة الرمزية في الكتابة والرسم متّبعة عند جماعة المتصوفين وبعض فئات الشعب. غير أن العديد من هذه الرموز لا تزال الى اليوم غامضة وغير مفهومة عند عامة الناس. من هذه الرموز ما له علاقة بدرجات ومراقي «السلّم الكونية»: كانوا يعتقدون ان على النفس، بعد تركها جسَدها عند الموت، وكي تصل الى السماء، أن تصعد سلّماً روحياً وسَط مطبّات مختلفة تضعها الأرواح الشريرة في طريقها. وبعد الموت تبقى النفس في فترة انتظار قرب القبر لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم السَابع تقودها الملائكة الى حيث ترى من بعيد مسَاكن الصالحين والأشرار، ثم تكون الدينونة. من هنا بعض التقاليد المسيحية الباقية الى اليوم، خاصة عند الكنائس الشرقية، المتعلّقة بإقامة القداديس والصلوات التذكارية لراحة نفس الميت، في اليوم «الثالث، والسَابع، والتاسع والأربعين» الخ... بعد الوفاة. وهناك رموز أخرى ظهرت داخل المغاور والمقابر تمثل «شجرة الحياة»، وهي كناية عن «صلبان كونية» تمدّ أذرعها في كل أتجاه، وهي ترمز الى فعالية المصلوب التي تملأ الكون بأكمله وتشكّل صورة معبّرة عن «المسيح الكونيّ» بحسَب يوحنا وبولس...

عاشت جماعات المسيحيّين المتهوّدين في الظل بسَبب المضايقات والاضطهادات التي أصابتهم من قبل السلطات الرومانية واليهود على السَواء. وحكم قسطنطين الكبير الذي أعطى الحرّية للمسيحيّين شهد هو أيضاً تراجعاً كبيراً لهذه الجماعات أمام تدفق لأعداد الغفيرة من مسيحيّ الامم الى فلسطين، حتى غابت تماماً عن مسرح الاحداث بين القرنين الخامس والسَادس.

ورغم أن «كنيسة الختان» أو جماعات المسيحيّين المتهوّدين كانت حقيقة واقعة طوال القرون المسيحيّة الخمسة الاولى، غير أن النسيان قد لفّها طوال قرون كثيرة. وفي أواخر القرن التاسع عشر، عندما أعلنت الاكتشافات الاركيولوجيّة الخاصة بهم، من مقابر وكتابات ونُقوش ورموز

وغيرها، فإن كثيراً من العلماء والباحثين لم يصدّقوا ما شاهدت أعينهم، في بادئ الأمر، الى أن رضخوا أخيراً أمام الحقائق التاريخية والجغرافية الموضوعية والحسّية.

ورغم ذلك ظلّت بعض الكنائس في أوروبا، بين القرن الخامس والقرن التاسع، تحفظ في داخلها بعض الآثار التي تدلّ بوضوح على «كنيسَة الختان» والجماعات المسيحية المتهوّدة. وهي كناية عن فسَيفسَاء ونقوش وكتابات وتماثيل وصور. وكل هذه الآثار باقية الى يومنا هذا، خاصة في بعض كنائس رومة مثل كنائس: القديسَة مريم الكبرى، القديسَة سيسيليا، القديسَة سَابين، القديس مرقس، القديسَين قزما ودميانوس، القديس لوران خارج الأسوار الخ... وفي بعض كنائس رافينّا مثل كنائس: القديس فيتال، والقديس أبوليناريوس. وفي غيرها من المدن والكنائس. وهناك على سَبيل المثال، وبشكل واضح وبالاسماء، كنيسَة القديسة سابين في رومة التي تحوي فسَيفسَاء كبيرة ظاهرة الى اليوم، أوصى عليها البابا سَلسَتين الأول (422-432)، وهي تمثّل سيّدتين من الأشراف. وبحسَب الكتابات الظاهرة تمثل السَيّدة الاولى «كنيسَة الختان»، وتمثل الثانية «كنيسَة الامم». وتعلو الأولى صورة القديس بطرس، وتعلو الثانية صورة القديس بولس... فهل هناك من دلائل تعبّر أكثر من ذلك عن وجود هذه الحقيقة التاريخية التي أصبحت ثابتة ومحققة في ايامنا هذه: «كنيسَة الختان»... و«كنيسَة الامم»؟!

كان من الضروري ان نقول كلمة، ولو مختصرة، في «كنيسَة الختان» أو جماعة المسيحيّين المتهوّدين، لأنهم، وهم من أصل يهودي متزمّت، حاولوا بشتّى الطرق والوسائل ان يربطوا يسوع باليهود ويبرهنوا انه مسيح اليهود ومخلّصهم المنتظر، مع ان المسيح يسوع لم يكن يهودياً، كما رأينا، وهو المسيح المخلّص للناس أجمعين وجميع الكائنات والكون الكبير بكامله... إنه «المسيح الكوني»، «الذي به كان كل شيء...»، كما يؤكد يوحنا.

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن المسيحيّين المتهوّدين ومغاورهم ورموزهم، فلنعد الى مغارة بيت لحم التي ولد فيها يسوع المسيح. لقد رأينا أن هناك إجماعاً في التقليد المسيحيّ القديم على أن يسوع قد ولد

فعلاً في «مغارة»، وهكذا آباء الكنيسَة وتلاميذ الرسل، وحتى الاناجيل المنحولة نفسَها. أمّا فيما يخصّ طبيعة هذه المغارة وشكلها وتكوينها وحجمها وما الى ذلك، فلم يترك لنا التقليد المسيحيّ القديم شيء يذكر. وهناك نظريات وآراء وأقوال عديدة ومختلفة حول طبيعة هذه المغارة، يندرج أغلبها في باب الشروحات والتفسيرات التقوية الشعبيّة المبسّطة، أو الأفكار المسبقة والمتوارثة... أمّا ما يهمّنا نحن في هذه الدراسَة فهو الاستناد الى الدلائل والبراهين والقرائن التاريخية والجغرافية ذات الطابع العلمي والموضوعي البحت. وبعد مراجعتنا العديد من المصادر والمراجع والمؤلفات التاريخية من قديمة وحديثة، تبيّن لنا، بعد المقارنة والتحليل والتمحيص، وبعيداً عن الأفكار المسبقة والتفسيرات السَطحية المتوارثة، أن يسوع ولد في مغارة خاصة تابعة للجمعيات الجليلية الروحية التي كانت منتشرة في الجليل في ذلك العهد. وكانت الجماعة الاسينيّة أهم وأبرز تلك الجماعات الروحية.

لقد رأينا في فصول سَابقة أن الجماعات الروحية في الجليل – «كالاسينيّين»، «والمكرّسين»، «والمنذورين»، و«النصارى» (غير المسيحيّين في مفهومنا اليوم...) – كان لها نوع من المستوصفات أو المستشفيات الصغيرة منتشرة في كل مناطق الجليل وفلسطين. وكانوا يستقبلون فيها خاصة المرضى من الفقراء والمعوزين والغرباء. وكان يطلق على هذه المؤسَّسات اسم «بيت صيدا». وقد أسَّسوا، بالاضافة الى ذلك، وعند مداخل المدن، مآوي يستقبلون فيها، لفترة من الزمن، كل من كان بحاجة الى مسكن أو طعام أو شراب الخ... وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة في أورشليم أنه كان للأسينيّين عند مدخل المدينة الى الجهة الجنوبية الغربية مستوصف ومأوى، بالاضافة الى باب من أبواب أورشليم كان يسمّى باسمهم: «باب الاسينيّين»، بالاضافة أيضاً الى حيّ داخل أسوار أورشليم كان يسمّى باسمهم: «حيّ الاسينيّين»...!! وكان هناك، بعيداً عن المدن، بعض المستوصفات والمآوي في مغاور طبيعية سويت لأجل ذلك. في الأسَاس كان هناك مغاور طبيعيّة غير أن يد الإنسان قد عملت فيها تحسيناً وإعداداً وإكمالاً حتى أصبحت نوعاً من المنزل أو البيت. ومعروف أن هذا النوع من «المغاور – المنازل» كثير في فلسطين

والبلدان المجاورة الى يومنا هذا، ممّا أدهش ويدهش الرحّالة والمسافرين والزائرين. وقد توالت، على بعض المغاور، أجيال تلو أجيال من السَاكنين. وفي الاجيال المسيحيّة الأولى مثلاً، كان المؤمنون يلجأون الى مثل هذه المغاور طلباً للأمن والصلاة، بعيداً عن المدن والحكام. وكانت بعض المغاور كبيرة واسعة تحوي ما بين عشرة وعشرين غرفة، معتدلة المناخ، بمنأى عن قسَاوة الطقس في كل الفصول...

وكانت المغاور الجليلية هذه تقع عادة في أماكن نائية يصعب الوصول إليها، وبعيداً عن طرق الجيوش والمرتزقة وقطاع الطرق. وكان عمقها يمتد من سَبعة الى عشرين متراً، وفيها أدراج نقشت في الصخر تُفضي أحياناً الى طوابق علويّة. وكان نور الشمس يضيء داخل المغاور بواسطة نوافذ صغيرة فتحت في الصخور التي تسدّ المداخل. بعض الغرف الداخلية فتحت في الصخر بيد بشرية، والبعض الآخر تعاون الانسان مع الطبيعة لإعدادها وتهيئتها. وكانت الجدران الصخرية الداخلية تطلى أحياناً بالطين والصلصال، وتحوي بعض النقوش والرسوم المعبّرة. وكانت سرج من زيت تعلق في السقف أو توضع في كوى جانبية تؤمن الاضاءة الكافية في كل الظروف، بينما هناك منافذ صغيرة أو شقوق صخريّة في السقف والجدران تؤمّن دورة كافية للهواء بين الخارج والداخل. وكانت تهيأ أمكنة خاصة للمراقد والفرش إما الى جانب الجدران الداخلية أو فوق صفوف متلاصقة من الحجارة في وسَط الغرفة أو في إحدى الزوايا. والى جانب كل مغارة كان يوجد عادة إما بئر وأما عين ماء، وفي كل غرفة من غرف المغارة جرة من الماء العذب على سَبيل الاحتياط. أرض الغرف كانت من الحجارة الصغيرة الملساء التي تشكّل نوعاً من البلاط الطبيعيّ، ما عدا بعض الغرف التي تستعمل كمستودعات، فقد بقيت أرضها على حالتها الطبيعيّة. كانت المغاور تقسم عادة الى عدة غرف متلاصقة، غرفة للنوم وأخرى للاستراحة، غرفة للطعام، غرفة للمرضى وقد تستعمل للولادة عندما تدعو الحاجة، وغرفة كبيرة خاصة يأوي اليها بعض الحيوانات الداجنة... وكانت الحاجيات واللوازم المنزلية شبيهة كل الشبه بتلك الموجودة في البيوت والمنازل العادية...

ففي مثل إحدى هذه المغاور ولد يسوع المسيح. فهذا، وهذا وحده، يوفّق بين ما جاء في التقليد المسيحي القديم عن مكان مولد المسيح، من جهة، وما جاء في الأناجيل المقدسة من جهة ثانية. فمتى يقول: «... ودخل المجوس «البيت» فرأوا فيه الطفل وأمه مريم...» (متى 2: 11). بينما لوقا يقول: «فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل...» (أو في البيت أوالفندق أوالمضافة بحسَب الترجمات...) (لوقا 2: 6-7.(

وهذا يوافق، من ناحية أخرى، ما جاء في تواريخ الجمعيات الروحية الجليلية – وأهمها الجماعة الاسينيّة – وفي مخطوطات قمران (البحر الميت) الشهيرة، من أن هذه الجماعات كان لها، خاصة في الجليل، بعض المغاور الطبيعيةالتي حولتها الى مآوي ومستوصفات يعالجون فيها الجرحى والمرضى، ويهتمّون بالنساء الحوامل...، ويستقبلون الفقراء والمعوزين والغرباء. وكانت هذه الأمور الانسانية، وخاصة الشفائية منها، من الأهداف الأسَاسية التقليدية لهذه الجماعات الروحيّة الجليلية. ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بالاكتشافات الحديثة جداً التي جرت في مدخل أورشليم الجنوبي الغربي، والتي أظهرت، ولأول مرة، وجود مأوى ومستشفى خاص بالجماعة الأسينية، بالاضافة الى بوابة لأورشليم خاصة بهم تسَمّى «بوابة الاسينيّين»، وحيّ بكامله داخل أسوار أورشليم خاص أيضاً بالأَسّيِنِيّين يسَمّى «حيّ الأَسّنِيّين». وقد تبيّن أن «علّية صهيون» التي كانت مقرّ الجماعة المسيحية الأولى، كانت تقع في هذا الحيّ الاسينيّ بالذات!؟... كل هذه الإكتشافات الحديثة تلقي اضواءً جديدة وهامة جداً على مجتمع العهد الجديد عند نشأة المسيحيّة بشكل عام، وعلى حياة يسوع المسيح وعلاقاته الاجتماعية بشكل خاصّ... مع العلم أن مواقع هذه الاكتشافات الجديدة والحقائق التي خلفها لم تكن مروّية في التاريخ بشكل صريح ومحدّد حتى اليوم – على ما نعلم – كما لم تكن ظاهرة في الخرائط الجغرافية حتى اليوم. أما الخرائط العلميّة الجديدة، وحتى السياحية منها، فتذكر هذه المواقع المكتشفة حديثاً، بالأسماء والأرقام، وتعلّق عليها تاريخياً وجغرافيّاً...

وفي دراسَة تاريخية نقدية حديثة، يقول العالم الأثري الأب جيروم مورفي أُكّونور، المدير المعاون لمدرسة اورشليم البيبلية الآركيولوجية الفرنسية، يقول حرفياً: «إن حقل الرعاة الذي يضم مغارة الرعاة ومحيطها والكنيسَة الحديثة، بالقرب من بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، هو محض اختلاق شعبي ولا علاقة له بالتاريخ... وهذا الإختلاق هو أمر ثابت ومؤكّد، لدرجة أن محاولة إثبات تاريخية هذا الحقل لم تعد مطروحة قط... وبالاضافة الى ذلك، فإن المغارة التي قيل فيما بعد إنها مغارة الرعاة كانت تستعمل، في القرون الاولى الثلاثة بعد المسيح، كمدافن للأموات...»!؟ (راجع «عالم البيبليا»، المجلة العلمية المتخصصة بالكتاب المقدس، العدد الممتاز: «بيت لحم المدينة المسيحانية، آب، أيلول تشرين الأول، 1983، ص 22 والحاشية رقم 28). وقد راينا في موضع آخر من هذه الدراسَة ان مغارة المهد عينها في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم كانت، مع بعض المغاور المجاورة، تستخدم كمدافن لأموات. فهل من المعقول والممكن والمنطقي، ان تستعمل مغارة المهد والمغاور المجاورة كمدافن للأموات في العصور المسيحية الاولى، إذا كانت حقاً هي مغارة المهد التي ولد فيها السيّد المسيح؟ أمّا كيف تحوّلت هذه المغاور – المدافن الى مغارة للمهد ومغارة للرعاة، فهو أن الملك قسطنطين الكبير، عندما حاول، مدفوعاً بإمه هيلانة، أن يكرّم المكان الذي ولد فيه السيّد المسيح، قيل له من قبل المسيحيّين المتهوّدين في أورشليم إن السيّد المسيح ولد في مغارة في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، فأرسل وشيّد سَنة 325، كنيسة فوق مغارة بيت لحم. وفيما بعد شيّدت كنيسَة في حقل الرعاة تكريماً لرعاة الميلاد. وهكذا، وبدون اثبات تاريخي دقيق، تكرّست بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، والمعروفة اليوم، تكرّست منذ حوالي سَنة 325، المدينة التي ولد فيها السَيّد المسيح...! وظل هذا الاعتقاد سَائداً عند عامّة الناس حتى أيامنا هذه.

أما اليوم، فليسَ هناك من اثبات علمي أو تاريخي أو آركيولوجي واحد على أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي يحجّ اليها المسيحيّون منذ ألفي سَنة. ولا إثبات واحد! ويقول في هذا الموضوع بالذات، ميشال كسنيل الأستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس،

بالحرف الواحد ما تعريبه: «أما أين ولد يسوع المسيح؟ فعلماء اليوم يتردّدون محتارين بين بيت لحم اليهودية وبين الجليل...!!» (مجلّة «عالم البيبليا»، عدد ممتاز عن «ماذا نعرف عن يسوع»، عدد 109، آذار – نيسان، 1998، ص6). وهكذا اذاً، يتبيّن اليوم، وعلى لسَان اصحاب الإختصاص انفسهم، انه ليسَ من الاكيد والثابت ان المسيح ولد في بيت لحم المعروفة اليوم؟ وتسعى هذه الدراسَة الى اثبات ان المسيح ولد في بيت لحم أخرى تقع في الشمال، وأنها كانت تقع، عند ولادته، في أرض فينيقية – لبنان!

يسوع المسيح لم يولد في <u>داخل</u> بيت لحم
بل على طريق بيت لحم، <u>بالقرب</u> من بيت لحم

جميع التقاليد والكتب، القديمة والحديثة، وجميع الشروحات والتفاسير، حتى يومنا هذا، تجمع كلها على أن يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم، بل على طريق بيت لحم، بالقرب من بيت لحم...

منذ البداية، منذ سفر التكوين، كان قبر راحيل، زوجة يعقوب أب الآباء، مرتبطاً ببيت لحم. فقد جاء في سفر التكوين (35: 19-20): «وماتت راحيل، <u>ودفنت في طريق أفراته</u>، وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...». وجاء أيضاً في سفر التكوين (48: 7) وعلى لسَان يعقوب نفسَه: «وأمَا أنا ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل <u>في أرض كنعان، في الطريق، على مسَافة من أفراته</u>، فدفنتها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم.«...

يظهر بوضوح تام من هذين النصين في سفر التكوين أن قبر راحيل لم يكن داخل بيت لحم، بل كان «في طريق أفراته وهي بيت لحم... في الطريق على مسَافة من أفراته... فدفنتها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم...». كانت «بيت لحم أفراته» في الجليل، مبنيّة اذاً، أيام يعقوب، اما بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، فقد بنيت بعده بما لا يقل عن ألف ومئتي سَنة!!

وعلى قبر راحيل وموقعه بالذات تُعلّق النسخة الجديدة فتقول: «راحيل، زوجة يعقوب، أم يوسف، الذي ولد افرائيم ومنسّى، وأم بنيامين. كان قبرها في الرامة (1 صموئيل 10: 2)، وهي الرام في ايامنا، على بعد 9 كيلومتر شمالي أورشليم، بالقرب من أفراته (تكوين 35: 19) في أرض بنيامين (يشوع 18: 25). كان في بيت لحم قوم من الأفراتيّين، فلقّبت بأفراته هي أيضاً (ميخا 5: 1)، ومن هنا نشأ التقليد القائل بأن قبر راحيل هو بالقرب من بيت لحم، والذي حمل القديس متى على تطبيق نصّ ارميا 31: 15 (متى 2: 17-18) على مقتل الأطفال...» (النسخة الجديدة،

سفر ارميا 31: 15، الحاشية رقم 4، ص 1698). ونص ارميا 31: 15 يقول: «هكذا قال الربّ: صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى عن بنيها، لأنهم زالوا عن الوجود...». فالقديس متى الانجيلي طبق نصّ ارميا هذا على مقتل الأطفال في بيت لحم... مع أن نصّ ارميا يتابع فيقول في الآيتين التاليتين 16 و17: «هكذا قال الرب: كفّي صوتك عن البكاء، وعينيك عن ذرف الدموع، فإن لعملك أجراً، يقول الربّ، وإنهم سَيرجعون من أرض العدو (يقصد أبناءَها المنفيّين الى بابل). مستقبلكِ رجاء، يقول الربّ، وسَيرجع البنون الى أرضهم...»؟! واذا عدنا الى تحديد موقع قبر راحيل بحسَب نصّ صموئيل الأول الوارد في تعليق النسخة الجديدة، فاننا نقرأ أن صموئيل يقول لشاول: «فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح...» (صموئيل الاول 10: 2). وتعلّق النسخة الجديدة على نصّ صموئيل هذا فتقول: «صلصح: لا يعرف معنى هذه الكلمة. وأمّا «الحدود»، فهي الحدود بين بنامين وافرائيم، من حيث أتى شاول. كما ورد في إرميا 31: 15، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت لحم حيث يُرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19) (النسخة الجديدة، 1 صموئيل 10: 2، الحاشية رقم 1، ص 538). أمّا تعليق «توراة أورشليم»، النسخة الأصلية الفرنسية، حول نصّ صموئيل هذا بالذات، فجاء أكثر تحديداً ووضوحاً. فقد جاء تعليقها على هذا الشكل:

C’est comme Jérémie 31: 15, <u>la tradition ancienne sur le tombeau de Rachel, qui a été ensuite placé près de Bethléem</u>, où on le montre encore, cf. La glose de Genèse 35: 19”. (Bible de Jérusalem”, Ed. Du Cerf, Paris, 1956, 1 Samuel 10: 2, Note K, p. 287).

ويمكن تعريبه على هذا الشكل: «كما ورد في إرميا 31: 15، <u>انه التقليد القديم</u> عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه <u>فيما بعد</u>) لاحظ عبارة: فيما بعد...) بالقرب من بيت لحم حيث يرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19)». الواضح أن هناك غموضاً وارتباكاً في النص، وهناك كلمات «لا يعرف معناها»...، وهناك عبارات لم تترجم... «لغَايةٍ في نفس يعقوب»! الحقيقة

هي ان قبر راحيل حُدِّدَ أكثر من مرّة ووُضِعَ أخيراً عند مدخل بيت لحم اليهودية...

إن لتحديد موقع قبر راحيل أهمية خاصة في دراسَتنا هذه، وذلك لعلاقته المباشرة ببيت لحم وأفراته، مع العلم أن أفراته هي بيت لحم. هناك ترابط وتلازم دائم، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، لهذه الثلاثة: بيت لحم – أفراته – قبر راحيل. لقد دفن يعقوب زوجته راحيل على طريق أفراته التي هي بيت لحم (تكوين 35: 19 و48: 7). جاء يشوع بن نون وحدّد بالضبط موقع بيت لحم – أفراته داخل أراضي سَبط زبولون (يشوع 19: 15). وهذا أمر واضح وجليّ للغاية. ولم يأتِ على ذكر بيت لحم اليهودية – المعروفة اليوم – ولا حتى في تعداد مدن يهوذا (يشوع 15: 21-3)، وذلك لأمر بسيط جداً: لأنها لم تكن قد أنشئت بعد، فهي قد انشئت في أواخر القرن الرابع او أوائل الثالث قبل المسيح. وهكذا اذاً، وفي الأصل، يكون قبر راحيل، على طريق بيت لحم أفراته في الجليل وليسَ في اليهودية. وبيت لحم هذه التي تسَمّى دوماً أفراته تقع في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وهي نفسها التي حدّد موقعها يشوع في أرض زبولون. وأرض زبولون هي متاخمة تماماً للسفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (راجع الخرائط الجغرافية القديمة لأراضي الأسباط: جغرافية يشوع). وهي نفسَها التي تحدث عنها ميخا واسماها «بيت لحم أفراته» (5: 1...(

بعد العودة من السَبي، حاول اليهود ان يجعلوا أهم أحداث تاريخهم السَابق تدور حور المثلث القوميّ العنصريّ المعروف: يهوذا – داود – أورشليم. وقد بالغوا كثيراً في ذلك، بعيداً عن الموضوعية التاريخية والجغرافية، حتى حدود التناقضات الفاضحة، وهي كثيرة جداً... وهكذا، مثلاً، وصل بهم الأمر الى نقل قبر راحيل من قرب بيت لحم في الجليل وحدّدوا مكانه، من جديد، بالقرب من أورشليم على مسافة حوالي 10 كلم الى الشمال! وهكذا أصبح قبر راحيل على طريق بيت لحم اليهوديَّة بعد ان كان على طريق بيت لحم أفراته. والغريب حقاً انهم عادوا واطلقوا اسم أفراته، بشكل اعتباطي، على المنطقة الجغرافية شمالي أورشليم مع أنه لا يوجد هناك بيت لحم!!! كل ذلك ليكون قبر راحيل بالقرب من

أفراته! ويظهر أن بيت لحم اليهودية لم تكن قد انشئت بعد في ذلك الوقت. ولكن بعد أن أنشئت في جنوب أورشليم، عادوا، من جديد، وحدّدوا مكان قبر راحيل لا في شمال أورشليم، هذه المرّة، بل في جنوبها، عند مدخل بيت لحم الشمالي حيث يُرى الى هذا اليوم! وبقيت الأمور على هذه الحال حتى العهد الجديد. إنه تزوير فاضح جداً!

في بداية العهد الجديد، كان هَمّ «كنيسَة الختان» أي كنيسة المسيحيّين المتهوّدين، كما رأينا، أن تبرهن لليهود أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كانوا ينتظرونه، وأنه ولد عندهم في بيت لحم اليهوديّة. وهكذا شطب متى كلمة «أفراته» من عبارة «بيت لحم أفراته»، كما فصّلنا سابقاً، واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا»؟ (متى 2: 6 – راجع أيضاً ميخا 5: 1). ولو لم يشطب كلمة «أفراته» من النص الأصلي لكان مجبراً على الإقرار – وهذه هي الحقيقة التاريخية – أن يسوع المسيح ولد في بيت لحم أفراته أي في الجليل وليسَ في اليهودية. أما هو فكان همّه أن يثبت لليهود إخوته الذين لم يؤمنوا بيسوع بعد، أنه هو مسيحهم ومخلّصهم المنتظر وبأنه ولد بينهم أي في بيت لحم اليهودية. ولذلك شطب كلمة «أفراته» من عبارة «بيت لحم أفراته» واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا». ومن هنا انطلق التقليد المسيحي الذي يقول ان يسوع المسيح، وهو الجليليّ بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات وأبعاد، ولد في بيت لحم يهوذا. وهكذا، استمر هذا التقليد، عند عامة الناس...، الى يومنا هذا! أما بخصوص شطب متى كلمة «أفراته» من العبارة الأصلية «بيت لحم أفراته» واستبدالها بعبارة «أرض يهوذا"، فهناك اجماع تام حول هذا الموضوع عند كافة المؤرخين والشارحين والمفسِّرين (راجع على سبيل المثال: اللاهوتي والشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو في كتابه المارّ ذكره «أحداث طفولة يسوع» صفحة 31.(

والحقائق التي نريد أن نركّز عليها هنا هي التالية:

أولاً – كان هناك، على الأرض، مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية تدعى «بيت لحم»، وهي الملقّبة «بأفراته». وقد بنيت قبل متى بألف ومئتي سَنة على الأقل! وهي تقع في «جليل الأمم» جليل «الغويم» أي «الوثنيّين». وقد ذكرتها «وثائق ورسائل تل العمارنة» وجميع اسفار العهد

القديم. وقد حدّد موقعها هذا بالضبط يشوع بن نون في «جغرافيته» الشهيرة، جغرافية توزيع أراضي اسباط اسرائيل الإثني عشر: حدّد موقعها في أرض سَبط زبولون أي في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (راجع خرائط الاسباط.(

ثانياً – كانت هذه المدينة الكنعانية قائمة في أيام المسيح ومتى، وذلك بإجماع المؤرخين ومفسِّري الكتاب المقدس وشارحيه. وكان متى على بيّنة تامّة من وجودها قائمة في «جليل الامم.«

ثالثاً – كان هناك أيضاً أيام المسيح ومتى مدينة أخرى باسم «بيت لحم»، وهي بيت لحم المعروفة اليوم، والتي تقع في أرض اليهودية، في جنوب فلسطين، على بعد حوالى 12 كلم الى الجنوب من مدينة أورشليم. وهذه المدينة اليهودية بنيت في أواخر القرن الرابع أو في أوائل القرن الثالث قبل المسيح. وهكذا يكون الفرق بين انشاء مدينتي بيت لحم لا يقل عن تسعمئة سَنة!

رابعاً – إن متى (أو نسّاخه المتأخّرين من المسيحيّين المتهوّدين...)، كي يبرهن لإخوته اليهود الذين لم يؤمنوا بعد بالمسيح، ان المسيح هو مسيحهم وانه ولد في أرضهم، <u>حذف عبارة «أفراته» التي كانت ملازمة دوماً وأبداً لبيت لحم الكنعانية في «جليل الامم«</u>، <u>واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا أو ولايات يهوذا«</u>، حتى يظهر ان المسيح ولد في ارض اليهود وبينهم. والعجيب حقاً، أن متى تصرّف متلاعباً بنص آية ميخا النبي (5: 1) والتي تقول: «وانتِ يا بيت لحم «أفراته» إنكِ أصغر عشائر يهوذا، ولكن منكِ يخرج لي من يكون متسلّطاً على إسرائيل...». إذاً إن المسيح سوف يولد في: بيت لحم «أفراته». غير أن متى حذف عبارة «أفراته»، وتلاعب بالنص مقترفاً ثلاثة تحويرات في جملة واحدة! فجاء استشهاده بالنبيّ ميخا على هذا الشكل: «وأنتِ يا بيت لحم (حذف هنا عبارة «أفراته»)، أرض يهوذا (ليسَ في نص ميخا «أرض يهوذا»)، لستِ أصغر (في نص ميخا: إنكِ أصغر) ولايات يهوذا (ليسَ في نص ميخا «ولايات يهوذا» بل «عشائر يهوذا»)، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل... (متى 2: 6). ثلاثة تحويرات واضحة جداً في آية واحدة! وقد يصل التحوير الى حد التناقض. أولاً حذف متى عبارة «أفراته»، وهي ضرورية للتعريف

ببيت لحم الكنعانية في «جليل الأمم». ثم أضاف متى عبارة «أرض يهوذا وولايات يهوذا»، وليسَ في نص ميخا لا عبارة «أرض يهوذا» ولا عبارة «ولايات يهوذا»، بل هناك عبارة «عشائر يهوذا». وبين عبارة «إنكَ أصغر» عند ميخا، وعبارة «لستِ أصغر» عند متى، فرق كبير، وكبير جداً. على هكذا تحويرات تاريخية وجغرافية فاضحة، بنى متى تحديد موقع ولادة يسوع المسيح! ولقد أخذ المسيحيّون عن متى وبنوا، على هكذا تحويرات تاريخية وجغرافية فاضحة، موقع ولادة يسوع المسيح: في بيت لحم اليهودية. وهكذا منذ ألفي سَنة الى اليوم!؟

خامساً – كان متى إذاً عارفاً، مع غيره، تمام المعرفة، بوجود بيت لحم الأخرى، الكنعانية الجليلية، وبأنها تدعى بيت لحم «أفراته»، والاّ لما حذف عبارة «أفراته» الملازمة لها دوماً وأبداً. وكان يعرف تماماً أيضاً – وكان هذا هو الواقع على الأرض – أن بيت لحم اليهودية لا تُعرف أبداً ببيت لحم «أفراته»، والاّ لترك عبارة «أفراته»، واعفى هكذا نفسَه وأعفى التقليد المسيحي طوال ألفي سنة من هذه التحويرات التاريخية والجغرافية الفاضحة. وهكذا جعل متى يسوع المسيح يولد – والمسيحيّون من بعده – في بيت لحم اليهودية، في أرض يهوذا، في جنوب فلسطين، ضد كل القرائن والدلائل التاريخية والجغرافية. وقد نجح... الى حين. أما الحقيقة، كل حقيقة، فلا بد لها من ان تظهر يوماً!

سَادساً = لو لم يحذف متى عبارة «أفراته» من النصّ الأصليّ لنبؤة ميخا، ولو لم يحوّر الآية بكاملها، ماذا كان حصل؟ كان حصل ان اليهود الذين كتب لهم متى إنجيله – ومن بعدهم المسيحيّون والعالم أجمع – كانوا قد قرأوا نصّ نبؤة ميخا كما هو، دون تحوير، وتبيّنوا، بكل بسَاطة ووضوح وتحديد، ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم «أفراته»، المدينة الكنعانية الفينيقية – اللبنانية، في جليل «الأمم»، بين «الغويم» أي بين «الوثنيين»!؟ وكيف يكون ذلك؟ هل يولد المسيح بين «الأمم»، بين «الوثنيين»؟ وهل يكون هذا المسيح «الكنعاني الأمميّ والوثنيّ» هو مخلّص اليهود، ومسيحهم المنتظر، الذي يحرّرهم وينتصر على أعدائهم ويجعلهم يستعبدون جميع الناس؟؟ لو فعل متى ذلك، لما صدّقه أحد، لا من اليهود ولا من المسيحيّين المتهوّدين. وأكثر من ذلك، لكانوا قد رجموه

حتى الموت مثل اسطفانوس. ولكن متى كتب ما كتب، فحذف ما حذف، وأضاف ما أضاف، وعنه أخذ المسيحيّون حتى يومنا هذا. مع العلم، أنه كان هناك مسيحيّون كثيرون، ظلوا يجادلون اليهود والمسيحيّين المتهوّدين، طوال القرون الثلاثة الأولى للمسيحية، حول علاقة يسوع المسيح بذرية داود، وحول مكان ولادة المسيح، هل كانت ولادته في بيت لحم اليهودية أم لا!؟...

هذه الحقائق الآنفة الذكر، أحببنا أن نركّز عليها، مكرّرين عن قصد، بعض النصوص والأقوال والشروحات، وذلك لأهميتها البالغة والمباشرة في هذا الموضوع بالذات، وبالتالي في هذه الدراسَة الجريئة. فقد ترسخت هذه التقاليد في عقول وذاكرات المسيحيّين، جماعات وأفراداً، طوال ألفي سَنة! أفليس، بالتالي، من الصعب، والصعب جداً، أن يغيّروا، بين ليلة وضحاها، ما كان قد تراكم في مفاهيمهم طوال قرون عديدة؟ وفي الحقيقة، كانت هذه هي الغاية من الإعادة والتكرار في هذه الدراسّة الجديدة. وللمرة الألف، هذه الدراسَة هي دراسَة علمية: تاريخية وجغرافية وآركيولوجية، ولا علاقة لها إطلاقاً، لا من قريب ولا من بعيد، لا بشكل مباشر، ولا بشكل غير مباشر، بالدين واللاهوت ومعتقدات وتعاليم أمنا الكنيسة الكاثوليكية، التي هي «عمود الحق وأسَاسَه» (الأولى الى طيموتاوس 3: 15.(

وإذا عدنا الى المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح فإنها لم تكن داخل بيت لحم أفراته بل على مسَافة منها، على طريقها، في مكان ناءٍ وموحش وبعيد عن السكن والمنازل، حيث كان الرعيان يرعون قطعانهم. هكذا التقاليد الشفهية القديمة، وهكذا الاناجيل القانونية نفسَها: «فولدت ابنها البكر، فقمّطته واضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة... وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية، يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم... فجاؤوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود...». وهكذا الاناجيل المنحولة، وخاصة منها أناجيل الطفولة، تتحدث جميعها عن المكان المنعزل الذي كانت فيه مغارة الميلاد. فقد جاء مثلاً في إنجيل يعقوب القديم، في هذا الموضوع، ما يلي: «وعندما بلغوا نصف الطريق الى بيت لحم قالت مريم ليوسف:

أنزلني عن الحمار فقد حان وقت الولادة. فانزلها يوسف وقال: الى اين يمكن أن نلجأ؟ ان المكان قفر ههنا ...ووجدوا هناك مغارة فدخلوها...». (إنجيل يعقوب القديم 17-18). وفي إنجيل منحول آخر، هو إنجيل يوسف النجّار نجد ايضاً ان يسوع ولد على طريق بيت لحم وليسَ في داخل بيت لحم. والملفت حقاً ان ولادة يسوع قد تمت، بحسَب هذا الانجيل، في قبر راحيل بالذات! فيسوع نفسَه يروي لتلاميذه كيف واين ولدته أمه مريم العذراء فيقول: «وولدتني أمي على طريق بيت لحم، في قبر راحيل، امرأة يعقوب، التي هي أم يوسف وبنيامين...» (إنجيل يوسف النجّار، الفقرة 7 – راجع ف. كيريه «الاناجيل المنحولة – انجيل يوسف النجار»، ص 99 مع الحواشي والشروحات). نشير الى التوافق التام بين هذا النص والنصوص الأصلية في سفر التكوين، فيما يخصّ موقع قبر راحيل: على طريق بيت لحم. وجدير بالذكر أن هذا الانجيل، في كلامه على أحداث الميلاد، لا يذكر كلمة «أرض يهوذا» أو «اليهودية»، لا من قريب ولا من بعيد. وعندما يورد عبارة «بيت لحم»، التي على طريقها ولد يسوع، لا يذكر بعدها لا عبارة «أرض يهوذا» ولا عبارة «اليهودية». وهكذا العديد من الأناجيل المنحولة والمؤلفات المسيحية القديمة!...

وهكذا أيضاً آباء الكنيسة الأولون وتلاميذهم، والمؤرخون المسيحيّون فيما بعد، والتقليد المسيحيّ الشامل في الشرق والغرب والمستمر الى يومنا هذا، كلهم يجمعون على ان يسوع ولد في الطريق الى بيت لحم. فالقديس والشهيد جوستين، أحد أوائل وكبار آباء الكنيسَة الاولين يقول بالحرف الواحد في كتابه «حوار مع تريفون» (155-160): «ودخل يوسف ومريم وهي حامل مغارة بالقرب من بيت لحم...». وهكذا العديد من مؤرخي العرب والمسلمين، ومنهم خاصة الطبري والمسعودي وابن خلدون وغيرهم. والقرآن الكريم نفسَه أيضاً يتحدث عن المكان البعيد عن السَكن الذي ولد فيه عيسَى بن مريم فيقول: «فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا. فجاءها المخاض الى جزع النخلة...» (سورة مريم 19، 21-22.(

وهكذا إذاً، هناك اجماع تام على ان يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم نفسها، بل على مسافة منها، على طريقها، وبالأحرى في مكان ناءٍ موحش وبعيد عن البيوت والمنازل. فاذا كان الوضع على هذه

الحال، فكيف، يا ترى، تكون مغارة الميلاد المعروفة اليوم قائمة في وسط مدينة بيت لحم اليهودية في جنوب أورشليم؟ كيف يكون ذلك؟ الكل يرى ويشاهد ويعرف ويزور مغارة الميلاد في وسَط بيت لحم. ولا حاجة الى برهان على الاطلاق. انه الواقع الحسي على الأرض، وعلى الملأ، أمام النظر والبصر. إنها حقيقة ملموسَة: مغارة الميلاد موجودة في وسَط بيت لحم بالذات، وليسَ بالقرب من بيت لحم، ولا على طريقها، ولا على مسَافة منها، بل في وسَطها تماماً. وكون مغارة الميلاد موجودة – كما هي الحال اليوم – في وسَط مدينة بيت لحم، يناقض تماماً ما جاء في التقاليد القديمة وفي جميع اسفار الكتاب المقدس، القديمة والحديثة. وكيف حصل ذلك؟ ومتى؟ ولماذا؟ ان تحديد موقع ولادة يسوع المسيح في وسَط بيت لحم يناقض تماماً الموضوعية التاريخية والجغرافية بشكل فاضح. إن جميع كتبة العهد الجديد، من كتبة الاناجيل القانونية الى كتبة الاناجيل المنحولة الى آباء الكنيسة الأولين الى مؤرخي القرون المسيحية فيما بعد، جميعهم يقولون بوضوح ان يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم كما يظنّ الناس اليوم، بل خارج بيت لحم، على طريق بيت لحم، وعلى مسَافة منها، في مكان موحش بعيد عن البيوت والمنازل. والحال اننا نرى بأم العين اليوم أن مغارة المهد أو مغارة الميلاد موجودة في وسَط مدينة بيت لحم. وأكثر من ذلك، فإن جميع المؤرخين من قدماء وحديثين ومعاصرين، يجمعون على أن قرية ثم بلدة ثم مدينة بيت لحم قد انطلقت وامتدت وتوسعت في جميع الجهات انطلاقاً من نقطة الوسَط والمحور التي هي مغارة المهد !ويشهد على ذلك أيضاً الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة لبيت لحم (فلتراجع هذه الخرائط من مخطوطة ومطبوعة بجميع اللغات.(

وبالاضافة الى العديد من المؤرخين والشارحين والعلماء المعاصرين الذين يؤكدون ان المسيح لم يولد في داخل قرية بيت لحم، بل خارجها، بالقرب منها، على طريقها، وعلى مسَافة منها، نودّ أن ننقل قولاً مميّزاً «لادغار كايسي» أحد الرائين الروحانيّين الكبار في عصرنا. يقول معلقاً على انجيل لوقا 2: 7 «لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة»: «إن صاحب المضافة، الذي ذكره لوقا، لم يستقبل يوسف ومريم الحامل لأنه

كان يريد حمايتهما والطفل من جنود الرومان وكهنة اليهود والفضوليّين من عامة الناس... وسَبب ذلك ان الاسينيّين والجماعات الروحية الجليلية كانوا قد أطلعوه عن سر حبل مريم العذراء وعلى طبيعة المولود ورسَالته الروحيّة السَامية... وقد أرسَل صاحب المضافة هذا، زيادة في السريّة والحماية والاهتمام، ابنته سَارة كي تسَاعد مريم العذراء في ولادة ابنها... وهكذا تبقى قضية الولادة العجيبة بعيدة عن عيون الفضوليّين والجواسيس والمقرّبين من السلطات الرومانية واليهودية... وقد تمّت ولادة الطفل بسريّة بعيداً عن بيوت الناس...» (البحاثة دوروتى كوكلين دى بيزمون في كتابها بالفرنسيّة: «عالم إدغار كايسي»، الجزء الاول، ص 326!)

ويتبيّن من الانجيل المقدس نفسَه ان ولادة يسوع قد تمت، ليسَ في داخل بيت لحم، بل في خارجها، بالقرب منها وعلى طريقها، في مكان أقرب الى البرّية ومراعي القطعان منه الى البيوت والمنازل...

فقد جاء في انجيل لوقا ما يلي:

...»وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرّية، يتناوبون السَهر على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الربّ حولهم، فخافوا خوفاً شديداً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا، ها إني أبشّركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كلّه: ولد لكم اليوم مخلّص... واليكم هذه العلامة: سَتجدون طفلاً ومقمّطاً مضجعاً في مزود... وجاء الرعاة مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود... ولما رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل... ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله ويسبّحونه على كل ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم...» (إنجيل لوقا 2: 8-20). وهكذا يظهر بوضوح من النصّ الانجيلي نفسَه ان الولادة لم تتمّ في داخل بيت لحم بل خارجها، في مكان أقرب الى البرّية والمراعي منه الى المنازل والبيوت.

منذ القدم، كان هناك الى الجنوب من مدينة «يبّوس» الكنعانية (أورشليم فيما بعد)، وعلى بعد حوالي 12 كلم منطقة تكثر فيها المغاور الصغيرة. وفيما بعد، وبسَبب الغزوات والحروب أقام الكنعانيون في تلك المنطقة حصنا عسكرياً صغيراً أسَموه «بيت لحم» (واللفظة كنعانية تعني في الأصل: مقام إله المزروعات والخبز، ثم مكان الخبز؛ لَحْمُوْ = خبز). دُمّر

هذا الحصن ورمّم أكثر من مرّة. وقد ورد ذكر هذا الحصن – بيت لحم – لأول مرّة في الكتاب المقدس، في العهد القديم، في سفر صموئيل الثاني 2: 32 ثم في 19: 38-40. وكانت مغاور بيت لحم هذه، مع غيرها من مغاور برّية يهوذا، تستعمل ملجأً للخارجين على القانون. فقد جاء في صموئيل الاول (22: 1-2) ما يلي: «وانصرف داود من هناك (من نوب في شرق أورشليم) ولجأ الى مغارة عدلاّم (القريبة جداً من مغاور وحصن بيت لحم). فلمّا سَمع إخوته وكلّ بيت أبيه، نزلوا اليه الى هناك. واجتمع اليه كل صاحب ضيق وكل من كان عليه دين وكل من كان في مرارة نفس، فكان عليهم رئيساً وصار معه نحو أربع مائة رجل...». وتعلق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: «استعملت منذ زمن بعيد مغاور برية يهوذا ملجأ للخارجين على القانون...» (ص 562 الحاشية رقم 1 – وقد جاء ذلك تحت عنوان: داود رئيس عصابة...)! ومن جهة ثانية، يظهر من النصّ والتعليق معاً ان داود لم يكن، في الحقيقة، من مدينة بيت لحم كما يقول التقليد المتأخر والذي يستند الى زيادات وتعليقات النسّاخ المتأخرين... فلو كان من مدينة بيت لحم لما أتى اليه من الشمال إخوته وكل بيت أبيه ونزلوا اليه الى هناك الى عدلاّم. وعلى كل حال، لم يكن هناك مدينة اسمها بيت لحم في أرض يهوذا في ذلك الوقت، بل كان هناك حصن عسكري مع بعض المغاور الصغيرة. وقد احتل، فترة من الزمن، هذا الحصن وهذه المغاور، الجيش الفلسطيني في حروبه مع اليهود. (راجع صموئيل الثاني 23: 14). وبعد تنصيبه ملكاً على يهوذا، بنى داود بالقرب من حصن ومغاور بيت لحم خاناً لكمهام ابن برزلاّي صديقه ومعاونه في حروبه (راجع صموئيل الثاني 19: 38-40، وارميا 41: 17). دُكَّ الحصن بيت لحم وخربت المغاور المحيطة به، أثناء حملة الملك المصري شيشانق الأول (950-929) الى فلسطين كما هو منقوش على «نُصُب مجدّو». وقد حصلت هذه الحملة في السَنة الخامسَة لملك رحبعام، ملك يهوذا (933-916)، أي في السَنة 928 ق.م. (راجع سفر الأخبار الثاني 12: 1) وفي أعقاب حملة شيشانق هذه، رمّم الملك رحبعام الحصن أو القلعة التي تدعى بيت لحم كما جاء في سفر الأخبار الثاني 11: 5-12، وكما تؤكد النسخة الجديدة في تعليقها على هذا النص، ص 792، الحاشية رقم 1.

وخرب هذا الحصن من جديد أثناء حملة نبوكد نصّر على اليهوديّة في أوائل القرن السَادس قبل الميلاد. بعد العودة من الجلاء الى بابل بدأ اليهود ببناء قرية عند حصن بيت لحم والمغاور الصغيرة المحيطة به، وكان ذلك في أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وظلت بيت لحم قرية صغيرة حتى أيام المسيح. وبعد خراب هيكل أورشليم سَنة 70 بعد المسيح، تشتت اليهود في بلدان حوض المتوسط، ومُنعوا لفترة طويلة من الدخول الى أورشليم والمناطق المحيطة ومنها بيت لحم اليهودية. وهكذا سَيطرت الديانة الرومانية في هذه المنطقة فترة طويلة من الزمن. وفي سَنة 135 أقام الملك أدريانوس تماثيل لآلهة الرومان في الأماكن المقدسة اليهودية والمسيحية، وغابة باسم أدونيس فوق مغاور بيت لحم، وفي وسَط الغابة تمثال كبير لهذا الإله الشاب. وبعد انتصار الملك قسطنطين الكبير، وإعطائه الحرية للديانة المسيحيّة في كلّ أرجاء أمبراطوريته، أرسَل فأزال التماثيل وكل معالم الوثنية من الأراضي المقدسة المسيحية. وفي سَنة 326 أقام كنيسة كبيرة، في بيت لحم اليهودية، فوق المغارة التي قيل له إن المسيح ولد في داخلها... وقد استند في ذلك على أقوال المسيحيّين المتهوِّدِين وبعض الحجّاج من النساء التقيات، والتفسيرات التقوية الشعبية المتسرّعة. بعد ذلك، جاءت أقوال أوسَابيوس القيصري والقديس ايرونيموس والرحالة السَيّدة إتيريا وغيرها، وهكذا تَكَوَّنَ التقليد المسيحي، الباقي الى اليوم، والقائل ان يسوع المسيح ولد في مغارة في بيت لحم اليهودية. وهذا التقليد لم يستند الى أي أسَاس أو برهان أو دليل علميّ تاريخيّ وجغرافيّ ثابت ومحقّق، على الاطلاق!؟ وفي هذا الموضوع، تقول المؤرخة وعالمة الآثار الايطالية ماريّا تيريزا بتروتزي: «من المستحيل ان نعرف اليوم، بشكل دقيق ومحدّد، اين ولد السيّد المسيح! هل ولد فعلاً في إحدى المغاور الصغيرة في بيت لحم أم في مزود في زاوايا إحدى المضافات...؟!» («بيت لحم»، مطابع الفرنسيسكان، أورشليم، الترجمة الفرنسية 1985، طبعة جديدة ومنقّحة، ص 83). وتضيف عالمة الآثار فتقول: «إن مغاور بيت لحم – ومنها مغارة المهد – كانت تستعمل كمقابر في القرون الاولى الثلاثة بعد المسيح...» (ص 94)! فإذا كانت مغارة الميلاد في بيت لحم تستعمل

كمدفن للأموات طوال هذه القرون، فهل يعقل أن يجعلوا من مهد المسيح مقبرة؟ وبقيت الأمور على هذه الحال الى زمن الملك قسطنطين الكبير. فبعد انتصاره وإعطائه الحرية للديانة المسيحية أراد ان يكرّم الأراضي المقدسة حيث عاش ومات السيّد المسيح، وخاصة مكان مولده وصلبه وقيامته، فبنى كنائس في هذه الأمكنة الثلاثة. وفيما يخصّ مكان الميلاد فكان من الطبيعي جداً ان ينفّذ تعليمات الكنيسة المسيحيّة الرسمية المحلية التي كانت آنذاك «كنيسة الختان»، التي تحدثنا عنها، أي كنيسة المسيحيّين المتهوّدين. وهم الذين حدّدوا – دون أي أساس تاريخيّ أو جغرافيّ – مولد المسيح في بيت لحم اليهودية، وليسَ في بيت لحم الجليل، فقط ليبرهنوا لإخوتهم اليهود الذين لم يكونوا آمنوا بالمسيح بعد، بأن يسوع ولد بين اليهود، أي في بيت لحم اليهودية، وانه هو مسيح اليهود ومخلّصهم المنتظر... وهكذا، أقام الملك قسطنطين، عام 326، كنيسة كبيرة فوق المكان الذي قيل له إن المسيح ولد فيه، أي فوق «مغارة المهد» في بيت لحم اليهودية. وبهذا الشكل، تكرّس، بشكل علني وحسِّي، التقليد القائل بأن يسوع المسيح ولد في بيت لحم اليهودية. وما زال هذا التقليد باقياً الى اليوم. وهذا التقليد نفسَه هو الذي تحاول هذه الدراسَة، التاريخية والجغرافية، أن تنقضه وتبطله وتلاشيه، وتبرهن ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم الجليل، وبالتحديد في مغارة بالقرب منها، في إحدى المغاور التي تحدثنا عنها آنفاً والتي كانت في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وكان جبل الكرمل مع جميع سفوحه ومغاوره، في ايام الميلاد، تابعاً لفينيقية – لبنان. وهكذا يكون يسوع المسيح ولد في لبنان! أجل! في لبنان. «ومن له أذنان سَامعتان فليسمع»، ثم فليذهب ويراجع الخرائط.

وإذا عدنا الى مغاور بيت لحم اليهودية نجد ان التقليد المسيحي المتهوّد القديم إياه، كرّس واحدة من هذه المغاور الملاصقة لمغارة المهد، كرّسها لأطفال بيت لحم الشهداء الذين قتلهم الملك هيرودس، بحسَب التقليد القديم إياه... وقد تأكد، بشكل قاطع، بعد حفريات وابحاث علمية قديمة وحديثة ومعاصرة، ان لا أسَاس لذلك على الاطلاق، لا من قريب ولا من بعيد. فلا الحفريات الأثرية، ولا الأبحاث التاريخيّة، ولا تواريخ ذلك العصر

وعلى راسها مؤلفات المؤرّخ يوسيفوس، أظهرت، ولو بشكل غير مباشر، أي دليل أو حتى قرينة لها علاقة من قريب أو بعيد بأطفال بيت لحم اليهودية أو مقتلهم أو قبرهم أو أي اثر لهم!؟... 0وعلى سَبيل المثال راجع كتاب العالمة الإيطالية: «بيت لحم»، ص 95.(

وتجدر الإشارة هنا الى أن هناك عدة مغاور صغيرة ملاصقة «لمغارة المهد» ومغارة «الأطفال الشهداء»، أطلق عليها اسم مغاور القديس إيرونيموس ابتداء من اوائل القرن الخامس. وذلك لأن القديس قد اختار هذه المغاور لتكون مدافن له ولأعضاء الجماعة الرهبانية التي أسَّسَها في بيت لحم. («بيت لحم»، ص 94). وبعد دفن إحدى الناسكات المدعوة باولا في إحدى هذه المغاور، كتب القديس إيرونيموس في إحدى رسائله يقول: «وبعد دفنك نقشتُ بعض الكلمات عنكِ حتى يعرف كلّ امرئٍ تصل اليه كلماتي أنني مدحت سيرتك وانك دفنت في بيت لحم...». (رسائل القديس ايرونيموس – الرسالة رقم 108، عام 404. راجع أيضاً «بيت لحم»، ص 94)! والقديس ايرونيموس دفن هو نفسَه في إحدى هذه المغاور كما كان قد أوصى قبل مماته. غير أن رفاته نقلت فيما بعد الى مدينة القسطنطينية على يد تيودوسيوس الصغير، كما يقول المؤرخ تيودوريك. كما أن أوسابيوس الكريموني تلميذ ايرونيموس دفن في مغارة ملاصقة، كما يقول المؤرخ موروزيني، الخ... (راجع كتاب: «بيت لحم»، ص 95-96). ومعروف أن القديس إيرونيموس قد أقام فترة طويلة في إحدى هذه المغاور، منقطعاً الى الصلاة والتأمل وقراءة الكتاب المقدّس... وقد كرّس حياته لدراسَة الكتب المقدسة، وترجم العهد القديم من اللغة العبرية الى اللاتينية، وهذه الترجمة معروفة الآن «بالشعبيّة « Vulgate».«وتوفي ايرونيموس سَنة 420.

وهناك مغاور أخرى في جوار بيت لحم، باقية الى اليوم، منها «مغارة الحليب» أو «مغارة سَتنا مريم». ويروي التقليد الشعبي أن مريم العذراء توقفت هنا لارضاع ابنها الطفل يسوع، وهي في طريقها الى مصر، هرباً من وجه هيرودس الملك...؟! ومنها «مغارة المحوارة»، «ومغارة الرعاة» بالقرب من قرية بيت سَاحور (قرية السَاهرين). وقد عرفت مغاور بيت لحم – وخاصة مغارة المهد – وهذه المغاور المجاورة، ترميمات وتحسينات

وتوسيعات طوال قرون عديدة وعلى فترات متعاقبة. وقد كسيت بالطنافس والأقمشة الفاخرة، وأقيمت فيها المذابح وملئت أرجاؤها بالتماثيل والصور والتقدمات والنذور، حتى تغيّرت معالمها وتشوّهت صورتها الأصلية، وسَيطرت الأشكال الخارجية والمظاهر... وهكذا خاصة «مغارة الميلاد» أو «مغارة المهد» المزعومة!

والملفت حقاً، أنه رغم وجود مغاور عديدة في جوار بيت لحم، «بالقرب من بيت لحم» وعلى «طريق بيت لحم»، لم يختاروا كمغارة لميلاد يسوع المسيح الاّ واحدة موجودة في وسَط بيت لحم بالذات !ومعروف ان هذا الاختيار الملتبس حصل في أواسط القرن الرابع! ولكنه يتناقض تماماً مع التقاليد والأسفار في العهدين القديم والحديث. فجميع هذه تقول وتكرر ان المخلَّص – يسوع المسيح – يولد، وقد ولد فعلاً، ليسَ في داخل بيت لحم، بل «على مسَافة من بيت لحم»، «على طريق بيت لحم»، «بالقرب من بيت لحم». ومرّة أخرى نقول ونكرر: إن «مغارة المهد»، المعروفة اليوم، هي موجودة في قلب بيت لحم (اليهودية)، في وسَط بيت لحم. ومن له عينان مبصرتان فلينظر! أما الحقيقة التاريخية فهي غير ذلك، رغم الطمس المقصود والتناسي والجهل الموروث والخوف... إن يسوع المسيح لم يولد في وسَط بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين، بل ولد فعلاً – كما تقول جميع الكتب – «على طريق بيت لحم» الجليل، «على مسَافة من بيت لحم»، «وعلى طريق بيت لحم»، في مغارة بيت لحم، عند السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، هذا الجبل الذي كان هو وجميع سفوحه – في أيام الميلاد بالذات – داخل أراضي فينيقية – لبنان! أجل! إن يسوع المسيح قد ولد، في الحقيقة، في أرض لبنان.

وزيادة في التحديد الجغرافي لموقع المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح، نوضح انه كان هناك طريق عادية قديمة العهد يسلكها الناس تسَمّى «طريق بيت لحم»... وهي تنطلق من حيفا، من شاطئ البحر المتوسط، وتتّجه صعداً، بمحازاة نهر قيشون، الى منطقة لجّون في جنوب غربي الناصرة وتمر قريباً من بيت لحم الى جهة الجنوب. كانت هذه الطريق معروفة في العهد الكنعاني، وقد سَلكها فيما بعد الرومان أيام المسيح، وهي ظاهرة في جميع الخرائط الجغرافية الى يومنا هذا...

وأهمية هذه الطريق ظاهرة للعيان. فهي، من جهة، تحازي السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل بحيث تحيط بقسم كبير من الجبل، ومن جهة ثانية، تؤمن الاتصال الأقرب والأسهل بين شاطئ البحر والمناطق الداخلية لبلاد الجليل. والى الجانب الجنوبي من هذه الطريق، «طريق بيت لحم»، وفي السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، كان هناك مغاور طبيعية – عملت فيها أو في بعضها، يد الإنسان فيما بعد – باقية الى يومنا هذا، وقد تحدثنا عنها سابقاً مع شيء من التفصيل... ففي إحدى هذه المغاور بالذات ولد يسوع المسيح! وهو ولد إذاً، ليسَ في داخل مدينة بيت لحم كما هي الحال بالنسبة الى «مغارة المهد» المعروفة اليوم، بل على مسَافة من بيت لحم، خارج بيت لحم، وعلى «طريق بيت لحم». وبالتحديد في مكان منعزل بعيد عن منازل وبيوت الناس، وفي منطقة ترعى فيها القطعان... والقطعان ترعى عادة بعيداً عن مناطق السَكن. حتى ان الانجيل نفسَه يقول عن مكان المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح بالحرف الواحد: «... وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية... يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم...» (لوقا 2: 8). وفيما يخصّ «طريق بيت لحم»، راجع: خرائط الجليل القديمة المفصّلة، بجميع اللغات، الخرائط المخطوطة والمطبوعة على السَواء...

كنيسَة «المهد» في بيت لحم المعروفة اليوم

تقع هذه الكنيسَة في قلب مدينة بيت لحم، هذه المدينة التي امتدت اطرافها انطلاقاً من كنيسة المهد. تحيط بالكنيسة جدران الأديرة الثلاثة: الفرنسيسكان والروم الأرثوذكس والأرمن الأورثوذكس. يبلغ طول الكنيسة 54 متراً بعرض 26 متراً، وتقسَم الى خمسَة أروقة. أما «مغارة المهد» فتقع تحت صحن الكنيسة، نصل اليها من خلال درجين من الحجر يؤديان إليها عن جانبي المذبح.

وكنيسة المهد هي، في الحقيقة، مجموعة كنائس تتمحور حول «مغارة المهد»، أي حول المكان الذي يظن ان يسوع المسيح ولد فيه... نصل أولاً الى باحة الكنيسَة، فنشاهد الواجهة وقد سدّت أبوابها الثلاثة في عهد الصليبيّين وفي زمن الأتراك أيضاً، وذلك بموافقة المسيحيّين، ليمنعوا دخول العسكر الى الكنيسة وهم على ظهور الخيل...

الكنيسَة الحالية هي من عهد الملك قسطنطين الكبير شيّدها عام 326. دمّرها السامريّون عام 529. وقد أعاد ترميمها الملك يوستنيانوس عام 540. نجت الكنيسَة من التهديم في زمن الاحتلال الفارسي بفضل الرسوم الجدرانيّة على واجهة الكنيسَة الداخلية، والتي تمثل مجوس الفرس، الذين اتوا ليسجدوا للطفل يسوع ويقدّموا له الهدايا.

تقوم كنيسَة المهد الحالية على أنقاض كنيسَة الملك قسطنطين اكبير. وربما تعود الأعمدة الى زمن قسطنطين أيضاً والتي أعاد يوستنيانوس استعمالها من جديد. والزخرفة الحالية هي من عمل الصليبيّين. اما الجدران الجانبية والخورس المزيّنة كلّها بالفسَيفسَاء، فلم يبقَ منها اليوم سوى القليل. الحائط الأيمن عليه رسوم تبيّن سلالة المسيح... وتنتهي برسم شجرة السلالة في الحائط المواجه. والحائط الشمالي يبرز بعض المجامع المسكونية التي تكلّمت على شخص السيّد المسيح. على الجدار الفاصل، ما بين الخورس وصحن الكنيسَة، توجد بقايا رسم الصعود ودخول المسيح الى أورشليم يوم الشعانين. وفي أرض الكنيسة في الوسط يمكننا رؤية أجزاء من بقايا فسَيفسَاء كنيسَة الملك قسطنطين الكبير...

في يومنا هذا، لا أحد يؤكّد – من العلماء والمؤرخين ومفسِّري الكتب المقدسة – بأن يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، أي الى الجنوب من أورشليم وعلى بعد حوالي 10 كلم. غير أن لا أحد يقول – أو يجرؤ على قول – عكس ذلك!؟ جميعهم يميلون الى الاعتقاد بأن يسوع ولد في الجليل وليسَ في اليهودية وذلك انطلاقاً من القرائن التاريخية والجغرافية وعلى ضوء النقد التاريخي الحديث.
البعض منهم – على خطى رينان وبعض المؤرّخين القدماء – يقول إن المسيح ولد في الناصرة، ثم جاء التقليد الشعبي فيما بعد ونقل مكان الولادة من الناصرة الى بيت لحم اليهودية لتتوافق ولادة المسيح المخلص مع بيت لحم يهوذا مدينة داود... (راجع، على سَبيل المثال، شارل بيرّو «أحداث طفولة يسوع»، ص 51). والبعض الآخر يقول ان يسوع ولد في الجليل، دون ان يحدّد بالضبط مكان الولادة. (راجع، على سَبيل المثال، شارل غينيوبير «يسوع»، منشورات البين ميشال، باريس، 1969، الفصل الثالث، ص 87-93). ومنهم أخيراً من بدأ يلمّح، بشكل غير مباشر، بان يسوع ولد فعلاً في بيت لحم الشمال، في الجليل، قرب الناصرة. من هؤلاء المعاصرين الكاثوليكي المعروف «جاك دوكين»، فهو يقول:
"Pour lui (Matthieu) aussi, Jésus est né à Bethléem et, comme Luc, il précise "de Judée". La précision n'est pas fortuite, et elle n'était pas destinée aux érudits de ces temps-ci qui se demandent parfois si le Bethléem de la naissance n'est pas une autre localité portant le même nom et située, elle, à une dizaine de kilomètres de Nazareth, donc en Galilée. Ce qu'il s'agit de prouver, pour Luc et matthieu... (qui, puisqu'ils ont tenu à le préciser, connaissaient l'existence de l'autre Bethléem...), c'est que la naissance de Jésus accomplissait les promesses faites par Dieu à Israël..." (Jacques Duquensne, "Jésus", page 54).!!

هذا النص الموضوعيّ الجريء لأحد كبار واضعي حياة يسوع المعاصرين، يمكن تعريبه على الشكل التالي:

»وبحسَب متّى أيضاً ولد يسوع في بيت لحم، وعلى غرار لوقا، يوضح متى فيقول: في «بيت لحم اليهودية». وهذا التوضيح ليسَ عاديّاً، ولم يكن موجهاً الى المثقّفين والعلماء في ذلك العصر (!) الذين كان بامكانهم ان يتسَاءلوا ما إذا كانت بيت لحم الحقيقية حيث ولد فعلاً يسوع، في مكان آخر يحمل نفس الاسم، ويقع على بعد حوالي 10 كلم عن الناصرة، إذاً في الجليل .والامر الذي يحاول متى ولوقا أن يثبتاه (وبما أنهما يركّزان على تحديد مكان الولادة، فهذا يعني أنهما كانا على علم بوجود بيت لحم الاخرى(...، هو أن ولادة يسوع قد تمّت بحسَب المواعيد التي أقامها الله مع إسرائيل...»!! (جاك دوكين «يسوع»، صفحة 54.(

يمكن أن نتبيّن من النصّ أموراً هامّة منها:

أولاً :يحاول متى ولوقا معاً أن يحدّدا مكان ولادة يسوع في أرض اليهوديّة أي في أرض يهوذا في جنوب فلسطين: «في بيت لحم اليهودية»، بالقرب من مدينة أورشليم...

ثانياً :هذا التحديد لمكان ولادة يسوع موجّه الى الشعب وعامة الناس، وليسَ موجهاً الى العلماء والمؤرّخين الذين بامكانهم ان يبرهنوا ان يسوع ولد فعلاً في مكان آخر يحمل نفس الاسم (بيت لحم) ويقع على بعد حوالي 10 كلم عن الناصرة في الجليل: اذاً في بيت لحم الجليل، في شمال فلسطين وليسَ في جنوبها، أي بيت لحم الأصلية الحقيقية موضوع هذه الدراسَة.

ثالثاً :هناك اذاً بالفعل، وعلى الأرض، بيت لحم ثانية، غير بيت لحم المعروفة اليوم، وهي قريبة جداً من الناصرة الى جهة الغرب.

رابعاً :كان متى ولوقا يعرفان تماماً بوجود بيت لحم هذه الجليلية، ولذلك حاولا التركيز بدقة عى ولادة يسوع في بيت لحم «اليهودية.«

خامساً :إن الهمّ الأسَاسي عند متى ولوقا من تحديد مكان ولادة يسوع في ارض اليهودية، لم يكن أبداً من النوع التاريخيّ والجغرافي الموضوعي، بل كان محاولة إقناع الشعب وعامة الناس فقط...، من اليهود غير المؤمنين بالمسيح، بأن يسوع هو مسيحهم ومخلّصهم المنتظر، وبأنه ولد فيما بينهم، قرب أورشليم، في أرض اليهودية، وفي بيت لحم بالذات «مدينة داود»... الخ... خلاصة القول، اذا اعتمدنا التاريخ والجغرافية بشكل علميّ موضوعيّ ومجرّد، فإن يسوع المسيح لم يولد فعلاً في بيت لحم اليهودية، كما هو معروف اليوم، بل في مغارة بالقرب من بيت لحم الأخرى، قرب الناصرة، في الجليل – «جليل الامم»! وفي أرض لبنان بالذات. جاك دوكين يلمّح الى ذلك تلميحاً، ولا يجرؤ على أكثر من ذلك. أمّا نحن فنؤكد ذلك علناً، بالفم الملآن، وعلى سَمع العالم أجمع!...

يقول العالم الكاثوليكي، شارل بيرّو، أحد كبار مفسّرِي كتب العهد الجديد، في دراسَة حديثة جداً حول بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، وحول إمكانية ان يكون المسيح قد ولد فيها فعلاً أم لا، يقول ما تعريبه، بالحرف الواحد، ما يلي:

»إن كتابة أحداث طفولة يسوع في متى 1-2، ولوقا 1-2، جاءَت نتيجة دوافع مختلفة. وإذا كان الإنجيل الاول، زمنياً، أي إنجيل مرقس، يظهر بالدرجة الأولى وكأنه إقرار بالإيمان (بيسوع المسيح) في صياغة تبشير وتعليم دينيّ من النوع التاريخيّ المستخدم عهد ذاك، فإن إعادة صياغة وكتابة إنجيل متى، وبنوع خاص إنجل لوقا، تجعل منهما، في الحقيقة، »تاريخاً مقدّساً...«

»هناك نوع من الاستباق الروحيّ في سَرد حياة السيد المسيح. ألا يظهر الطفل يسوع، في الواقع، كأنه ذلك الرجل الناضج قبل الأوان؟ وذاك الذي دعته الجماعة المسيحيّة الأولى، فيما بعد، «سَيّداً ومسيحاً» (أعمال الرسل 2: 36)، ألم يظهر وكأنه «يحمل هاتين الصفتين خلال حياته، وحتى منذ مولده؟! إن أحداث الطفولة عند متى ولوقا تحاول أن تجمع في نصوصها، دفعة واحدة، كل خطوط السرّ التي تمتد الى ما بعد موت المسيح وقيامته. وهكذا، تتجمّع، في الواقع، جميع الصفات والنعوت والميزات المسيحانية، في تلك النصوص القليلة، بغية إعطاء صورة كاملة

ولكن مسبقة للمسيح. فتظهر هكذا عبارات مثل «إبن داود» (متى 1: 1)، وما يماثلها عند لوقا مثل «داود أبوه» (1: 27)، وغيرها من العبارات، وكأنها تعلن مسبقاً، ودفعة واحدة، أن يسوع هو المسيح. وتسمية بيت لحم المعروفة اليوم باسم» مدينة داود «تدخل، هي أيضاً، في هذا الإطار المعتمد: إنها مدينة المسيح!...

»نحن نعلم مدى تركيز «الجماعات المسيحيّة المُتَهَوِّدَة» على الصفات المسيحانية الملوكية ليسوع، ممّا سَبّب بإحداث بلبلة في روما عامي 41 و49. فقد كتب المؤرّخ الروماني سيوتون يقول: «وكان هناك «بعض اليهود» في رومة الذين أحدثوا بلبلة في مجتمعهم بسَبب رئيسهم المدعو «المسيح – الملك»، كما جاء في إعلان الامبراطور كلوديوس (سَيّوتونْ «حياة كلوديوس 25: 4). وقد تسَبّب ذلك بطردهم من المدينة وعلى رأسهم أكيلاس وبرسقلّة (راجع أعمال الرسل 18: 2). ومن جهة ثانية نحن نعلم أيضاً كم كانت «هذه الجماعات المسيحيّة المتهوّدة» تسعى وتجهد كي تكتشف في يسوع الصفات والميزات التي للمسيح المخلص والذي تحدثت عنه الاسفار القديمة...

»هناك اختلافات قوية بين متى ولوقا في ما يخص بعض أحداث طفولة يسوع .منها مثلاً أن أبوي يسوع، يوسف ومريم، قد مَرَّا، بحسَب لوقا، مروراً سريعاً في بيت لحم «(لوقا 2: 7). أمّا في متى فعلى العكس إن العائلة المقدسة قد أقامت ف بيت لحم في «بيتها) «متى 2(11 :، وهي أرادت أن تعود اليها بعد الرجوع من مصر (متى 2: 22 .(والواضح أن ذكر بيت لحم عند متى ولوقا يعود الى تفكير لاهوتي من «النوع المدراشي» المستعمل عند اليهود .وهكذا فان اسم بيت لحم وتفخيمها وتعظيمها الكتابيّ كان معروفاً تماماً لدى «المسيحيّين المتهوّدين!...«

»إن لوقا، يتابع شارل بيرّو، يشدّد على بيت لحم ويسَمّيها «مدينة داود» (لوقا 2: 4 و11)، مع أن تسمية «مدينة داود» كانت تطلق، لا على بيت لحم، بل دوماً وأبداً على مدينة أورشليم، وذلك في جميع اسفار الكتاب المقدس!؟ وتفخيم وتعظيم بيت لحم اليهودية يظهران أكثر فأكثر عند متى – «والأصح عند تلاميذه – حتى يصل به الأمر الى التلاعب الواضح والتحوير الذي يصل الى حد التناقض في نبؤة ميخا الشهيرة التي

تتحدث عن المسيح المخلّص المنتظر .النصّ العبري للنبي ميخا يقول بالحرف الواحد: «وأنتِ يا بيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من «يكون متسلّطاً على اسرائيل...» (ميخا 5: 1). غير أن متى يستشهد بنبؤة ميخا هذه، ويتصرّف بها ويحوّرها فتصبح هكذا بالحرف الواحد: «وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل» (متى 2: 6)!! وهكذا فجأة تصبح» القرية الحقيرة بيت لحم اليهودية من المدائن العظيمة!...

»وجاء في التلمود اليهوديّ ما يلي: «سأل عربيّ يهودياً: ما هو اسم المسيح عندكم؟ أجاب اليهوديّ: إنه يدعى «مناحيم» (أي المعزّي) – وما هو اسم أبيه؟ «حزقيّا»، أردف اليهوديّ. ومن أين يأتي؟ سأل العربي. أجاب اليهوديّ: يأتي من بيت لحم يهوذا، المدينة الملكية (التلمود اليهودي، - الأورشليميّ – بيراكوت 5: أ). يلاحظ ان اسم والد المسيح هو حزقيا! واسم المسيح مناحيم !وبيت لحم لا تلقّب «بأفراتة» كما جاء في نبؤة ميخا...؟!

»وجاء في ترجوم اليهود ما يلي: «إن أبانا يعقوب نصب خيامه خارج «برج القطيع»، بالقرب من بيت لحم، المكان الذي يأتي منه الملك المسيح في الأيام الأخيرة...» (ترجوم أورشليم حول سفر التكوين 35: 21). وهكذا فإن اثبات كون بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، هي المدينة التي يأتي منها المسيح، يفتقر الى الأدلة والأسناد ويترك الباحث في حيرة كبيرة!...

»ومن جهة ثانية – والملفت حقاً – ان مرقس ويوحنا لا يذكران كلمة عن ميلاد المسيح، لا عن مكان ولادته ولا عن أحداث طفولته!؟ فالاثنان يبدآن إنجيلهما بحياته العلنية.

»بعد كلّ ما تقدّم، يتابع شارل بيرّو، هل يمكننا أن نطرح السؤال الخطير التالي :هل حقيقة ولد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم؟ الآراء متنوّعة ومختلفة، والوضع الحالي للمعلومات والوثائق لا يسمح بإضاءة اكثر على هذه المسألة. في إنجيلي مرقس ويوحنا لا يستدلّ أبداً ان يسوع ولد في اليهودية أو في بيت لحم اليهودية بالتحديد . بل على العكس تماماً، يظهر عند مرقس ويوحنا أن يسوع ولد في

الجليل، »جليل الأمم»، والنصوص نفسَها تشهد على ذلك. فقد جاء في انجيل مرقس ما يلي:

»وانصرف من هناك وجاء الى وطنه (الناصرة) يتبعه تلاميذه. ولما أتى السَبت اخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، قالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أما هو النجّار ابن مريم، أخو يعقوب ويوسَى ويهوذا وسمعان؟ أوليسّت أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته...» (مرقس «6: 1-47). ويوحنا، من جهته، يقول: «فقال أناس وقد سَمعوا كلام يسوع: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل «داود وإنه يأتي من بيت لحم القرية التي خرج منها داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه...» (يوحنا 7: 40-43). هذه النصوص وأمثالها تظهر المسيح جليلياً بكل معنى الكلمة، ولا توحي لا من قريب ولا من بعيد بأن المسيح هو من ذرّية داود «وبأنه ولد في بيت لحم اليهودية .وأكثر من ذلك، فعندما قال فيلبّس لنتنائيل: «وجدنا الذي ذكره موسَى في الشريعة وذكره الأنبياء، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة»، وقال له نتنائيل: «أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟» (يوحنا 1: 45-6)، عندما قيل هذا القول الواضح والمحدّد، لم ينبرِ الرسل والتلاميذ والشعب والرؤساء والنسّاخ... – لم ينبرِ أحد، على الاطلاق، ليصحّح ويقول: كلا! بل إن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية! لماذا لم يقل احد إنه ولد، لا في الناصرة، بل في بيت لحم اليهودية، لماذا؟ (والتعليق هنا هو دوماً للعالم والشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو). البعض يضفي على كلام يوحنّا هنا «أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟» طابعاً تهكّمياً موجّهاً الى اليهود الذين لا يعرفون ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية. غير أنه من الضروري إثبات أن هناك تهكّماً في نص يوحنا، اذ لا يجوز ابداً ان نجعل النص يقول ما لا يريد قوله! وبكلمة، إن صمت مرقس ويوحنا عن تحديد مكان ولادة المسيح :في بيت لحم اليهودية، وهما يمثّلان تقليدين قديمين ومستقلّين تماماً الواحد عن الآخر، هذا الصمت التام عند كليهما

يناقض بقوة الرأى الراهن الذى يقول ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية !وعندما كان المسيح في الناصرة، كان «في وطنه واقاربه وبيته» (مرقس 6: 4). غير أن الرأي القائل بان يسوع المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، كان سائداً عند «بعض الجماعات المسيحيّة المتهوّدة التي كانت تسعى بكل الوسائل والطرق لربط «المسيح – الملك» بذرّية داود الملكية، كما رأينا سابقاً... والسؤال الذي يطرح نفسَه بالحاح هنا هو التالي: هل إن رأي هؤلاء المسيحيين المتهوّدين كان يرتكز على حقيقة تاريخية وجغرافية وعائلية موضوعية ومجرّدة، أم أنه يتأتى عن تأويل تاريخي مقدّس نابع عن» صيغة «روحية مدراشيّة»، مسيحيّة – متهوّدة، للحديث عن المسيح الداوديّ؟ إن التفسير الثاني هو الأرجح !!وهكذا، ينتج عما تقدم، أنه ليسَ هناك من برهان قاطع على ان المسيح ولد حقاً في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم) !!والكلام هو دوماً لشارل بيرّو، الذي يتابع:(

»وبالاضافة الى ذلك، فإن مسألة «الإحصاء الأول الذي جرى إذ كان قيرينيوس حاكماً على سوريّة (لوقا 2: 2)، في زمن الميلاد، يضعف أكثر فأكثر الرأى السائد اليوم «والقائل بأن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية» !خاصة لأن الحلّ المترتب على هذه المسألة يصبح أسَاسياً بالنسبة الى نص لوقا هذا، لأن هذا الاحصاء بالذات، في حال حصوله في زمن الميلاد هو الذي تسَبّب بسَفر يوسف ومريم الحامل من الناصرة (؟) الى بيت لحم اليهودية، «في أيام الملك هيرودس» الكبير (متى 2: 1(، مع أن هذا الأخير كان قد مات منذ أربع سَنوات !والحاكم الذي في أيامه حصل هذا الإكتتاب بالذات – في حال حصوله في زمن لميلاد – كان أمير الربع هيرودس أنتيباس ابن الملك هيرودس الكبير الآنف الذكر! في هذه المسألة أيضاً، فإن علم التفسير الكتابيّ يجد نفسَه في طريق مسدود، اللهم الاّ إذا أُرِيْدَ من النصّ ان يقول ما لا يريد قوله...؟ إن بوبليوس سولبيسيوس قيرينيوس عيّن حاكماً على سورية في السًنة السَادسة بعد الميلاد. وبايعاز منه، جرى الإحصاء في اليهودية، لا في الجليل الذي بقي تحت حكم هيرودس أنتيباس. ويقول المؤرّخ يوسيفوس «إن قيرينيوس زار اليهودية بغية إحصاء ممتلكات سكّانها، وكي يحلّ

المسَائل التي تركها أرخلاّوس عالقة فيها...» (تاريخ اليهود القديم 18: 2). وهذا الإحصاء للسكّان وممتلكاتهم في اليهودية تسبّب باندلاع ثورة قادها يهوذا الجليليّ. غير أنه، وبحسَب متى (2: 1) واعمال الرسل (5: 36)، «يظهر أن المسيح ولد قبل موت الملك هيرودس الكبير المحدّد عادة في آذار أو نيسان من السَنة الرابعة قبل الميلاد .وهكذا، تظهر النوص الإنجيلية متناقضة، من الناحية التاريخيّة والجغرافيّة، وتتراكم المسائل وتتعقد دون أن يكون هناك حلول واضحة !فمثلاً، يمكننا أن نتساءل لماذا يوسف ومريم، وهما يسكنان في الجليل، بحسَب لوقا، لماذا ذهبا الى بلد آخر، وهو اليهودية «الرومانية»، كي يكتتبا ويتمّ إحصاء ممتلكاتهما؟ الاّ اذا كان يوسف من بيت لحم اليهودية كما يظهر من نص متى (2: 11)! غير أن ذلك لا يحلّ أبداً مسألة تاريخ الإحصاء أوالاكتتاب: فالإحصاء الذي أجراه قيرينيوس، وهو «الإحصاء الاول» الذي يتحدث عنه لوقا (2: 2(، يأتي متأخراً عشر سَنوات بعد الميلاد !فهل من الممكن الحديث عن إحصاء آخر جرى في فترة سابقة، عندما أعلن الملك هيرودس الكبير، في آخر عهده، الولاء لقيصر رومه؟ غير أن هذا الولاء لا يفرض أبداً القيام بأي إحصاء، كما أنه لم يحصل في هذه الفترة بالذات أية ثورة كالتي قام بها يهوذا الجليلي. وبالاضافة الى ذلك، لم يكن قيرينيوس قد أصبح بعد حاكماً على سوريّة...

«أمام كل هذه المسَائل، وأمام هذه التواريخ غير الصحيحة في سرد الأحداث يختم شارل بيرّو مقالته، يصبح من الممكن الاعتبار بأن هناك التباساً وخلطاً في مراجع لوقا التاريخية الخاصة بالتحديد الدقيق لزمن الميلاد وظروفه التاريخية والجغرافية !كالخلط التاريخي الفاضح الذي حصل في مراجع لوقا نفسَه (أعمال الرسل 5: 36-37): «فبينما يحدّد لوقا تاريخ ثورة ثودس ثم ثورة يهوذا الجليليّ في السَنوات القليلة السَابقة على الميلاد، فإن المؤرخ يوسيفوس يحدّد ثورة ثودس في السَنة 46 ق.م.، على الأقل !لوقا يقول إن ثورة يهوذا الجليليّ حصلت «أيام الإحصاء»، إذاً أيام الميلاد، بينما «النسخة الكاثوليكية الجديدة تصحّح فتقول: «إنها نتجت عن الاحصاء مباشرة) «...النسخة الجديدة: أعمال الرسل 5: 37 والحاشية رقم 17، ص 388 .(وخلاصة القول، إن لوقا خلط بين كل هذه

التواريخ، كي يجد، في إحصاء قيرينيوس، مبرّراً لذهاب يوسف ومريم الى بيت لحم اليهودية) !!...«شارل بيرّو، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مقالة بعنوان «الولادة في بيت لحم»، نشرها في المجلّة الخاصّة بالكتاب المقدس «عالم البيبليا» (آركيولوجيا، فنّ، تاريخ) – عدد ممتاز خاصّ «ببيت لحم المدينة المسيحانية»، آب – أيلول – تشرين الاول، 1983، ص 36-37.)

وهكذا إذاً، كان همّ «المسيحيّين المتهوّدين» – الذين هم من أصل يهوديّ – وخاصة نسّاخ متى ولوقا، كان همهم، كما رأينا بالتفصيل سَابقاً، أن يربطوا يسوع المسيح بالشعب اليهودي وبذرّية داود الملكية بنوع خاص. وقد استخدموا كلّ الوسائل والطرق... ليبرهنوا على ذلك. والغاية الأساسية كانت أن يقنعوا مواطنيهم اليهود بأن يسوع المسيح هو «المسيح – المخلص» الداوديّ الذي كان ينتظره اليهود. مع أن المسيح الذي كان ينتظره اليهود (للمرّة الألف) كان ملكاً زمنياً من هذا العالم، قائداً عسكرياً يقهر اعداءَهم ويحرّرهم من حكم الغرباء ويجعلهم يسيطرون على جميع الأمم ويستعبدونهم. لذلك وقع نسّاخ متى ولوقا في مغالطات تاريخية وجغرافية، لا يقبلها العلم والمنطق والنقد التاريخي الموضوعيّ المجرّد. فلقد تلاعبوا بالتواريخ ليجعلوا، مثلاً، يوسف ومريم يذهبان يوم الاحصاء من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، بحجّة أن يوسف كان من بيت داود وعشيرته... فلم يكن إحصاء في ذلك الوقت، ولم يكن يوسف من بيت لحم اليهودية، والناصرة لم تكن موجودة بعد!!

أمّا إذا استندنا الى العلم والمنطق والنقد التاريخي الموضوعيّ المجرّد، فاننا نصل الى الحقائق التالية:

-الحقيقة الأولى: لم ينطلق يوسف ومريم الحبلى من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، لأن الناصرة لم تكن موجودة في أيامهما، فهي لم تنشأ قبل القرن الثاني للميلاد، كما رأينا.

-الحقيقة الثانية: لم يحصل أي اكتتاب أو احصاء في زمن الميلاد. بل قد حصل نوع من إحصاء الأشخاص وممتلكاتهم في بلاد اليهودية التي كانت تحت الحكم الروماني مباشرة، ولم يحصل أي نوع من الاكتتاب او الإحصاء في الجليل حيث كان يوسف ومريم يقيمان. وعلى كل حال، فالإحصاء

الذي حصل في اليهودية تمّ قبل الميلاد أو بعده بسَنوات... لا في زمن الميلاد.

-الحقيقة الثالثة: لم يكن يوسف ولا مريم من بيت لحم اليهودية، ولا أصلاً من ذرّية داود، ولا حتى أيضاً من اليهود... ولقد برهنا على ذلك بالتفصيل في فصول سابقة.

-الحقيقة الرابعة: بيت لحم اليهودية لم تكن مدينة داود، بل أورشليم هي التي كانت دوماً وابداً مدينة داود، كما جاء في الكتاب المقدس نفسَه أكثر من مرّة.

-الحقيقة الخامسة: إن المسافة بين الناصرة (؟) وبيت لحم اليهودية طويلة جداً، والسفر شاق ومضن للغاية، وأخطار الطريق ومطبّاتها أكثر من أن تحصى، وخاصة في تلك الظروف، وبنوع أخص بالنسبة الى امرأة حامل على وشك الولادة كمريم العذراء... فرواية هذا السفر الطويل، بحدّ ذاتها، رواية أقرب الى الروايات الشعبية منها الى الحدث التاريخي المعقول والمنطقي والواقعي.

-الحقيقة السَادسة: وعلى افتراض أنه كان هناك إحصاء في زمن الميلاد، وان يوسف كان من بيت داود وعشيرته، وانه ذهب للاكتتاب، فلا ضرورة ان ترافقه زوجته مريم، لأنه، كما هو معروف تاريخياً، يذهب الرجال وحدهم الى الاكتتاب ولا ترافقهم زوجاتهم أو أطفالهم...

-الحقيقة السَابعة: وعلى افتراض ان مسَبّبات السفر ودوافعه كانت صحيحة، وان الانطلاق كان من الناصرة (؟)، فلماذا تجشم يوسف ومريم الحامل مشقات هذا السفر الطويل، وهناك، في جوار الناصرة (؟) مدينة اسمها بيت لحم أيضاً، كانت في أيامهم، وكانت موجودة قبلهما بألف وأربعمائة سَنة على الأقل؟ وهي المدينة التي تحدثنا عنها مطولاً، لا بل التي هي المحور الأساسي لهذه الدراسَة.

-الحقيقة الثامنة: إن يسوع المسيح ولد، في الحقيقة، في بيت لحم الشمال، لا في بيت لحم اليهودية في الجنوب المعروفة اليوم؛ في بيت لحم «الأمم»، لا في بيت لحم يهوذا. وبالتحديد ولد في مغارة بالقرب منها، وعلى طريقها. وكانت بيت لحم هذه والمغارة التي ولد فيها داخل أراضي فينيقية – لبنان. وهذا يتوافق تماماً مع جميع القرائن والدلائل

والحقائق التاريخية والجغرافية والظروف المحلية في ذلك العصر، وذلك بشكل موضوعيّ مجرّد، بعيداً عن الطمس المقصود والتناسي والنسيان والجهل الموروث والخوف من اليهود...، وبعيداً أيضاً عن الروايات والتفسيرات الشعبيّة السطحيّة والمتسرّعة، وعن الزيادات والتحريفات والتزويرات القومية والعنصرية المتزمّتة، طوال ألفي سَنة على التوالي!...

-الحقيقة التاسعة: أجل! لقد ولد يسوع المسيح في لبنان. إنها حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة ساطعة صارخة وصاعقة.

-الحقيقة العاشرة: يجب اعلان هذه الحقيقة «اللبنانية» عالياً، وعلى الملأ، وعلى مسامع العالم أجمع، ونحن نحتفل بيوبيل السَنة الألفين لولادة المسيح في »بيت لحم»، ودخولنا الألف الثالث. وها نحن هنا والآن نعلن هذه الحقيقة، من لبنان بالذات. «ومن له أذنان سَامعتان، فليسمع...!«

ولا بدّ هنا من التذكير والتكرار، مرّة أخرى، أن كتب الأناجيل المقدّسة ليسَت كتباً تاريخيّة وجغرافيّة بحصر المعنى، وبمفهوم التاريخ والجغرافية في يومنا هذا .كانت بالأحرى نوعاً من كتب «التاريخ الديني» المتّبع في ذلك العهد، مع أنها تحتوي بعض الحقائق التاريخية والجغرافية الثابتة والمؤكّدة. لقد كتب مؤلفوها على طريقتهم الخاصة بالكتابة التي ليسَت هي بالضرورة طريقتنا نحن اليوم. استعملوا صيغة «المدراش» التي كان يستعملها اليهود في تأويل الأحداث والاخبار الخاصة بأسفار العهد القديم. ولم يهتموا كثيراً بالتفاصيل التاريخية والجغرافية. بل ركّزوا على الحدث الجديد الذي هو مجيء المسيح المخلّص ابن الله، وعلى بشارته وتعاليمه. وهذا الحدث الجديد حجب بأنواره القوية والساطعة كل التفاصيل الأخرى. حاولوا بكل الطرق والأساليب أن يبرهنوا لليهود بأن يسوع المسيح هو المخلّص المنتظر، فربطوه بذرّية الملك داود وسلالته الملكية، وجعلوه يولد في بيت لحم اليهودية بالقرب من العاصمة أورشليم. لقد استبعدوا، عن قصد وتصميم، بيت لحم الشمالية لأنها كانت في أرض «الأمم»، في أرض «الوثنيين»، في أرض «الغويم». فكيف يولد – برأيهم – مسيح اليهود ومخلصهم في ارض «الوثنيين»؟!

أما اليوم، فهناك دراسَات وابحاث تاريخية علمية اركيولوجية ونقدية همها الوحيد الوصول الى الحقائق العلمية الموضوعية المجرّدة، فيما يخص بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها السيّد المسيح، وغيرها من المواقع التاريخية والأثرية...

فبعد مرور 14 سَنة على كتابة مقالته الطويلة عن بيت لحم اليهودية، وعن كونها المدينة التي ولد فيها المسيح أم لا – وقد نشرنا مقاطع منها في ما سَبق – يعود الشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو، في مقالة نقدية أخرى يختصر آراءه حول هذا الموضوع، فيخلص الى ما تعريبه:

»إن متى (1-2) ولوقا (1-2) يذكران كلاهما أن يسوع ولد في «بيت لحم». وهذا التوافق بينهما له أهمية خاصة لكونهما، من ناحية أخرى، يختلفان بشكل واضح في سردهما أحداث طفولة يسوع. فعلى سَبيل المثال: يقول لوقا (2: 7) إن أبويّ يسوع «يوسف ومريم، قد مرّا مروراً سريعاً في بيت لحم. أما في متى (2: 11)، فعلى العكس، أقامت العائلة المقدسة في بيت لحم، في «بيتها»؛ وهي أرادت أن تعود اليها بعد الرجوع من مصر متى (2 :22). ومعروف أن متى ولوقا يعكسان، بشكل عام، وفيما يخصّ أحداث طفولة يسوع بنوع خاص، تقليداً سَبقهما هو التقليد «المسيحيّ المتهوّد»، الخاصّ «بكنيسة الختان ...«فهما هكذا يرويان أحداث الطفولة بصيغة» التاريخ المقدّس» أي «بصيغة كتابة المدراش »التي كان يستخدمها اليهود عهد ذاك في أسفار العهد القديم. فلوقا، مثلاً، يلحّ على كون بيت لحم هي «مدينة داود» (لوقا 2: 4، 11)، مع أن هذه اتسمية الملكية «مدينة داود» لم تطلق ابداً على بيت لحم، بل اطلقت دوماً وابداً على مدينة أورشليم، وذلك في نصوص الكتاب المقدّس نفسه – العهد القديم – أكثر من مرّة» !وهكذا يفخّم لوقا بيت لحم اليهودية ويعظّمها ويعطيها دوراً كبيراً لم يكن لها أصلاً .ومن قرية مغمورة تماماً يجعل منها مدينة عظيمة: «مدينة داود» ومدينة المسيح !...وهذا التفخيم المصطنع يظهر أكثر فأكثر عند متى الذي يبلغ به الأمر الى تغيير وتحوير بعض النبؤات المتعلّقة ببيت لحم، وخاصة نبؤة ميخا الشهيرة(1 :5) ، والتي تقول: «وأنتِ يابيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسَلّطاً على إسرائيل...».

أمّا عند متى فقد أصبحت على الشكل التالي: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي إسرائيل» (متى 2: 6 .(لقد افتعل ثلاثة تحويرات فاضحة في نبؤة تتألّف من سَطر واحد فقط، وحذف عبارة أسَاسية في النصّ العبريّ الأصليّ وهي عبارة «أفراتة»، واستبدلها بعبارة «أرض يهوذا !«وهو فعل كل ذلك ليقول ان المسيح ولد بين اليهود، في بيت لحم يهوذا القريبة من أورشليم، والمعروفة اليوم؛ ولئلا يظنّ أحد – فيما بعد – أن المسيح ولد في بيت لحم الثانية، أي «بيت لحم «الأمم»، بيت لحم «الوثنيين ...«وهكذا قرأ الناس نصوص متى هذه حتى اليوم، وظنوا ان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية المعروفة في أيامنا هذه...!

»وفي الحقيقة، يختم شارل بيرّو، إن الوثائق والمراجع التاريخيّة – بالمفهوم الحصري للتاريخ – المتعلّقة ببيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، قليلة وغامضة وحديثة، وتترك الباحث الموضوعيّ المجرّد في تردّد وقلق وحيرة شديدة؟ وهكذا، يفرض التساؤل نفسه فرضاً، نتيجة لكل ما تقدّم: هل حقيقة ولد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، أم لا؟! الآراء مختلفة، والوضع الحالي للوثائق والمراجع لا يسمح بالمزيد من الإضاءة على «هذه المسألة، مع أن صمت مرقس ويوحنا يقلّل كثيراً من احتمال كون بيت لحم اليهوديّة، المعروفة اليوم، هي المدينة التي ولد فيها فعلاً يسوع المسيح) !!«...شارل بيرّو، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مقالة بعنوان «تفخيم وتعظيم بيت لحم اليهوديّة»، نشرها في المجلّة الخاصّة بالكتاب المقدّس «عالم البيبليا» (آركيولوجيا، فنّ، تاريخ)، العدد رقم 101، تشرين الثاني – كانون الاول 1996، ص 22!(

)هل كانت دراسَتنا هذه، التي كررنا فيها عن قصد بعض الأقوال والنصوص والبراهين، هل كانت غير تفصيل لأفكار واقوال وبراهين هذا الشارح الكاثوليكي الكبير؟ والحق يقال، كنا قد بدأنا دراسَتنا هذه قبل ان ينشر شارل بيرّو مقالتيه السابقتين بسَنوات طويلة... ودعماً لدراستنا هذه، احببنا ان نعرض نصوص هاتين المقالتين بالحرف الواحد.(

وفي هذه الأيام بالذات، تكثر الدراسات والأبحاث وينشر الكثير من المؤلفات، وبعدة لغات، حول حياة المسيح وأقواله واعماله، منذ الحبل به الى قيامته. والملفت حقاً، أن جميع هذه الدراسات الحالية حول المسيح ونشأة المسيحية، تستخدم طرق ووسائل النقد العلمي والتاريخي والموضوعيّ المجرّد. كلّ ذلك للوصول الى الحقيقة التاريخية الصافية والخالصة. ودراستنا هذه، هي حلقة من هذه الحلقات الموضوعيّة. مع جرعة كبيرة من الجرأة...! وفي سَبيل الحقيقة، والمسيح (الذي هو الحق) ولبنان، وضعنا هذه الدراسَة «اللبنانيّة.«

الفصل السابع

العذراء في «الكرمل»

»هلمّي معي من لبنان أيتها العروس فتتكلّلين. هلمّي معي من لبنان. أتركي رأسَ أمانة رأسَ سنير وحرمون من مرابض الأسود من جبال النمور... رائحة ثيابك كرائحة لبنان... مرّ وعود مع أفخر الأطياب ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة وأنهار من لبنان!«...

(نشيد الأناشيد،
الفصل الرابع 8، 11، 15)

هل هناك الى جانب الانجيل والتقليد المسيحي المعروف مصادر أخرى لسيرة حياة مريم العذراء؟ هناك الاناجيل المنحولة، غير القانونية وبعض الفقرات في التواريخ العربيّة. فلقد ظهر حول أسفار العهد الجديد التي جاءَت ولا شك شديدة الإيجاز وغير كاملة، وتقريباً في الوقت نفسَه، أدب مسيحيّ شعبيّ تقويّ يهدف الى إيجاد المزيد من المعلومات. ويدور بعضه، بالافضلية، حول العذراء مريم وطفولة يسوع «كانجيل يعقوب القديم» وهو أقدم مؤلف. واسمه «القديم» يلمح الى أن هذا الكتاب يريد إفادتنا عما كان قبل الانجيل: والدا مريم يواكيم وحنّة، الحبل بمريم، ولادتها العجيبة، تقدمتها الى الهيكل، إقترانها بيوسف الخ... ونذكر بين بقية الأناجيل المنحولة التي تتحدث عن العذراء مريم، أناجيل الطفولة، وقصة يوسف النجّار وكتاب انتقال العذراء القديسة. وفي الحقيقة، إن المرء ليدهش ويتحيّر عند قراءة هذه المؤلفات. فلا يسعنا أمام بعض النوادر اللطيفة الغير المجدية والمبالغ فيها كثيراً، إلاّ أن نكون، دون تردّد البتة، على اتفاق مع القديس إيرونيموس الذي تكلّم عن الأحلام الشعبية التقوية والمخيّلات الهاذية في الاناجيل المنحولة. بعكس ذلك، تشهد بعض المقاطع الاخرى على إصالة دينية بعيدة المدى، لقيت استقبالاً حاراً عند المسيحيّين الأولين فدخلت في الليتورجيا والطقوس وهي باقية الى اليوم. وإن وقعت قيمتها التاريخية عامة تحت النقد، فإن عين الناقد المتمرّس تقدر بكل فطنة أن تميّز فيها أحياناً أطرافاً من الحقيقة. فهكذا عبر التنميقات الشعبية التقوية، نميّز آثار أحداث واعتقادات تبنّتها الكنيسَة ولا تزال تتبنّاها الى اليوم، وهي مستقاة فقط من الاناجيل المنحولة: مثل يواكيم وحنّة والدي العذراء مريم اللذين تكرّمهما الكنيسَة جمعاء وتفرد لهما عيداً خاصاً، وتقدمة العذراء الى الهيكل التي لا تتحدّث عنها الاناجيل القانونية، وانتقال العذراء مريم بنفسها وجسدها الى السماء عند موتها. وقد أصبح الانتقال مؤخراً عقيدة مسيحية رسمية، وهو ما كانت تنفرد به الأناجيل المنحولة، ولم تأتِ على ذكره الأناجيل القانونية بكلمة واحدة!... وهناك العديد من الحقائق التاريخية والجغرافية التي ترد في الاناجيل المنحولة ولم تأتِ على ذكرها الاناجيل القانونيّة...

يقول الأب «فان دِرْميرْش» في كتابه «مريم أم المسيح»: «ليسَ من داع الى الحذر ممّا يعرضه علينا انجيل يعقوب القديم مع كونه مؤلفاً منحولاً فإنه من أقدم الكتب المنحولة. فحنّة ويواكيم والدا مريم العذراء كانا، حسَب معطيات هذا الكتاب، طاعنين في السن، وكانا يتحسّران على حرمانهما من الأطفال. «ولم يعد يواكيم، بسَبب حزنه الشديد، يحضر أمام امرأته، وقصد البرّية ونصب خيمته وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وهو يقول في نفسه: لن أنزل آكل واشرب ما لم يفتقدني الرب إلهي، وسَتكون الصلاة طعامي وشرابي. وكانت آنذاك امرأته حنّة تبكي، ولها لنوحها دافعان: سَأعول على ترمّلي، وسَأعول على عقمي! وفي شدة كربها، خلعت ثياب الحزن وغسَلت رأسها وارتدت ثياب عرسها. ثم نزلت نحو الساعة التاسعة تتمشّى في البستان، فرأت شجرة غار فجلست تحت أغصانها وجعلت تبتهل الى القدير: باركني يا إله آبائي، إستجب تضرّعي كما باركت سَارة في أحشائها واعطيتها ابنها إسحق. وإذ رفعت طرفها نحو السماء رأت على شجرة الغار عش دوريّ فعادت تتحسّر:

رحمةً بي! من هو مُنجبي، أيّة أحشاء ولدتني لأكون هكذا عاقراً، لأُطرد مهانة من هيكل الرب؟

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا طيور السماء الصغيرة، لان طيور السماء تخصب أمامك، ربّي.

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا هذه المياه ههنا، لان هذه المياه خصبة أمامك، ربّي.

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا هذا التراب ههنا، لان هذا التراب يحمل الثمار في أوانها وهي تباركك، ربّي...!

واذا بملاك الربّ تراءى لها وقال: حنّة! حنّة! لقد سمع الربّ تنهّدك. إنك سَتحبلين وتلدين، وسَيتحدث بخلفك في كلّ الأرض. فأجابت حنّة: والرب الحيّ الشاهد على أقوالي: إذا أتيت بابن أو بإبنة، سَأقدّسه للرب الهي ليخدمه جميع أيام حياته...

عندئذ اقترب منها ملاكان يقولان: ها إن يواكيم رجلك يأتي نحوك مع قطعانه، لأن ملاك الربّ قد ذهب إليه وقال له: يواكيم! يواكيم! إن الربّ

سَمع شكواك. إذهب من ههنا، فها إن امرأتك حنّة سَتحبل في أحشائها...

واذا بيواكيم يصل مع قطعانه. فرأته حنّة وهي واقفة على عتبة البيت، فركضت إليه وتعلّقت بعنقه قائلة: الآن علمت أن الرب قد غمرني ببركاته، لأني كنت كأرملة ولم أعد كذلك، وكنت عاقراً وها إن أحشائي سَتخصب. وكان المساء الاول الذي استراح فيه يواكيم في داره...

ثم تمّت أشهر حنّة، وفي الشهر التاسع ولدت. فسَألت المولّدة: لمن أعطيتُ النور؟ أجابت هذه: إنها بنت. فقالت حنّة: لقد تمجّدت في هذا اليوم نفسي! وأضجعت الولد. ولمّا تمّت الأيام المعتادة، قامت واغتسلت وأعطت الثدي للولد وسَمّتها مريم...» (إنجيل يعقوب القديم 1-5؛ راجع كتاب «مريم أم المسيح»، تأليف الأب: فان درميرش، الترجمة العربية، 1966، ص 14-19 مع الحواشي.(

من الواضح أن هذه القصة ذات طابع شعبيّ تقويّ، وهي ولا شك مستوحاة من محنة أشهر جدّات اسرائيل: عقم سارة وراحيل، وخاصة عقم حنّة الاخرى ام النبي صموئيل التي استجيبت صلاتها في هيكل شيلو والتي وعدت بتكريس ولدها لله كلّ أيام حياته (صموئيل الاول، الفصل الاول)، وعقم اليصابات (لوقا 1: 5-25، 36-37). وإن وزيارة الملاك تذكّر بظهور ملاك الربّ لابراهيم وسارة عند بلوطة ممرة (تكوين 18: 1-15)، ولأم شمشون الجبّار (قضاة 13: 1-25)، وخصوصاً ببشارة زكريّا وبشارة مريم العذراء نفسَها...

)فيما يخصّ ولادة العذراء مريم راجع أيضاً: «إنجيل ولادة مريم»، انجيل «متى المنحول» وغير ذلك من الأقاصيص الشعبية المنحولة.(...

يروي القرآن مولد مريم في سورة آل عمران 3، 33-36 على الشكل التالي: «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ذرّية بعضها من بعض والله سَميع عليم. اذ قالت امراة عمران: ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك انت السميع العليم. فلما وضعتها قالت: ربّي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليسَ الذكر كالأنثى وإني سَمّيتها مريم وإني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسَناً وكفّلها زكريّا كلّما

دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال: يا مريم أنّى لكِ هذا؟ قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب.«

وهكذا، فإن والد مريم يدعى في القرآن – وفي الاسلام – عمران. وذلك لا شك تذكيراً بعمران أبي مريم أخت موسَى وهارون (راجع سَفر الخروج 2: 1-2 وسفر العدد 26: 59 – وجاء في هذين السفرين: عمرام بدل عمران؟) وتدعى مريم «أخت هارون» في القرآن، كما جاء في سورة مريم 19، 28: قال قومها «ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمّك بغيّا». وهكذا، لا اسم لامّ مريم العذراء في القرآن – وفي الاسلام. ولكن المفسّرين يعرفونه: حنّة. وهي تطلب الى الله ان يمنحها ولداً تحرّره لخدمة الهيكل... فلما وضعتها وعرفت أنها أنثى ظهر عليها الحزن إذ لا يحق للبنات خدمة الهيكل (عند اليهود). ثم سمّتها مريم ووضعتها تحت حمى الله من الشيطان الرجيم!

ويعتقد المسلمون ايضاً ان الشيطان لم يمس مريم وابنها قط. ولهذا الاعتقاد اساس في القرآن (سورة آل عمران 3، 36) حيث تعيذ أم مريم ابنتها وذرّية ابنتها بالله من الشيطان. والجدير بالملاحظة ان نذر حنّة هو التعبير الشرقي للإيمان بالحبل بلا دنس (الحبل بمريم بلا دنس). والسُنَّةُ المسلمة تضيف الحديث الشهير: «ما من مولود يولد الاّ والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل من المسّة الاّ مريم وابنها». دون شك، لا تقصد السُنَّةُ بهذا عقيدة الحبل بلا دنس المسيحية، لان هذه تفترض عقيدة الخطيئة الأصلية التي يجهلها الاسلام. فيبقى الواقع ان مريم وابنها حُفِظاً من كُلِّ مسّة من الشيطان... (راجع كتاب الأب عبد الجليل عن «مريم والاسلام»، طبعة باريس سَنة 1952، بالفرنسيّة.(

ويتابع التقليد المسيحيّ الشعبيّ سيرة حياة مريم، فيقول إنجيل يعقوب القديم ما يلي: «... وتتالت الأشهر على البنيّة الصغيرة مريم. ولمّا بَلَغَتْ الثانية من عمرها قال والدها يواكيم: لنأخذها إلى هيكل الربّ ليتمّ الوعد الذي وعدنا! أجابت والدتها حنّة: لننتظر السَنة الثالثة لتصبح الطفلة في سنّ تعرف فيه أباها وأمّها، وردّد يواكيم: لننتظر.

ولما بلغت الصبيّة السنة الثالثة من عمرها، قال يواكيم: أدعوا الشريفات الطاهرات من بنات محيطنا، ولتأخذ كلّ واحدة منهنّ مشعلاً لا

ينطفئ. فأذعنّ لطلبه وصعدن معاً إلى هيكل الرب... وتقبّل الكاهن الصبيّة مريم وأخذها بين ذراعيه فباركها وقال: لقد مجّد الربّ اسمك في كلّ الاجيال وبك سيشهر في الأيام الاخيرة الفداء الذي يمنحه لآل اسرائيل...

وأجلس الكاهن الصبيّة مريم على الدرجة الثالثة من الهيكل... فأنزل عليها الرب الإله نعمته...» (انجيل يعقوب القديم، الفصل السابع.(

»وكانت مريم عذراء مكرّسة لله في الهيكل...» (إنجيل يعقوب القديم»، 13: 1) الخ...

ومن جهته، يتابع التقليد المسلم سيرة حياة مريم، فيقول القرآن: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَويّاً.» (سورة مريم 19، 16-17)، يتبيّن بوضوح من النصّ أن الصبية مريم تركت منزل والديها، وبما أنها منذورة ومكرّسة «ومحرّرة» للرب، فقد أقامت بمعزل عن الناس في معبد أو هيكل مقدس: «فاتخذت من دونهم حجاباً.«...

ويقول القرآن في مكان آخر: «فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وأنبتها نباتاً حسَناً. وكفّلها زكريا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب» (سورة آل عمران 3، 37). ويظهر بحسَب هذا النص أن مريم كانت تقيم في «المحراب»، في معبد أو هيكل أو نوع من «الدير»، إذ إن رزقها كان مؤمّناً لها بشكل منتظم ودائم – كمثل متعبدة أو راهبة في دير مسيحيّ... كما هي الحال في أيامنا هذه!

وهناك في التقاليد المسيحية الشرقية وفي الاناجيل المنحولة الكثير من الأقوال والإشارات الواضحة إلى أن العذراء مريم كانت تعيش في نوع من «الدير» مع رفيقات لها من العذارى المكرّسات... فقد جاء على سبيل المثال، لا الحصر، في إنجيل متى المنحول ما يلي: «ما من واحدة من العذارى رفيقات مريم كانت تظهر أشدّ انتباها منها في سَهرات الصلوات، أو أكثر تبحّراً في معرفة الشريعة الإلهيّة، أو أكثر لطفاً في المحبّة، أو أكثر تواضعاً، أو اكثر نقاءً في طهارتها او أكثر كمالاً في كل فضيلة. لأنها كانت ثابتة، لا تتزعزع، مثابرة، وكانت تنمو في الخير كل يوم...

لم يَرَها أحد غاضبة قط، ولم يسمعها أحد نمّامة قط. كانت كلماتها مليئة بالنعمة حتى لكنت ترى الله على شفاهها! كانت دوماً عاكفة على الصلاة وعلى التدقيق في الناموس. ولم تكن لتهمل «رفيقاتها العذارى» لئلا تميل إحداهن الى الزلل ولو بكلمة واحدة، او لئلا تفرط في ضحكها أو لهوها، أو لئلا تظهر الواحدة للأُخرى أدنى احتقار او سخرية أو غضب إلخ...» (إنجيل متى المنحول، الفصل الرابع!!(

فإذا قرأنا، بكل بساطة، هذا الكلام وهذا الوصف الدقيق لسلوك مريم وعلاقتها الروحية مع رفيقاتها العذارى في الهيكل أو المعبد... ألَا نخال ذواتنا حقاً في دير شبيه جداً بأديرة المسيحيّين في أيامنا هذه؟ أليست هاتيك العذارى، رفيقات مريم، شبيهات بالمبتدئات أو الراهبات في دير مسيحيّ لراهبات اليوم؟ هكذا كانت تعيش في دير الكرمل الكبير بعض العذارى المختارات من أقدس العائلات الاسينيّة والجماعات الروحيّة الجليلية الاخرى. ومنهنّ مريم العذراء إبنة حنّة ويواكيم...

يجدر بنا أن نذكّر هنا، تكراراً، بأن اليهود لم يسمحوا للنساء، طوال تاريخهم، بأن يقمن أو يخدمن في هياكلهم ومعابدهم. فكيف يسمحون، بالاحرى، ان يكون هناك جماعات من الصبيّات العذارى يعشن سنين طويلة داخل الهياكل والمعابد؟ هذا الأمر لم يتصوّره اليهود قط في تاريخهم. فهذا الامر بالذات كان أمراً عادياً ومعروفاً جداً عند الكنعانيّين، ومن بعدهم عند الجماعات الروحية الجليلية، كالجماعة الاسينية والجماعات المماثلة... حتى أيام المسيح وبعده بقليل! أن نظرة اليهود الى المرأة، وخاصة عن علاقتها بالمقدّسات، أمر معروف جداً...

ومن الملاحظ، من جهة أخرى، أن الأناجيل القانونيّة الأربعة لا تذكر شيئاً – حتى ولا كلمة واحدة – عن الحبل بمريم، عن ولادتها، عن تقدمتها للرب، عن طفولتها وحداثتها؟! وهكذا أيضاً جميع كتب العهد الجديد القانونية. فهذه لم تتحدث عن مريم الاّ منذ بشارة الملاك جبرائيل لها في الناصرة... (راجع لوقا 1: 26-38.(

غير أن الأناجيل المنحولة والتقاليد الشرقية القديمة، من مسيحيّة واسلاميّة، تتحدث بشيء من التفصيل، كما رأينا، عن والدي مريم العذراء يواكيم وحنّة، عن الحبل بمريم، عن تكريسها للرب وهي بعد في احشاء

أمّها، عن أجواء طفولتها المقدسة، عن رعايتها الخاصة، عن تقدمتها للرب في الهيكل، وعن إقامتها فيه مع بعض رفيقاتها من العذارى الطاهرات المكرّسات...

ومن الطبيعي أن يكون الهدف المباشر للأناجيل المقدسة هو البشارة الجديدة: تجسّد الكلمة وبشارة يسوع المسيح المخلص وقيام ملكوت الله على الأرض. غير أن القاء بعض الأضواء الإضافية على حياة مريم العذراء, هو أمر في غاية الاهمية بالنسبة الى موضوع هذه الدراسة بالذات...

إن التقليد المسلم يذكر بخفر واحترام مأساة يوسف عندما اطّلع على حبل مريم. فيقول المؤرخ الطبري: «لما اشـمَتَلَتْ مريم على الحبل، كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجّار. وكانا منطلقين الى المسجد، وكان ذلك المسجد من أعظم مساجدهم. وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما: تحبيره وكناسته وطهوره وكلّ عمل يعمل فيه. وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً أو عبادة منهما. وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف. فلما رأى الذي بها استفظعه وعظم عليه وفظع به. فلم يدرِ على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة قط. وإذا أراد ان يبرئها رأى الذي ظهر عليها. فلمّا اشتدّ عليه ذلك كلّمها، فكان أول كلامه أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته وقد حرصت على ان أميته وأكتمه في نفسي فغلبني ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري. قالت: قل قولاً جميلاً. قال: ما كنت لأقول لك إلاّ ذلك فحدّثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر؟ أو لم تعلم ان الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده، أم أنك تقول: لم يقدر الله على ان ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال لها يوسف: لا أقول هذا ولكن أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء، يقول لذلك كُنْ فيكون. قالت مريم: أولم تعلم أن الله تبارك

وتعالى خلق آدم وامرأته حواء من غير انثى ولا ذكر؟ قال: بلى. فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى وأنه لا يسعه ان يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك. ثم تولّى يوسف خدمة المسجد الذي كانا يخدمان فيه. وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه...» (الطبري «تاريخ الامم والملوك»، ص 593-600 مع الحواشي والشروحات.(

يَتَبَيَّنُ من نصّ الطبري أن يوسف – المعروف بيوسف النجّار – كان، مع مريم العذراء، يخدم في «أحد أكبر مساجدهم» في الجليل. «وكانا يليان معالجته بأنفسهما: تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه...» هذا يعني أنهما كانا يسكنان فيه أو بجانبه. فينتج بالتالي عن هذا أن المسجد الذي كانا يخدمانه طيلة الوقت لا يمكن ان يكون هيكلاً لليهود، لأن اليهود لا يسمحون للنساء بهكذا عمل في هياكلهم... بل كان يوسف ومريم، على ما يظهر، من العناصر المنتمية الى تلك الجماعات الروحية الجليلية - كالجماعة الاسينية مثلاً – التي تحدّثنا عنها مفصلاً في فصول سابقة.

والحقيقة إن هذه الجماعات كانت قد تجمعت سوية، قبل المسيح بفترة قصيرة، فبنت لها ديراً كبيراً ومعهداً بالقرب من المعبد القديم فوق جبل الكرمل .كان منهم الاسينيّون والمكرّسون والنذيريم (أي المنذورون للربّ) «والمنتظرون» أي المنتظرون مجيء المخلّص. وكانوا جميعاً ينتظرون، كل على طريقته، مجيء مسيح مخلّص روحيّ، غير زمني، يحرّر البشر جميعاً من الشرّ والخطيئة، يحق الحق وينشر العدالة بين الناس ويعيد العلاقة الروحية القديمة بين الله والبشر. إنه المسيح الشامل والمخلّص العام للبشر أجمعين... وكانوا على يقين أنه سوف يولد منهم! وكل فترة، كانوا يختارون 12 فتاتاً أو صبيّة من كبار وأقدس عائلاتهم الجليلية، علّ المخلّص المسيح المنتظر يولد من إِحْدَاهُنَّ .وكانت الفتيات يقمن في الدير الكبير فوق جبل الكرمل، ويحصلن على ثقافة روحية خاصة وإعداد معيّن. وكنّ يعشن سوية في مكان واحد، ويتّبعن نظاماً واحداً كالراهبات المسيحيّات في أيامنا هذه. هذا النوع من الفتيات العذارى المكرّسات لم يكن معقولاً عند اليهود، كما هو معروف تماماً. غير أنه كان معروفاً وسَائداً عند الجماعات الروحية الجليلية، وخاصة عند الجماعة الاسينية. من هذه

الفتيات العذارى المكرّسات الاثنتي عشر في دير جبل الكرمل، كانت مريم العذراء، ابنة يواكيم وحنّة، التي كانت مكرّسة لله وهي في بطن أمّها، كما تقول التقاليد المسيحية القديمة وكبار الآباء والاناجيل المنحولة والتقاليد الاسلامية والقرآن الكريم وكبار المؤرخين والمفسّرين المسلمين القدماء وغيرهم... كان والدا مريم، دون شك، ينتميان الى تلك الجماعات الروحية التي تنتظر مجيء المسيح المخلّص قريباً. ومريم نفسها، صاحبة ذلك النشيد الرائع «تعظّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلّصي الخ» (لوقا 1: 46-55)، من الطبيعي والمنطقي جداً أن تكون حصلت على ثقافة روحية خاصة كتلك التي كانت تحصل عليها تلك الفتيات العذارى المكرّسات الاثنتي عشرة في دير الكرمل. هناك، فوق جبل الكرمل، حصلت بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم. وهناك حصل «التجسّد» (في نهاية البشارة)... أجل! حصل كل ذلك في أرض فينيقية – لبنان.

وفي يوم البشارة، كانت الفتيات جرياً على عاداتهنّ كل يوم يتوجّهن الى المعبد لكي يؤدين الصلاة اليومية ويقمن بإحراق البخور... في هذا الوقت بالذات حصلت علامات فارقة في داخل المعبد. وظهر الملاك للعذراء مريم وأمسكها بيدها وقادها الى محراب المعبد. وكانت هذه علامة فارقة لاختيارها، هي بالذات، من بين العذارى الاخريات. فتقدمت صفوف رفيقاتها وصعدت أمامهنّ درجات المعبد. وهناك بشّرها الملاك، وهناك تمّ التجسّد... (راجع الاناجيل المنحولة، وخاصة إنجيل يعقوب القديم، الفصل السابع، وإنجيل متى المنحول، الفصل الرابع – الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرّية»، ص 83-90 (بالفرنسية) – دوروتي كوكلن دي بيزمون «عالم إدغار كايسي»، الجزء الاول 321-324 – القس أسعد منصور «تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، ص 159 – ابن الأثير «تاريخ ابن الأثير»، أنظر المرجع السابق، المكان نفسه – الطبري «تاريخ الامم والملوك»، ص 593-600 مع الحواشي والشروحات.(

والذي يهمنا هنا، والذي نركّز عليه كثيراً، هو أن البشارة قد حصلت فعلاً في الدير فوق جبل الكرمل، وأن هذا الدير وجبل الكرمل بالذات مع سفوحه كلّها كانت جميعها داخل أرض فينيقية – لبنان، وأن البشارة بالتالي قد حصلت فعلاً داخل أرض فينيقية – لبنان! وبما أن التجسد –

تجسد ابن الله، الاقنوم الثاني – قد حصل بالفعل في نهاية البشارة، كما تعلمنا الكنيسة المقدسة – فإن هذا التجسد قد حصل داخل أراضي فينيقية – لبنان. أجل! ان التجسّد قد حصل في لبنان. وهذا ما نودّ أن نقوله بالفم الملآن، ونؤكده، وَنُعْلِنُهُ، ونركّز عليه في هذه الدراسة بالذات... كما أن الحقيقة الثانية، التي نودّ أيضاً أن نقولها بالفم الملآن، ونؤكدها، ونعلنها، ونركّز عليها، هي أن السيّد المسيح قد ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل، في سفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، أي في داخل أرض فينيقية – لبنان. أجل! لقد ولد يسوع المسيح في لبنان! وفي الواقع، لقد كان جبل الكرمل وكل سفوحه، منذ فجر التاريخ الى زمن الميلاد، وحتى بعد الميلاد بسبعين سنة، كان داخل أراضي فينيقية – لبنان. (فلتراجع جميع التواريخ وجميع خرائط الجغرافية، في العالم كلّه، بجميع اللغات، المخطوطة منها والمطبوعة. و»من له عينان مبصرتان فليبصر»، ومن له «أذنان سامعتان فليسمع(!«

لقد سبق وذكرنا كل ما جاء في الأناجيل القانونية عن العذراء مريم أثناء طفولة يسوع، من بشارة الملاك جبرائيل الى دخول يسوع الى الهيكل وهو في الثانية عشرة من عمره. اما فيما يخصّ الفترة الممتدة من دخول يسوع الى الهيكل الى بداية حياته العلنية، فلا ذكر، في الاناجيل القانونية، لا عن يسوع ولا عن أمه العذراء مريم. وحتى في حياة يسوع العلنية نفسها، قلّما تذكر هذه الاناجيل شيئاً عن مريم، وإن هي ذكرت شيئاً فبشكل عابر وسريع. وأول مرة جاء ذكرها، في هذه الفترة، كان في العرس الذي حصل في قانا الجليل في لبنان. فقد جاء في انجيل يوحنا ما يلي:

...»وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس وكانت أم يسوع هناك. فدعي يسوع أيضاً وتلاميذه الى العرس. وَنَفَدَتِ الخمر، فقالت ليسوع أمه: «ليس عندهم خمر». فقال لها يسوع: «ما لي وما لك، أيتها المرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد». فقالت أمّه للخدم: «مهما قال لكم فافعلوه». وكان هناك ستة أجران من حجر لما تقتضيه الطهارة عند اليهود، يسع كلّ واحد منها مقدار مكيالين أو ثلاثة. فقال يسوع للخدم: «إملأوا الاجران ماءً». فملأوها الى أعلاها. فقال لهم: «اغرفوا الآن وناولوا

وكيل المائدة». فناولوه، فلمّا ذاق الماء الذي صار خمراَ، وكان لا يدري من أين أتت، في حين أن الخدم الذين غرفوا الماء كانوا يدرون، دعا العريس وقال له: «كلّ امرىءٍ يقدّم الخمرة الجيّدة أولاً، فإذا سَكر الناس، قدّم ما كان دونها في الجودة. أمّا أنت فحفظت الخمرة الجيّدة الى الآن». هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فآمن به تلاميذه. ونزل بعد ذلك الى كفرناحوم هو وأمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام» (إنجيل يوحنا 2: 1-12). نذكّر هنا، مرة أخرى، أن العذراء لم تدعَ الى العرس، بل كانت «موجودة» في بلدتها: قانا الجليل اللبنانية.

والملفت هنا أن العذراء مريم كانت مع ابنها منذ بداية حياته التبشيرية. فعرس قانا الجليل الذي ذكرهُ يوحنا وحده، حصل في بداية بشارة يسوع، بعد اعتماده واختياره تلاميذه الاولين. (راجع إنجيل يوحنا: الفصل الأول: 19-51). وخلال قيام يسوع بتأدية رسالته، كانت الأناجيل تشير الى أمه مريم، ولو بشكل عابر. فقد جاء في انجيل متى ما يلي:

»وبينما يسوع يكلّم الجموع، إذا أمه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلّموك. فأجاب الذي قال له ذلك: من أمي ومن إخوتي؟ ثم أشار بيده الى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي. لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي» (متى 12: 46-50). (راجع أيضاً، في نفس الموضوع، انجيل مرقس 3: 31-35 وانجيل لوقا 8: 19-21.(

لقد ظلّت مريم العذراء ترافق ابنها خلال حياته التبشيرية، عن قرب احياناً، وعن بُعد أحياناً أخرى، حتى الصليب والموت. وجاء في إنجيل يوحنا: «هناك عند صليب يسوع، وقفت أمّه، وأخت أمّه مريم امرأة قلوبا، ومريم المجدلية. فرأى يسوع أمّه والى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لأمه: أيتها المرأة، هذا أبنك. ثم قال للتلميذ: هذه أمّك. ومنذ تلك الساعة استقبلها التلميذ في بيته» (إنجيل يوحنا 19: 25-27.(

وبعد صعود المسيح الى السماء وجلوسه عن يمين الله الآب، ظلّت أمه مريم في بيت «التلميذ الحبيب» يوحنا، لفترة من الزمن، في مدينة اورشليم. غير أنها بقيت، وهي في هذه الحال، في قلب الجماعة

المسيحيّة الأولى. فقدجاء في أعمال الرسل: «فرجعوا (بعد الصعود) الى أورشليم من الجبل الذي يقال له جبل الزيتون، وهو قريب من أورشليم على مسيرة سبت منها. ولمّا وصلوا اليها صعدوا الى العليّة التي كانوا يقيمون فيها، وهم بطرس ويوحنا، ويعقوب واندراوس، وفيليبّس وتوما، وبرتلماوس ومتى، ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور، فيهوذا بن يعقوب. وكانوا يواظبون جميعاً على الصلاة بقلب واحد، مع بعض النسوة ومريم أم يسوع ومع إخوته» (أعمال الرسل 1: 12-14.(

وعند نزول الروح القدس وحلوله على التلاميذ وهم مجتمعون للصلاة في عليّة صهيون في اورشليم، كانت مريم أم يسوع هناك في وسط الجماعة المسيحيّة. فقد جاء أيضاً في أعمال الرسل: «ولما أتى اليوم الخمسون (العنصرة)، كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة دويّ كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم السنة كأنها من نار قد انقسمت فوقف على كلّ منهم لسان، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على ما وهب لهم الروح القدس ان يتكلّموا...» (أعمال الرسل 2: 1-4). والقول «كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد»، يذكّر بما جاء في الفقرة السابقة (أعمال الرسل 1: 12-14)، أي الجماعة المسيحية الاولى، التي كانت تجتمع في العليّة للصلاة، والمؤلفة من الرسل الاحد عشر (وقد تم فيما بعد اختيار متيّا خلفاً ليهوذا الاسخريوطي)، ومن مريم ام يسوع، ومن إخوته وبعض النسوة... (تلميذات يسوع – أجل! كان ليسوع تلميذات.(

وبعد حلول الروح القدس، لم تعد كتب العهد الجديد القانونية تذكر شيئاً عن العذراء مريم. غير أن التقاليد المسيحية المستمرة أجمعت على أن العذراء مريم بقيت في بيت يوحنا الحبيب حتى موتها، كما أوصاهما يسوع المسيح على الصليب. بقيت مع يوحنا في أورشليم لفترة من الزمن. وعندما ترك يوحنا أورشليم بقيت تسكن معه حيثما ذهب. وترجّح التقاليد ان يوحنا قضى السنوات الاخيرة من رسالته وحياته في مدينة أفسس (في تركيا اليوم)، وهناك توفيت العذراء مريم. ويوحنا كتب «سفر الرؤيا» وهو في جزيرة بطمس تجاه أفسس، وفي هذا السفر رسالة مدح

ورسالة تحذير لكنيسة أفسس (رؤيا 1: 11؛ 2: 1). وقد أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً مهماً للمسيحية وقد التأم فيها المجمع المسكوني الثالث في سنة 431 ميلادية. وقبل المسيح، كانت أفسس عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا الصغرى. وقد بني فيها مرفأ صناعي مما جعل أفسس ميناءً بحرياً مهماً في العصور القديمة. وكان في أفسس هيكل أرطاميس العظيم مما جعل المدينة مركزاً دينياً كبيراً ومزاراً للعديد من الحجاج والزوّار...

أمّا الأناجيل المنحولة فتتحدّث عن العذراء مريم بشيء من التفصيل أحياناً: عن الحبل بها وولادتها وتكريسها لله وعن موتها وانتقالها الى السماء بنفسها وجسدها... (راجع أناجيل الطفولة، إنجيل يعقوب القديم، إنجيل متى المنحول وكتاب انتقال العذراء القديسة – وفي هذا الاخير تفاصيل عن موتها واجتماع الرسل حولها وانتقالها الى السماء بنفسها وجسدها...!). غير أن ما جاء عن العذراء مريم في هذه الكتب، كان في مجمله نابعاً بالأحرى عن روايات وأقوال شعبية تقوية ومبالغ فيها، أكثر مما هو نابع عن أحداث تاريخية رصينة وموضوعية...

غير أن هناك، في الاناجل المنحولة نفسها، حقائق دينيّة لم تأتِ على ذكرها الاناجيل القانونية نفسها، وقد تبنّتها الكنيسة الجامعة وأصبحت من تعاليمها الرسمية وحتى من عقائدها، كما ذكرنا آنفاً. وعلى سبيل المثال لا الحصر، انتقال العذراء مريم الى السماء بنفسها وجسدها. فهذه الحقيقة المسيحية لم تذكرها الأناجيل القانونية ولا سائر كتب العهد الجديد، بل ذكرتها بوضوح وركّزت عليها الاناجيل المنحولة، وخاصة كتاب «انتقال العذراء القديسة.«

وهكذا، في 30 تشرين الاول سنة 1950، أعلن البابا بيّوس الثاني عشر انتقال العذراء مريم الى السماء بنفسها وجسدها عقيدة مسيحيّة رسميَّة. وذلك لأن جسدها الذي أخذ منه الكلمة الالهي جسده لم تمسّه الخطيئة الاصلية، وبالتالي لم يطله الفساد كما يطال سائر أجساد البشر... (أصل العذراء ومولدها في الفصل التالي.(

بعض المراجع الخاصة والمعبّرة عن حياة مريم العذراء.

أولاً: المراجع العربية

-الأناجيل المقدسة: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا.

-أعمال الرسل

-الأناجيل المنحولة: أناجيل الطفولة، إنجيل متى، قصة يوسف النجّار، وخاصة إنجيل يعقوب القديم وكتاب انتقال العذراء القديسة.

-القرآن الكريم: سورة آل عمران 3، 32-47

سورة مريم 19، 15-32

-الطبري «تاريخ الطبري» 1، 728-730

-المسعوديّ «مروج الذهب» 4، 78-81

--ابن خلدون «كتاب العبر» 2، 148-149

-القس أسعد منصور «تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال، مصر، 1924، الباب الثالث، الفصل الثاني.

بعض المراجع الخاصّة والمعبّرة عن حياة مريم العذراء (تابع)

ثانياً: المراجع الاجنبيّة

-Migne, Dictionnaire des Apocryphes", 2 Vol., paris 1856
-F. Amiot, "Evangiles Apocryphes", Fayard, Paris, 1952
-France Quéré, "Evangiles Aporcryphes", Le seuil, Points, 1983
M. ABD El-Jalil, "Marie et l'Islam", Beauchesne, Paris, 1952
-L. Chaigne, "La vie de Marie, Fayard, 1954
-Daniel – Rops, "Les Evangiles de la Vierge", Laffont, 1948
-R. Guardini, "La Mère du Seigneur", Cerf, 1961
-P. Regamey, "Les plus beaux textes sur la Vierge Marie", La Colombe, 1946
-Maria, "Etudes sur la Sainte Vierge", sous la direction d'Hubert du Manoir S.J, chez Beauchesne, Paris (à partir de 1949)
-F.M. Braun, "La Mère des Fidèles", Casterman, 1954.
-Van der Meerch, "Marie Mère du christ", Traduction arabe, Dar Al-Kalima, Beyrouth, 1966
-Dr. H. Spencer Lewis "La Vie mystrique de Jésus", Robert Laffont, Paris, 1929.
-Ernest Renan "Vie de Jésus", 1863, Tome I, Chapitre 4.

الفصل الثامن

من «عناقيد الغضب» على لبنان 11-15 نيسان 1996 الى كشف سرّ «مقام النبيّ عمران...«

مريم العذراء ولدت في لبنان

»من الخمرة
التي عصرها اليهود
فوق الصليب...
شرب الشهداء ولم يرتَووا«...

(صلاة الفرض الماروني بالسريانيَّة،
ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع،
اللحن الاول)

الكمبيوتر الاسرائيلي هو الذي اختار اسم «عناقيد الغضب». لقّمه الجنرالات أنهم يريدون تسمية «حضارية» مناسبة لحرب يشنّها «الطيبون» العظماء عى جيرانهم الذين لم يستسيغوا هجرتهم الى ديارهم... وعاد «الكمبيوتر الذكي» الى سفر أشعيا الذي وصف غضب «الآتي» عند قوم لا يريدون قدومه فقال:

...»وبلغت سنة فدائي

وقد نظرت ولم يكن من ينصر

ودهست ولم يكن من يعضد

فأنجدني ذراعي

وغضبي هو أيَّدني...

فدست الشعوب في سخطي

وأسكرتهم في غضبي

وأَسَلْتُ في الأرض عصيرهم!«...

)أشعيا 63: 4-6(

واستوحت الكاتبة الاميركية هذا المقطع من أشعيا وغنّت حق الأرامل عقب الحرب الاميركية بين الشمال والجنوب بالحياة الكريمة (1862) وهي تقول:

»لقد رأت عيناي مجد الربّ آتياً

انه يدوس المعصرة

حيث تُختزن «عناقيد الغضب«...«

واستقرت أخيراً تسمية «عناقيد الغضب» عند رواية الاديب الاميركي المعروف «جون شتاينبك» الحاملة عنوان «عناقيد الغضب The » (Grappes of Wrathالتي تحكي أيضاً قصة العائلة الأوكلاهومية (جود) التي تهاجر الى كاليفورنيا بعد خسرانها أرضاً أجدبت فإذا كاليفورنيا تنبذها وتقاتلها.... عندها يتحول غضب العائلة «المضطّهدة» ثورة وتحريراً...

وسُرَّ الكومبيوتر الاسرائيلي فختم الاسم «المختار»: «عناقيد الغضب»! وشنوا الحرب على لبنان. فدام قصف مدافع «الغضب» اليهوديّ على لبنان طوال ستة عشر يوماً (بعدد سنوات الحرب على لبنان التي دامت

ستة عشر سنة!). وطاول القصف الاسرائيليّ، من البرّ والجوّ والبحر، الجنوب والبقاع وبيروت والجبل وكل لبنان. وقد نال الجنوب الحصّة الكبرى من «الغضب...«

أسفر القصف العنيف المدمّر، بالاسلحة الحديثة «المتطوّرة»، عن أضرار هائلة في الحجر والشجر والحيوان والبشر. وقد أحصى هذه الأضرار «برنامج الامم المتحدة لدعم عودة المهجّرين» في مطلع شهر حزيران 1996، كالآتي:

...»وقد أصابت هذه العمليات العسكريّة الاسرائيلية في لبنان: 51 بلدة في الجنوب والبقاع الغربي بأضرار جزئية و30 بلدة بأضرار متوسطة و17 بلدة بأضرار كبيرة و17 بلدة أخرى بأضرار فادحة، وذلك من أصل 159 بلدة في المنطقة.

وأصيب مستشفى بتدمير جزئي ومستوصف بتدمير جزئي ومستوصف بتدمير كامل و15 مستوصفاً بتدمير متوسط. كما أصيبت مدرسة بتدمير كلّي و41 مدرسة بتدمير متوسط وأصيب مبنى إداري رسمي بتدمير كلّي و3 مبانٍ بأضرار واثنان بتدمير جزئي.

أما دور العبادة فأصيب 46 منها بأضرار و12 بتدمر جزئي واثنان بتدمير كلّي. وتضرّرت 82 محطة كهربائية منها 52 أصيبت بأضرار جزئية و7 بتدمير متوسط و23 بتدمير كامل.

وأصابت الأضرار 40 بئراً ارتوازية منها 11 باضرار محدّدة و13 بتدمير متوسط و16 بتدمير كامل. كما أصيب 14 جسراً منها 2 باضرار محدودة و2 بتدمير متوسط و10 دمّرت بالكامل. وتمّ تدمير خزّانين كبيرين للمياه يغذّيان عشرات القرى الى جانب إصابة 20 خزّاناً منها 3 أصيبت بالتدمير الكامل و60 بتدمير جزئي و11 بأضرار جسيمة.

ودمّرت الاعتداءات 57 خطاً للمياه و72 شبكة كهرباء و102 شبكة هاتف. كما دمّرت 124 طريقاً تدميراً كاملاً و227 طريقاً تدميراً جزئياً.

وفي القطاع الاقتصادي تم تدمير 99 مؤسَّسة صناعية وحرفية منها 4 دمّرت بالكامل و29 دمّرت تدميراً متوسطاً و16 تدميراً جزئياً، الى جانب إصابة 1420 محلاًّ ومستودعاً بأضرار منها 1240 بأضرار جزئية و121 دمّرت تدميراً متوسطاً و59 دمّرت بالكامل.

وكذلك تضرّرت 52 مزرعة منها 11 دمّرت بالكامل واثنتان تدميراً جسيماً و39 تدميراً جزئياً.

كما تمّ تدمير 377 سيارة وإصابة 479 سيارة أخرى بأضرار، وتمّ تدمير 15 جرّاراً زراعياً وإصابة 31 بأضرار الخ«...

وبلغت عملية «عناقيد الغضب» ذروتها في «محرقة قانا» الشهيرة التي هي بحق «هولوكوست» نهاية القرن العشرين! وقد أسفرت هذه المحرقة البربريّة النازيّة الجديدة ضد لبنان عن «حرق» 105 من السكان المدنيين الأبرياء وسقوط 120 جريحاً، من بينهم الشيوخ والعجائز والنساء والحوامل والاطفال والرضّع. وكان كل هؤلاء يأوون الى «المركز الفيجي» التابع لقوات الطوارئ الدولية، وهو كناية عن هنغار ملاصق للبناء. أجل! لقد عُصرت عناقيد أجساد اللبنانيّين الابرياء على يد اليهود مما يذكّر – بشكل عجيب ومروع – بخمرة الاجران القديمة في عرس قانا الجليل اللبنانية. وامتزجت دماء اللبنانيين من مسيحيّين ومسلمين في أجران الشهادة والوحدة. وكان عرس جديد، من نوع آخر، ولكن في قانا الجليل نفسها. «وحفظت الخمرة الجيّدة الى الآن...» (كما جاء في نص عرس قانا الجليل: يوحنا 2: 10(

ولكن لماذا قانا الجليل اللبنانية بالذات...؟ الجواب هو: لأن هناك سراً – تاريخياً وروحياً – وراء قانا! ولماذا أهتزّ الضمير العالمي لمحرقة قانا وأخذ الاهتمام البشريّ ينصبّ ويركّز على قانا بالذات؟ الجواب هو: لأن هناك نفس السرّ التاريخي والروحي وراء قانا. وكما أن القذيفة الاسرائيلية التي ألقيت عن قصد على «مقام النبي عمران» في جوار قانا كشفت عن الكنيسة القديمة التي كانت تضم رفات وضريح عمران (يواكيم) والد مريم العذراء ورفات وضريح والدته والعائلة، هكذا فإن «محرقة قانا» الكبرى – «هولوكوست» نهاية القرن العشرين – كشفت الأبعاد العالميّة البشريّة – تاريخياً وجغرافياً وروحياً – لسرّ قانا الكبير. القذيفة الاسرائيلية كشفت سرّ الحجر، «ومحرقة قانا» كشفت سرّ البشر: القذيفة كشفت عن الكنيسة المسيحيّة القديمة التي كانت تحوي رفات وضريح يواكيم (عمران) والد مريم العذراء، ورفات وضريح والدته والعائلة، والمحرقة الكبرى كشفت عن «سرّ قانا الكبير»، سرّ أصل الدم البشري المسفوك شهادة وفداءً، سرّ دم

يسوع المسيح فادي البشرية الذي أصله، كأصل أمه مريم، من قانا: من لبنان. أجل! أصْلُ مريم العذراء من لبنان، من قانا الجليل، وبالتالي أصل المسيح، طبعاً، من قانا الجليل، من لبنان.

والدليل الحسّي على ذلك، وانطلاقاً من كلّ ما تقدم، يتبيّن لنا بوضوح أولاً أن أهل العذراء مريم، أن والديها يواكيم وحنّة وأقاربها وأنسباءها هم جميعاً من قانا الجليل اللبنانية. فرفاتهم جميعاً وأضرحتهم موجودة الى اليوم في ضواحي هذه البلدة الفريدة. فمن له عينان مبصرتان فليأتِ وَيَرَ... وإذا كانت رفات وأضرحة أجداد انسان ما، مع أهله ووالديه واقاربه وأنسبائه في بلدة ما، فمن أين يكون أصل هذا الإنسان، يا ترى؟

أجل! اليهود يقذفون لبنان من فوق، من الجو، ولبنان يردّ من تحت، من الارض بكشف الحضارات المتراكمة تحت ترابه العريق! وإذا لم يبقَ أحد يتحدث عن الأصالة في تاريخ لبنان مهد الحضارة البشرية، فتراب لبنان الآثاري كفيل بذلك، وهو يتحدث «ببلاغة لبنانية» ما بعدها بلاغة!!...

أما القول السائد، عند عامة الناس، بأن العذراء مريم هي من الناصرة، فقول لا يستند اطلاقاً الى أي أساس موضوعي ثابت، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الجغرافية، ولا من الناحية الذرّية والنسبية، ولا من أي ناحية أخرى! إنه قول شعبيّ سطحيّ متسرع وتقويّ أصبح تقليداً سائداً عند عامة الناس الى يومنا هذا! حتى ان الكتاب المقدس نفسه لا يقول أن أصل العذراء من الناصرة. فلا التقليد القديم ولا الاناجيل المنحولة، ولا الاناجيل القانونية نفسها، ولا كتب التاريخ تقول إن أصل العذراء مريم من الناصرة. هناك فقط إشارة عابرة في إنجيل لوقا (1: 26-27) تقول أن العذراء مريم، عندما بشرها الملاك، كانت «مقيمة» في الناصرة، ولم يقل إن أصلها من الناصرة. لا بل أكثر من ذلك، وحتى من حيث «إقامة» العذراء مريم في الناصرة نفسها، فهناك تناقض تاريخي وجغرافي فاضح جداً بين لوقا ومتى، كما ذكرنا سابقاً أكثر من مرّة. ففي حين يقول لوقا إن مريم العذراء كانت، عندما بشرها الملاك، «مقيمة» في الناصرة (لوقا 1: 26-27)، يقول متى بالحرف الواحد: «... فقام يوسف فأخذ الطفل وأمّه (وكانوا في مصر) ودخل أرض اسرائيل. لكنه سمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم،

فلجأ الى ناحية الجليل .وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها) ؟!)، ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً... (متى 2: 21-23.(

ينتج عمّا تقدم انه لا يمكننا القول بأن العذراء مريم هي من الناصرة، وذلك لأسباب عديدة، أهمها: أولاً هناك تناقض واضح جداً في النصوص الكتابية نفسها بين متى ولوقا. ثانياً: عبارة «إنه (أي المسيح) يدعى ناصريّاً...»، لا تدلّ هنا أبداً على احد سكان الناصرة – ولو كان هذا القول يصدم عامة الناس – بل هي تعادل «الذي في الناصرة»، أو «الجليلي»، أو «النذير» أو «قدوس الله المكرّس»...! (راجع الفصل الخاص «بيسوع الناصري»، وخاصة تعليقات وشروحات النسخة الجديدة، متى 2: 23 والحاشية رقم 14، ص 40). ثالثاً: يتحدث لوقا عن إقامة مريم العذراء في الناصرة، لا عن أصلها، هذا إذا كانت أقامت فعلاً في الناصرة... فقد تبين اليوم من خلال الابحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية العلمية ان بناء الناصرة يعود الى القرن الثاني أو الثالث بعد المسيح، لا قبل ذلك. وبالاضافة الى ذلك، لم يرد اسم الناصرة في أي كتاب من كتب العهد القديم، ولا في أي كتاب تاريخ يتحدث عن نشأة المسيحيّة. رابعاً: لو كانت العذراء مريم من الناصرة أو من فلسطين لكان بقي ولو أثر بسيط من أضرحة والديها أو أهلها أو أحد أقاربها وانسبائها. كل هذه الأضرحة موجودة في جوار قانا الجليل اللبنانية، في مقام النبي عمران» الذي تحدثنا عنه. وهي، من أجل اقامتها لفترة من الزمن في جبل الكرمل، أقام لها رهبانه اول كنيسة مسيحيّة على اسمها وهي بعد على قيد الحياة، ولم يقيموا هذه الكنيسة في الناصرة. فلو كان أهلها وأقاربها من الناصرة أو من فلسطين، لكان بقي لهم أثر ما في تلك البلاد. خامساً: لقد تأكد لنا بالدلائل الحسِّيّة والآثارية أن رفات وأضرحة والديها وأجدادها وأهلها هي في ضواحي قانا الجليل اللبنانية، في «مقام النبي عمران»، فكيف يكون أصلهم وأصلها بالتالي من الناصرة او من فلسطين؟ وهناك تقليد مسيحي – وهو غير صحيح – يقول أن قبر العذراء مريم، وبالأصح مكان موتها ودفنها، هو في مدينة أورشليم، فلو كان أهلها من الناصرة أو من أورشليم، أو من أي مكان في فلسطين، فلماذا لم يذكر أحد شيئاً البتة عن موت أهلها ورفاتهم وأضرحتهم في تلك البلدان؟ والمسيحيّون

الجليليّون أنفسهم الذين بدأوا قبل غيرهم بتكريم العذراء مريم، وبنوا أول كنيسة على اسمها وهي بعد على قيد الحياة، ثم بنوا الكنائس المسيحية الاولى في الجليل (راجع أعمال الرسل 9: 31)، لم يقولوا كلمة ولم يتركوا أثراً يشير الى قبور أهلها وأقاربها، مع أنهم كانوا يكرّمونهم ويقدسونهم. وكما هو معروف، فإن الاموات كانوا يقبرون، كعادة ذلك الزمان، في بلدتهم الاصلية. لذلك فإن أهل العذراء مريم، لم يدفنوا في فلسطين بل في بلدتهم الأصلية قانا الجليل اللبنانية، في «مقام النبي عمران» بالتحديد (في جوار قانا.(

ومن جهة ثانية، إذا عدنا الى تاريخ الناصرة القديم، فإن مؤرخ الناصرة المعروف الاب برنابا يقول في تاريخ الناصرة المعنون «جديد الارض المقدسة»، بالحرف الواحد ما يلي: «... لم تولد العذراء مريم في الناصرة، بل إن هذا هو «تزوير تقويّ» (كذا)! وهو يقول هذا القول بعد أن يذكر رواية القديس إيرونيموس (أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس!) والذين تبعوه في اعتقاده أن العذراء مريم ولدت في الناصرة... (راجع كتاب الناصرة المعنون: «تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة» للقس أسعد منصور، الباب الثالث، الفصل الثاني، صفحة 137، والحاشية رقم 1).

والقس أسعد منصور نفسه، الذي هو من الناصرة، والذي يعتبر مؤرّخ الناصرة الحديث، وبعد أن يورد قول الاب برنابا، يؤكد من جهته قائلاً: «... ولم يثبت إطلاقاً لا من التواريخ ولا من التقليدات المحلية المستمرة الى يومنا هذا ان يوسف أو مريم كان لهم بيت أو ميراث أو أهل أو اقارب في الناصرة نفسها...» (المرجع نفسه، المكان نفسه)! ويكرّر قول الأب برنابا متبنّياً إياه: «أجل! لم تولد مريم العذراء في الناصرة، بل أن هذا هو «تزوير تقويّ»...، كما يورد أقوالاً أخرى في هذا الاتجاه.

واليوم وعلى ضوء النقد التاريخيّ الموضوعي وعلم الآثار، لا يؤكد أحد من المؤرخين أو من العلماء أو من مفسري الكتاب المقدس أن مريم العذراء هي من الناصرة، كما لا يؤكد أحد أيضاً ان يسوع المسيح هو نفسه من الناصرة... ولو كان هذا القول يصدم البعض. فالكتاب المقدّس، مرة أخرى، ليس كتاباً تاريخياً بحصر المعنى، بالمفهوم العصري العلمي

لكلمة «تاريخ»، ولو كان يحوي أحياناً بعض الحقائق التاريخية الثابتة. وكيف يكون يسوع وأمه من الناصرة والناصرة وجدت بعدهما بقرن على الأقل؟!

أما لماذا نزح والدا العذراء مريم وأقاربها من قانا الجليل اللبنانية في الجليل الأعلى الى منطقة بيت لحم الجليل وجبل الكرمل في الجليل الأسفل، فأمر غير معروف وغير واضح تماماً، إذ لا يوجد بين أيدينا وثائق ومدوّنات تاريخية تفسِّر أسباب هذا النزوح. هناك فقط بعض القرائن التاريخية والجغرافية والاجتماعية التي تلقي برأينا، بعض الاضواء عى هذا النزوح. القرينة الاولى جغرافية، وهي واقع محسوس على الأرض: من جهة اولى، عاش أقارب العذراء مريم في الجليل في منطقة بيت لحم وجبل الكرمل، غير أن أضرحتهم موجودة الى اليوم في ضواحي قانا الجليل اللبنانية. الأسفار والتنقلات كانت أمراً شائعاً جداً في تلك الايام لأسباب عديدة ومتنوّعة، غير أن العادة السائدة في ذلك العهد كانت، كما رأينا،أن يدفن الناس، وخاصة كبار القوم، في بلدتهم الأصلية، كما هي الحال مع أقارب العذراء مريم. القرينة الثانية اجتماعية – روحية غير معروفة تماماً حتى يومنا هذا، وهي أن والدي العذراء مريم واقاربها، وبالتالي نسيبها يوسف النجار، كانوا جميعاً، على الأرجح، إمّا من الجماعة الاسينية وأمّا من الجماعات الروحية الجليلية المماثلة، التي كانت تتنتظر بلهفة المجيء القريب لمخلّص روحي شامل لجميع الناس. القرينة الثالثة، وهي مرتبطة مباشرة بالقرينة السابقة، تشير الى أن أقارب العذراء مريم ويوسف قصدوا منطقة الكرمل بالذات، لأن جبل الكرمل عهد ذاك كان، كما فصّلنا سابقاً، الموئل القديم والمحور الأساسي والمركز الناشط لكل تلك الجماعات الجليلية الروحية التي كانت تتهيأ بشكل حياتي مباشر الى قدوم المسيح – المخلص. كان أقارب العذراء من أبرز وأقدس تلك الجماعات الروحية (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السرّية»، الفصل الثالث ص 62 والفصل الخامس ص 83-94). وكان والدها يواكيم من كبار كهنة تلك الجماعات الروحية، يخدم في هيكلهم الكبير (غير هيكل أورشليم) المكرّس للإله «إيل» والموجود عند المدخل الأساسي لأحد أبواب مدينة أورشليم الجنوبية الغربية (راجع خريطة اورشليم بعد الاكتشافات الأثرية الحديثة جداً...). وكان هذا الهيكل

الكبير يسمّى «هيكل إيل – خارج – الاسوار»، خارج اسوار أورشليم... (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس «حياة يسوع السريّة»، الفصل الخامس، ص 84-85). وهكذا، عندما كان رهبان الكرمل وشيوخهم يختارون، من بين أقدس العائلات الروحيّة الجليليّة، 12 فتاة من العذارى المكرّسات عَلَّ المخلّص المنتظر يتجسّد في إحداهن – وقد حصل ذلك الاختيار أكثر من مرة – كان كبار الكهنة والشيوخ ينذرون بناتهم – وهنّ في البطن – لتكون مكرّسات للرب داخل هيكلهم في جبل الكرمل. وهذا ما فعله والدا مريم العذراء، يواكيم وحنّة، كما ذكرنا سابقاً. ومن بين الفتيات العذارى المكرّسات في جبل الكرمل قبيل الميلاد علّ المسيح المخلّص يتجسّد في احداهن، كانت مريم العذراء ابنة يواكيم وحنّة. القرينة الرابعة، وهي ذات طابع «نبوّي مشيحاني»، تشير الى أن أقارب مريم، وهم من المنتظرين بلهفة مجيء المخلّص، تركوا قانا الجليل اللبنانية، وأقاموا في الجليل الأسفل لكي يكونوا على مقربة من جبل الكرمل وبيت لحم حيث سيولد المسيح بحسب النبؤات... وقريباً من أورشليم حيث سيموت. ولقد كان كلّ ذلك بتدبير من العناية الإلهية التي مهدت الطريق، من خلال الظروف البشرية الطبيعية، الى ولادة السيّد المسيح!...

وإذا كانت مريم بعد موت زوجها يوسف قد عادت، كما يقول رينان، «الى قانا الجليل لأنها كانت من هناك، وأن يسوع نفسه أمضى، على الأقل، فترة من صباه وحداثته في قانا الجليل نفسها»، وإذا علمنا من جهة ثانية أن البلدة المدعوة «ناصرة» لم تكن موجودة في القرن الأوّل للميلاد، كما يؤكد علم الآثار اليوم، فإننا نستنتج من كل ذلك أن مريم ويوسف قد أقاما بعد زواجهما، ولو لفترة من الزمن، في بلدتهما الاصلية قانا الجليل، إذ كيف يمكن ليسوع أن يقضي فترة من حداثته وصباه بعيداً عن والديه؟ وبعد موت يوسف، عادت مريم الى قانا وبدأ يسوع حياته العلنية بعد اعتماده في الأردن على يد يوحنا بالقرب من بحيرة طبريا في الجليل. هذا ما يفسّر قول الإنجيل في نصّ عرس قانا الجليل: «وكانت مريم هناك...» (في قانا الجليل)... ودعي يسوع هو وتلاميذه الى العرس...». لم تدع مريم الى عرس قانا الجليل لأنها كانت «مقيمة» هناك، بل دعي يسوع وتلاميذه الى العرس. وبعد العرس واجتراح يسوع آيَتَهُ الاولى عاد، كما

يقول الإنجيل، «الى كفرناحوم ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام...» ومنذ ذلك الوقت، بدأت مريم ترافق ابنها في حياته التبشيرية، أحياناً عن قرب واحياناً أخرى عن بعد، بحسب الظروف والمناسبات، وذلك حتى موته على الصليب.

والسبب في عودة مريم الى قانا الجليل، بعد موت زوجها، هو لأنها كانت من هناك، وايضاً لأن قبور والديها واهلها وأقاربها كانت هناك. ويظهر أنه بعد إقامة أول كنيسة مسيحية للعذراء مريم، فوق جبل الكرمل، وهي بعد على قيد الحياة، أقام المسيحيون الاولون، في ضواحي قانا الجليل، كنيسة صغيرة ضمت رفات والدي مريم يواكيم وحنّة وأجدادها وأقاربها. وفي الربع الثاني من القرن الرابع بعد الميلاد، في عهد هيلانة وقسطنطين الكبير اللذين اهتما بتشييد الكنائس المسيحيّة في المشرق، أقيمت كنيسة كبيرة على الطراز البيزنطي مكان الكنيسة الصغيرة القديمة. وهذه الكنيسة البيزنطية هي التي كشفت عنها فوهة القذيفة الاسرائيلية التي القيت على مقام «النبي عمران» (يواكيم)، أثناء عملية «عناقيد اغضب» الاسرائيلية والتي كانت ذروتها «محرقة قانا الكبرى». وقد تكون هذه الكنيسة دمّرت ورمّمت أكثر من مرة بسبب الغزوات والحروب. غير أنها كانت خربة ومندثرة قبيل الفتح العربي في أواسط القرن السابع للميلاد. وعند وصول المسلمين الى منطقة قانا الجليل في جنوب لبنان، تعرّفوا على هذه الكنيسة التي كانت تحوي رفات وضريح والد العذراء مريم (عمران عندهم) وعائلته. وبما أن القرآن كان يكرّم آل عمران «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» (سورة آل عمران الآية 33)، ويكرم بنوع خاصّ عمران وزوجته «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً (سورة مريم الآية 28)، لكل تلك الأسباب، سعى مسلموا منطقة قانا الجليل الى إقامة مقام، بحسب تقاليدهم، يضم رفات وضريح «النبي عمران» وعائلته. والملفت أن بلدة قانا الجليل كانت منذ العهد الكنعاني القديم بلدة مميّزة من الناحية الروحية والدينية. كانت مرتبطة منذ البدء بمقام الإله الكنعاني إيل» – «قانا الجليل» – وبقيت هكذا طوال قرون عديدة حتى يومنا هذا. ومنذ فجر المسيحية كانت الملجأ الاول، على ما يظهر،

للمسيحيّين المضطهدين والمشتّتين خارج فلسطين. فقد جاء في أعمال الرسل: «... وأمّا الذين شتّتهم الضيق الذي وقع بسبب إسطفانوس (اول شهيد مسيحي قتله اليهود (فإنهم انتقلوا الى فينيقية) «...أعمال الرسل 11: 19). والمغاور المسيحيّة القديمة في قانا الجليل تشهد على ذلك. وفي القرون المسيحية الاولى كانت قانا الجليل بمثابة عاصمة روحية لتلك المنطقة. كان فيها قبر والدي العذراء مريم وعائلتهما، وكان يحيط بها من كل جانب بلدات مسيحية وعددها سبعة تبدأ جميعها بلفظة «دير» – هكذا تقول التقليدات المستمرة الى اليوم – والدليل على ذلك، أنه لا يزال الى يومنا هذا بعض هذه البلدات تحمل اسمها القديم: دير قانون النهر، دير كيفا ودير عامص... (ومقام «النبي عمران» نفسه، بجوار قانا، كان يدعى قديماً «دير» النبي عمران(

كان قبر يواكيم وعائلته قائماً على تلة بجوار قانا الجليل، ثم بنيت فوقه كنيسة مسيحية،كما ورد سابقاً. وفي بداية الفتح العربي كانت الكنيسة مندثرة فأقام فوقها المسلمون مقاماً «للنبي عمران» (يواكيم نفسه). ويظهر أن هذا المقام ترمّم أكثر من مرّة. أما البناء الحالي فيعود الى العهد العثماني. وفي نهاية القرن الماضي أصبح هناك مزرعة تحيط «بمقام النبي عمران» تسمّى «مزرعة عمران»...، وكانت مزرعة قائمة بذاتها. الاّ أنه في هذه الأثناء قدم الى تلك المنطقة آل أبو خليل من كسروان وبنوا مزرعة «القليلة» على شاطئ البحر بالقرب من «مزرعة النبي عمران»، لجهة الغرب. كانت «مزرعة عمران» مأهولة قبل الحرب العالميّة الأولى. غير أنها قد خربت واندثرت خلال الحرب وبقي المقام وحده قائماً بين الأطلال. وفي الفترة الممتدة بين 1914 و1980 كانت «مزرعة عمران» خراباً وغير مأهولة، عرف المقام خلالها بعض الإهمال. وفي الفترة الأخيرة، عادت الحياة الى تلك المنطقة وتوسّعت بلدة القليلة فشيّدت فيها الابنية الجديدة وامتدت صعداً الى جهة الشرق فاصبحت متصلة بمزرعة «النبي عمران القديمة»، وتحولت هذه الى حيّ من أحياء القليلة. وأصبح المقام يعتبر داخل بلدة القليلة. هذا هو الوضع القائم في يومنا هذا.

هذه باختصار قصة مقام «النبي عمران»، الذي كان منذ بداية الفتح العربي ولا يزال في منطقة اسلامية شيعيَّة. غير أن هذه القصة التاريخية الغريبة بقيت محصورة جداً في منطقة صغيرة محدودة يَتناقلها التقليد المحلي المحدود مع شيء من التصحيف الشعبيّ. وبقي النبي عمران مغموراً ومنسيّاً في ظلمة قبره من الجميع، وخاصة من المسيحيّين انفسهم حتى في لبنان!؟ فلا التاريخ المسيحيّ ولا مفسِّرو الكتاب المقدس ولا علماء الآثار ولا أحد من المسيحيّين، على ما نعلم، أتى على ذكره بكلمة واحدة تقول أنه مقام يواكيم والد العذراء مريم. أما أسباب هذا النسيان الغريب والطويل فهي عديدة ومتنوعة. السبب الاول لأن المقام بعيد عن أورشليم والناصرة وبيت لحم اليهودية .وقد رأينا ان المسيحيّين المتهوّدين، في القرون المسيحيّة الثلاثة الأولى – ومن بعدهم التاريخ المسيحي وخاصة في الغرب – قد ركزوا اهتمامهم على أورشليم والناصرة وبيت لحم اليهودية والمناطق المحيطة بهذه المحاور الروحية الثلاثة، وسعوا بكلّ الوسائل الى حصر كل التاريخ المسيحي بهذه المناطق فقط لا غير. السبب الثاني هو أن الرحّالة الافرنج الذين حجّوا الى الأراضي المقدّسة، منذ أواسط القرن الربع، لم يذكروا شيئاً عن ضريح يواكيم وحنّة وعائلتهما، هذا بالإضافة الى جهلهم جغرافية المنطقة ولغاتها... السبب الثالث هو أن الكنيسة المسيحية التي كانت تحوي رفات وضريح يواكيم وعائلته ما عتمت ان خربت واندثرت وظلت هكذا طوال قرون عديدة، بسبب الغزوات والحروب، ولأنها كانت بعيدة عن العواصم والمناطق المسيحيّة .فمنذ نهاية العهد البيزنطي لم تعرف منطقة «النبي» عمران تواجداً مسيحياً يذكر .السبب الرابع، وهو بنظرنا الأهم، هو أن هذه المنطقة، ومنذ بداية الفتح العربي، في أواسط القرن السابع للميلاد، أصبحت منطقة اسلامية شبه مغلقة .وتغيّر اسم صاحب الرفات والضريح، أي اسم يواكيم، وأخذ اسمه المسلم «عمران» المذكور في القرآن. وأصبح المقام، في الفترة الاخيرة، يسمّى «مقام النبي عمران .«والظاهر ان التسمية «عمران» والطابع الاسلامي الظاهري للمقام قد حجب حقيقة الامر عن أعين المسيحيّين من مؤرخين ومفسِّري الانجيل وعلماء آثار غربيين وغيرهم ...ناهيك عن الغزوات

والحروب والصراعات، من دينية ومذهبية وغيرها، التي حلت بكل هذه البلاد، طوال قرون عديدة... السبب الخامس هو أن التنقيبات الأثرية التي جرت في لبنان منذ الاستقلال قد ركّزت بنوع خاص على المدن الكبيرة على شاطئ البحر وعلى منطقة جبل لبنان القريبة من العاصمة بيروت، فأُهملت آثار مناطق اطراف البلاد وخاصة البعيدة عن السكن، كما هو ظاهر حتى يومنا هذا! وهكذا طال الإهمال الرسميّ العديد من الآثار اللبنانية – ولبنان مليء فعلاً بآثار الحضارات المتراكمة تحت ترابه – ومن هذه الآثار المهملة «مقام النبي عمران...«

غير أن الحقيقة مهما كانت مطموسة ومنسيّة ومجهولة فلا بد لها أن تظهر وتشعّ في يوم من الأيام. وإن غابت يوماً عن ذاكرة البشر فإنها تبقى مجسّمة ومتجسّدة في ذاكرة الحجر: في الآثار المحسوسة والملموسة. هذه ليست بحاجة الى دليل وحجة وبرهان، فهي نفسها الدليل والحجة والبرهان. إنها تحتاج فقط الى كشف ينزع عنها ستار وغبار الطمس والنسيان والجهل. وقد يكون الكشف مقصوداً ، وقد يكون غير مقصود... وهذا الأخير هو الذي حصل بالنسبة الى «مقام النبي عمران»، كما فصّلنا سابقاً. قذيفة اسرائيلية واحدة كانت كافية للكشف، غير المقصود طبعاً، عن حقائق بالغة الاهمية بالنسبة الى تاريخ المسيحيّة ولبنان... هذه الحقائق التي كانت غائبة عن ذاكرة البشر حفظها الحجر تحت تراب لبنان الحضاري العريق. وها هي اليوم قد أصبحت ظاهرة للعيان: حقائق مجسّمة ومجسّدة، محسومة وملموسة. وهي تنتظر «أحفاد توما» كي يضعوا فيها «أصابعهم العشر»، علّهم يؤمنون!...

وبما أن سرّ مقام النبيّ عمران ظلّ مكتوماً الى يومنا هذا، وبما أن له علاقة مباشرة، وبالغة الاهمية، بدراستنا هذه، فضّلنا أن نسلّط عليه أضواء كاشفة. لأن هذا السرّ يحوي حقائق بالغة الخطورة...

جاء في كتاب البحّاثة أنيس فريحة «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية» (في باب كلمة عمران، ص 118) ما يلي: «عمران» اسم علم مشهور. أمّا بالسريانية فهو بالميم: عمرام. وهي قرية في جنوب لبنان، في قضاء صور». وهذه القرية تعرف باسم «مزرعة عمران». تحدّها من الغرب بلدة «القلَيْلة» ومن الجنوب منطقة العزيّة ومن الشرق بلدة

الشعيتيّة ومن الشمال المعليّة. تبعد عن مدينة صور زهاء عشرة كيلومترات جنوباً، وهي قريبة من قانا الجليل اللبنانية وتعتبر من القرى المحيطة بها. أراضيها اليوم مزروعة بأشجار الزيتون والخرنوب والحمضيات والتبغ. وقد اشتهرت قديماً في خرنوبها. مناخها جيّد ناعم وترتفع عن سطح البحر 85 متراً.«

كانت «مزرعة عمران» مأهولة قبل الحرب العالمية الأولى، الاّ أن أهاليها انتقلوا الى قرية «القلَيْلة» المجاورة لها بعدما بنى هذه البلدة، التي تمرّ بها الطريق العام على شاطئ البحر، عيسى خليل أبو خليل، الذي جاء الى هذه المنطقة من ميروبا في كسروان زهاء العام 1720. وفي الفترة الممتدة بين 1914 و1980 كانت «مزرعة عمران» خراباً وغير مأهولة. وعادت الحياة بعد ذلك الى المنطقة فشيّدت فيها البيوت، واصبحت «مزرعة عمران» متّصلة بقرية «القلَيْلة» بطريق معبّدة، وأنيرت بالكهرباء وأمّنت لها مياه الشفة وتم حفر عدد من الآبار الارتوازيّة لريّ أراضيها. وهكذا أصبحت منطقة عامرة مزدهرة تدبّ فيها الحياة من جديد لتصبح المكان الذي تشرق منه الشمس على بلدة القليلة.

ذكرها المؤرخون القدماء هكذا: «عمران: بوزن فِعْلان قرية في ساحل صور معروفة بجودة الخرنوب...» (خطط جبل عامل، ص 268). «وعمران تابعة مركز محافظة صور – 12 شيعة» (قاموس لبنان). «وعمران: اسم علم مشهور. أمّا بالسريانية فهو بالميم: عمرام» (أنيس فريحة «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية»، ص 118). وورد اسم منطقة عمران في الاتفاقية التي عقدت بين ملكة صور آرام أراريت او أوغاريت وبين حاكم مصر آنذاك عام 1263. وورد اسمها باسم: «دير عمران»، ممّا يدل على أنها كانت في القديم تحوي ديراً مسيحياً معروفاً. وفي «أزهار الخمائل» للشيخ حسين سليمان العاملي ورد ما يلي: «عمران مزرعة خراب قديمة... انتقل سكّانها الى قرية «القليلة»، وكانت قبل الحرب العامة (العالمية الاولى) مأهولة بمقدار 64 نسمة. ولم يزل قيدهم باسمها، وتطلب باسم قرية، وفيها مقام اسمه «عمران». وحولها آثار قديمة وهي تابعة لقرية «القليلة» من املاك آل أبي خليل الوجهاء... (الدكتور وجيه أبو خليل «مزرعة النبي عمران في صور»، مقالة هامة مع مراجع وصور،

نشرت في «نهار الشباب»، الثلاثاء في 24 ايلول سنة 1996). والتقليد القديم والمستمر الى يومنا هذا يقول إن مزرعة النبي عمران كانت مملوكة لأهالي عمشيت من بلاد جبيل، ثم اشتراها أهالي جبشيت في قضاء صور، ثم اشتراها آل حكيمة من بلدة قانا الجليل اللبنانية المشهورة جنوبي صور، ثم اشتراها منهم آل ابو خليل الذين جاؤوا من ميروبا في كسروان زهاء العام 1720. وتجدر الإشارة هنا الى أن مزرعة النبي عمران هذه قريبة جداً من قانا الجليل اللبنانية، وان عدداً من العائلات ما زالت منقسمة بين البلدتين الى يومنا هذا. وفي الأصل كانت مزرعة النبي عمران تابعة لقانا.

وفي مزرعة النبيّ عمران الى اليوم آثار مقبرة قديمة جداً وآثار مراع للماشية وعدد من الآبار القديمة التي تستخدم لجمع المياه. وقد أظهرت الحفريات الجارية حالياً وجود عدد من البيوت وآثار كنيسة مسيحيّة قديمة العهد وأعمدة عليها كتابات باليونانية وصلبان وبعض الحجارة وقطع الزجاج الملوّن المبعثرة...

كان لا بد من هذه المقدمة، ولو بشكل سريع، للتعرف الى منطقة عمران التي تمتد جذورها بعيداً في التاريخ. لكن ما يعنينا هنا بشكل خاصّ هو من أين جاءَت هذه التسمية: «عمران». ومن يكون عمران هذا الذي أقيم له مقام يؤمّه الناس ويزورونه ويتباركون به صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً أصحّاء ومرضى...؟ والتقليد المحلّي يتحدث باستمرار، حتى يومنا هذا، عن شفاءات حصلت وآيات تمت في هذا المقام. (وقد رأينا شخصياً في البلدة بعض الأشخاص الذين حصلت معهم شفاءات وآيات، عندما زرنا البلدة والمقام أكثر من مرة...). من هو عمران هذا؟ هل هو نبي أم قديس أم وليّ أم رجل صالح؟ والملفت حقاً هو أن جميع الذين كتبوا عن عمران هذا، في هذا المقام، أو ذكروا اسمه ويذكرونه حتى اليوم، ذكروه عرضاً ولم يتوسّعوا للتعريف به والتعرّف اليه!؟

من هو عمران هذا الذي بُني على اسمه هذا المقام: مقام النبي عمران؟ لا يُشكّ إطلاقاً في تسمية منطقة عمران بنسبتها الى صاحب المقام الموجود عمران، فهي سمّيت باسمه. وللتعريف به نقول إن التاريخ لم يذكر لنا، على ما نعلم، الاّ رجلين معروفين بهذا الاسم هما: عمران

والد النبيّ موسى، وعمران والد مريم العذراء (في التقليد الاسلامي – أمّا في التقليد المسيحي «فيواكيم» هو اسم والد العذراء مريم، وحنّة هو اسم والدتها. ونذكّر هنا أيضاً بأن الأناجيل المنحولة وحدها هي التي ذكرت اسمَي يواكيم وحنّة، والدي العذراء مريم. وهكذا التقليد المسيحي المستمر الى اليوم. أمّا الاناجيل القانونية مع سائر كتب العهد الجديد فلم تذكر شيئاً عنهما ولا حتى اسمهما...؟.(!

ورد اسم عمران أكثر من مرة في القرآن. وآل عمران قوم مصطفون بنظره. «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم. إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السميع العليم» (سورة آل عمران، الآيات 33-35.(

وفي نظرة الى المقام الموجود حالياً في مزرعة النبي عمران، والى مجموع الدلائل الموجودة والتي اكتشفت حديثاً وتظهر فيها آثار مسيحية (كنيسة وصلبان وكتابات وقبور)، لا يرقى الى الشك ان هذا المقام هو مقام عمران (يواكيم) والد مريم العذراء.

وقد توافرت فيه صفات تؤهله لأن يقام له مقام كالذي نعرفه اليوم. فبالإضافة الى كونه والد العذراء مريم، فإن الكنيسة المسيحية تكرمه وتعتبره قديساً وتعيّد له، مع حنّة زوجته، في التاسع من شهر أيلول من كل سنة، بعد اليوم الثامن من شهر أيلول الذي هو عيد مولد ابنته مريم العذراء. والاسلام يكرمه أيضاً للأسباب عينها. وقد ورد ذكره مكرّماً في القرآن على لسان قوم مريم «وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيا» (سورة مريم، الآية 28.(

والمؤرخ الطبري، من جهته، يقول: «تزوّج عمران حنّة بنت فاقود بن قبيل فولدت له مريم العذراء...» (تاريخ الامم والملوك، الجزء الأول، ص 418). وذكر المسعودي «أن حنّة زوجة عمران ولدت له مريم وأشباع. وتزوجت أشباع زكريا وولدت له يحيى (يوحنا المعمدان). فيكون بذلك يحيى ابن خالة السيد المسيح» (مروج الذهب، الجزء الأول، ص 62). الاّ أن الطبري يذكر أن أشباع هي أخت حنّة زوجة عمران وليست ابنته (تاريخ الامم والملوك، الجزء الأول، ص 418). وكان يحيى (يوحنا

المعمدان) يكبر السيّد المسيح بستة أشهر (المسعودي «مروج الذهب»، الجزء الأول، ص 63). وهذا يوافق ما جاء في انجيل لوقا (1: 26-7) «وفي الشهر السادس (لحبل اليصابات بيوحنا المعمدان)، ارسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم«...

وهكذا فإن عمران (يواكيم) مكرّم ومقدّس في المسيحية والاسلام، ولدى طوائفهما كلّها، بدليل وجود مقامه في جبل عامل جنوبي لبنان الذي تعاقبت عليه أقوام ومذاهب كثيرة، ولم يزل الى يومنا هذا موضع احترام واهتمام وتكريم. والمعروف ان مقام النبي عمران موجود في يومنا هذا في منطقة اسلامية شيعية، تكرّمه كثيراً.

ولكن في جميع الكتب التي استطعنا أن نطّلع عليها لم نجد أحداً يذكره باسم «النبي» عمران. وأظن أن لقب «النبي» أطلق عليه في فترة حديثة. غير أن جميع المؤرخين لم يختلفوا على تسميته ولا على نسبته ولا على موقعه، بدليل عدم وجود مكان آخر يدل على وجود قبر فيه. والتقليد المحلّي المستمر لا يزال يؤكد على ذلك. وتكريماً له وتبرّكاً به بُني له مقام خاصّ يضم ضريحه، ما زال موجوداً الى يومنا هذا.

وبناء المقام الموجود حالياً يعود الى الحقبة العثمانية ويتضمن بقايا معمارية تعود دون شك الى فترات أقدم، إذ كان يُرمّم من فترة الى أخرى. والمقام يتكوّن من قسمين: قسم قديم يتألف من غرفتين مجاورتين، وقسم حديث ويضم غرفتين للصلاة ومشارب وأمكنة للوضوء وحمامات. القسم القديم، وهو مستقل، عبارة عن غرفتين متلاصقتين: الغرفة الاولى كبيرة وفي داخلها قبر النبي عمران، طولها ثمانية أمتار وعرضها سبعة أمتار، يتكوّن سقفها من أربعة عقود يختلف عرض الواحد عن الآخر، وفي الجهة الغربية يوجد رفّ عريض توضع عليه الفوانيس والشموع والسبحات، وفي الجهة الجنوبية يوجد محراب للصلاة. وعلى هذه العقود الأربعة بنيت قبة على الطراز العثماني بارتفاع ثلاثة أمتار. وللغرفة شباك صغير من الجهة الغربية، ولها باب واحد من الجهة الشمالية وهو المدخل الوحيد وعلوّه زهاء متر ونصف. أمّا الضريح الذي يقع في الجهة الجنوبيّة خلف المحراب فعبارة عن هيكل خشبي في داخله قبر من الرخام،

ويحوطهما سور من الحديد المشبّك. وأمّا الغرفة الثانية المجاورة فصغيرة الحجم، في حائطها الجنوبي محراب صغير يسمّى «غرفة أم النبي» (عمران). ورفات أم النبي ما زال موجوداً في مدفن خاص في حائط هذه الغرفة من الداخل!

على مدخل المقام تاجان من حجر الرخام، وهذا دليل واضح على أنه كان في هذا المكان هياكل من الحجم الكبير. وعلى المدخل فوق الباب الرئيسي حجران كبيران مستطيلان من الرخام لا يوجد مثلهما عادة الا على مدخل الكنائس المسيحية الكبيرة، وتحتهما حجر كبير مستطيل كانت فيه لوحة تبين تاريخ هذا المقام، وقد سرقت هذه اللوحة أيام الانتداب الفرنسي... ويقول المعمّرون في البلدة أن هذه اللوحة موجودة في المتحف الايطالي...؟

لقد تعاقبت على هذه المنطقة شعوب وحضارات كثيرة بدليل وجود آثار ظاهرة للعيان تدل على ذلك. فقد وجد عمود كبير من الرخام عليه كتابة يونانيّة، وعمود آخر يستعمل بوابة لمدخل معبد، وقاعدتان رخاميتان لعمودين عليهما كتابة ورموز رومانيّة. وهناك أجران ضخمة لِعَصْرِ الخرنوب والزيتون والعنب، وقطع من الحجارة والزجاج مبعثرة هنا وهناك تدل على حقبات تاريخية متعاقبة... ونشير الى أنه كان يوجد في أعلى قبّة المقام تمثال من الرخام لثلاث حمامات سرق منذ فترة، إضافة الى بعض الاعمدة الرخامية التي كانت مطروحة على جانبي الطريق المؤدية الى المقام... وتجدر الاشارة الى أن أهالي البلدة قد شيّدوا مأذنه عالية على الطراز الحديث بجانب المقام – انطلاقاً من الارض – عند المدخل، الى الجانب الجنوبي الغربي منه، كتب في أعلاها: «مقام النبي عمران.«

وعندما تعرضت المنطقة للقصف الاسرائيلي العنيف الذي سمّي «عناقيد الغضب» (11-25 نيسان 1996) والذي تسبّب «بمحرقة قانا الشهيرة» (105 من المدنيين الأبرياء...)، في 18 نيسان، طال القصف الاسرائيلي يومها مقام النبي عمران. فوقعت قذيفة كبيرة على بعد أربعة أمتار من المقام الى الجنوب الشرقي منه، فطالت بعض شظاياها السور الخارجي وجدار المقام وقبّته. وآثار الشظايا باقية وظاهرة للعيان الى يومنا هذا. ولكن، من غرائب الامور، أحدثت القذيفة الاسرائيلية إياها فوهة

كبيرة في الأرض، فكشفت (!!) عن وجود نفق كبير تحت الأرض طوله زهاء 15 متراً وعرضه عشرة أمتار وهو مبنيّ بحجارة رمليّة كبيرة، وأظهرت أعمدة من الرخام وآثار بناء قديم. ويستدل من كل ذلك، على ما يظهر، أنه بناء كنيسة مسيحيّة قديمة، والدليل وجود قطع من الفسيفساء الملوّنة فيها صلبان ورسوم ورموز مسيحيّة... ويستنتج من كل ذلك أن هذه الكنيسة المسيحيّة التي يغمرها التراب الآن، والتي ظهرت للعيان «بفضل» القذيفةالاسرائيلية، كانت، على ما يظهر تحوي قديماً – في العصور المسيحيّة – ضريح يواكيم (عمران عند المسلمين) وضريح والدته والعائلة... ويظهر أنه، بعد تقلّبات الزمان ومرور الشعوب والحضارات في تلك المنطقة، وعند وصول الفتح العربي الى تلك الديار، علم الاهالي باكراً بوجود رفات وضريح عمران والد السيّدة العذراء وزوجته حنّة تحت انقاض تلك الكنيسة فنقلوا رفاتهما وشيدوا لهما مقاماً، بحسب التقاليد الاسلامية، وذلك تكريماً لهما وتبريكاً بهما، لكون عمران وحنّة هما مكرّمان في الاسلام وفي القرآن بنوع خاص، كما ذكرنا سابقاً. وهذا ما أفادنا به شيوخ البلدة عندما زرنا شخصياً المقام على أثر مجزرة عناقيد الغضب (يومها اتصلنا بكبار المسؤولين في مديرية الآثار اللبنانية، وكانوا على علم بذلك، وطلبنا اليهم المزيد من الاهتمام بتلك الآثار... لأنها بالغة الأهمية في تاريخ المسيحية ولبنان). وقد أكد لنا شخصياً شيوخ البلدة والمنطقة، الذين زرناهم وتحدثنا اليهم طويلاً أكثر من مرّة، أنهم يتابعون نقل تلك التقاليد القديمة والمستمرة التي تقول وتؤكد بان مريم العذراء ولدت في هذه المنطقة. فقد ولدت فيها ونشأت في ربوعها ثم انتقلت فيما بعد الى بلاد الجليل. وإذا كان أصل العذراء مريم من هذه المنطقة، من لبنان، فابنها يسوع المسيح، هو أيضاً أصله من لبنان. والدليل أنها من هذه المنطقة وجود قبر والدها يواكيم (عمران) وقبر جدتها لوالدها وبقية العائلة. وبديهيّ جداً ان يولد الانسان في بيت والديه وأن ينشأ ويترعرع فيه... ويقول التقليد المحلي أيضاً أن بلدة «الحناوية» وجبل سعين (سمعان) القريبين من قانا الجليل والقليلة يذكّران بحنّة النبيّة وسمعان الشيخ اللذين كانا في الهيكل عندما قدّم يسوع والداه للرب في الهيكل، وكانا من تلك المنطقة بالذات...!

تقول عالمة الآثار الفرنسيّة «دنيز له لاسّور»، في بعثة آركيولوجيّة الى صور»، 1921، ما تعريبه:

...»والى الجنوب من رأس العين، بالقرب من طريق «دير قانون»، هناك موقع آخر حريّ بالتنقيب يسمّى «الطيّبة»، حيث نشاهد مقلعاً للحجارة مهمولاً تماماً يحوي أعمدة محطّمة من الرخام وحجارة ضخمة مقصّبة تجدر دراستها عن كثب. وهناك، في جدار أحد المنازل في قرية مجاورة، وجد الاب كرم خادم رعية قانا، كما أكّد لنا، «عرش عشتروت»، الموجود حالياً في متحف اللوفر في باريس!... وكان هذا العرش مخبأ في أحد جدران البيت ومطلياً بالاسمنت... ثم أكملنا سيرنا باتجاه الجنوب، فوصلنا، بعد زهاء ساعة من الزمن، الى «القلَيْلَة»، وهي قرية يسكنها «المتاولة» (وهي تعني: الاسلام الشيعة)، حيث قصدنا لتوّنا «النبي عمران»، وهو مقام معروف في المنطقة، مشيد فوق تلة عالية شرقي البلدة، وهو يبعد زهاء نصف ساعة، مشياً على الأقدام، عن قرية «القليلة»... وبوصولنا الى المقام أرشدنا المرافقون من القرية الى قاعدتي عمود كبيرتين من «الطراز الكورنثي» القديم، وقاعدة عمود جميلة جداً من «الطراز البيزنطي» تمثل نسوراً أربعة يجثم الواحد بجانب الآخر وأجنحتها مطويّة. والقاعدة الأخيرة تعلو قبّة المقام. صعدنا الى سطح المقام لنتأمل عن كثب هذه القاعدة الجميلة. والسيّد لورى الذي رافقنا من صور وكان عضواً في بعثتنا إهتم بتصوير القاعدة ونسورها الأربعة. أمّا النقيب «دى لا باسّتيار» فأخذ يفاوض أهالي بلدة القليلة للحصول على هذه القاعدة ويهديها الى المتحف الوطني اللبناني في بيروت. بعد ذلك أرشدنا المرافقون الى مقبرة حفرت في الصخر تبعد مسافة 25 متراً الى الشرق من المقام، تحوي في داخلها كتابات باللغة اليونانية نقشت على بلاطات من الرخام. وقد أهدانا بعض المرافقين من الاهالي قطعاً من هذه البلاطات كانت لا تزال في حوزتهم. وعلى هذه القطع كتابات من العهد البيزنطي وصلبان ورموز مسيحية، ممّا يدلّ على أنها كانت في جدران المقبرة المحفورة في الصخر. وهناك قطع أخرى مشابهة استقرت أخيراً، حسب ما قيل لنا، في بيوت بعض الزعماء المحليّين...

وفي الحقول التي تحيط بمقام النبي عمران وجدنا كمية كبيرة من قطع الفسيفساء الزجاجية ذات الألوان الأصفر والأزرق والأخضر، بالإضافة الى أجزاء من الفخّار الملوّن. وقيل لنا أيضاً إن هناك بئراً كبيرة غطاها التراب تقع بالقرب من المقام الى الجانب الشرقي الجنوبي. (نشير هنا بالمناسبة الى ان هذه البئر بالذات هي التي كشفتها فوهة القذيفة الاسرائيلية، التي تحدثنا عنها والتي سقطت بالقرب من المقام. وقد رأيناها بأم العين في المكان الذي حدّدته العالمة الفرنسية). كما قيل لنا إن الأهالي نقلوا الى البلدة من داخل تلك البئر، قبل ان تغطّى بالتراب، قاعدة عمود كبير من حجر الرخام عليها صلبان ورسوم ونقوش. ويظهر أن غالبية هذه الآثار هي من العصر البيزنطي. غير أننا وجدنا في حقل يبعد عن المقام، الى الجانب الشرقي، زهاء 50 متراً، معصرة قديمة جداً من الحجر الصلب، علوها متران وعرضها متر تعلوها بلاطة صخرية كبيرة. وأظن أن طراز هذه المعصرة القديمة شبيه بطراز المعاصر التي وجدناها في «جلّ العمود» (وهي تقصد المعاصر من العهد الفينيقي التي اكتشفها، قبلها بعدة سنوات، إرنست رينان أثناء رحلته الشهيرة الى لبنان. وهي تقول صراحة إنها تمشي على خطى رينان في بعثتها الآركيولوجيّة الى لبنان. أمّا «جلّ العمود» فيقع في منطقة «البرج الشمالي» شرقي مدينة صور...».) (راجع: مجلّة «سيريا» (مجلة الفن الشرقي والآركيولوجيا)، المجلّد الثالث، باريس 1922، «بعثة آريولوجية الى صور»، نيسان – أيار 1921 بقلم عالمة الآثار الفرنسية «دنيز له لاسّور»، المقالة الثانية، 4، اكتشافات متنوعة في منطقة صور، ص: 116-130، بالفرنسية.(

إن هذه المقالة هي، على ما نعلم، المقالة أو البحث الآركيولوجي الاول والوحيد، حتى اليوم، عن «مقام النبي عمران»! وقد أرسلت هذه العالمة من قبل الحكومة الفرنسية، عام 1921، لمتابعة واكمال التنقيبات الاثرية في جنوب لبنان التي قام بها العالمان الأثريان الكبيران إرنست رينان في السنتين 1860 – 1861، وت. مَقْرِيدِي بك حافظ متحف القسطنطينية. وقد جمعت دراستها الآركيولوجية هذه تحت عنوان: «بعثة آركيولوجية الى صور» ونشرتها في السنة التالية، 1922، في مجلة

«سيريا» المتخصّصة بالفنون والآثار الشرقية، في مقالتين علميتين طويلتين معزّزتين بالأرقام والرسوم البيانية والصور الحيّة والمراجع...

يقول رينان العالم الفرنسي الشهير الذي زار لبنان ونقّب عن آثاره وكتب عنها كتابه الضخم «رحلة الى فينيقية»، يقول في كتابه «حياة يسوع»: «... ومات يوسف قبل أن يبدأ ابنه يسوع حياته العلنية. وهكذا بقيت مريم على رأس العائلة، ممّا يفسِّر لماذا كان الناس يدعونه «ابن مريم» عندما كانوا يحاولون ان يميّزونه عن سائر الذين يحملون نفس الاسم. وهكذا أصبحت مريم غريبة في الناصرة بعد موت زوجها، فعادت الى قانا الجليل لأن أصلها من هناك (بالحرف الواحد!!)... ويسوع نفسه أقام فترة من الزمن في قانا الجليل. فهناك أمضى فترة من شبابه، وهناك حصلت أولى آياته وعجائبه) «...إرنست رينان «حياة يسوع»، الجزء الأول، الفصل الرابع، الصفحة 50!!(

وهكذا، وبكل بساطة ووضوح، وبكل جرأة...، يقول رينان إن أصل مريم العذراء من قانا الجليل، وإنها عادت إليها واستقرّت فيها بعد موت زوجها يوسف، لأنها كانت غريبة في الناصرة... وإن ابنها يسوع هو أيضاً بالطبع كان أصله من قانا الجليل... وانه أقام فيها فترة من شبابه... وفيها حصلت أولى آياته... وهذا القول الاخير يقودنا مباشرة الى ما جاء في انجيل يوحنا، في عرس قانا الجليل (4: 11): «هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فآمن به تلاميذه...»! (فيما يخص عرس قانا الجليل راجع: انجيل يوحنا 2: 1-12). وهناك أيضاً في نص عرس قانا الجليل نفسه إشارة أخرى – غير مباشرة ظاهرياً ولكنها واضحة بالنسبة الينا – تدلّ علىأن مريم العذراء كانت «مقيمة» في قانا الجليل: «وكانت أم يسوع هناك (في قانا الجليل)». فقد جاء في انجيل يوحنا: «وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس وكانت أم يسوع هناك. فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس الخ...» (يوحنا 2: 1-2). النص الانجيلي في يوحنا واضح كل الوضوح، فهو يقول: «وكانت أم يسوع هناك...». كيف ولماذا كانت مريم أم يسوع هناك؟ ولماذا وكيف كانت «هناك» لوحدها؟ لم تكن ترافق ابنها في ذلك الوقت. كان يسوع بعيداً عن قانا الجليل، قريباً من بحيرة طبريّا حيث كان يوحنا يعمّد في مياه الاردن. كان قد اعتمد على يد

يوحنا وبدأ باختيار تلاميذه الأولين: إندراوس ثم سمعان بطرس أخيه ثم نتنائيل... ويبدأ نص عرس قانا الجليل هكذا: «وفي اليوم الثالث...، كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك...» ويجمع المفسّرون على أن عبارة «وفي اليوم الثالث...» تعني: في اليوم الثالث للقاء يسوع نتنائيل قرب بحيرة طبريّا. وكان عرس في قانا الجليل، وكانت مريم «هناك». لم تُدْعَ مريم الى العرس، لأنها كانت هناك، «مقيمة». غير أن يسوع وتلاميذه هم الذين دُعوا الى العرس، لا مريم. ذلك «لأن مريم، بعد موت زوجها يوسف أصبحت غريبة في الناصرة، فعادت الى قانا الجليل لأن أصلها من هناك...». وعرس قانا الجليل حصل في بداية حياة يسوع العلنية. وهناك إجماع على ان يوسف مات قبل بداية حياة ابنه العلنية، فأصبحت مريم على رأس العائلة. ومن جهة ثانية تجمع التقاليد المسيحية على أن مريم العذراء، التي كانت نسيبة لزوجها يوسف، حضرت في قانا الجليل عرس أحد أقاربهما. ويقول المؤرخ أوتيميس إن يوسف نفسه كان من قانا الجليل وإن العريس كان ابن حلفى أخيه .غير أن يوسف لم يذكر في العرس لأنه كان قد توفي قبل ذلك (راجع الاب يعقوب تيريني «تحفة الجيل في تفسير الاناجيل»، الترجمة العربية، الفصل الخامس ص 716-717.)

وإذا عدنا الى نص عرس قانا الجليل، نجد أن يوحنا الانجيلي يختم قائلاً: «وانحدر يسوع بعد ذلك الى كفرناحوم ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام». (وفيما يخصّ قانا الجليل هذه، وفي كونها هي هي المدينة اللبنانية، جنوبي صور، والتي اصبحت مشهورة جداً في العالم كلّه على أثر «مجزرة عناقيد الغضب» «ومحرقة قانا»، راجع كتاب المؤلف «قانا الجليل في لبنان»، ص 41-52.)

وبالإضافة الى ما قيل وكُتب حول قانا الجليل، فإننا نحيل الجميع، وخاصة المشكّكين والمتردّدين، الى نص واضح وصريح ومحدّد حول تحديد موقع قانا هذه جغرافياً. وقد جاء هذا النص في الكتاب المقدس نفسه، في العهد القديم، في سَفر يشوع، في الفصل التاسع عشر، الاعداد 24-31، وخاصة 28-29. يقول يشوع في «جغرافية أراضي الاسباط» الاثني عشر، محدّداً أراضي سبط أشير: «وخرجت القرعة الخامسة لسبط بني

أشير بحسب عشائرهم. فكان في حدودهم: حلقة وحلي وباطن وأكشاف والمالك وعمعاد ومشآل، وتتصل غرباً الى كرمل وشيحو لِبنات، وتنعطف شرقاً الى بيت داجون، ثم تتّصل الى زبولون والى وادي يفتحئيل، على شمال بيت العامق وتعيئيل، وتنفذ (الحدود) الى كابول شمالاً والى عبدون ورحوب وحمّون وقانا الى صيدون الكبرى. وتعطف الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور، ثم تعطف الى حوصة، وتنفذ عند البحر الى محاليب وأكزيب وعكّو وأفيق ورحوب. فهناك اثنتان وعشرون مدينة بقراها. هذا ميراث سبط بني أشير بحسب عشائرهم.«

والذي لا يعرفه الكثيرون هو أن سبط أشير هذا، وانطلاقاً من جغرافية يشوع المفصّلة أعلاه، كان نوعاً من المستطيل الجغرافي على شاطئ البحر المتوسط، تحده من الجنوب مدينة دور الكنعانية العريقة، عند سفوح جبل الكرمل الجنوبية، ومن الشمال نهر الليطاني المعروف (مع مناطق ضفته الشمالية)، ومن الشرق اسباط نفتالي وزبولون ومنسّى، ومن الغرب البحر المتوسط. (راجع خرائط الاسباط الشمالية). أمّا ما نريد أن نركّز عليه هنا، هو أن نصّ الكتاب المقدّس نفسه يحدّد بشكل جغرافي دقيق موقع قانا الجليل: بين صور وصيدا والرامة: «وتنفذ الحدود الى ... والى حمون وقانا الى صيدون الكبرى. وتعطف الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور، ثم تعطف الخ...» مدينتنا صور وصيدا معروفتان تماماً. أمّا الرامة المذكورة هنا في نص يشوع عن سبط أشير فتقع الى الجنوب من مدينة صور. يقول «قاموس الكتاب المقدس»: «الرامة: مدينة على حدود سبط أشير (يشوع 19: 29). ومكانها اليوم الرامة على مسافة 13 ميلاً جنوب صور» (ص 392، عمود 2، الرقم 3). الرامة هذه، المذكورة في نصّ يشوع عن سبط أشير تقع إذاً في يومنا هذ1 بالقرب من حدود لبنان الجنوبية. ومعروف ان قانا الجليل تقع على مسافة 12 كلم جنوب صور أيضاً. ينتج عما تقدم، وبشكل جغرافي محدّد ودقيق، أن قانا الذي يقول النص فيها «وقانا الى صيدون الكبرى...»، والتي تقع بين صيدا وصور والرامة، تقع بكل تأكيد في الأراضي اللبنانية. وهذا ما دعا أوسابيوس القيصري مؤرّخ الكنيسة الأول (القرن الرابع) ومن بعده بقليل القديس إيرونيموس، الشارح الكبير للكتاب المقدس، الى القول بأن قانا

الانجيل – قانا العرس هي في لبنان، وذلك انطلاقاً من قرينتين واضحتين: الأولى عبارة: «قانا الى صيدون الكبرى»، والثانية: «قانا الجليل» كما جاء في انجيل يوحنا (2: 1، 11). ومعروف ان «قانا الجليل» مدينة كنعانية – فينيقية قديمة، ظلّت تسمى هكذا «قانا الجليل»، طوال قرون عديدة، أكثر من ألف ومائتي سنة: من أيام يشوع الى أيام يسوع. وكانت الوحيدة التي يطلق عليها هذا الاسم: «قانا الجليل». وذلك لسببين تاريخيين وجغرافيين متلازمين: الأول لأنها قديمة جداً، كما ذكرنا، وبالتالي فان «خربة قانا» وكفركنّا(؟) الواقعتين شمال الناصرة والذي ظنّ البعض أن إحداهما هي قانا العرس في الانجيل، هما قريتان حديثتا العهد جداً بالنسبة الى قانا الجليل اللبنانية: «فكفركنّا» من القرن الرابع، «وخربة قانا» من القرن السابع بعد الميلاد. والثاني لفظة «الجليل» كانت تطلق في الأصل على المنطقة الجبلية من جنوب لبنان ثم امتدت التسمية الى الجنوب، أي الى شمال فلسطين. يقول «قاموس الكتاب المقدس»: «الجليل: كانت في الأصل في القطر الجبلي لنفتالي (أي في جنوب لبنان – راجع خريطة سبط نفتالي)... وفي هذا القسم كان يقيم كثيرون من الكنعانيّين (قضاة 1: 30-33؛ 4: 2). وأمّا عبارة «جليل الامم» فتفيد ان هذا القسم كانت تقطنه غالبية من الأمم، وخاصة من الكنعانيين (متى 4: 15). وامتد فيما بعد اسم الجليل الى الجنوب فشمل كل منطقة يزرعئيل (بين جبل الكرمل وبحيرة طبريّا)... وفي الحروب اليهودية عام 70 للميلاد كان الجليل مقسّماً الى قسمين وهما: الجليل الأعلى والجليل الأسفل: الأعلى ويحدّه من الشمال مدينة صور ومن الجنوب السامرة ومن الغرب فينيقية ومن الشرق نهر الأردن، والأسفل يقع جنوب الأعلى ويمتد من بحيرة طبريّا الى مدينة عكّا على البحر المتوسط...» (قاموس الكتاب المقدس، لفظة الجليل، ص 265، العمود الثاني). وإذا عدنا الى أوسابيس وايرونيموس اللذين حدّدا موقع قانا في لبنان، فالاثنان قالا: قانا الى صيدون الكبرى وقانا الجليل. غير أنهما، كَعَادَةِ كُتَّابِ تلك الأزمنة، لم يحيلا القارئ الى فصل كذا... وعدد كذا... من الكتاب المقدس، كما نذكر نحن اليوم... مع ان نصّ الكتاب المقدس الذي نحن بصدده (يشوع 19: 28-29) واضح جداً: «وتنفذ الحدود الى حمّون وقانا الى صيدون الكبرى، وتعطف

الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور...». ومن جهة اخرى، بقي نص اوسابيوس، باللغة اليونانية، ونصّ إيرونيموس باللغة اللاتينية، نصّين غير مترجمين، على الأقل الى اللغة العربية. وهكذا ظلّ هذان النصّان التاريخيان البالغا الأهمية غير معروفين تماماً، وظلت قانا الجليل اللبنانية، أي قانا الانجيل الحقيقية طي الاهمال والتناسي والنسيان والجهل والخوف... الى يومنا هذا. وها هي تقوم الآن من سباتها التاريخي الطويل!... أجل! إن قانا الجليل الحقيقية هي في لبنان!

وخلاصة القول، ان العذراء مريم، «أم الله»، ولدت في لبنان! وكذلك زوجها يوسف. والمسيح يسوع أصله من لبنان. والدليل على ذلك، ان رفات وقبور وأضرحة جميع آبائهم واجدادهم وأقاربهم وأنسبائهم موجودة حتى اليوم، على الأرض، وظاهرة للعيان، في جوار قانا الجليل اللبنانية، في أعالي قرية القليلة، وبالتحديد في «مقام النبي عمران». ومريم العذراء بعد ولادتها بسنوات قليلة، نزحت مع والديها يواكيم وحنّة والأقارب الى جبل الكرمل حيث تكرّست لله في ديره، وحيث خدمت هيكله مع خطيبها يوسف سنوات عديدة. وهناك بشرها الملاك، وحبلت بيسوع وعقدت قرانها على يوسف. وبعد ان مات زوجها، وأصبحت وحيدة هناك، عادت الى قانا الجليل في لبنان حيث رفات وأضرحة والديها وأهلها وأقاربها. ويسوع نفسه أقام فترة من شبابه في قانا الجليل اللبنانية موطن والديه وآبائه وأجداده، وهناك صنع أولى آياته في عرس قانا الجليل في لبنان. أجل! ان العذراء مريم ولدت حقاً في لبنان!

ونحن من هنا، من قلب لبنان، ندعو بكل احترام، قداسة البابا وجميع المسيحيّين، بمناسبة يوبيل السَنة الألفين للتجسّد الإلهي، أن يحتفلوا بالميلاد، في بيت لحم الحقيقية «اللبنانية»، لا في بيت لحم اليهودية المزعومة، وان يأتوا بعد ذلك لزيارة رفات وأضرحة آباء وأجداد المسيح في جوار قانا الجليل اللبنانية، في موطن المسيح الأصليّ: لبنان!

مصادر ومراجع الفصل

-1ً المصادر والمراجع العربيّة

-المسعودي «مروج الذهب»، الجزء الأول، ص 62-63
-الطبري «تاريخ الأمم والملوك»، الجزء الاول، ص 62، 418
-أنيس فريحة «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية»، ص 118
«-قاموس لبنان». (مخطوط قديم(
«-خطط جبل عامل»، ص 268
«-بلدات جبل عامل»، ص 310
-الدكتور وجيه أبو خليل – مقالة تاريخية مع مراجع وصور نشرت في «نهار الشباب» في 24 أيلول 1996
-الأب يوسف يمّين «قانا الجليل في لبنان»، منشورات إيل – 2، 1994، إهدن، لبنان.
-القرآن سورة آل عمران، الآيات 33-35
سورة مريم، الآية 28
-القس أسعد منصور «تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال، مصر، 1924، ص 137، والحاشية رقم (1.(
-جريدة «السفير»، تاريخ 25 كانون الاول 1993
-جريدة «النهار»، تاريخ 15 تموز 1996
وملحق «النهار»: «نهار الشباب»، تاريخ
24أيلول 1996
-ملف النهار: «من عناقيد الغضب الى سقوط بيريس»، إعداد د. جان كرم، حزيران 1996، مع الصور الحيّة...

2ً المراجع والمصادر الأجنبيّة

*Syria (revue d’art oriental et d’archéologie), Tome III, Paris, 1992, “Mission archéologique à Tyr. Avril – Mai 1921, par Mme Denyse le Lasseur, (Deuxième article), IV Antiquités diverses relevées à Tyr, pp. 116-130, avec Notes et Figures.

ملحق الفصل الثالث
كلمة في «القْلَيْلَةْ«

فما يخصّ تاريخ «القليلة» القديم والحديث والمعاصر، راجع الدكتور وجيه أبو خليل (مؤرّخ القليلة) في كتابه الحديث جداً «القليلة» ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء»، دار عون، الطبعة الاولى (لبنان)، 1998 – فيه صور وخرائط ووثائق ومستندات – 400 صفحة، حجم وسط. وقد جاء الكتاب شاملاً النواحي التاريخية والجغرافية والآثارية والزراعية والاجتماعية، منذ تأسيس القرية حتى اليوم.

في الحقيقة، وبكلّ بساطة، صدر هذا الكتاب بعد أن أنهينا مراجعة مسودّة هذه الدراسة، وبدأنا بالإعداد لطبعها. ومع أن انتشار كتاب تاريخ «القليلة» ظلّ محصوراً ضمن بلدة «القليلة» نفسها، فقد سعينا الى الحصول عليه بأسرع وقت ممكن. وبعد أن قرأنا الكتاب مرّة ومرّتين، تنفّسنا الصعداء، لأنه جاء مطابقاً، تمام المطابقة، لما ذهبنا اليه وأثبتناه بالدلائال والبراهين والحجج، بخصوص «مقام النبيّ عمران» وبكونه يحوي رفاة وأضرحة والد العذراء مريم (عمران: عند المسلمين، يواكيم: عند المسيحيّين) ووالدتها حنّة، وأجداد يسوع المسيح وآبائه... وهو يتحدث عن كل ذلك بالتفصيل، وبكل بساطة وثقة، ناقلاً ومثبتاً التقاليد المحلية القديمة والحديثة المستمرة حتى يومنا هذا! ونظراً للأهمّية البالغة لهذه الامور، فقد أفرد المؤلف فصلاً خاصاً لها. (راجع: «القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الأولياء»، للدكتور وجيه أبو خليل، ابن القليلة ومؤرّخها، ص 187-189.(

ماذا تعني كلمة «القلَيْلَة«

يقول أنيس فريحة في تفسير كلمة القليلة: «ربما تكون تحريفاً لعبارة سريانية «قَليلا» (بصيغة الجمع): خفاف، سريعون أو قلائل. أو الثنائي «قل» يفيد القلة، والسرعة والخفة... (مُعْجَمْ اسماء المدن والقرى

اللبنانية، باب كلمة «قليلة»، ص 141). أما الاستاذ عبّاس حكيم فيقول في كتابه «قاموس اللغة الفينيقية وقصة الابجديّة»، في باب كلمة «القليلة»، ما يلي: «إسم «قليلة»: مثلها مثل باقي المدن والقرى الجنوبية الواقعة في تخوم مملكة صور عبر العصور الماضية والعصور الحاضرة، لم تنل «قليلة» الاّ القليل من العناية التأهيلية. فهي كأخواتها في الحقل: قرية عصامية قامت على سواعد أهلها. ولكن لقرية «قليلة» تاريخ قديم ما زالت شواهده مطمورة تحت الدروب، تحت البيوت، وفي «الحواكير» وفي التلال. ولذلك نحن نجهل اسمها القديم أيام كانت مملكة صور عاصمة بلاد كنعان، ولا أيام البيزنطيين ولا الرومان. فهل اسمها يا ترى: القليلة ام قليلة أم ثليلة (بضم أو كسر ثـ)؟ وهكذا يكون عندنا ثلاثة الفاظ لاسم واحد الى أصل لغويّ واحد وهو بالتالي يعود بنا الى الاسم الفينيقيّ الأصليّ للبلدة. الجذر الفينيقيّ هو ل ل (لآلْ) وهو اسم الإله الفينيقي الذي عُبِدَ في فترة قديمة من تاريخ صور (لعله إله العاصفة، وهو لقب للبعل: «ملحمة البعل وعناة»: 8: 4: 14). يبقى علينا الاجتهاد في تفسير الجزء الاول من الاسم. فإذا كان مصدر (ق) في قليلة هو حرف «أ» في الفينيقية يصبح الاسم أ ل ل أي أنه قسَم وحلفان بالإله لآلْ، أو الساجد له. وإذا كان الحرف الاول (ق) مصدره حرف (ك) في الفينيقية اصبح الاسم ك ل ل بمعنى أنهى العمل أو كلّل. أمّا إذا كان الاسم هو اسم مركب ثم تعرّض الى الاختصار فهذا يعيدنا الى اللغة الفينيقية ثانية. فربما كان الاسم عبارة عن ك ل ي ل ل ومعناها خرائب الإله «لال»، أو ك أ ل ل ومعناها: أمام تمثال الإله «لآلْ». أو ربما يعود جذر الاسم الى «إيل» وهو كبير عائلة الآلهة الكنعانيين – الفينقيين. و»إيل» يعني: أبو الآلهة...» (عباس حكيم في كتابه: «قاموس اللغة الفينيقية وقصة الابجدية»، أورده، بالحرف الواحد، الدكتور وجيه أبو خليل في كتابه «القليلة ممرّ الأنبياء ومقرّ الاولياء»، ص 22-23.(\

بلدة «القليلة» اليوم

»القليلة» قرية من قرى جبل عامل، تقع الى الجنوب من مدينة صور على بُعْدِ ثمانية كيلومترات. يحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن

الجنوب بلدة الحنيّة ومزرعة العزّية ومن الجنوب الشرقي تلة البقّ على حدود بلدة شيحين والصالحاني ومن الشرق بيادر زبقين وجبال البطم والشعيتيّة ومن الشمال المعليّة. تبلغ مساحة أراضي القليلة 11795180 م2. عدد سكانها 3800 نسمة. هاجر قسم من أهاليها الى بعض الدول الاميركية والافريقية.

الملفت حقاً، والذي يهمنا في هذه الدراسة، أن بلدة القليلة التي تحوي في أعاليها الشرقية «مقام النبي عمران» حيث رُفَاتُ وقبور أجداد يسوع المسيح وآبائه، أن هذه البلدة هي في جوار بلدة قانا الجليل اللبنانية، الموطن الاصليّ ليوسف ومريم ويسوع. وفي الواقع كانت منطقة «مقام النبي عمران» تابعة عقارياً لقانا الجليل اللبنانية فترة طويلة من الزمن! (راجع «القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء»، للدكتور وجيه أبو خليل ص 24)

وتتربع «القليلة» على هضبة ترتفع عن سطح البحر 50 م، وإن تكن أطرافها قد امتدت حالياً الى وادي المعليّة شمالاً والى منطقة مقام النبي عمران شرقاً حيث ترتفع هناك 85 م عن سطح البحر، والى عزيّة الفوقا جنوباً وحتى الطريق الدولية عى شاطئ البحر غرباً. عدد منازلها 520 منزلاً مختلفة الحجم والمساحة. اتسعت أراضيها في السنوات الاخيرة وهي مغروسَة موزاً وليموناً، وتنبت في تلالها ومنحنياتها أشجار الزيتون والخرّوب. واليوم تعرف القليلة نموّاً عمرانياً مع مظاهر المدنية الحديثة...

وبالنسبة لموقع القليلة الجغرافي، فهي تقع على خطّ أثري قديم يمتد من فلسطين والجليل باتجاه الناقورة حيث موقع «أم العمد» الشهير بمعابده التي تعود الى الحقبة الفينيقية، ثم يمتد هذا الخط الى بلدة القليلة مروراً بمحلة العواميد وقبور الرصاص الواقعة غربي البلدة حالياً، مروراً بمنطقة «مقام النبي عمران» وصولاً الى حناويّة وقانا الجليل اللبنانية. وفي جميع هذه المواقع ظهرت معالم أثرية هامة جداً. وهذه الطريق الأثرية عبارة عن ممرّ القوافل عبر التاريخ. ومن أهم هذه الآثار النقوش الشهيرة على صخور قانا الجليل، و»مقام النبي عمران» حيث رفاة وقبور أجداد يسوع المسيح وآبائه... (فيما يخصّ «مقام النبيّ عمران» وما يحويه هذا المقام، راجع مؤرّخ بلدة القليلة الدكتور وجيه أبو

خليل، في كتابه الحديث جداً: «القليلة ممرّ الانبياء ومقرً الاولياء»، حيث يُفْرِدُ المؤلّف فصلاً خاصاً في هذا الموضوع الخطير، ص 187-189!(







تماثيل حُفرت في الصخر في وادي قانا لبنان تدلّ على ما يبدو المسيح ورسله الاثني عشر، وهي حسب العلامة الاب رونزفال اليسوعي من القرن الاول الميلادي. فهي اذا اول رسم في التاريخ ظهر الى الآن يمثل المسيح ورسله. والرسم مأخوذ من مجلة متحف بيروت(١)

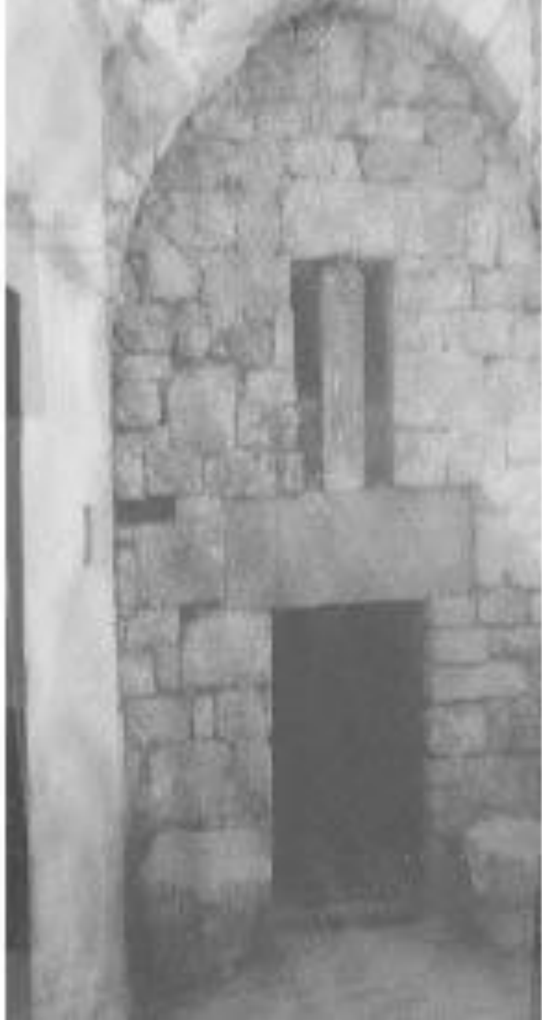
(1) Brahim Kaoukabani, les Monuments de Wadi Cana, Bulletin du Musée de Beyrouth, t. XXIV, Beyrouth, 1971, PL. V.



منظر لقانا الجليل اللبنانيّة



مقام «النبي عمران.«
صورة مأخوذة من جهة المدخل.
لاحظ القبة العثمانية الشكل
والمئذنة الحديثة البناء.
المقام في الطرف الشمالي
الشرقي لقرية «القلَيْلَة»، على تلة
في جوار «قانا الجليل اللبنانية».



مدخل مقام «النبيّ عمران.«
لاحظ القاعدتين الكبيرتين عند
جانبي المدخل والعتبات فوق.
وهي من بقايا الكنيسة البيزنطية
الكبيرة التي كانت قائمة، على
اسم والدي العذراء مريم، في
القرون المسيحية الاولى...



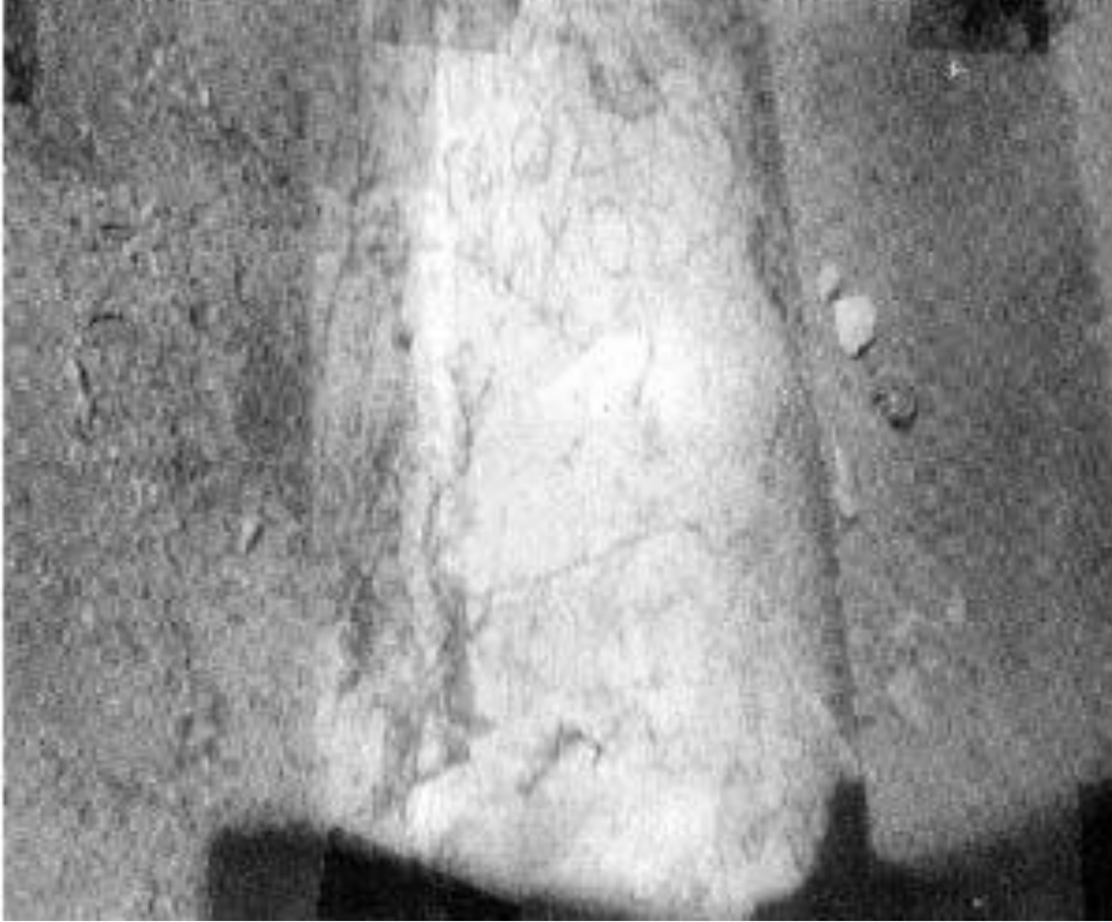
مدخل مقام النبي عمران



مقام النبي عمران وتبدو المئذنة التي شيدت حديثاً سنة 1995



العمود والقاعدة، قرب مدخل مقام «النبيّ عمران.»
من بقايا الكنيسة البيزنطية التي كانت قائمة الى جانب المقام في القرون المسيحية الاولى. العمود من حجر الرخام الأبيض الجميل.



عمود آخر من حجر الرخام ملقى على الأرض... بالقرب من مقام «النبيّ عمران». لاحظ ضخامة العمود والكتابة اليونانية عليه. من بقايا الكنيسة المسيحية الكبيرة التي كانت قائمة، في العهد البيزنطي، بالقرب من مقام «النبيّ عمران». وهناك أيضاً بقايا آثار قديمة، من حجارة عليها نقوش ورموز مسيحية وصلبان، وقطع من الزجاج الملوّن، وألواح حجرية عليها كتابات يونانية وارقام، وكلّها مبعثرة قرب المقام وفي الاطراف الشمالية الشرقية للقرية...



الحفريات الأثرية التي باشرت بها مديرية الآثار ويبدو المهندس جعفر فضل الله (الخبير الأثري) مع أحد العمال سنة ١٩٩٦



منظر عام لمقام النبي عمران بعد اعتداء نيسان ١٩٩٦ التي قامت به القوات الإسرائيلية (عناقيد الغضب)



منظر لقرية «القليلة» الوادعة، الواقعة الى الجنوب من صور، والقريبة من شاطئ البحر، وعلى مسافة قريبة من «قانا الجليل اللبنانية». وفي أعالي القرية، الى الجهة الشمالية الشرقية، يرتفع «مقام النبيّ عمران»، الذي هو مزار شعبيّ في كلّ تلك المنطقة...



الحمضيات والموز التي تشتهر بها بلدة القليلة



منظر عام لسهول منطقة عمران



رأس الطفولة اللبنانية البريئة، عصرتها، بوحشية تفوق الوصف والخيال، عملية «عناقيد الغضب» اليهودية... إنه عنوان «محرقة قانا» التاريخية.





حبات صغيرة من العناقيد اللبنانية، عصرتها «عناقيد الغضب» الاسرائيلية في أحضان الأمّهات، في «محرقة قانا» التاريخية...



الشرّ اليهودي، في عملية «عناقيد الغضب»، يعصر في أرض لبنان، الحجر والشجر والبشر. إنها «المحرقة اللبنانية» في قانا... غير أن إنسان لبنان يبقى فوق الدمار... ويبقى (كما هو ظاهر في الصورة!)

الملحق الأخير (1)

في الحقيقة، وبكلّ بساطة وصراحة، إن قصة تأليف هذا الكتاب، بحدّ ذاتها، قصة طريفة غريبة تتطلّب وضع كتاب آخر. فمنذ البداية، منذ أن لمعت الفكرة في رأسنا، حتى الى ما بعد إرسال المخطوطة الى الطبع، مروراً بوضع التصميم وتجميع المصادر والمراجع، ثم البدء بالكتابة وتعاقب الفصول والاجزاء والأقسام الخ...، كلّ ذلك حصل في ظروف وأوضاع وحالات، أقل ما يقال فيها، إنها كانت غير عاديّة لا بل غريبة، وذلك من جميع النواحي. كان كل شيء، تقريباً، يساهم في وضع هذا الكتاب. أكتفي بهذا التلميح. «ومن له أذنان سامعتان فليسمع!...«

وفي الواقع، وبعد إرسال مخطوطة الكتاب الى الطبع بسبعة أيام، وصلني من صديق مقيم في فرنسا ملفّ صغير، غاية في الأهمية، عن بيت لحم الجليل، موضوع هذه الدراسة. وكان هذا الصديق قد استحصل على الملفّ من عالم آركيولوجيّ فرنسيّ. وقد تبيّن لنا، بشكل واضح، أن هذا العالم يؤيد ويؤكد، بشكل أكثر مما كنّا ننتظر ونحلم، أن يسوع المسيح ولد في بيت لحم الجليل، وأنها كانت عند ولادته تدعى بيت لحم «الصوريّة» – من صور – وكانت داخل أراضي فينيقية – لبنان! وجاءَت نصوص الملفّ المتعدّدة اللّغات، مع مصادره ومراجعه وصوره، ترتكز بنوع خاص، وبشكل علميّ مفصّل، على الحفريّات الآركيولوجيّة التي حصلت، بالطرق العصريّة، في بيت لحم الجليل في أيامنا هذه.

الملفّ يتألف من أربعة نصوص تاريخيّة – علميّة عن بيت لحم الجليل، مع مصادرها ومراجعها. النص الاول إفرنسيّ، والثاني إنكليزيّ، والثالث المانيّ، والرابع عبرانيّ. بالإضافة الى أربع صور فوتوغرافية عن بيت لحم الجليل نفسها. الصورة الاولى لمذبح كنيسة مسيحيّة من القرن السادس عشر، والثانية لقطعة كبيرة من الفسيفساء في أرض نفس الكنيسة، والثالثة لجانب من القرية مع بعض الآثار المطمورة، والرابعة لجانب آخر من الآثار مطمور هو أيضاً وتمر فوقه طريق واسعة مفروشة بالاسفلت! وصورتا المذبح وقطعة الفسيفساء أخذتا، طبعاً، قبل أن تطمر الآثار... أمّا لماذا

طُمِرَتْ آثار بيت لحم الجليل هذه، بعد ظهورها اليوم من جديد؟ فالجواب جاء مفصّلاً ومكرراً في هذه الدراسة.

ومن جهة ثانية، يظهر بوضوح من خلال النصوص ومراجعها وصورها، أنه كان هناك في مدينة بيت لحم الجليل، ثلاث كنائس مسيحيّة، على الأقل. واحدة، وهي الاحدث، شيّدت في القرن السادس عشر، والثانية شيّدت بين القرنين الخامس والسادس، والثالثة، وهي الاقدم، هدمت واحرقت سنة 100 بعد الميلاد، وفي مكانها شيدت الكنيسة الثانية (بين القرنين الخامس والسادس). إنها أمور ملفتة حقاّ...

-النصّ الإفرنسيّ – هو كناية عن نصّ صغير مختصر في «قاموس الجليل» الجزء الاول، ص 277، وهو يستند الى المراجع التالية: ك. شوماخر «الهياكل القديمة»، «الموسوعة اليهودية»، «قاموس الآثار اليهوديّة في الكتاب المقدس»، «قاموس الآثار الرومانية في فلسطين». وقد جاء في النصّ:

»بيت لحم (الثانية): تقع في أرض زبولون (سفر يشوع 19: 15، وسفر القضاة 12: 8)، وذلك بعكس ما يقوله الربّانيّون اليهود (!). «ولكي يميّزها عن بيت لحم اليهودية في الجنوب، قرب مدينة أورشليم، يسمّيها المؤرخ أ. ميجيل بيت لحم الكنعانية «الصورية» – بالنسبة الى صور – لأنها تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان، وذلك في كتابه «آثار الأراضي المقدسة»، الجزء الأول، ص 350 وما يتبع؛ وهو يُفنّد مزاعم المؤرخ نوبار الذي لا يعترف بذلك. وبعد خراب هيكل أورشليم في سنة 70 بعد الميلاد، وتشتت اليهود خارج اليهودية، سكن عدد كبير من اليهود في الجليل حيث تعاظم أمرهم. وسكنت عائلة ملكيّا الكهنوتية مدينة بيت لحم الجليل، وبنت فيها مجمعاً لليهود. والمدينة عريقة جداً، فيها آثار قديمة العهد، بالإضافة الى آثار هلّلنستية وبيزنطية وغيرها...» («قاموس الجليل» الجزء الأول، ص 277؛ شوماخر «الهياكل القديمة»، 1909، ص 9، 29؛ «قاموس الآثار اليهوديّة في الكتاب المقدس» 1922-1923، ص 32؛ «الموسوعة اليهوديّة»، الجزء الرابع، ص 438«.(

من هذا النصّ الغنيّ بالمصادر والمراجع التاريخية والآركيولوجيّة، تظهر بوضوح تام الحقائق التالية:

-أولاً- هناك بيت لحم ثانية، وهي تقع في أرض زبولون، أي في الجليل، عند السفوح الشرقية لجبل الكرمل (راجع خرائط الاسباط والجليل). والنصّ يؤكد على ذلك «بعكس ما يقوله الربانيّون اليهود!«...

-ثانياً- يؤكد النصّ أن بيت لحم هذه، هي مدينة كنعانية «صوريّة» – بالنسبة الى مدينة صور، أي تابعة لها – وذلك لأنها تقع ضمن أراضي صور، وبالتالي داخل أراضي فينيقيا – لبنان.

-ثالثاً- يركّز النص على كونها مدينة قديمة تحوي آثاراً عديدة، «منها القديمة العهد، ومنها الهيلّلينستية والبيزنطية وغيرها.«...

-رابعاً- يقول النصّ إنه بعد خراب هيكل أورشليم، وخروج اليهود من اليهوديّة، صعد قسم منهم الى الجليل، وسكنت عائلة ملكيّا الكهنوتية في بيت لحم الجليل، وبنت فيها مجمعاً لليهود. وهذا يعني أنه لم يكن فيها مجمع لليهود قبل ذلك التاريخ. وكيف يكون فيها مجمع لليهود وهي مدينة كنعانية – فينيقية «صوريّة» منذ قرون عديدة، ومعروف تماماً أن الكنعانيّين والفينيقيّين كانوا من اتباع ديانة «إيل» ويكرمون البعل وأدونيس وعشتروت، وكانوا بالتالي على عداوة شديدة مع اليهود، لأن هؤلاء كانوا يعتبرونهم من «الأمم» أي من «الوثنيين»... وكان الجليل يدعى «جليل الأمم». ومن جهة ثانية، فإن إقامة اليهود في بيت لحم الجليل، وتشييدهم مجمعاً لهم فيها، يثبت ما قلناه وكرّرناه سابقاً من أن اليهود بعد خراب هيكل أورشليم وطردهم من اليهودية، سكن قسم منهم في الجليل ما يقارب الثلاثة قرون. وقد سعوا بكل جهدهم الى استئصال كل ما له علاقة بالمسيحية في الجليل بالذات، لأن أصول وجذور المسيحية كانت في الجليل!... وهكذا، يؤكد هذا النص بدوره، ما جئنا به في هذه الدراسة...

-النص الإنكليزي- لعالم الآثار رينايت روزنتال في كتابه «آثار الجليل – بيت لحم في الجليل». وهذه ترجمة النصّ الى العربيَّة، بالحرف الواحد. يقول روزنتال:

»خلال شهر آب 1975، قام «قسم الآثار والمتاحف» في اسرائيل بحفريات في بيت لحم الجليل (المدينة الكنعانية – «اللبنانية»، «موضوع دراستنا هذه). وقد حصلت هذه الحفريات الأثرية على الشكل التالي:

-المنطقة أ: في منطقة تبلغ مساحتها 200 م2، جرت خمس حفريّات استطلاعية دلّت على أن هذه المنطقة كانت تشكّل ضاحية لهذه المدينة القديمة. وعقب هذه الاستطلاعات تم الوصول الى الصخر الاساسيّ على عمق 80-100 سم تحت سطح الأرض الحالي. الحفرية الأولى أظهرت إهرائين للقمح منحوتين في الصخر ومجموعة من التمديدات والغرف الصغيرة. ويبدو أنها كانت منشآت زراعية. وعلى كل مستويات الحفر عُثر على حطام فخاريّات قديمة ترجع الى القرون الوسطى وفترة الحكم العثماني. وفي الحفريات الثانية والثالثة وجزء من الأولى، تمّ الوصول الى أرضية مكوّنة من قطع من الحجارة المنحوتة (لا يزيد قطر الواحد منها عن 10 سنتم)، علىعمق 40-60 سنتم، مرصوفة فوق الصخر الأساسيّ. وعلى الرغم من عدم تحديد طبيعة هذه الأرضية الحجريّة، إلاّ أنها تبدو وكأنها طريق تربط المنطقة الزراعية – الصناعية بالمنطقة السكنيّة«...

»المنطقة – ب – كشفت الحفريّات الأوليّة عن فخاريّات يعود تاريخها الى ما بين القرن الأول والقرن السابع قبل الميلاد! كما كشفت أيضاً «عن صهريج للمياه جيّد البناء. وتركّز العمل في المربّع رقم – 1 – حيث ظهرت بقايا مبنى سكنيّ كبير مشيّد من حجارة منحوتة. وفيما بدا أن قسماً كبيراً من هذا البناء قد تهدّم من جرّاء شقّ طريق عصريّة عبر القرية (!!؟) فقد تمّ الكشف عن القسم الجنوبيّ من البناء، وهو يتضمّن مدخلاً كبيراً. وتفيد الدراسات أن هذا البناء، الذي شيّد في العصر الروماني، ضمّ في القرن السابع الى مبانٍ سكنية أخرى قديمة مؤلفة من غرف صغيرة ومطابخ. وقد تمّ إقفال المدخل وشيّد طابق ثانٍ من الحجارة المنحوتة.

وفيما تدلّ النقود المعدنية والقطع الخزفية المكتشفة، عن إعادة استعمالها في القرن السابع، يبدو من المتعذّر تحديد ما إذا كانت تعود الى الفتح الفارسيّ أو الى الفتح العربيّ...». (عالم الآثار رينايت روزنتال «آثار الجليل – بيت لحم في الجليل»، 1975، ص 175-176.(

يُظهر هذا النص العلميّ – الآركيولوجيّة الواضح، المبنيّ على الحقائق الجغرافية والتاريخية الحسّية، يظهر الحقائق الواقعية القاطعة التالية:

-أولاً- هناك في الواقع، وعلى الأرض، مدينة اسمها بيت لحم، تقع في الجليل، وتسمى «بيت لحم الجليل»، في شمال فلسطين، وليس في جنوب فلسطين، أي في اليهودية حيث توجد بيت لحم المعروفة اليوم...

-ثانياً- بيت لحم الجليل هذه، موضوع الحفريات الآركيولوجية، مدينة قديمة العهد. وقد كشفت فيها آثار تعود، على الأقل، بحسب الحفريات حتى اليوم، الى بداية القرن السابع قبل الميلاد. علماً أن جغرافية يشوع تذكرها كمدينة كنعانية يعود تاريخها الى أكثر من ألف ومئتي سنة (ق.م.) هذه المدينة بالذات هي مدينة بيت لحم الكنعانية القديمة موضوع دراستنا هذه. وقد تحدثنا عنها مطولاً في الفصول الأولى من الدراسة. نذكّر، مرة أخرى، بأن بيت لحم المعروفة اليوم، يعود تاريخها الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد...

-ثالثاً- ان مدينة بيت لحم الكنعانية هذه، بحسب تفاصيل النصّ الآركيولوجي هذا، هي مدينة زراعية – صناعية. من هنا تأتي اهميتها بالنسبة الى الجوار والقرى المحيطة بها. وقد ذكرها الكتاب المقدس نفسه – في جغرافية يشوع – «بيت لحم وقراها». وهي تقع في أرض الكرمل، لا في جنوبي فلسطين حيث توجد بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

-رابعاً- لقد اجريت في أيامنا هذه حفريات علمية آركيولوجية أظهرت بوضوح آثار بيت لحم هذه، المدينة الكنعانية القديمة. وقد دوّنت بالتفصيل نتائج هذه الحفريات، وطبعت ونشرت مع صورها! ولكن هذه اللآثار ما عتمت أن طُمرت – أو على الاقل القسم الأكبر منها – وشقت طريق واسعة للسيارات فوقها!!؟ وبقي منها قسم قليل طمر أيضاً بالتراب بغية إخفائه نهائياً... _راجع صور هذا الملفّ.(

ويعود السؤال الخطير إياه، يطرح نفسه من جديد، وبإلحاح: لماذا كلّ هذا الطمس المقصود والمتعمّد، طوال قرون عديدة، لمدينة بيت لحم الجليل، في الشمال، هذه المدينة الكنعانية الشهيرة؟ لماذا؟ وعندما ظهرت من جديد آثارها خلال حفريات حديثة، عادت وطُمست مرّة اخرى...! لماذا كل هذا الطمس المجرم الحقود؟ لماذا؟ أين علماء الآثار اليوم الذين يدّعون كشف الحقائق التاريخية والجغرافية، ويجاهرون

بالموضوعية العلميّة والنقد التاريخيّ؟ أين العالم المسيحيّ اليوم من المجاهرة بالحقائق التاريخية والجغرافية والحسيّة على الأرض؟ ماذا يخافُ العلماء والمؤرخون المسيحيّون اليوم؟ أو بالأحرى ممن يخافون...؟ أمّا نحن فنعرف تماماً ممن يخافون... إنهم يخافون من اليهود – ويا للأسف العميق! أجل! يخافون من اليهود. ونحن نقولها هنا اليوم – من قلب لبنان – عالياً وعلى الملأ، وأمام العالم كلّه. وبوجه العالم المسيحيّ بنوع خاصّ.

وهكذا، يأتي هذا النص العلميّ الآركيولوجي الجديد ويثبت ويؤكد بشكل قاطع ما جئنا به في دراستنا هذه، من أن هناك على الأرض في شمال فلسطين، في «جليل الامم»، مدينة باسم بيت لحم، وهي مدينة كنعانية فينيقية قديمة تشكّل مركزاً زراعياً وصناعياً، ومحوراً لجوارها والقرى المحيطة، وهي للمرة الألف، غير بيت لحم الحديثة، اليهودية، المعروفة اليوم في جوار مدينة أورشليم، الى الجنوب. ولقد طمست بيت لحم الشمال لأنها كانت خارج أراضي اليهودية، لأنها كانت في لبنان وتابعة لمدينة صور، ولأن المسيح وُلد فيها، في الحقيقة. لم يفهم اليهود ولا المسيحيون المتهوّدون كيف يمكن للمسيح ان يولد خارج اليهودية بين «الأمم» الوثنيّة...!

-النصّ الألماني- لعالم الآثار الالماني ك. شوماخر في كتابه «الهياكل القديمة». وهذه ترجمة النص الى العربية، بالحرف الواحد. يقول شوماخر:

»إن بيت لحم الجليل تحوي آثاراً عديدة ومتنوّعة. وهي التي ذكرها الكتاب المقدس – العهد القديم – في سفر يشوع (19: 15)، كما ذكرها «التلمود اليهودي أيضاً! وكانت معروفة في العصر البيزنطيّ. وهي تسمّى «بيت لحم الجليل» للتمييز بينها وبين «بيت لحم اليهوديّة»، جنوبي أورشليم. وأول عمل قمنا به، عندما وصلنا إليها بحثاً عن آثارها، هو أننا قمنا بقياسها: فكان طولها، من الشرق الى الغرب 600 متر، وعرضها من الجنوب الى الشمال 400 متر. وهناك سور من الحجارة الضخمة المنحوتة يحيط بالمدينة من كل جانب. وفي الناحية الشرقية من المدينة، قرب الشارع الرئيسي، وجدنا آثار كنيسة مسيحيّة قديمة، مع أعمدتها وتيجان أعمدتها من حجر البزلت، مبعثرة على الأرض. وفي أطراف المدينة، وجدنا آثار أبنية كبيرة من حجارة منحوتة، وصهاريج للمياه ومعاصر للزيتون

والعنب. وفي أحد أطراف الميدنة توجد نواويس حفرت في الصخر، وهي، على ما يظهر، تشكّل مدافن المدينة أو مدافن أعيانها. والى جانب المدينة، وعلى تلّة صغيرة علوّها ستة أمتار، هناك خربة قديمة تسمّى «الخربة الخضرا»، نسبة الى عين ماء هناك تسمّى «العين الخضرا». في الناحية الجنوبية الشرقية للمدينة، «وجدنا بقايا حصن قديم، بجانبه نبع ماء غزيرة. ويظهر أن هذا الحصن شيّد في هذا المكان لحماية المدينة والنبع معاً، كما كانت العادة عهد ذاك في بلاد فلسطين. والنبع نفسه كان محاطاً بسور من الحجارة المنحوتة، والى جانب السور صخرتان من الحجر الصلب. كما أن التلة الصغيرة التي تحوي الحصن والنبع، مليئة بالحجارة المنحوتة المبعثرة. أمّا النبع، ومياهه فائضة طوال السنة، فيسير في وادٍ صغير، ويُكَوِّنُ جدولاً صغيراً متّجهاً اى الناحية الجنوبية للمدينة، ثم ينحرف نحو الغرب ويلتقي مجموعة من عيون الماء تسمّى «عيون الحلوة». (هذه الجداول الصغيرة تشكّل بعض الروافد لنهر «قيشون» المعروف والذي يسير بين بيت لحم الجليل وبين جبل الكرمل «ويصب في البحر المتوسط في خليج حيفا، كما ذكرنا سابقاً). وفي أسفل تلة صغيرة أخرى، شمال شرقي المدينة، وجدنا حجر رحى كبيراً ملقى عى الأرض، يذكّر بطاحونة للقمح لم يعد لها أثر ظاهر.

وفي الضواحي الشرقية للمدينة، وعلى مرتفع صخريّ صغير، وجدنا خربة قديمة تسمى «خربة الحوّارة»، لم يبقَ منها سوى بعض الحجارة المبعثرة، والى جانبها مقلعاً للحجارة وبعض المغاور الصغيرة. والمرتفع مكسوّ بأشجار السنديان. وفي المقلب الثاني من المرتفع، وقرب نبع صغير يسمّى أيضاً «نبع الحوّارة»، وجدنا خربة كبيرة لها ملامح قصر صغير، تبعد عن النبع حوالي 180 متراً.

وفي الضواحي الجنوبية الغربية للمدينة، وجدنا آثاراً أخرى، حجارتها مبعثرة، قرب نبع صغير يسمّى «نبع العبد». «غير أن هذه الآثار تغطيها المياه طوال أيام السنة. وفي منحدر صخريّ، عند الحدود الشمالية الغربية للمدينة، وجدنا صليباً كبيراً منقوشاً على حجر في وسط حائط مشيّد من حجارة منحوتة. وبقرب الحائط فجوة كبيرة محفورة في الصخر،

وفي أطراف الفجوة ثقوب متجاورة كانت تحوي، كما قيل لنا، كميات من المياه والزيت، بشكل تقدمات وقرابين مقدسة، طلباً للتبرك والحماية...

وبعد أن أنهينا جولتنا، وسجلنا بالتتابع كل ما شاهدنا ووجدنا من آثار في المدينة، بحثنا عن الموضع الذي يشكل نقطة الحدود عند مدخل المدينة فلم نجده. وفجأة وصل فلاّح مسنّ وانضمّ الينا. فسألناه عن نقطة الحدود. وإذا به يقودنا الى شجرة قريبة ويضرب برجله تحتها قائلاً: هنا نقطة الحدود، إحفروا الأرض تجدوها. حفرنا في الحال مقدار 30 سنتم فوجدناها، وهي كناية عن صخرة صلبة مطمورة في الأرض.

بعد ذلك، أخذ الفلاّح المسنّ يحدثنا بالتفاصيل والأرقام عن مزروعات المدينة ومواسمها وغلاتها، عن مياهها وأشجارها، عن زيتها وخمرتها، وعن منطقتها والجوار. ثم أعطانا أخيراً أرقاماً محدّدة عن محصول مواسم وغلال هذه السنة، سنة 1908. فشكرناه وقفلنا راجعين الى حيفا...

»أمّا بالنسبة الى موقع مدينة بيت لحم، فيجدر بنا أن نشير الى أنها تقع عند الطرف الجنوبي «لسهل النطوف» الكثير الخصوبة والمعروف تاريخياً بعراقة قراه التي تعود الى الأزمنة الأولى لسكن الإنسان في تلك النواحي. ويعتبر «سهل النطوف» بمثابة القلب الذي يغذّي منطقة الجليل. ويروي هذا السهل الجداول التي تصب في «وادي الملك»، هذه الوادي التي تبدأ من طرف مدينة بيت لحم الجليل تماماً. والجدير بالذكر، أن بيت لحم هذه، التي تدعى بيت لحم الجليل، «جليل الأمم» – وهي غير بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم – كانت تدعى أيضاً ودائماً «بيت لحم الصوريّة» – من صور – لأنها كانت دوماً تابعة لمدينة صور العظيمة، أي داخل أراضي فينيقية – لبنان. والحديث عن صور يطول كثيراً الخ.«...

»كتب في مدينة حيفا، في الثلاثين (ك. شوماخر «الهياكل القديمة»، 1909، ص 9، 29، 86-87.(

وهكذا، نتبيّن من خلال هذا النصّ الآركيولوجي المفصّل والواضح جداً، الحقائق التاريخية والجغرافية والحسّية التالية:

-أولاً- هناك، تاريخياً وجغرافياً على الأرض، مدينة تدعى بيت لحم الجليل، وتدعى هكذا تمييزاً لها عن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع جنوب فلسطين في جوار أورشليم.

-ثانياً- بيت لحم هذه كانت مدينة زراعية – صناعية في منطقة الجليل، والدليل أنها تحوي آثاراً عديدة ومتنوعة كانت ظاهرة للعيان حتى سنة 1908، تاريخ كتابة هذا النصّ الالماني. ومن آثارها: السور الذي يحيط بها، وبقايا الأبنية الكبيرة، والحجارة المبعثرة والكنيسة القديمة، وصهاريج المياه، ومعاصر الزيتون والعنب، والمغاور والنواويس والمدافن المحفورة في الصخر، والينابيع المسوّرة، والقصر والحصن وغير ذلك... والملفت أن كلّ هذه الآثار نظراً لأهميتها وقيمتها التاريخية، دُوّنت وصُوّرت ونُشرت - وذلك بأكثر من لغة.

-ثالثاً- ومن أهم هذه الآثار في بيت لحم الجليل، بالنسبة الينا على الأقل، هي الكنيسة المسيحيّة التي كانت، على ما يظهر، كنيسة كبيرة فخمة ومتقنة البناء، لأن النصّ يوضح: «ووجدنا كنيسة مسيحية قديمة مع أعمدتها وتيجان أعمدتها من حجر البزلت مبعثرة على الأرض...». بالإضافة الى صلبان منقوشة على الصخور والحجارة في أطراف المدينة، ممّا يدلّ على وجود مسيحيّ هام ومجذّر في تلك الناحية...

-رابعاً- النص يقول، بكل وضوح ودقة، وبالحرف الواحد: «والجدير بالذكر، أن بيت لحم هذه، التي تدعى بيت لحم الجليل، «جليل الأمم» – وهي غير بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم – كانت تدعى أيضاً ودائماً«بيت لحم الصوريّة» – بالنسبة الى مدينة صور – لأنها كانت دوماً تابعة لمدينة صور العظيمة، أي داخل أراضي فينيقية – لبنان !!!والحديث عن صور يطول كثيراً الخ...». ان هذا النصّ التاريخيّ والجغرافيّ والآركيولوجيّ، البالغ الدقة والوضوح، هو نصّ أساسي رئيسي وفي غاية الاهمية بالنسبة الينا في هذه الدراسة، التي هي، مرّة أخرى، دراسة تاريخية جغرافية آثارية وعلمية. إنه يدعم ويثبت ويؤكد، بشكل علميّ قاطع، ما قلناه وكرّرناه وركّزنا عليه في هذه الدراسة من أن هناك، غير بيت لحم المعروفة اليوم، بيت لحم أخرى أعرق وأقدم تقع في «جليل الأمم» – أي «الوثنيين» – في اللحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، وأن هذه المدينة كانت دوماً مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية، تقع بالتحديد الجغرافي، هي وجبل الكرمل مع سفوحه ومغاوره، تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان، وذلك منذ فجر التاريخ حتى سنة 70 بعد الميلاد، على الأقل. وهكذا، يتّضح، بشكل

قاطع، أن يسوع المسيح، عندما ولد في «بيت لحم» جليل الأمم، وهو الجليليّ، فان هذه المدينة كانت تابعة لمدينة صور، ومدينة صور، كما هو معروف تماماً، كانت دوماً وأبداً مدينة لبنانية صرفة تقع داخل أراضي لبنان. وبالتالي يكون المسيح قد ولد في لبنان، أجل! في لبنان، لا في اليهودية: كما جاء في عنوان هذا الكتاب: «المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية». وحتى إذا بالغنا في الدقة الجغرافية، وقلنا إن المسيح لم يولد في داخل مدينة بيت حم، بل في مغارة بالقرب من بيت لحم – كما تقول جميع التقاليد المسيحية – فان هذه المغارة، مع غيرها من المغاور المجاورة، تقع جميعها بين بيت لحم والسفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، أي، دائماً وأبداً، تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان. وهكذا، وفي جميع الاحتمالات الممكنة، أولد المسيح في بيت لحم أو في مغارة بالقرب منها، يكون المسيح قد ولد، فعلاً وحقيقة، في لبنان. أجل! في لبنان بالذات.

-النصّ العبرانيّ- وضعته «مصلحة الآثار الاسرائيلية»، ونشرته في جريدة «يديعوت أحرونوت» بعنوان: «بيت لحم الجليل». وهذه ترجمة النص الى العربية، بالحرف الواحد:

»بيت لحم الجليل«

»في أثناء شقّ طريق في بيت لحم الجليل، إنكشفت صدفة أرض مرصوفة بفسيفساء متنوّعة الألوان ومزخّرفة بنماذج هندسية متنوعة الأشكال والاحجام. وفي خلال شهر شباط من عام 1965، أجْرى العالم أشر عوبديا، من قسم الآثار، حفريات في ذلك المكان لمدة عشرة أيام. وقد اشترك في الحفريات عشرة عمال من «مجدل هَعِمِق.«

وفي سبيل فحص الأرض المرصوفة بالفسيفساء حفرت مساحة 5×10 م تقريباً، وبعمق 0.60 م.

إن اتجاه البناء الى الشرق، وبقايا عواميد، وبقايا قواعد وتيجان عواميد، وحاجز مشبّك مصنوع من رخام، وبقايا مذبح، كل ذلك يدل على أن البناء كان لكنيسة مسيحيّة.

في الحفريات انكشفت الجهة الجنوبية من البناء، لكن قائمة الوسط والجهة الشمالية وسائر النواحي فإنها قد هدمت. جهة واحدة في إحدى الزوايا مرصوفة بفسيفساء، بقي منها قطعة بطول 7 م وبعرض 1-1.85 م. وبالاستناد الى البقايا يمكن الافتراض ان عرض هذه الجهة بلغ 20.5 م تقريباً.

»الأرض المرصوفة بالفسيفساء مزخرفة بنماذج هندسية. ومن الناحية الزخرفية تقسم الى قسمين. في القسم الجنوبيّ يتشابك مضلّع ذو ثمانية أضلاع مع معيَّن من أربعة أضلاع، وحولهما مثلث من ثلاثة أضلاع، وأنصاف حلقات بصورة متقطّعة. في وسط أنصاف الحلقات توجد نماذج مختلفة بينها رقعة شطرنج بثلاثة ألوان، وزهور ومراوح، وحيوانات وطيور وبقايا أشكال غير واضحة... وفي القسم الشمالي، هناك نماذج مربّعات موضوعة في وسط أهداب من خطوط سوداء. وبين هذين القسمين تفصل رقعة من الفسيفساء بيضاء اللّون بعرض 25 سم.

ألوان الفسيفساء هي: أبيض، أسود، وأحمر. حجم المكعّبات هو سنتمتر مربع (سم2) تقريباً. وبعض المكعّبات الحمراء مصنوعة من الفخّار.

غربيّ الأرض المرصوفة بالفسيفساء، وعلى بعد 6 م منها، إنشكف حائط من حجرة منحوتة، طوله 3 م. ومن الواضح أن هذا الحائط كان قسماً من بناء الكنيسة. واتجاه الحائط من الشرق الى الغرب، يدلّ على أنه كان له رابطة مع الجهة الجنوبية. وعلى المسافة الكائنة بين قِسْمَيْ الفسيفساء، شيّد في عصر لاحق مبنى مستطيل الشكل مصنوع من حجارة معدودة.

يقدّر أن قياسات الكنيسة كانت 20×10 م تقريباً. وبقايا الرماد التي انكشفت على الارض المرصوفة بالفسيفساء تشهد على أن دمار الكنيسة قد حصل بالحريق. وفي زوايا البناء وحوله، وجدت قطع كثيرة من الرخام والقرميد والزجاج. اجل لقد وجد عدد كبير من شظايا رخام العواميد صغيرة، وشظايا زجاجيّة، ومجموعة مسامير وغيرها... واستناداً الى الموجودات في الجدران، من الداخل والخارج، يمكن تحديد بناء هذه الكنيسة في القرنين الخامس – السادس من التاريخ الميلاديّ. غير أنه وجدت في داخل البناء قطع وشظايا من الحجارة عليها كتابة بالأحرف

اليونانية، وهي تفيد، بعد أن جُمعت بعضها الى بعض، أن هذه الكنيسة قد شُيّدت على انقاض كنيسة قديمة، كانت قد دمّرت وأحرقت سنة 100 بعد الميلاد!!.

وفي ضواحي بيت لحم الجليل، توجد عشرات من النواويس المحفورة في الصخر استعملت كمدافن، ومن بينها نواويس فيها لوحات حجرية لتأريخ القبور. وهناك أيضاً خرائب أبنية، وحجارة مبعثرة، ومعاصر للعنب والزيتون، وصهاريج للمياه، وصلبان محفورة على حجارة قديمة، وعلى قطع حديثة مربعة من الرخام. كما أن هناك بعض الآثار نقلها الأهالي الى داخل البلدة، منها بقايا أساسات بناء كبير، وأساسات أعمدة وتيجانها، وطاحون قمح سقفه من حجر بركاني، وبعض الحجارة القديمة... ثم هناك تمثال رخام أبيض – أسود للبؤة جاثمة بطول 70 سم في حالة مصانة جيداً وجميلة جداً، إنما رأسها ناقص. وهذا التمثال وجد، منذ بضعة سنوات، مطموراً في حقول القرية التعاونيّة.» (مصلحة الآثار الاسرائيلية «بيت لحم الجليل» في «يديعوت أحرونوت»، 27 كانون الثاني سنة 1993).

يُظهر هذا النص الآركيولوجي العبريّ الحقائق العلميّة التالية:

-أولاً: هناك تاريخياً وجغرافياً على الأرض، مرّة أخرى، مدينة في الجليل تسمّى «بيت لحم الجليل». وتدعى هكذا تمييزاً لها عن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع في جنوب فلسطين بالقرب من مدينة أورشليم.

-ثانياً: بيت لحم الجليل هذه – كما يؤكّد النصّ – هي مدينة قديمة العهد. والدليل ان فيها آثاراً تعود الى قرون سالفة. ومنها النواويس المحفورة في الصخر، وصهاريج المياه والمعاصر والكنائس التي تعود اى القرون الاولى للمسيحيّة...

-ثالثاً: يركّز النصّ على الكنيسة البيزنطية التي يعود تاريخ بنائها الى ما بين القرنين الخامس والسادس، والى بقايا قطع الفسيفساء المتنوعة الاشكال والأحجام، والغنية برموزها وصورها. وهذا يدل، دون شك، على المكانة الهامة لهذه المدينة التي حضنت مثل هذه الكنيسة الملفتة

بهندستها ومحتوياتها، في هذه المنطقة الجغرافية بالذات، البعيدة جداً عن أورشليم وبيت لحم اليهودية، والموجودة بين «الأمم – الوثنيّين...«

-رابعاً: إن ما يهمنا في هذا النص العبرانيّ، بنوع خاص، هو قضية الكنيسة المسيحيّة القديمة، التي شيّدت فوقها كنيسة القرن الخامس – السادس، والتي، كما يقول النص نفسه، دمّرت وأحرقت سنة 100 بعد الميلاد!

-أ- الملفت حقاً هو تاريخ بناء هذه الكنيسة المسيحية في بيت لحم الجليل. في أية سنة بنيت؟ لا جواب دقيق على هذا السؤال، ولا هناك، على ما نعلم، مصدر أو مرجع حول هذا الموضوع. كل ما نعرفه هو أن رهبان الكرمل – هذه الجماعة الاسينية الأصيلة والحقيقية والتي كانت تنتظر بحق مخلّص العالم أجمع – شيّدوا على قمة جبلهم، غداة سماعهم عظة بطرس يوم العنصرة، كنيسة على اسم العذراء مريم، وهي بعد على قيد الحياة! وكانت هذه الكنيسة، دون أدنى شك، اول كنيسة مسيحية في الأرض، وكانت داخل أراضي فينيقية – لبنان، كما اثبتنا وكرّرنا سابقاً. والملفت أيضاً أن جبل الكرمل قريب جداً من بيت لحم الجليل التي تقع، مع مغاورها، الى الجهة الشمالية الشرقية من سفوحه. فكنيسة بيت لحم هذه التي أُحرقت وهدمت سنة 100 بعد الميلاد، كانت هي والمدينة التي تحتضنها، تابعة لصور وداخل أراضي فينيقية – لبنان. فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرهبان او تلاميذهم هم الذين شيّدوا كنيسة بيت لحم الجليل الأولى، التي أحرقت وهدمت في السنة 100 بعد الميلاد، علماً أن جميع مغاورهم في جبل الكرمل قد تحوّلت فيما بعد الى كنائس صغيرة ومعابد ومزارات...

-ب- أما من أحرق هذه الكنيسة، هذه التحفة التاريخية البالغة الاهمية في التاريخ المسيحي؟ إنهم، دون أدنى شك، اليهود، الذين بعد خراب هيكل أورشليم سنة 70 بعد الميلاد، سكنوا الجليل واستأصلوا كل أثر للمسيحية في تلك امنطقة، لأن أصل وجذور المسيحية، مرة أخرى، هي جليليّة. وقد أضيف الى ذلك، أن عائلة ملكيّا الكهنوتية اليهوديّة بالتحديد،

هي التي سكنت بيت لحم الجليل وشيّدت مجمعاً لليهود فيها. (راجع النص الإفرنسي في هذا الملفّ.(

-ج- أمّا لماذا بنيت هذه الكنيسة – الاولى في التاريخ المسيحي بعد كنيسة جبل الكرمل – في بيت لحم الجليل بالذات؟ ولم تبنَ مثلاً في بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، أو في الناصرة القريبة من الكرمل، أو في مكان آخر من اليهودية والجليل وغيرها؟ الجواب على هذه الأسئلة بسيط وواضح للغاية: لم تبنَ في بيت لحم اليهودية، لأن اليهود والمسيحيّين المتهوّدين كانوا على خلاف قويّ دام ثلاثة قرون مع سائر المسييحيّين، حول ولادة المسيح في بيت لحم اليهودية وحول علاقته بذرّية داود! المتهوّدون يقولون إنه من ذرية داود وإنه ولد في بيت لحم اليهودية. والمسيحيّون، من جهتهم، يقولون إنه لا علاقة له بذرّية داود، ولم يولد في بيت لحم اليهودية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم تبنَ هذه الكنيسة في بيت لحم اليهوديّة لأن مغاور هذه المدينة، ومن ضمنها المغارة التي أصبحت «مغارة المهد»، كانت تستعمل كقبور ومدافن لعامّة الناس، وبنوع خاص لبعض الراهبات والرهبان القديسن (كإيرونيموس مثلاً...). وهل من المنطقي والممكن والمعقول، لو ثبت فعلاً ان السيد المسيح ود في مغارة في بت لحم اليهودية، أن تستعمل هذه المغارة بالذات، مع غيرها من المغاور المجاورة، كقبور ومدافن لعامة الناس؟!

أما لماذا لم تبن هذه الكنيسة التي نحن بصددها والتي أحرقت ودمرت سنة 100 بعد الميلاد، لماذا لم تبنَ في الناصرة؟ فبكل بساطة، لأن الناصرة لم تكن موجودة في ذلك الوقت، أي في القرن الأول. بالإضافة الى ذلك، فالكنيسة المسيحية الاولى التي بناها الرهبان فوق جبل الكرمل، تكريماً للعذراء مريم وهي بعد على قيد الحياة، كان من المفروض أن تبنى في الناصرة مدينة العذراء كما يقال... بنيت الكنيسة فوق جبل الكرمل، لأن الناصرة لم تكن موجودة في ذلك الوقت. وقد ذكرنا وكرّرنا سابقاً أن الأبحاث الآركيولوجية قد اثبتت ان مدينة الناصرة لم تبنَ الاّ بعد القرن الاول... أضف الى ذلك أن العذراء مريم قد سكنت سنوات عديدة

في دير جبل الكرمل، كما فصّلنا ذلك في فقرات طويلة في هذه ادراسة، بالإضافة الى سكنها هي ويوسف، بعد الميلاد، في بيت لحم الجليل.

-د- إن كنيسة بيت لحم الجليل «الصوريّة»، اللبنانية، شيّدت خلال القرن الاول للميلاد، وأحرقت وهدمت في السنة 100 للميلاد. أمّا أول كنيسة بنيت في بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، والتي اهتم بتشييدها الملك قسطنطين الكبير وأمه هيلانة، فقد بنيت حوالي سنة 330 بعد الميلاد! أي بعد دمار كنيسة بيت لحم الجليل بمائتين وثلاثين سنة!! أليس الفرق كبيراً، وكبيراً جداً؟ أليس في الأمر غرابة؟ وما سرّ هذه الغرابة؟ كنيسة مسيحية تشيّد في خلال القرن الاول للميلاد في بيت لحم بالذات، في منطقة صور داخل أراضي فينيقية – لبنان، وبعد حوالي ثلاثة قرون – نعم ثلاثة قرون!!! – يشيدون كنيسة في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم؟ فلو كان من الثابت أن السيد المسيح قد ولد في بيت لحم اليهوديّة، لماذا انتظر المسيحيّون ثلاثة قرون لبناء أول كنيسة لهم فيها؟ ولماذا سبقهم مسيحيّو بيت لحم الجليل بثلاثة قرون؟ ومن سخرية القدر الغاشم أن الذين شيّدوا أول كنيسة في بيت لحم المعروفة اليوم، شيّدوها فوق مغارة قيل لهم إنّها «مغارة المهد». وتتجلى هذه السخرية بأمور وحقائق كثيرة، لا داعي لتكرارها من جديد. نكتفي هنا ببعض كلمات فقط. أولاً: «مغارة المهد هذه» – في بيت لحم المعروفة اليوم – كانت تستخدم مع المغاور المجاورة، كمدافن لعامّة الناس طوال ثلاثة قرون. ثانياً: بيت لحم اليهوديّة، المعروفة اليوم، امتد يناؤها انطلاقاً من نقطة وسط مركزيّة هي كنيسة المهد. غير أن التقاليد المسيحيّة جميعها تقول: كان هناك مدينة مبنية اسمها بيت لحم، والمسيح ولد في مغارة بقربها أو على طريقها، في منطقة بعيدة عن السكن، قريبة من المراعي. ثالثاً: مَنْ جزم بأن السيّد امسيح ولد في مغارة المهد هذه»؟ وما هي الحجج والبراهين والأدلة على ذلك؟ فاليوم، وبعد مضي ألفي سنة على الميلاد، ليس هناك عالم واحد بإمكانه ان يثبت، بشكل موضوعي وعلمي وآركيولوجي، ان السيد المسيح ولد في بيت لحم المعروفة. ونحن واثقون، تمام الثقة، بما نقول. من جهة ثانية، لا يكفي أن يكون هناك بيت لحم وأن يكون هناك مغارة، حتى يولد المسيح فيها.

هناك في الجليل مدينة تسمّى أيضاً بيت لحم، وبقربها أكثر من مغارة. وقد ذكرنا بالتفصيل سابقاً، أن الذي قرّر أن تُشَيَّدَ كنيسة قسطنطين فوق «مغارة المهد هذه»، في بيت لحم اليهوديّة، هم المسيحيّون المتهوّدون الذين كانوا يشكّلون «كنيسة الختان» في أورشليم. وكانت هذه الكنيسة، التي دامت حتى آخر القرن الرابع، هي الناطقة الرسمية الوحيدة باسم المسيحيّين، في اورشليم وجوارها، في ذلك الوقت. هؤلاء المتهوّدون كانوا، هم أيضاً مثل اليهود، يركّزون على المثلّث اليهودي المعروف: داود، سبط يهوذا، أورشليم. وكانوا يعتقدون أن المسيح من سبط يهوذا ومن ذرّية داود. أليس هم الذين سألوه ذات مرّة، قبيل صعوده ولكن قبل حلول الروح القدس: «يا ربّ، أفي هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل؟» _أعمال الرسل 1: 6). فكان من الطبيعي، والحالة هذه، أن يجعلوا المسيح يولد من سبط يهوذا، ومن ذرّية داود وفي بيت لحم اليهودية مدينة داود، وقرب العاصمة أورشليم... وذلك لأسباب دينية لاهوتية قومية عنصرية لا علاقة لها لا بالتاريخ ولا بالجغرافية ولا بالحقيقة المنطقية والموضوعية. أما بيت لحم الاخرى، وكانوا على علم تام بها، فهي هناك، بعيدة، في جليل «الامم» – الوثنيّين، وهل يعقل أن يولد المسيح، برأيهم، بين الأمم الوثنيّة؟! هل يُعقل أن يولد في لبنان؟ وهكذا استمر الاعتقاد الى اليوم، بأن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة في أيامنا هذه.

في الحقيقة، لقد تمّ الكتاب: «وأما المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو» (يوحنا 7: 27!(

الحكاية، كل الحكاية، ان المسيح ولد فعلاً في بيت لحم، في لبنان. ولأنه ولد في لبنان، وفي لبنان بالذات، طمس اليهود، ومن بعدهم المسيحيّون المتهوّدون، هذه الحقيقة التاريخية، منذ القرون الأولى للمسيحية. وجعلوه يولد في بيت لحم الخاصة بهم، في اليهودية قرب أورشليم. لقد شوّهوا التاريخ، مرّة أخرى، وكتبوا، فقرأناهم وصدقنا... حتى يومنا هذا!

وتجدر الإشارة، في نهاية هذا الملفّ الاخير، الى أن أول تدوين تاريخيّ علميّ حديث لآثار بيت لحم الجليل حصل سنة 1908، على يد المؤرخ

الرحّالة الالماني ك. شوماخر (راجع النصّ الالماني في هذا الملفّ). بعد ذلك، يظهر أن مصلحة الآثار في اسرائيل قامت بحفريّات آركيولوجيّة عصريّة في بيت لحم الجليل على دفعتين: الأولى حصلت في شهر شباط سنة 1965 (راجع النص العبرانيّ)، غير أنه لم ينشر تقرير عن ذلك الاّ في 27 كانون الثاني سنة 1993، في «يديعوت أحونوت»، بعنوان: «بيت لحم الجليل». والدفعة الثانية حصلت في شهر آب سنة 1975 (راجع النصّ الإنكليزيّ.(

واليوم، فإن بيت لحم الجليل – وقد حافظت على اسمها – هي قرية وادعة في اللّحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، بين عكا والناصرة. وهي تحاول نفض التراب – تراب الطمس والنسيان والجهل – عن جسمها العريق، بعد أن قامت مؤخراً من نومها السرّي الطويل. إنها كطائر الفينيق الذي يبعث حيّاً من رماده. وعلى غرار «ابنها البارّ» يسوع المسيح الذي قام من قبره «وقهر الموت بالموت وأعطى الحياة للذين في القبور...»، وهو القائل: «أنا القيامة والحياة، من آمن بي، وان مات فسيحيا، وكل من يحيا ويؤمن بي لن يموت للأبد...» 0يوحنا 11: 25-26.(

وبيت لحم الجليل، في أيامنا هذه، تظهر في جميع الخرائط الجديدة، وفي جميع اللغات. وهي بمثابة قرية تعاونية – زراعية، سكّانها كلّهم من اليهود، من أصل الماني، ويبلغ تعدادهم حوالي 300 نسمة. والملفت أخيراً، أن «بيت لحم»، وكما يدلّ عليها اسمها الكنعاني – الآرامي «بيت لحمو» = بيت الزرع والغذاء والخبز) أو – في الأصل – إله الزرع والغذاء والخبز(، عادت، كما كانت منذ آلاف السنين، قرية زراعية بالذات، قرية الزرع والغذاء والخبز) قرية إله الزرع والغذاء والخبز...!). أليست القرية نفسها التي ولد فيها يسوع المسيح، ابن الله المتجسد، والقائل:

»أنا خبز الحياة. من يقبل اليَّ فلن يجوع، ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً... أنا خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المنَّ في البرّية ثم ماتوا. إن الخبز النازل من السماء هو الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيَ للأبد. والخبز الذي ساعطيه أنا، هو جسدي أبذله ليحيا العالم»! (يوحنا 6: 35، 48-51.(

صُور عن بيت لحم الجليل

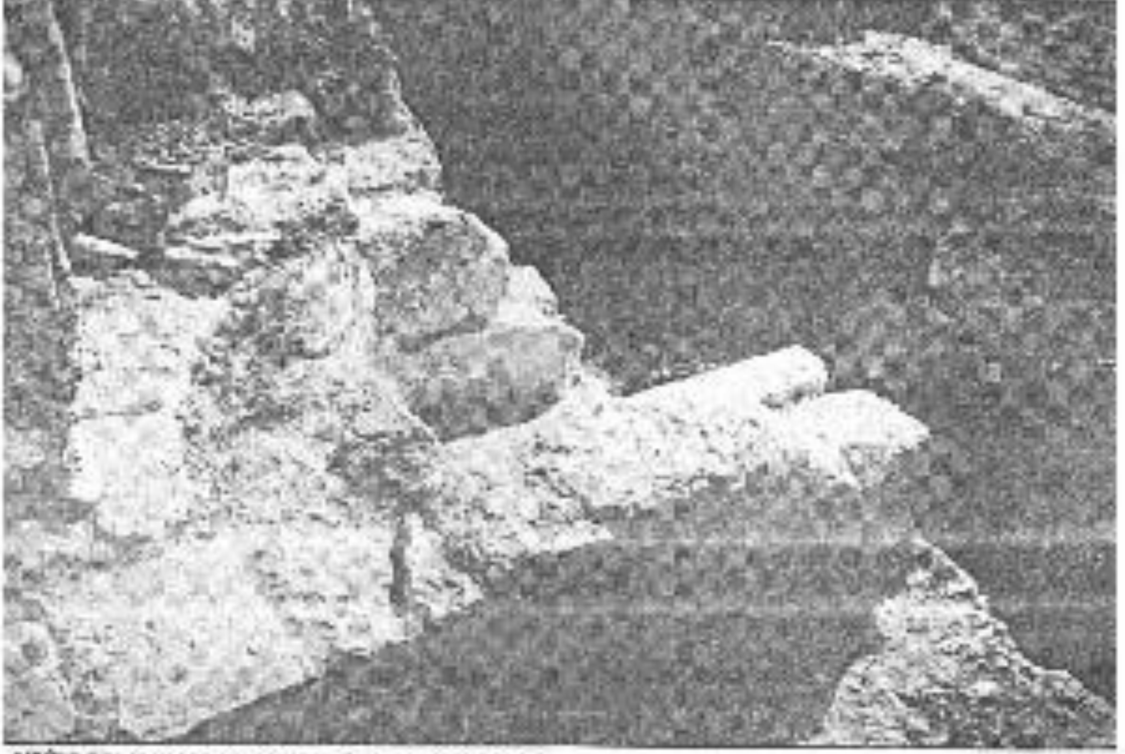


منظر لقرية بيت لحم «اللبنانية». في أعلى الصورة تظهر البيوت البلاستيكيّة الزراعية التابعة لـ»كيبوتز» بيت لحم. في وسط الصورة يظهر قسم من الآثار القديمة (المطمورة). وفي اسفل الصورة قسم من الطريق العام المفروشة بالاسفلت وهي تغطي القسم الاكبر من الآثار ومنها الكنيسة المسيحيّة القديمة!!!



منظر آخر لقرية بيت لحم «اللبنانية». ويظهر فيها الدليل التاريخي – الآثاري وهو يقرأ ويشرح لزائرين تاريخ وطبيعة الآثار القديمة الظاهرة بوضوح في الصورة!
(الصورتان مأخوذتان في شهر كانون الثاني سنة 1999(!...

الكنيسة البيزنطية – القرن السادس عشر
في بيت لحم الجليل
(مذبح الكنيسة في وسط الصورة)



- ترجمة الكتابة العبرانية التي تحت الصورة:

«كنيسة بيزنطية من القرن السادس عشر عند مدخل بيت لحم الجليل». (تصوير هارد سميتلين، مصلحة الآثار.

نشرت الصورة مصلحة الآثار الاسرائيلية في جريدة «يديعوت أحرونوت»، بتاريخ 27 كانون الثاني سنة 1993.)

الكنيسة البيزنطية – القرن السادس عشر
في بيت لحم الجليل
(الفسيفساء)



ترجمة الكتابة العبرانية التي تحت الصورة: -داخل المثلث الاسود في أسفل الصورة الى اليمين، بالأحرف الكبيرة: «حيوانات قديمة.« -في اسفل الصورة، بالاحرف الصغيرة: «حصان، وعل، دبّ، طاووس. هذه هي فقط بعض الحيوانات الكثيرة التي تظهر على الفسيفساء الواسعة التي اكتشفت مؤخراً في بيت لحم الجليل، خلال حفريات مصلحة الآثار الاسرائيلية.«

-)تصوير هارد سميتلين، مصلحة الآثار.

-نشرت الصورة مصلحة الآثار في جريدة «يديعوت أحرونوت» بتاريخ 27 كانون الثاني سنة).1993(

مصادر ومراجع الملحق الأخير (1)

-رينات روزنتال «آثار الجليل – بيت لحم الجليل (بالإنكليزية) 1975، ص 176-175

-ك. شوماخر «الهياكل القديمة» (بالألمانية)، 1909، ص 9، 29، 86-87.

«-قاموس الجليل»، الجزء الأول، ص 277 (بالإفرنسيّة.(

«-قاموس الآثار اليهودية في الكتاب المقدّس» (بالافرنسيّة)، 1922-1923، ص 33 وما يتبع.

«-قاموس الآثار الرومانية في فلسطين»، ص 32 (بالافرنسيّة.(

«-الموسوعة اليهوديّة» الجزء الرابع، ص 438 (بالافرنسية.(

-جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية: مقالة مصوّرة عن الحفريات الآركيولوجية في بيت لحم بعنوان «بيت لحم الجليل»، في عدد 27 كانون الثاني 1993، (بالعبرانيّة)

الملحق الأخير (2)

...وبعد براهين الأرض،

براهين السماء (الفلك)!

البراهين الفلكية العلميّة الحديثة الدامغة

»إن قصة الميلاد»، في بداية تقويمنا
الحالي، تخفي الى اليوم أصولها
التاريخية والجغرافيّة«...

عالم الفلك السوفياتي
ألكسندر أ. رزنيكوف

(تاريخ ومكان الميلاد» المقدّمة ص 3)

العالم الفلكي رزنيكوف
«والمذنّب هالي» وبيت لحم «الأخرى!!«

من المعروف أن «المذنّب هالي» قد مرّ قريباً من الأرض في 19 آذار عام 1986. وقد شاهده بالعين المجرّدة العديد من الناس، وذلك بشكل واضح تماماً. وكان موضوعاً لدراسات فلكية وعلمية عديدة من قبل كثير من علماء الفلك والفيزياء والكيمياء. ووضعت مؤلفات بلغات عدة، في طبيعة هذا المذنّب، وتكوينه وتركيب عناصره، بالاضافة الى حركاته ومساره في الفضاء. وقد أعطت هذه الدراسات الحديثة معلومات جديدة، غاية في الأهمية، حول طبيعة المذنّبات وتكوينها، وحول البدايات الأولى للنظام الشمسي والكواكب الشمسية ومنها الارض. ومن أبرز علماء الفلك الذين اهتموا بدراسة «المذنّب هالي» العالم السوفياتي الشهير الكسندر أ. رزنيكوف. والذي يهمنا، بنوع خاص، في دراسة هذا الفلكي، هو رَبْطُهُ «المذنّب هالي» ببيت لحم الحقيقية-الشمالية، اللبنانية- موضوع دراستنا هذه. وقد وضع دراسات ثلاث في هذا الموضوع (راجع المصادر والمراجع بعد هذا الكلام)، مستنداً الى ابحاث فلكية وتاريخية وجغرافيّة. ولقد توصّل رزنيكوف الى الحقائق الهامة التالية:

أولاً- يؤكّد رزنيكوف أن «المذنّب هالي» هو هو نفسه «نجم» الميلاد، أي «النجم الذي رآه المجوس في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه...» (متى 2: 9). ويقدّم رزنيكوف على ذلك الدلائل والبراهين الفلكية العلمية، مدعومة بالتطابق التاريخي والجغرافي. واليوم، هناك الكثير من علماء الفلك الذين يدعمون هذه الحقائق التي توصل اليها رزنيكوف.

ثانياً- يؤكد العالم السوفياتي، من النواحي الفلكية والجغرافية، أن «مذنّب هالي» لم يمرّ أبداً فوق بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم – ويسمّيها بالاسم حرفياً – لأنها تقع في جنوب فلسطين، «والمذنّب

هالي» قد مرّ، بحسب دراساته الفلكية والجغرافية، فوق شمال فلسطين، فوق منطقة الجليل.

ثالثاً- من الثابت اذاً، والمحقّق علمياً وفلكياً وجغرافيّاً، ان «المذنّب هالي»، نجم المجوس والميلاد، قد مرّ في الحقيقة فوق بيت لحم الجليل في شمال فلسطين، أي بيت لحم الكنعانية اللبنانية. ويسمّيها رزنيكوف بالاسم حرفياً. (راجع مؤلفات الكسندر أ. رزنيكوف المثبتة في المصادر والمراجع بعد هذا الكلام، وخاصة كتابه «تاريخ ومكان الميلاد»، ص 3، 9، 19-20، 23، 27، 37، 41-44.)

والملفت حقاً ان «الموسوعة اليهودية» باللغة الانكليزية، التي يستند اليها العالم الفلكي الكسندر أ. رزنيكوف (مع غيرها من المراجع) تقول، هي نفسها، بالحرف الواحد: «إن بيت لحم الجليل في الشمال تقع داخل أراضي مدينة صور وبالتالي داخل اراضي لبنان» (المجلّد الرابع ص 750!!)

بالاضافة الى هذه الحقائق العلمية الثابتة التي تدعم دراستنا هذه بشكل مباشر، يلقي العالم السوفياتي أضواء كاشفة جديدة على بعض القضايا التي ترتبط بالميلاد وبدراستنا معاً.

القضية الاولى: قضية زيارة مريم العذراء نسيبتها اليصابات، بعد بشارة الملاك جبرائيل لها بالحبل بيسوع، وذلك في الشهر السادس بعدما حبلت اليصابات بيوحنا (لوقا 1: 26-56). من المعروف، وتبعاً لتقاليد شعبيّة موروثة، كانت اليصابات مقيمة في عين كارم، على بعد بضعة كيلومترات الى الجنوب الغربي من اورشليم، عندما قصدتها مريم المقيمة في الناصرة، في الجليل في شمال فلسطين. أما رزنيكوف فيقول ان اليصابات كانت ساكنة بالقرب من الناصرة، الى الشمال الشرقي، وعلى بعد حوالي 15 كلم عنها، في بلدة تسمّى «كُفَرْعُزّة»، حيث كانت تقيم عائلة أبيّا الكهنوتية. فالانجيل نفسه يقول إن زكريًّا زوج اليصابات كان من فرقة أبيّا الكهنوتية (لوقا 1: 5). وهكذا، لم تقم العذراء مريم، وهي حامل، بذلك السَفر الطويل- 160 كلم – من الناصرة الى عين كارم في ظروف محليّة ومناخية صعبة للغاية، بل قصدت نسيبتها اليصابات الى قرية قريبة من الناصرة (مع العلم ان الناصرة لم تكن موجودة بَعْدُ في أيام مريم واليصابات...). (راجع «تاريخ ومكان الميلاد»، ص 26-27). ونحن بدورنا،

سبق وقلنا في هذه الدراسة ان مريم واليصابات كانتا تسكنان في الجليل في مكانين مجاورين في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل...

القضية الثانية: قضية سَفر يوسف ومريم وهي حامل، قبيل الميلاد، من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهودية. في الحقيقة، يقول العالم رزنيكوف، هذا السَفر الطويل والشاق لم يحصل اصلاً لأنه لم يكن هناك من داع لهذا السَفر، فلم يكن في زمن الميلاد لا إحصاء ولا اكتتاب، بل جرى اكتتاب معيّن قبل الميلاد بسنوات أو بعده بسنوات. كل هذا لا يمنع حصول انتقال قصير ليوسف ومريم ضمن أرض الجليل، إما بسبب الميلاد نفسه أو لأسباب عائلية بحتة... فالمسيح برأيه جليليّ بكل ما في الكلمة من معنى. وهو يستشهد لذلك بإنجيل يوحنا نفسه حين يقول: «فقال أناس من الجمع وقد سمعوا ذلك الكلام: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا» أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب ان المسيح هو من نسل داود وإنه يأتي من بيت لحم، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه...» (يوحنا 7: 40-43). (راجع رزنيكوف «تاريخ ومكان الميلاد»، ص 20، 23.(

ونحن بدورنا قلنا وكرّرنا اكثر من مرة، وبشكل مفصَّل لماذا وكيف ان هذا السَفر الطويل الشاق من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، لم يحصل اطلاقاً من الناحية التاريخية (مع العلم، مرة أُخرى ان الناصرة لم تكن موجودة بَعْدُ، ليقيم فيها أو ينطلق منها يوسف ومريم.(

القضية الثالثة: قضية ذهاب المجوس الى الجليل لا الى اليهودية. يقول رزنيكوف ان هيرودس قرّر الذهاب الى روما لأسباب سياسية وادراية (وهو يستند الى المؤرخ يوسيفوس وغيره من المؤرخين في قضية هذا السفر). وفي طريقه الى روما عرّج على مدينة قيصريّة فلسطين، على شاطئ المتوسط، حيث أشرف على تدشين مرفئِها الجديد. ثم أبحر الى مدينة عكا في الجليل لينطلق منها في الغد الى روما. وقضى ليلته في مدينة صفّوريَس القريبة من عكا حيث كان هناك قصر ملكيّ. وهناك سمع بولادة ملك لليهود وبمجيئ مجوس يسألون عن هذه الولادة. وكان في صفّوريس نفسها مجمع وسنهدرين لليهود وبعض العائلات الكهنوتية. فمع

هؤلاء- لا في اورشليم – اجتمع هيرودس وسألهم عن ولادة ملكهم الجديد، بعد سماعه أقوال المجوس. وهكذا، فان المجوس قد ذهبوا الى الجليل، لا الى اليهودية (راجع: «تاريخ ومكان الميلاد»، ص 9، 19-20.(

وما يهمّنا من أقوال رزنيكوف هنا، هو أن المجوس قد قدموا فعلاً الى الجليل، ولم يذهبوا ابداً الى اليهودية. وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في هذه الدراسة. واذا كان المجوس قد اتوا فقط الى الجليل فهذا يعني أن ولادة المسيح قد حصلت في الجليل – في بيت لحم الجليل، لا في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

ونذكر هنا قولاً معبّراً من أقوال العالم السوفياتي الكسندر أ. رزنيكوف، في ختام أحد فصول الكتاب، قال: «آه! لقد عرفنا الآن انها بيت لحم الأخرى!» (المصدر السابق نفسه ص 20). وهو يقصد طبعاً ان ولادة المسيح قد حصلت في بيت لحم الأخرى، بيت لحم الجليل لا في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

مصادر ومراجع العالم الفلكي السوفياتي الكسندر رزنيكوف حول المذنّب هالي وتحديد الموقع الحقيقي «للميلاد»

-A.I. Reznikov "La comète de Halley: une démystification de la légende du Noël? Recherche d'astronomie historique, "Nauka", Moscou, 18, 65, 1986 (en russe).
-"La comète de Halley est-elle l'étoile de Bethléem?", Science et Religion, "Znanije", Moscou 10, 14, 1986 (en russe).
-"Date et Endroit de la Nalivité – Les possibilités d'une enquête 2000 ans après les évènements", traduction française, ronéotypie p.p. 3, 9, 19-20, 23, 26-32, 36-44.
-D.W. Hugues "The Star of Bethlehem", Walker, New-York, 1979.
-F.R. Stephenson et K.C. Yau "Far eastern observations of Halley' comet: 240 B.C. to A.D. 1368". J B I S : journal of the british interplanetary society, 38, 195, 1985.
-Dio Cassius "Roman history", Loeb, London, 1917.
-C. Tischendorf "Evangelia Apocrypha", Leipzig, 1876.
-Josephus "Jewish Antiquities", Loeb, London, 1943-1969.
-"The Jewish War", Loeb, London, 1927.
-A.A. Barett Observations of comets in Greek and Roman sources before A.D.410. J.Roy. Astr. Canada, 72, 81, 1978.
-M. Grant, "Herod", London, 1971.
-H.W. Hoehner, "Herod Antipas", Cambridge, 1972.
-Lee I. Levine, "Caesarea under Roman rule", (Studies in Judaïsme in Late Antiquity, 7), Leiden, 1975.
-S. Klein, "Beitrage Zur Geographie und Geschichte Galilaas", Leipzig, 1909.

-F.-M. Abel, “Géographie de la Palestine”, Tome1, Géographie physique et historique, Paris, 1933.
-Encyclopedia Judaïca, Jerusalem, Vol. 4, 1972, Keter publishing house Jerusalem Ltd, Printed in israël, by Keter Press Enterprises Jerusalem, p. 750. + conf. Aussi la Revue “Pour la Science” (Edition française de Scientific American), dossier hors série, avril 1999, “Les Terres Célestes – Les représentations des Comètes pp. 118-126 avec cartes figures et photos.

ومزيد، بعد مزيد، من التأكيد...

نشرت العالمة الأميركية روبيرتا أولسَون مقالة تاريخية علمية حول الميلاد والمذنّب هالي في المجلة العلميّة العالمية «من أجل العلم» (النسخة الفرنسية «للمجلة العلمية الأميركية»)، عدد ممتاز – ملفّ خاص، شهر نيسان 1999، (ص 118-126). في هذه المقالة العلمية التي نشرت في مجلة عالمية محض علمية، تؤكد العالمة الاميركية على صحة نظرية العالم السوفياتي الكسندر أ. رزنيكوف حول كون المذنب الشهير هالي هو هو نفسه «النجم الذي رآه المجوس في المشرق – وقت الميلاد – والذي كان يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه...» (متى 2: 9)؛ وبالتالي حول كون هذا المذنّب قد مرّ فعلاً، لا فوق بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، بل فوق بيت لحم «اللبنانية» في «جليل الأمم»؛ وأن المسيح، في الحقيقة، ولد في لبنان لا في اليهودية. نذكّر بأن العالم الفلكيّ السوفياتي رزنيكوف كان قد نشر هذه النظرية في كتابه عام 1986، مقدماً البراهين والأدلة التاريخية والفلكية الوافية على صحتها. وفيما يلي بعض المقاطع من مقالة مجلة «من أجل العلم»، وهي المقاطع التي لها علاقة مباشرة بدراستنا هذه:

»في نهاية عام 1301، عبر أجواء الأرض ليلاً مذنّب قريب لفت اليه جميع الانظار. كان مكوّناً من نواة مركزيّة تحيط بها ضُفَيْرَةٌ مشعّة تترك وراءها خطاً مضيئاً طويلاً. هذا المذنّب الذي لُقِّبَ فيما بعد «مذنّب هالي» يظهر في أجواء الأرض بشكل دوري، كل 77 سنة تقريباً...

»والملفت حقاً، أن أول من رسم هذا المذنّب، هو الفَنَّان العالمي «جْيُوتّو دي بوندوني» (1267-1337). وقد رسمه عام 1304 في لوحة جداريّة «داخل كنيسة باودا بإيطاليا على أنه «النجم الذي رآه المجوس – وقت الميلاد – والذي كان يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه...» (متى 2: 9). والغريب ان «جيوتّو» خرج، في رسم هذا المذنب الذي رآه شخصياً، عن النمط المألوف والراهن لصورة النجم عهد ذاك: نقطة مركزية صغيرة تحيط بها خطوط مسنّنة دقيقة؛ فرسمه كما رآه وكما وَصَفْنَاهُ اعلاه.

»ونحن نؤكد هنا، ان تطابق التواريخ، والشكل الواقعي البسيط للرسم، والشبه بينه وبين الصور العلمية المعاصرة، كل ذلك يؤكد ان المذنّب الذي رسمه «جيوتّو» في كنيسة بادوا هو هو نفسه «مذنّب هالي»، مذنّب المجوس والميلاد... وقد مرّ فوق شمال فلسطين، فوق الجليل...

»قبل الفنّان «جيوتّو»ن كان الأقدمون يربطون بين ظهور المذنّبات وبين أحداث بارزة تحصل على الارض. ومنهم رجال كبار امثال الفيلسوف الكبير ارسطو، وفيرجيل، وسيناك ولوكين وغيرهم كثيرين. وقد يكون مرور المذنّبات نذير شؤم أو فأل خير... وهناك مؤلفات عديدة وضعت في هذا المضمار. وكانوا يعتقدون أن المذنّبات التي يتزامن مرورها مع أحداث سارّة كبيرة هي نوع من الاشارات والعلامات السماوية التي تبشّر بخير عميم. هذه المعتقدات كان قد جمعها عام 1264 كاتب معاصر للفنان «جيوتّو» يدعى إيجيديوسَ في كتاب ضخم أسماه: «في طبيعة المذنّبات وحركاتها ومدلولات ظهورها». وكان أوريجانوس أحد كبار آباء الكنيسة (185-254) يستفيض في الحديث عن معاني ومدلولات ظهور المذنبات. وله أقوال مأثورة في ذلك، منها: «اذا كان في بداية كل عهد وكل أسرة مالكة أو سلالة حاكمة يظهر مذنّب في السماء... فلماذا العجب لظهور مذنّب في السماء، عند ولادة السيد المسيح الذي معه بدأت البشرية والأرض بعهد جديد...؟.«!

»من الناحية العلمية الصرف، نحن نعلم اليوم، بفضل تقدّم العلوم الفلكية، ان التي نسمّيها مذنبات، ومنها «مذنّب هالي»، هي «تجمعات من الغبار الكونيّ تنطلق ممّا يسمّيه العلماء «غيمة أورت» التي توجد خلف الكواكب الشمسيّة البعيدة، فوق مسار جوبيتير والتي تبعد عن الشمس بين 5، 0 وسنتين ضوئيتين. والمذنّبات تتبع مسارات إهليجية كبيرة حول الشمس وتصبح مرئية عندما تدخل في اجواء الارض. وآخر مرة ظهر فيها «مذنّب هالي» كانت سنة 1986. والمسبار الفلكي الذي راقبه وتتبّعه محلّلاً كان يسمّى ايضاً «جيوتّو» باسم الفنان الفلورنتيني الشهير الذي رسمه، كما هو، لأول مرة، والذي تحدثنا عنه سابقاً. والملفت ان الأبحاث التي أجراها علماء الفلك على تكوين وتركيب العناصر التي يتألف

منها «مذنب هالي» تعطينا أفكاراً واضحة عن بدايات النظام الشمسي والأرض...». (مجلة «من اجل العلم»، عدد نيسان 1999، ص 118-126.(

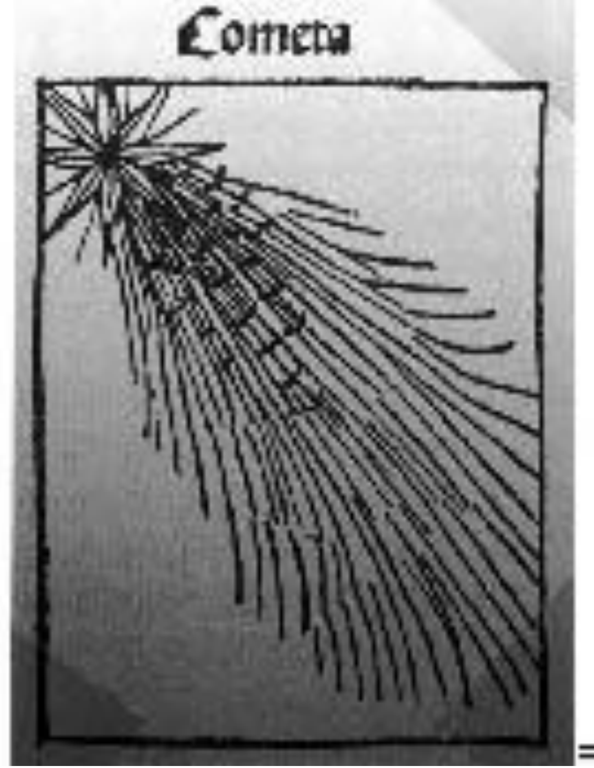
ونحبّ ان نذكّر هنا مرة أخرى، في نهاية هذا الكلام، أن «الموسوعة اليهودية» نفسها تقرّ صراحة أن بيت لحم الجليل كانت تقع داخل اراضي مدينة صور – وبالتالي داخل أراضي لبنان. فهي تقول بالحرف الواحد:

»إن بيت لحم الجليلية، التي تقع في غرب الجليل، القريبة من قرية تيفون في سَبط زبولون (راجع يشوع 19: 15، والقضاة 12: 8)، كانت تقع داخل اراضي صور...، هذا ما كشفت عنه الدراسات الحديثة... وفي سنة 1948 سكنتها جالية المانيّة تابعة «لجمعية الهيكل»... وفي سنة 1968، كان عدد سكانها 270 نسمة...» – راجع:

(-Encyclopédia Judaïca" – Jérusalem, Volume 4, 1972. By Keter Publishing House Jerusalem Ltd, Printed in Israël, by Keter Press Entreprises, jérusalem, page 750).

وهكذا، يأتي المزيد، بعد المزيد، من التأكيد- العلمي والتاريخي والجغرافي والآثاري والفلكي- على صحة نظريتنا في هذه الدراسة.

وهكذا، بعد براهين الارض...، ها هي براهين «السماء» (الفلك – الدراسات الفلكية) تنزل مع انوار «المذنّب هالي» لتؤكد على صحة هذه النظرية: المسيح ولد في بيت لحم الجليل التي كانت داخل اراضي صور، أي داخل الاراضي اللبنانية، ولم يولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي يحج اليها المسيحيون منذ الفي سنة. أجل! المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية. كما جاء في عنوان هذا الكتاب – هذه الدراسة العلمية الصرف، هذه الدراسة «اللبنانية» الروح والجسد. اجل! المسيح ولد في لبنان. أجل! يسوع ومريم ويوسف هم حقاً لبنانيون، من «قانا الجليل اللبنانية!!!«



رسم قديم «للمذنّب هالي»، من «اليوميات التاريخية» لمدينة نورنبيرغ الألمانية. تاريخ الرسم 1493، وهو يمثل ذكرى مرور المذنّب لسنة 684! لاحظ دقة وواقعية الرسم. (الصورة: مكتبة نيويورك العامة – مجلة «من أجل العلم(«



رسم على «سجادة بايو» الشهيرة يخلّد مرور «المذنّب هالي» سنة 1066 الى اليسار بعض الأشخاص يدلّون على المذنّب الذي يظهر في اعلى الصورة عند الوسط. الى اليمين ملك انلكترا هارولد يرى في الحلم، بمناسبة مرور المذنّب، الغزاة النورمان قادمين اليه (في اسفل الصورة) (الصورة: جوسّ – مجلة «من اجل العلم.(«



اول رسم في التاريخ «للمذنب هالي«
»سجود المجوس» للطفل يسوع للفنان العالمي «جيوتّو» على جدران كنيسة بادوا بايطاليا. ويظهر المذنب في اعلى الصورة في الوسط، والى اليمين مكبّراً بعض الشيء. يُلاحظ الشكل الواقعي للرسم الذي وضع سنة 1304!
)الصورة: سَكولا إديتوريال – مجلّة «من اجل العلم.(«



صورة فوتوغرافية علمية حديثة «للمذنب هالي» عند مروره في اجواء الارض عام 1986 (19 آذار). وتظهر النواة المركزية المشعة الى الأمام وهي محاطة بضُفَيْرةٍ مضيئة مكوّنة من غاز وغبار كونيّ ووراء النواة ذيل طويل منحنٍ مكوّن من عناصر هيولية مائعة. لاحظ الشكل الفريد للمذنّب الذي يسبح في الأسود الكوني السحيق الذي تتخلّله نقاط بيضاء هي نجوم مجرتنا: «درب اللبانة.«

)الصورة: الجمعية الملكية الفرنسية – مجلة «من أجل العلم.(«

الخاتمة:
الحقائق الصاعقة..."
وسر لبنان

الحقائق الساطعة والصارخة والصاعقة...

إن الحقائق التاريخية والجغرافية والآركيولوجيّة، المبنيّة على قرائن ودلائل وبراهين وحجج علمية موضوعية مجرّدة، والتي تنتج، بشكل مباشر أو غير مباشر، عن دراستنا هذه، هي الحقائق التالية، نعلنها أمام العالم اجمع، وخاصة امام المسيحيّين، وذلك بمناسَبة الاحتفال بيوبيل السنة الألفين، وبداية الألف الثالث لميلاد السيد المسيح:

-الحقيقة الأولى: إن يواكيم (عمران عند المسلمين)، والد مريم العذراء، وحنّة والدتها، وآباءهما وأجدادهما هم جميعاً، في الحقيقة، من قانا الجليل: من لبنان. لقد عاشوا وماتوا ودفنوا فيه. ومقام «النبي عمران»، الموجود اليوم في جوار قانا الجليل، يضمّ رفاتهم وأضرحتهم، كما هو ظاهر اليوم للعيان، وكما تؤكّد باستمرار التقاليد المحليّة القديمة والحديثة والحالية. «ومن له أذنان سامعتان، فليسمع!» ومن له عينان مبصرتانـ فلينظر! ومن له يدان تشعران فليأت ويلمس ويضع أصابعه العشر على أضرحة مقام «النبيّ عمران!«

-الحقيقة الثانية: إن العذراء مريم، بالتالي، هي من قانا الجليل: من لبنان. ولدت في قانا، وعاشت طفولتها فيها. ويوم تكريسها عذراء ملازمة للهيكل، أرسلها والدها الى جبل الكرمل، الى الدير الكبير الذي كان يضمّ الجماعات الروحيّة المنتظرة مجيء المسيح – المخلّص. وكان جبل الكرمل، منذ فجر التاريخ حتى إقامة العذراء فيه وبعد ميلاد ابنها يسوع بزمن طويل، كان داخل أراضي فينيقية – لبنان، كما تؤكد جميع الجغرافيات والخرائط على انواعها. ومنذ تكريسها وإقامتها في دير جبل الكرمل لقّبت العذراء مريم «بحمامة إيل...«

-الحقيقة الثالثة: إن إقامة العذراء في الهيكل كانت في هيكل دير جبل الكرمل هذا، ولم تكن، على الإطلاق في هيكل أورشليم عند اليهود. وقد خدمت هذا الهيكل مع نسيبها يوسف عدة سنوات، قبل زواجها منه.

وعاشت هناك، كما تعيش، نوعاً ما، الراهبات المحصّنات في أيامنا هذه. وهكذا كانت العذراء مريم أول راهبة من لبنان وفي لبنان في العهد الجديد.

-الحقيقة الرابعة: في داخل هيكل جبل الكرمل، حصلت «البشارة»: بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بولادة ابنها يسوع، «إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة «العليّ» تظلّلك، لذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يرعى» (لوقا 1: 35). ولم تحصل «البشارة»، لا في الناصرة لأنها لم تكن موجودة بعد، ولا في أي مكان آخر من اليهودية، لأن العذراء كانت في هيكل جبل الكرمل، عندما بشرها الملاك. اذاً البشارة حصلت في أرض لبنان.

-الحقيقة الخامسة: اذا كانت البشارة قد حصلت في لبنان فإن التجسّد – تجسد الابن الأزلي الاقنوم الثاني من الثالوث الأقدس – قد حصل هو أيضاً في لبنان، لأن أمّنا الكنيسة المقدسة تعلّمنا دوماً أن بداية التجسّد قد حصلت في نهاية «البشارة»، عندما قالت مريم للملاك: «ها أنا ذا أمة للربّ، فليكن لي بحسب قولك». (لوقا 1: 38). أجل! لقد حصل التجسّد الإلهيّ في لبنان، لأن حبل مريم بيسوع حصل في جبل الكرمل: في لبنان.

-الحقيقة السادسة: إن زواج مريم العذراء الحبلى من الروح القدس، من نسيبها يوسف المقيم هو أيضاً في دير جبل الكرمل، قد حصل في هذا الدير بالذات وعلى يد كبار كهنته، كما هو ظاهر حتى اليوم في الرسوم القديمة في كنائس أديرة جبل الكرمل. في لبنان، حصل هذا الزواج المقدس وتأسّست أول عائلة مسيحيّة!

-الحقيقة السابعة: هناك إجماع تام في التقاليد والكتابات المسيحية القديمة والحديثة على أمرين اثنين فيما يخصّ يوسف، الأول: على ان يوسف هو نسيب مريم، والثاني على أن عريس قانا الجليل هو نسيب

يوسف ومريم، ومنهم من يقول انه ابن حلفى شقيق يوسف. فانطلاقاً من كل ذلك، واذا كانت العذراء مريم من قانا الجليل اللبنانية، فان يوسف نسيبها وزوجها هو أيضاً من هذه البلدة. فلا هو يهوديّ أو من ذرية داود، كما يظنّ، ولا مريم كذلك. فالاثنان نزحا مع أهلهما وأقاربهما من قانا الى جبل الكرمل عندما قدّم مريم والدها لتتكرّس عذراء في دير الكرمل. أجل إن يوسف من قانا الجليل: من لبنان.

الحقيقة الثامنة: عاشت العذراء مريم بعد زواجها، في جبل الكرمل، حتى ولادة ابنها يسوع. وقد ولدته في مغارة، في سفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، على طريق بيت لحم الشمالية وبالقرب منها. وبعد الولادة أقامت مع يوسف في هذه المدينة بالذات. وبعد موت يوسف، عادت مريم، كما رأينا سابقاً، الى مدينة قانا الجليل لأنها كانت من هناك. وبعد عرس قانا الجليل، نزلت مريم من الجليل الأعلى الى الجليل الأسفل، مع يسوع والأقارب والتلاميذ، كما يقول يوحنا: «وانحدر يسوع بعد ذلك (بعد عرس قانا الجليل) الى كفرناحوم (على ضفاف بحيرة طبريّا) ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام...» (يوحنا 2: 12). وظلّت ترافق ابنها اثناء بشارته، في الجليل وفينيقيا واليهودية، حتى موته على الصليب. وبعد ذلك، «ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ (يوحنا الحبيب) الى بيته» (يوحنا 19: 27). وبقيت مع يوحنا الى يوم موتها وارتفاعها بالنفس والجسد الى السماء. وهكذا، فقد صحّ في مريم العذراء قول الكتاب المقدّس، حيث يخاطبها الروح القدس، قائلاً: «تعالي معي من لبنان، أيتها العروس فتتكلّلين. تعالي معي من لبنان. أتركي رأس أمانة، رأس سنير وحرمون، من مرابض الاسود، من جبال النمور... رائحة ثيابك كرائحة لبنان... أختي العروس جنّة مقفلة وينبوع مختوم... ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة وأنهار من لبنان...» (نشيد الاناشيد 4: 8-15(

-الحقيقة التاسعة: إذا كان أبوا يسوع، يوسف ومريم، من قانا الجليل اللبنانية، وإذا كانت رفات وأضرحة جدّه يواكيم (عمران)، ورفات وأضرحة الاهل والآباء والاجداد في نفس المدينة، في «مقام النبي عمران»،

الظاهر للعيان في يومنا هذا، فمن أين يا ترى، يكون يسوع المسيح؟ إن يسوع المسيح هو من قانا الجليل: من لبنان!انه من مدينة أمه وأبيه، من مدينة آبائه وأجداده. وقد تكون هذه الحقيقة صاعقة تصدم الكثيرين... ولكن ما العمل؟ وما همّ؟ انها الحقيقة. «والحقيقة تجرح». ولكنها حقيقة علمية موضوعية مجردة تستند الى القرائن والأدلة والبراهين والحجج التاريخية والجغرافية والآركيولوجية والفلكيَّة وغيرها...، والتي عرضناها بالتفصيل والدقة في سياق هذه الدراسة. أجل! إن يسوع المسيح هو من لبنان. «ومن له أذنان سامعتان، فليسمع...». ومن يؤمن بالعلم وله معرفة موضوعية وحكم مجرّد، ولا يخاف من أحد، الاّ من الله، فلينظر ويحكم ويقرّر!

-الحقيقة العاشرة: يسوع المسيح لم يكن، على الإطلاق، يهودياً، ولا بالتالي من ذرية داود وسلالته الملكية... كما يُظن؛ وهو القائل: «ليست مملكتي من هذا العالم. ولو كانت مملكتي من هذا العالم، لدافع عنّي حرسي لكي لا أسلم الى اليهود (!). ولكنّ مملكتي ليست من ههنا...» (إنجيل يوحنا 18: 36). أما قصة نسبته الى اليهود، والى ذريّة داود وسلالته الملكية بنوع خاص، فقد صاغها المسيحيّون المتهوّدون ليبرهنوا لبني جنسهم اليهود أن يسوع المسيح هو «المسيح – المخلّص» الذي كان ينتظره اليهود... ولقد تبيّن اليوم، بما يشبه الاجماع، وعلى ضوء النقد العلمي التاريخي والجغرافي والسلالي، الموضوعي والمجرّد، أن قضية ربط يوسف ومريم ويسوع بداود وذريته وسلالته، قضية لا ترتكز الى أي أساس تاريخي حقيقي وثابت. ولقد سبق وبيّنا بالتفصيل والبراهين القاطعة أن جداول نسب يسوع وربطه بذريّة داود مليئة بالمغالطات والتناقضات التاريخية والجغرافية الفادحة... وكيف يكون المسيح يهودياً وهو القائل لليهود أنفسهم: «إن أباكم هو إبليس»؟! وهو القائل أيضاً: «إني أتيت الى الخراف الضالة من آل اسرائيل». فهل هو منهم؟! حاشا وكلاّ!

-الحقيقة الحادية عشرة: إن يسوع المسيح قد ولد، في الحقيقة، «في بيت لحم الأمم». وبالتحديد في مغارة بالقرب منها، على طريقها. وعند

الميلاد كانت بيت لحم هذه ومنطقتها ومغارتها، مع بقية المغاور المجاورة، كانت داخل أرض فينيقية – لبنان، كما تظهر ذلك بوضوح جميع الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة، المطبوعة والمخطوطة بجميع لغات العالم. وهذا يتوافق تماماً مع جميع القرائن والدلائل والحقائق التاريخية والجغرافية والظروف المحلية في ذلك العصر، وذلك بشكل علمي موضوعي مجرّد، بعيداً عن الطمس والتحوير والروايات الشعبية المتوارثة... ومغاور بيت لحم الشمال باقية الى اليوم في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وفي إحدى هذه المغاور ولد يسوع المسيح... وكانت هذه المنطقة مقدسة لدى الجميع على مرّ العصور...

الحقيقة الثانية عشرة: لم يولد يسوع المسيح في بيت لحم المعروفة اليوم، أي بيت لحم اليهوديّة في الجنوب، بالقرب من أورشليم. فهذه، في الحقيقة قصة متعمدة صاغها فيما بعد المسيحيّون المتهوّدون «كنيسة الختان»، لكي يبرهنوا لبني جنسهم اليهود، كما قلنا مراراً، أن يسوع هو «المسيح المخلّص» الذي كان اليهود ينتظرونه، ولكي يقولوا لهم إنه ولد في ما بينهم في أرض اليهودية، ومن ذرّية داود ومن بيت لحم مدينته... والحقيقة ان هذه قصة ناتجة عن التحوير التاريخي والجغرافي والتحريفات القومية والعنصرية المتزمّتة، ثم استمرت هكذا بفضل النسيان والتناسي والجهل الموروث ومراعاة اليهود والخوف منهم... الى يومنا هذا! إن بيت لحم المعروفة اليوم حديثة العهد نسبياً، فلا تصحّ فيها إطلاقاً نبؤات الانبياء الاقدمين الخاصة بمجيء المسيح – المخلّص.

-الحقيقة الثالثة عشرة: إن المنطقة التي ولد فيها يسوع المسيح، بأرضها ومعابدها ومغاورها، كانت منطقة مميّزة ومقدّسة لدى جميع الديانات الشرقية – وخاصة الديانة الكنعانية – منذ فجر التاريخ وطوال قرون عديدة حتى المسيح. وقد أقيمت فيها معابد وهياكل لكبار آلهة الشرق والغرب، للإلاهة الأم، وخاصة للإله الكنعاني الفينيقي البعل وأدونيس. وفي مغاورها سكنت جماعات تلو الجماعات من النسّاك والمتوحدين والرهبان. وقد اشتهرت بكونها موئلاً ومركزاً اساسياً للجماعة الاسينية

القديمة والجماعات الجليليّة الروحيّة المماثلة...، وبكونها منطقة يسهل فيها «التركيز الروحي» والاتصال بالعالم الآخر، حتى أصبحت نوعاً من «البوتقة الروحية»، يتم فيها الانصهار بين التيارات والمذاهب والديانات المختلفة... في هذه المنطقة بالذات ولد السيّد المسيح «فاعطت الارض ثمرتها...»، كما يقول الكتاب.

كانت منطقة الكرمل هذه، التي ولد فيها السيد المسيح، منطقة مقدسة عند الكنعانيين (إيل ثم ابنه البعل)، عند الفينيقيين أحفادهم (أدونيس وعشتروت)، عند المصريّين (أم الآلهة)، عند أشّور وبابل (صرفند رفيقة الإله الأكبر مار دوخ)، عند اليونان والرومان (زوس)، عند اليهود (جماعة الانبياء، النبي إيليّا والنبيّ اليشاع)، عند الاسلام (الخضر). ثم جاء المسيح، خلاصة الكون والارض والانسانية، وهو القائل: «ما أتيت لأنقض بل لأكمّل...». في هذه المنطقة عاشت مريم وولد المسيح وتم التجسد الإلهي وبدأت المسيحيّة...

هذه المنطقة هي قسم من أرض كنعان، تلك الأرض المباركة التي سعت منذ البدء الى تلاقي الشعوب والحضارات والديانات، وتفاعلها وتلاقحها وتناضجها وتكاملها، وصهرها في بوتقة واحدة للبلوغ الى الانسان العالمي أو «عالمية الانسان». اليست هي، في الجوهر والوجود، دعوة «لبنان الرسالة»؟!

-الحقيقة الرابعة عشرة:قضى يسوع سنوات حداثته وصباه وقسماً من شبابه على الأقل، يدرس ويتعلّم بشكل منتظم في الدير الكبير في جبل الكرمل التابع للجماعات الجليليّة الروحيّة – ومنها الجماعة الاسينيّة القديمة (وهي غير جماعة قمران عند البحر الميت...). وكان هذا الدير بمثابة مدرسة كبيرة تدرّس بشكل منتظم الديانات واللغات وثقافات العصر. هذه الحقيقة طمسها التاريخ ولم تسلّط عليها الاضواء حتى اليوم. وذلك لأن هذه المدرسة كانت تقع داخل أرض فينيقية – لبنان، وهذا الامر لا يناسب اليهود ولا المسيحيّين المتهوّدين... والبرهان على كونه درس بشكل منتظم، الاجتماع الذي حصل بينه، وهو في الثانية عشرة، وبين العلماء في الهيكل... «فوجده أبواه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين

العلماء، يستمع اليهم ويسألهم... وكان جميع سامعيه معجبين أشدّ الاعجاب بذكائه وجواباته...» (لوقا 2: 46-47). وقد درس يسوع، دون أدنى شك، ديانات عصره وثقافاته وأفكاره، وكان يتقن، على الأقل، ثلاث لغات هي الآرامية (اللغة المحكية في محيطه)، والعبرانية (لغة الكتاب والانبياء)، واليونانية (لغة الثقافة والمثقّفين في بيئته). وهل من المنطقي والمعقول والمقبول ان يكون يسوع، وهو المسيح مخلص العالم، بحاجة دائمة الى شخص آخر يترجم له أحاديثه وحواراته التي جرت بينه وبين الغرباء في أرضه وبيئته، أمثال اليونان والرومان المحتلين بمن فيهم الرؤساء والحكام...، وغيرهم من الشعوب؟ وهل من المنطقي والمعقول والمقبول ان يكون يسوع المسيح جاهلاً ديانات عصره وأفكاره وثقافاته وعلومه؟! (وهناك آراء وأقوال تتحدث بالتفصيل عن سفر يسوع المسيح الى كبريات الحاضرات الثقافية والروحية في الشرق...؟!) ومهما كانت الأمور، فنحن نركّز هنا على دراسة يسوع وثقافته التي بلغت، بكل تأكيد، أعلى درجات الثقافة في عصره. وذلك للاسباب التالية: أولاً إن الاناجيل المقدسة ليست كتباً تاريخية بحصر المعنى، كما كرّرنا أكثر من مرّة. ثانياً لأن بين أيدينا مراجع وكتباً تاريخية، قديمة وحديثة، تتحدث بالتفصيل عن دراسة يسوع وثقافته الفكرية والروحية العالية، هذه الثقافة التي أدهشت الجميع وأربكتهم... فقد جاء في انجيل يوحنا: «وصعد يسوع الى الهيكل وكان العيد قد بلغ الى أوسطه فأخذ يعلّم... فتعجب اليهود وقالوا: كيف يعرف هذا الكتب ولم يتعلّم...؟» (يوحنا 7: 14-15). ولم يقتصر التعجب والارتباك على اليهود وحدهم، بل قد وصلا حتى الى مواطنيه في الجليل انفسهم. فقد جاء في إنجيل متى: «ولما أتمّ يسوع هذه الأمثال ذهب من هناك وعاد الى وطنه، وجعل يعلّم في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من أين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ أما هو ابن النجّار؟ اليست أمّه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أو ليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كلّ هذا؟ وأخذتهم الحيرة فيه». إنجيل مرقس (6: 1-3.(

ان يسوع المسيح هو انسان تام مثل سائر البشر، بالإضافة الى كونه إلهاً. وهو مثلنا في كل شيء، ما عدا الشر والخطيئة طبعاً. وكونه إلهاً لا

يعني أبداً أن قواه العقلية والفكريّة، كقواه الجسدية والعاطفية، لم تتنامَ وتتطوّر وتنضج، على عكس ما ظنه العامة من المسيحيّين أنفسهم!؟ ألم يقل الانجيل نفسه حرفياً: «وكان يسوع ينمو ويتسامى في القامة والحكمة والحظوة عند الله والناس...» (لوقا 2: 52). وقوله «بالحكمة» يعني: بالفكر والمعرفة والعلم...

-الحقيقة الخامسة عشرة: في بداية حياته التبشيريّة، دعي يسوع، هو وتلاميذه، الى عرس في قانا الجليل. ولم تدع أمه مريم الى العرس لأنها كانت هناك، مقيمة في بلدتها، بعد موت زوجها ونسيبها يوسف، وكان العريس نسيبهما. وقد أثبتنا، مع غيرنا، بالدلائل والبراهين العلمية أن قانا الجليل هذه، هي في لبنان، في لبنان الجنوبي، على مسافة قليلة من مدينة صور، الى الجنوب الشرقي (راجع كتابنا «قانا الجليل في لبنان»، منشورات «إيل» – 2، إهدن، لبنان، 1994). وهكذا، كرّس المسيح في أرض لبنان بالذات، ولأوّل مرّة، العرس والزواج والحب البشريّ، والعائلة البشرية، وخصوبة الحياة، وأعاد كل هذه الحقائق والمؤسسات البشرية الى أصالتها الأولى، رافعاً إياها الى أعلى المستويات، مستوى «السرّ» الذي أراده الله الخالق...

-الحقيقة السادسة عشرة: وينتج عن الحقيقة السابقة أن يسوع المسيح أعلن ألوهيته، لأول مرّة، في لبنان: فانجيل يوحنا عندما يقول: «فأظهر يسوع مجده وآمن به تلاميذه...»، يعني أن يسوع أظهر الوهيته، كما يجمع المفسّرون. فيسوع هو «عمانوئيل» كما يقول الانجيل نفسه، أي «إيل معنا»، أو «الله معنا»، والمقصود: إيل – الله – تجسّد وأصبح انساناً مثلنا. وكما أن «إيل»، الإله الكنعاني – الفينيقيّ الكونيّ الأول، انطلق من لبنان ثم انتشرت عبادته في كل أصقاع الارض، هكذا فإنَّ «عمّانوئيل» – أي يسوع المسيح – أعلن ألوهيته أولاً في لبنان، ثم انتشرت عبادته، انطلاقاً من لبنان، وعمت الأرض والكون!...

-الحقيقة السابعة عشرة: في لبنان، بدأ «العهد الجديد»... فالإنجيل المقدّس، عندما يقول «فآمن به تلاميذه...»، وذلك بعد الآية الاولى التي أتى بها يسوع في عرس قانا الجليل اللبنانية، إنما يعني صراحة وبوضوح أن الإيمان بالمسيح قد بدأ في لبنان، ومنه انطلق الى العالم أجمع. ومع التلاميذ في قانا الجليل، وهم أول المؤمنين بالمسيح، تكوّنت الجماعة المسيحيّة الاولى. وهكذا، في لبنان تأسست الكنيسة المسيحية وبدأت رسالتها السامية انطلاقاً من الأرض، من أرض لبنان بالذات. وجوهر رسالتها هو العمل على «تأليه» الانسان. أجل! إن الله صار إنساناً، كي يصير الانسان «إلهاً»...، في لبنان، وانطلاقاً من لبنان!...

مراجع اضافية للفصول 6، 7 و 8

-أولاً- المراجع العربيّة:

أ-الكتاب المقدس – العهد القديم

-سفر التكوين الفصول 35، 48-49، مع الحواشي والشروحات
-سفر العدد الفصل 24
-سفر يشوع الفصول 15، 18-19
-سفر راعوت الفصول 1، 3-4
-سفر صموئيل الاول الفصول 10، 16-17، 27
-سفر صموئيل الثاني الفصول 3، 7، 19
-سفر الاخبار الأول الفصول 2-4
-سفر الاخبار الثاني الفصول 11، 30
-سفر تثنية الاشتراع الفصل 33
-سفر المزامير المزامير 89، 110، 132
-سفر أشعيا الفصول 6-12 (كتاب العمانوئيل)، 27، 32-33، 59
-سفر إرميا الفصول 23، 31، 40-41
-سفر دانيال الفصل 7
-سفر حزقيال الفصل 8
-سفر ميخا الفصل 5
-سفر هوشع الفصل 1
-سفر نحميا الفصول 7، 11
-سفر عزرا الفصل 2
-سفر عزرا الثالث (منحول – غير قانوني(
-سفر نشيد الأناشيد الفصل 4 مع الحواشي والشروحات.

-ب- العهد الجديد:

-إنجيل متى 1، 2 مع الشروحات والحواشي 4: 15، 9: 33، 12: 23، 13: 53-58 والحاشية رقم 3، 16: 14، 21: 10-11.

-إنجيل لوقا 1، 2، مع الشروحات والحواشي، 3: 23-38، 4: 14-30 مع الشروحات والحواشي، 9: 51-55.
-إنجيل مرقس 6: 1-6 والحاشية رقم 4، 14-20 مع الشروحات والحواشي، 14: 12-17 والحاشية رقم 13.
-إنجيل يوحنا 1: 26-31، 45-46، 4: 43-46، وخاصة الشروحات والحواشي رقم 15-17، 28، 31. 7: 14-16، 25-32 والحاشية رقم 5، 40-52 مع الشروحات والحواشي وخاصة الحاشيتان رقم 28 ورقم 31. 9: 28-29.

أعمال الرسل 9: 31 والحاشية رقم 22.

ج-المؤلفات المدنية:

-فان در ميرش، «مريم أم المسيح»، دائرة المعارف المسيحيّة، دار الكلمة، بيروت، لبنان، 1966، ص 9-10، 17-18، 22-26، 61-62، 72، 131-133.
-الاب يوسف يمين «قانا الجليل في لنان»، منشورات «إيل»، اهدن، لبنان، الطبعة الاولى 1994، ص 13-30 مع الحاشية رقم 39
-غسّان خلف، «لبنان في الكتاب المقدّس» – دراسة لاهوتية وتاريخيّة – دار منهل الحياة، 1985، لبنان، ص 174 مع الحاشية رقم 1
-يوسف الحوراني، «ملحق النهار الاسبوعي»، بيروت، لبنان، 25 كانون الأول 1993، ص 4-5
-يعقوب تيريني اليسوعي، «تحفة الجيل في تفسير الاناجيل» – بشارة يوحنا – الاصحاح الثاني، الفصل الخامس ص: 716-717 (وفيه كثير من أقوال آباء الكنيسة الأولين.(
-ياقوت الحمويّ «معجم البلدان»، بيروت، لبنان، 1957، المجلّد 1، ص 521-522، مجلّد 3، ص: 76-77، 412
«-بابيروي إجرتون»، الفقرة الأولى (عن مولد يسوع(...
-إبن الأثير، «تاريخ ابن الأثير»، ورد كلامه في: تاريخ الناصرة، لأسعد منصور، ص 159

-فرج الله صالح ديب، «التوراة العربية وأورشليم اليمنيّة»، دار نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994، ص 27

-يوسيفوس المؤرّخ، «الآثار اليهودية»، 20: 1

-ول ديورانت «قصة الحضارة» ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر، 1965، الجزء الثاني من المجلّد الاول، الشرق الادنى، ص 136، 168، 176، 178، 187، 195، 323، 332.

-دانيال روبس، «يسوع في زمانه»، تعريب حبيب باشا البولسي، المنشورات العربية، الطبعة البولسية، جونية، لبنان، 1969، ص 31

-فراس السواح، «الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم»، الطبعة الاولى، 1989، دار المنارة، الجمهورية العربية السوريّة، دمشق، الباب الأول –1- سجلاّت مصر الفرعونة، ص 57-59، مع الحاشيتين رقم 30 و31

-أنيس فريحة، «ملاحم أوغاريت – راس شمرا»، نشر الجامعة الاميركية، بيروت، لبنان، 1966، ص 439، 656 (ملحمة «البعل وعناة»، 7: 5: 32-33) راجع أيضاً كلمة «زبولون» في قاموس الادب الاوغاريتي في آخر الكتاب. «في القصص العبريّ القديم»، ص 93 والحاشية رقم 43

«-التوراة الكنعانية»، تأليف هـ. أ. ديل ميدكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس، دار دمشق للطباعة والنشر، ص 316

-القس اسعد منصور «تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة»، مطبعة الهلال، مصر، 1924، ص: 28-33 مع الحاشيتين رقم 37 و44؛ 37 والحاشية رقم 1؛ 137 والحاشية رقم 1؛ 159، 189-192، 262-263 (والمؤلف ينقل نصوصاً من الاب برنابا مؤرّخ الناصرة القديم في كتابه «جديد الارض المقدسة.(...«

-حنا عبد الله حبقمان «جولة في تاريخ بيت لحم – من أقدم الأزمنة حتى اليوم»، مطبعة بطريركية الروم الارثوذوكس، القدي، 1984، الفصل الاول – بيت لحم قبل الميلاد ص 8-9.

-كمال الصليبي «التوراة جاءت من الجزيرة العربية»،مؤسسة الابحاث العربيّة، الطبعة الرابعة، 1991، يضم هذا الكتاب الترجمة الكاملة عن الاصل الانكليزي الذي نشر أصلاً بالالمانية، ص 171-172 مع الحاشيتين رقم 4 و5؛ 174 والحاشية رقم 7؛ 232

«-حروب داود«

–الأجزاء الملحميّة من سفر صموئيل الثاني – مترجمة عن الأصل العبريّ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة العربية الاولى، 1990، ص 12-13، 138، 161

-الطبري «تاريخ الطبري»: «تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري»، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى 1960، الجزء الاول، ص 191، 593-600. الطبعة الثانية دار سويدان، بيروت، لبنان، 1967، ص 593-594، 598-600

-ظفر الاسلام خان «تاريخ فلسطين القديم»، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص 27 مع الحاشيتين رقم 2 ورقم 3

-نقولا زيادة «في سبيل البحث عن الله»، مقالة تاريخية طويلة، «ملحق النهار الاسبوعي»، 10 أيلول 1994، ص 6

-الاب مرتين اليسوعيّ، «تاريخ لبنان»، ترجمة رشيد الخوري الشرتوني، مطبعة الآباء اليسوعيين 1989، المقدمة – 17 (اقسام لبنان)، ص 28-62، مع الحواشي والشروحات.

«-رسائل تلّ العمارنة» (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)، النص N° 190 :

- E A –راجع قاموس لاروس الانسيكلوبيدي، الجزء الاول، ص 189، العمود الثاني.

-القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 34؛ سورة مريم، الآيات 15، 22-26

-الدكتور وجيه أبو خليل «القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء»، دار عون، الطبعة الأولى، لبنان 1988، مع صور وخرائط ومستندات، ص 11، 18، 22-25، 83-86، 170، 187-198.

-قاموس لاروس الأنسيكلوبيدي، الجزء الأول، ص 189، العمود الثاني.

-قاموس الكتاب المقدّس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 1971، ص 205، العمود الثاني، ص 206 العمود الاول – كلمة «الرامة» ص 392-393، 934-935، 1079 العمود الاول – راجع أيضاً الخرائط القديمة لفلسطين واليهودية والجليل وفينيقية...، المنشورة في هذا القاموس.

«-فهرس الكتاب المقدس»، الدكتور جورج بوست، مكتبة المشعل الانجيلية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1958، «حرف الكاف» – كنعان ص 85-86.

ثانياً – المراجع الاجنبيّة

-W.F. Albright, “Akkadian Letters», in J. Pritchard>s Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1969, p. 439, 489.
-Maria Teresa Petrozzi, «Bethléem”, Edition revue et corrigée, 1985, Franciscan Printing Press. Jerusalem, traduit de l>italien par Albert Storme, pp. 17-36, 140-152, avec Notes et Cartes.
-Ernest Renan. Vie de Jésus”, 1863 Tome 1, chapitre 4, p. 50
-P. Grelot, “L’espérance Juive à l>heure de Jésus”, Desclée, Paris, 2e éd. 1994
-A. Pinéro, “Vie de Jésus selon les Evangiles Apocryhes”, Seuil, Paris, 1996
G. A. Smith, “Atlas of the Historical Geography of the Holy Land, p. 11
-Daniel Rops, «Jésus en son temps», Collection Foi Vivante, Desclée de Brouwer, 1971, pp. 48-52, 92-94, 100, 112-114, 108-109, 120-123
-Jean – Claude Barreau, “Biographie de Jésus”, pp. 7-8, 10-12, 25, 29-30, 152
-A. Reville, “Jésus de Nazareth», chapitre I, p. 403
-Von Soden, Apud E.B. «Chronology», col. 807
-G. Stanton «Parole d>Evangile – Un éclairage nouveau sur Jésus et les Evangiles”, Ed. Du Cerf et Novalis, Paris et Montréal, 1997.
-D. Marguerat, E. Norelli, J. – Posset, «Jésus de Nazareth, nouvelles approches d>une énigme”, éd. Labor et Fides, collec. “Le monde de la Bible», Genève, 1998

-Charles Perrot – «Jésus et l>Histoire», Desclée de Brouwer, 1979, p. 76
-“Les récits de l’enfance de Jésus –Mathieu 1-2; Luc 1-2”, Cahier Evangile, N° 18, pp. 4-5, 9-10, 11-16, 31-34, 51, 57, 60-61, 65, 72.
-Charles Virolleaud, “Legendes de Babylone t de Canaan”, p. 102 et Note N°1, 113 et Note N° 6
-Kamal Salibi, “The Bible come from Arabia”, London, 1985, p. 13 (carte de la Palestine dans l’Ancient Testament – 48), 134.
-Clément d’Alexandrie, “Stromates”, I, chapitre 12.
-H.P. Blavatsky, “La Doctrine Secrète”, Ed. Adyar, 9eme éd. 1987 vol. 5, pp. 55 avec les Notes: 56 et 58
-Jacques Duquesne “Jésus”, Desclée de Brouwer, Flammarion, 1994, pp. 28-31, 33, 45, 54-59, 61-63, 323-324 avec les Notes N° 10 et 22
-P. Benoit et M – E. Boismard< “Synopse des quatre Evangiles”, Les Editions du Cerf, 3eme edition, Paris, 1972, Tome 1er pp. 6-7, 10, avec les Notes. (Il cite les parallèles des Apocryphes et des premiers pères de l’Eglise Chrétienne…), 11 et la Note N° 17. Tom 2, pp. 62 et Note N° 5, 63 et Note N° 9, 64 et Note N° 11, 66 et Notes N° 16 et 17, 214 et Note N° 144, II, 2.
-Origène, “Homélies”, 7 (Le Lévitique).
-Yohanan Aharoni, “The Land of the Bible – a Historical Geography”, London, 1996, pp. 50-59, 80-98.
-J. Newsner, “Le Judaïsme à l’aube du christianisme”< éd. Du Cerf, Paris 1986
-Dulap, “Sod”, p. 176.
-Huet, “Origineniani”, p. 16
-J. Ralston Skinner, “Source of Measures”, pp. 306-307

-Meyer, “Quabbalah”, p. 202
-S. Reinach, “Cultes, Mythes et Religions”, III, 18 et suiv.
-Dr. H. Spencer Lewis, “La vie mystique de Jésus”, chap. 5, pp. 83-94; chap. 6, pp. 95-97, 99, 100, 105, 126, 127
-Charles Guignebert “Jésus”, Collec. L’Evolution de l’Humanité, Edit. Albin Michel, 1969, chap. 2, pp. 73-86; chap. 3, pp. 87-93 - “La vie cachée de Jésus”, pp 67 et suiv.
-Flavius Josèphe, “Wars of the Jews”, Books III, chap. 3 paragraphe 1.
-Dorothée Kœchlin de Bizemont “L’Univers d’Edgar Cayce”, Les Enigmes de l’Univers, Robert Laffont, Paris, 1992, Tome 1er, pp. 254-255, 289-299, 320-326, 338-343, 460-461; Tome 3, pp. 83-84 avec les Notes.
-Gérald Messadie, “L’Homme qui devint Dieu”, Tome 2< (Les Sources), Robert Laffont, Paris, 1989. Pp. 29, 88-89, 94-95, 108-109, 250-251 (N° 66).
-J. Simons, “The Geographical and Topographical texts of the Old Testament”, Leiden 1959, pp. 49, 101-115
-D. Marguerat, “Lhomme qui venait de Nazareth”, éd. Du Moulin, Aubonne, 3e éd. 1995, pp. 20-29.
-André Paul, “L’Evangile de l’Enfance selon Mathieu”, Lectures Bibliques, 1984, pp. 133-137
-Justin, “Dialogues”, 70, 2; 78, 4-6
-Condor, “Pent Wark in Palestine”, p. 301
-“Petit Guide du Mon Carmel”, 1ere Edition, Jérusalem, 1946, The Commercial Press, pp. 1-15, 18, 20-21, 27-31 (avec cartes et photos).

-P. Jean Sleiman OCD, “Le Liban Carmel deviendra: Implantation des Carmes au Liban”, (1643-1653), in Revue: “La Splendeur du Carmel”, N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, p. 22 et Note N° 29.
Fr. Camilo Maccise, «Les racines bibliques de la spiritualité carmélitaine’, in la Revue: La splendeur de Carmel, N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, pp. 1-9
-Anne – Cathérine Emmerich, “Visions”, Ed. Téqui, p. 151.
-Cyril Scott, «Vision du Nazaréen”, coll. “L’initié”, p. 49.
-A.D. Grad, “Les Clefs secrètes d>Israël”, p. 207 (citant le livre de «zohar»…).
-Papyrus «Bodner” (Nativité), 2-3.
-Evangiles Apocryphes (prés, par France – Quéré); Edit. Du Seuil, Paris, 1983:
-“Le Protévangile de Jacques», 1, 2, 3; 4-1, 17-1, 2, 3; 18-1, 2, 3; 19-1; 20-4; 21-1, 2, 3, 4; 22-1, 2, 3; 23-1. Pages 69-70, 73, 79-80, 82-85
-“Histoire de Joseph Chapentier», 7, pp. 97, 99 et Notes.
-“Evangile de Nicodème” ou Actes de Pilate», (14-1; 16-5) pp. 142, 149.
-Evangiles Apocryphes (Près. Par F. Amiot), L. Arthème Fayard, 1952 –»Le Protévangile de Jacques», pp. 60-64
-“Ecrits Apocryphes Chrétiens”, sous la direction de F. Bovon et Geoltrain, Bible de la pléiade, Gallimard, Paris, 1997.
-R. Bultman, “L’histoire dans la tradition synoptique”, Edit. Du seuil, Paris, 1973
-R.E. Brown, “The Birth of the Messiah”, New York, 1977.
-R. Laurentin< “Les Evangiles de l>enfance du Christ”, Paris, 1982.
-P. Benoit, Article <Quirines», dans SDB – 9, 1997, col. 693-720.

-Jacques Duquensne, «Le Dieu de Jésus", Grasset, Desclée de Brouwer, 1997, Paris, pp. 19, 65, 221 et Note N° 1, 226 et Note N° 4
-Philippe Rivault «Maisons de Béthléem", Maison neuve et Larose, Institut du Monde Arabe, 1997, pp. 7-13
+Bibles:
-"Bible de Jérusalem", Ecole Biblique de Jérusalem, édit. Du Cerf, 1956: Genèse 35 et Notes pp. 43-44; 1 Samuel 10: 1-2 et la Note k, p. 287; 1 chron 2: 19 et la Note F, p. 408; Isaïe 7: 13-25 et les Notes e, f, g, h, p. 996
-"La Bible (TOB)», Traduction œcuménique, édition intégrale, 1988, Edit. Du Cerf, Société Biblique Française, p. 1870 et la Note l; 2 Chron. 11: 5-12. (Avec les cartes à la fin de la Bible)
+Dictionnaires:
-"Dictionnaire de la Bible", Edit. Robert Laffont, Paris 1989, pp. 161-162, col. 89-90 avec la carte.
-Supplément, Tome 6, col. 331-332
-Dictionnaire Encyclopédique, Larousse, 1er volume, p. 189, col. 2
+Revues:
-"Maison Dieu", 1976, pp. 24-40
-"Bible et Terre Sainte", N° 110, Avril, 1969
-"La Splendeur du Carmel", N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, pp. 1-31
-"Revue Biblique", N° 1, Janvier, 1997.
-"Le monde de la bIble", (Archéologie – Art – Histoire), Aout, Septembre, Octobre, 1983, Numéro Spécial: Béthléem Cité Messianique, pp. 36-37.
-N° 101, Novembre – Décembre, 1996, p. 22
-N° 107, Novembre – Décembre, 1997,

Numéro spécial: Qumrân 50 ans après (Avec documents, photos, images, dessins et cartes).
-N° 109, "Que sait-on de Jésus?" Mars – Avril, 1998

جداول ومراجع عن ألقاب المسيح – في العهد الجديد

يسوع ابن الله:

إبن الله: متى 3: 17، 4: 3، 8: 29، 14: 33، 16: 16، 17: 5، 26: 63-64، 27: 54 لوقا 1: 35 يوحنا 1: 49، 5: 25، 11: 4 و27، 19: 7، 1 يوحنا 4: 15 الابن الواحد: يوحنا 1: 14، 3: 16-18، 1 يوحنا 4: 9 واحد مع الآب: يوحنا 5: 18-19، 10: 30، 17: 11 و21 «أبي»: متى 7: 21، 10: 33، 11: 27، 18: 35، 26: 39-42 يوحنا 2: 16، 5: 17، 20: 17 في الآب: يوحنا 14: 9-11 و20 أزلي: يوحنا 8: 58، قولوسِّي 1: 15 رؤيا 3: 14 قدير: متى 11: 27، 28: 18 يوحنا 3: 35، 5: 20، 13: 3، 17: 2، 1 قورنتس 15: 27 أفسس 1: 20-22 فيليبي 2: 9-11، 3: 21، عبرانيين 1: 3-13 رؤيا 3: 21، 12: 10 دون الآب: يوحنا 14: 28

يسوع إله:

يوحنا 1: 1 و18، 5: 18، 8: 24 و28 و58، 13: 19 رومة 9: 5 فيليبي 2: 6 قولوسِّي 1: 15 و19، 2: 9 طيطس 2: 13 عبرانيين 1: 3، 1 يوحنا 5: 20 رؤيا 19: 13

يسوع ابن الانسان:

إنسان حقيقي: مولود من امرأة: متى 1: 1-16 و25 لوقا 2: 6-7، 3: 23-38 يوحنا 1: 14 رؤيا 5: 5 غلاطية 4: 4 في حال الخاطئ: رومه 8: 3، 2 قورنتس 5: 21 غلاطية 3: 13 فيليبي 2: 7-8 عبرانيين 2: 6-18، 4: 15، 5: 7 فقير: متى 8: 20 مرقس 6: 3 لوقا 2: 7-12، 2 قورنتس 8: 9 بجميع الحدود البشرية: متى 4: 2، 9: 36، 17: 17، 20: 34، 26: 37-42، 27: 46 مرقس 1: 41-43، 3: 5، 4: 38، 5: 9، 6: 38، 8: 5، 13: 32 لوقا 2: 40

و52، 9: 52، 19: 41، 22: 15 يوحنا 4: 6، 6: 5-6، 11: 33 و35 و38، 12:
27 عبرانيين 5: 7-8 ما عدا الخطيئة: عبرانيين 4: 15 مطيع: متى 17: 24-
27 لوقا 2: 51 فيليبي 2: 8 قاوموه: لوقا 2: 34-35 رومة 15: 3 عبرانيين
12: 3 ومع ذلك متسام: متى 9: 6، 12: 8 و41-42، 13: 41، 16: 13-19
و26-27، 17: 5، 19: 28، 24: 30، 25: 31-46، 26: 64 مرقس 8: 38
يوحنا 1: 51، 3: 13، 5: 27، 6: 62

يسوع: المسيح:

متى: 11: 2-6، 16: 16 و20 مرقس 1: 34، 14: 61-62 لوقا 2: 11 و26، 4: 41، 9: 20، 24: 26 يوحنا 1: 41، 4: 25-26، 10: 24-25، 20: 31 أعمال الرسل 2: 36، 4: 27، 10: 38، 17: 2-3، 18: 5 و28

يسوع: المخلّص: مرقس 3: 4، 5: 23 و28 و34، 6: 56، 10: 52، 15: 31 لوقا 2: 11 يوحنا 4: 42 أعمال الرسل 5: 31، 13: 23 أفسس 5: 23 فيليبي 3: 20، 2 طيموتاوس 1: 10 طيطس 1: 4، 2: 13، 3: 6، 2 بطرس 1: 1 و11، 2: 20، 3: 18، 1 يوحنا 4: 14

يسوع ربّ ومعلّم:

متى 23: 8، 26: 18 لوقا 2: 11 يوحنا 3: 2، 13: 13-14 أعمال الرسل 2: 36 رومة 10: 9، 14: 9 فيليبي 2: 10-11، 1 طيموتاوس 6: 14، 2 بطرس 2: 1، يهوذا 4، رؤيا 17: 14، 19: 16.

الفهرس